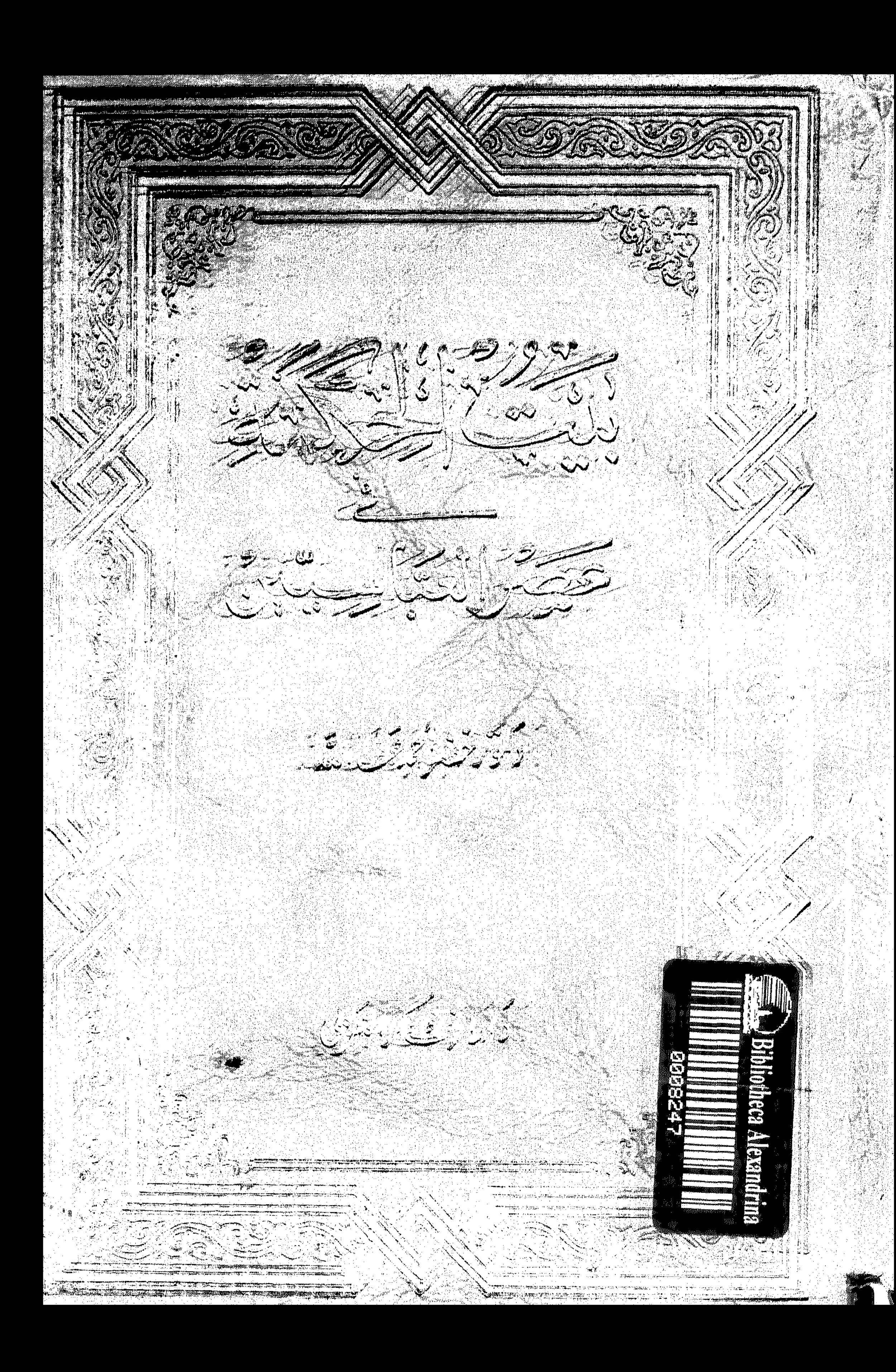


بيت الحكمة
في
عصر العباسيين

دكتور خضر أحمد عطا الله

دار الفكر العربي

بيت الحكمة في عصر العباسيين

الدكتور خضر أحمد عطا الله

كلية التقنية العليـا بأبو ظبى
جامعة الامارات العربية المتحدة

الطبعـة الأولى

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي
١١ ش جواد حسني - القاهرة
ص.ب ١٣٠ ت: ٣٩٢٥٥٢٣

إهداء

إلى والدي ...

إلى أمي ...

إلى أخي الأكبر عبد الباري



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .

وبعد ..

حينما بدأت فى تسجيل موضوع **رسالتى للدكتوراه** عن « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » أدركت صعوبة الموضوع من حيث عدم توفر مصادره ومراجعه ، وأن ذلك يتطلب وقتا وجهدا ، وبحثا وتنقيبا من أجل الوصول الى الحقيقة ، وهذا ما سعيت اليه وبذلت فيه جهدا مضنيا ، فتسلحت بسلاح الايمان والصبر والجهد والمثابرة وشمرت عن ساعد الجد وطوفت أبحث وأنقب ، فوجدت بعضا من هذه المصادر والمراجع فى بعض البلدان منها الباكستان بجامعة البنجاب بلاهور والعراق ومصر وسوريا والمغرب وليبيا ولندن وأمريكا .

ولكن هذا البحث كلفنى من العناء والجهد فى ترك الأهل والولد وكل ذلك يهون فى سبيل اخراج بحث نشعر أننا قدمنا فيه شيئا جديدا خدمة لكل راغب فى التزود بزاد العلم .

أما عن اختيار موضوع « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » فلأن المكتبات الاسلامية تعتبر من أهم المؤسسات الثقافية التى يفخر بها الاسلام ، ولها دور بارز فى نشر المعرفة والثقافة بين المسلمين ، وساعدت فى اقبال المسلمين على التعليم بعد ظهور الاسلام ، ويمكنهم تفهم تعاليم هذا الدين ، وترغيب الأمم الأخرى فى الدخول فى الدين الجديد .

كما أن المكتبات المنظمة الغنية بمحتوياتها هى الدعائم الاساسية التى تشاد عليها صروح العلم والثقافة والحضارة والمعرفة وهى أيضا الينابيع الفياضة التى تغذى تقدم الأمم العلمى والحضارى بماء الحياة والبقاء .

ويقاس رقى أمة من الأمم أو تأخرها بكثرة المكتبات وما تلقاه من عناية ورعاية أو ندرتها أو اهمالها ، واعتبارها شيئا ذا أهمية ثانوية .

ولهذا فبيت الحكمة باعتبارها احدى المؤسسات العلمية والثقافية قد أدت دورا بارزا فى العصر العباسى كمكتبة عظيمة ودار ترجمة وجامعة اسلامية عريقة فيها دار اقامة للطلاب والأساتذة يدرس بها الطب وغيره من العلوم الأخرى ، وقد ساهمت فى النهضة العلمية والفكرية الاسلامية فى بغداد كما كان تأثيرها كبيرا فى القاهرة وقرطبة والأندلس وغيرها من البلاد الأخرى .

وقد قسمت البحث الى خمسة أبواب ، وقسمت كل باب الى فصول .

الباب الأول : يتكون من مقدمة وأربعة فصول تحدثت فى الفصل الأول عن تأسيس بيت الحكمة وأهدافها ، وفى الفصل الثانى عن انشائها والفصل الثالث شمل النظام الادارى بها والفصل الرابع عن أثر بيت الحكمة فى المجتمع العباسى .

الباب الثانى : قسمته أيضا الى أربعة فصول ، فيه المقدمة . ذكرنا فى الفصل الأول تاريخ المدارس الاسلامية وأثر بيت الحكمة فيها .

والفصل الثانى : التدريس والمدرسون فى بيت الحكمة ، عملهم ورواتبهم فيها ، والمواد الدراسية التى تدرس فيها .

الفصل الثالث : حركة التأليف فى بيت الحكمة من حيث حركة التأليف فيها وتشجيع حركة التأليف على يد الخلفاء والوزراء وعمل المؤلفين فى بيت الحكمة ورواتبهم . والفصل الرابع : تحدثت فيه عن المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء فى بيت الحكمة . ومدى تشجيع الخلفاء للمباحثة والمناظرة فيها ، ورغبة الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة . ومشاركة العلماء والشعراء والأدباء فى المناظرة والمباحثة فيها .

أما الباب الثالث : فيتكون من المقدمة وأربعة فصول . أشرنا فى الفصل

الأول عن بيت الحكمة فى عهد المـــأمون ، وحالتها قبل عهد المـــأمون ، وعناية واهتمام المـــأمون ببيت الحكمة ، وصرف الأموال فى سبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمة .

الفصــــل الثانى : بيت الحكمة بعــد عهد المـــأمون ، وكيف انها استمرت فى رحلتها العلمية والأدبية ، ومدى عناية الخلفاء والوزراء بها بعـــد المـــأمون ، ثم ذكرت الحركة العلمية ونشاطها فى بيت الحكمة بعـــد عهد المـــأمون .

الفصــــل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية على المدارس الاسلامية ، فبيت الحكمة نمـــوذج رائع للمدارس الاسلامية فى النواحى العلميـــة والتعليميـــــة .

وكيف أن المدارس الاسلامية قـــد تأثرت بالعلوم التى تدرس فى بيت الحكمة كالفلسفة والطب والمنطق والفلك والتنجيم والرياضيات . أما موقف المدارس الاسلامية من بيت الحكمة ومدى تأثرها بها ، فهـــذا ما سنوضحه فى مكانه من البحث .

أما الفصــــل الرابع : فيشتمل على بيت الحكمة كجامعة اسلامية عظيمة ، فقد كانت جامعة بيت الحكمة يدرس فيها الطب ويقيم فيها الطلاب والأساتذة ، كما أنها كانت تهتم بالمراصـــد الفلكية التى اقيمت فى دمشق وفى بغـــداد ، وذلك من قبيـــل حرص الدولة العباسية على الاسلام والمسلمين ، كمعرفة مواقيت الصلاة ... الخ .

والبـــاب الرابع : يتكون من مقـــــدمة وثلاثة فصـــول : الفصــــل الأول بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها . وكذلك أيضا العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة ، كعلم الكلام والمنطق والفلسفة والطب والرياضيات والفلك والتنجيم . وفى الفصــــل الثانى : الحيـــاة العلمية ونشاط الترجمة فى بيت الحكمة ، تحـــدثت فيه عن المترجمين الذين عملوا فى بيت الحكمة : كحنين بن اسحاق ، ويوحنا بن ماسويه ، والكندى ، والفارابى ، والفضــــل بن نوبخت .

وما كان لحركة النقل والترجمة على أيدى الموالى : كعلان الشعوبى والفضل بن ســـهل ، وسعيد بن هارون ، وكانوا يريدون بذلك اثبـــــات وجودهم أمام العرب المســـــلمين .

ولعب المترجمون دورا هاما فى تنشيط حركة التأليف والترجمة من أمثال : أولاد موسى بن شـــاكر (محمد واحمد والحسن) ، وثابت بن قره .

ويجب ان نذكر أن ترجمة التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية قد أكسب الدولة العباسية مكانة مرموقة بين العالم الاسلامى والأجنبى . وقد تم ذلك على يد حنين بن اسحاق ، وأولاد موسى بن شاكر والكندى والفارابى .

أما الفصل الثالث : فهو العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة والعلماء الذين عملوا فيها . اذ كان للخلفاء والوزراء دور بارز من حيث تشجيعهم للذين عملوا

فى بيت الحكمة كحنين بن اسحاق والكندى ويوحنا بن ماسويه . وقد حافظ الخلفاء والوزراء على نشاط مؤسسة بيت الحكمة بتشجيعهم للترجمة والتأليف ونقل التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية . كما حرص الخلفاء والوزراء على تقوية أواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة .

الباب الخامس : يتكون من مقدمة وثلاثة فصول . الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم . فكانت بيت الحكمة ذات تأثير عظيم فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية كجامعة دار الحكمة فى القاهرة ، ودار الحكمة فى الأندلس وجامعة القرويين بالمغرب والزيتونة فى تونس .

ومن مميزات بيت الحكمة أنها ساهمت بانقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من أنحاء العالم كعمورية وأنقره وغيرها . الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة . فقد كان لبيت الحكمة تأثير فى العلوم الاسلامية مثل : علم الكلام والفلسفة والمنطق والرياضيات . كما تم نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة بادخال نظام جديد للمكتبات على العالم الاسلامى من حيث التصنيف والنسخ والاشراف والطبع ... الخ .

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة فجامعة بيت الحكمة جامعة اسلامية عريقة تتمتع بمكانة مرموقة بين الجامعات الحديثة فقد أثرت فيها وخاصة جامعة الأزهر بالقاهرة كما كان تأثيرها أكبر فى الجامعات الأجنبية الأوروبية كجامعة اكسفورد وكمبردج ومونبلييه بفرنسا . وقد كان لجامعة بيت الحكمة اثر فكرى وفلكى على الجامعات الحديثة فمعرفة الاسطرلاب وقياس مساحة الأرض ودورانها ومحيطها . كل ذلك كان بواسطة المراصد الاسلامية التى كانت فى الدولة العباسية . وكانت جامعة بيت الحكمة الرائدة فى ذلك رغم عدم اكتشاف الآلات الحديثة الآن . كما كانت جامعة بيت الحكمة ذات تأثير فى الجامعات

الحـــديثة حيث تأثرت بعلومها : كالطب والكيمياء والفلك والتنجيم والفلسفة والمنطـــق والرياضـــــيات .

وهكذا حظيت بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية وجامعة اسلامية عظيمة ، حيث تزودت بزاد فكرى لا ينضب ، ولعـــل هـــذا راجع الى تشجيع خلفاء الدولة العباسية للحركة العلمية حيث أصبح العلم ميسرا لطلابه ومحبيه ، وقـــد لعب هـــذا العـــامل دورا بارزا فى ازدهار الحركة العلمية اذ قـــام الخلفـــاء بالاشراف عليها وتشجيع العلمـــاء على البحث والمناقشة والمناظرة والتأليف حتى أصبحت قصورهم تعج بالعلماء والفقهاء والأدباء الذين يتبارون فى مجلس الخليفة ويتنافسون فى قـــوة الحجة وسرعة البديهـــة .

وان من أمتن الأسس التى تشيد عليها صروح المجـــد والسؤدد ومن أقـــوى مقـــومات الشخصية الدولية ولا سيما أن الاسلام قـــد جعل العلم فريضة على كل مسلم ، وأوصاهم بطلبه من المهـــد الى اللحـــد وحثهم على السعى وراءه أينما كان .

هـــذا هـــو جهـــد المقـــل — اللهم أن أحسنا فثبتنا على الحـــق ، وان جانبنا الصـــواب فأرشـــدنا الى طريق الحق والخير .

عليك توكلنا واليك أنبنا ، والحمد لله رب العالمين . .



بحث فى المصادر والمراجع

تقدمت لدراسة « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » بخطى بطيئة ولكنها ثابتة ، فقد كنت أدرك ما يحتاجه هذا الموضوع من فكر وجهد ، وهو موضوع بكر لم يعالج من قبل على النسق الذى يعرض به الآن . ودراسة « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » كدراسة غيره من موضوعات الحضارة وتحقيق التراث تحتاج الى صبر ودأب ومثابرة . ولهذا احتاج هذا البحث الى جهد متصل وكفاح طويل فى سبيل اتمامه ، واذكر اننى طالما قرأت كتبا ضخمة بعضها يقع فى عدة أجزاء ، وكنت آمل أن أجد فيها ما يفيدنى فى بحثى ، ولكنى كنت أخرج منها بمحصول ضئيل أو أخرج بلا شىء . وهناك حقيقة أخرى ذات أهمية كبرى ، هى أن كل باب من أبواب هذا البحث كان يحتاج الى مصدر غير تلك التى تلزم عند كتابة باب آخر منه . بل ان كل فصل من فصول الباب الواحد كان يحتاج الى مصادر غير مصادر فصل آخر فى نفس الباب . وعلى ذلك فقد احتاج هذا البحث الى عدد كبير من الكتب والمخطوطات والوثائق لتمد الموضوع بالمادة التى تشرح جوانبه ، وتكشف عن غموضه ، ومن أجل هذا قمت برحلة طويلة زرت فيها الباكستان ومصر وسوريا والاردن والعراق والمغرب وتركيا — كما استطعت فى هذه الرحلات أن أزور مكتباتها التى أمدتنى بمخطوطات ومؤلفات أفادتنى فائدة عظيمة القيمة جليلة الشأن ، كما كانت اتصالاتى بأستاذى البروفسور أمان الله خان رئيس قسم الدراسات الاسلامية بمعهد الدراسات الاسلامية بجامعة البنجاب بلاهور ، وقد كان لتوجيهاته وارشاداته خير عون لى فى بحثى جزاه الله عنى كل خير . اما المصادر التى اعتمدت عليها فى بحثى هذا فكثيرة ومتنوعة وبخاصة فيما يتعلق بالمصادر ذات الصلة الوثيقة بالبحث .

فابن النديم (ت ٤٣٨ هـ/١٠٤٦ م) فى كتابه (الفهرست) يزدونا بمعلومات قيمة جدا عن موضوع بحثنا هذا بصفة عامة ، فقد ذكر أن بيت الحكمة كانت اكاديمية مختصة بالبحث والدرس وترجمة الكتب العلمية والأدبية ، كما تحدث عمن كانوا يعملون فى بيت الحكمة من حيث تنوع ثقافاتهم ومعارفهم كسهل بن هارون وغيره ، وكيف أن بيت الحكمة ازدهرت وارتقت فى عهد المأمون لميله للفلسفة

والعلوم العقلية ، وحبه للعلم والعلماء وتشجيعه لهم . وأشار ابن النديم الى دور أهـل الذمة ممن كانوا يعملون فى بيت الحكمة واسهامهم فى حركة الترجمة ونقـل التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية : مثل يوحنا بن ماسـويه ، وحنين بن اسـحاق ، وابن البطريق ، وقسطا بن لوقا . وتحـدث أيضا عن مكانة المدرسين عند الخلفاء العباسـيين واحترامهم لهم ، وكيـف كانوا يجرون عليهم الرواتب والأرزاق ، كما وصف ترتيب وتنظيم التلاميذ داخل الحلقات الدراسية فى داخل بيت الحكمة أمثال : حلقة الفارابى والرازى . وكيف كانت تعقد فيها مجالس للعـلم والمناظرة من أجـل التوصـل للحقائق العلمية . وذكر ابن النـديم ان بيت الحكمة بقيت تؤدى واجبها العلمى بكل همـة ونشاط حتى النصف الأخير من القرن السابع الهجرى ، وهـذا بفضل تشجيع الخلفاء والوزراء ورعايتهم للحركة العلمية فيها . ومرجـع ذلك الى أن ابن النديم قـد عاش فى بغـداد ، وكان مطلعا على ما فى هـذه المدينة العالمية من الكتب . فكتابه يحتوى حصيلة التأليف الذى تم أو وجـد فى بغـداد التى كانت أكبر مركز ثقافى فى العالم الاسلامى . وكانت صلتها أوثـق ببقية مدن العراق وخراسان وبلاد الجزيرة والشام . ففى سنة ٣٧٧ هـ أتم محمد ابن اسـحاق النديم كتابه (الفهرست) فهـو أوسع كتاب شمل اسماء الكتب المؤلفة بالعربية أو المترجمة اليها حتى سنة تأليفه مـع معلومات عن بعض رجال العلم ، وعن نشأة بعض العلوم ، ويتكون كتابه من ثلاثة أقسام رئيسية عرض فى أحـدها المؤلفات فى العلوم العقلية بمـا فى ذلك القرآن الكريم والحـديث واللغـة والتاريخ والأدب ، وعرض فى الثـانى ما يتعلق بعلوم الأوائل فى الفلسـفة والطب والرياضيات والهندسة والحيل . أما القسم الثالث ففيه أبحاث عن نشأة الكتـابة وقـد وضـعه فى أول الكتاب وعن معتقدات وتاريخ بعض الاديان والملل وقـد وضعها فى آخـر الكتـاب .

كما حظى كتاب (الفهرسـت) لابن النـديم بالتقـدير الجـدير به فنقـل عنه عـدد ممن تلاه من المؤلفين المعنيين بهـذا الجانب ، ومن أبرز من نقـل عنه ياقوت الحموى فى كتابه « معجم الأدباء » والقفطى فى كتابه « أخبار الحكماء » و « الانبـاه فى أخبار النحاة » وابن أبى أصيبعة فى كتابه « عيون الأنباء فى طبقات الأطباء » وابن خلكان فى كتابه « وفيـات الأعيـان » .

وألف جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف القفطى (ت ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م) كتابه (أخبار العلماء بأخبار الحكماء) أو (تاريخ الحكماء) الذى يعـد وثيقة هامة فى مجال البحث فيه ذكر من اشتهر ذكره من الحكماء من كل قبيـلة وأمة قـديمها وحـديثها حتى زمن المؤلف وما حفظ عنه من قـول انفرد به أو كتاب صـنفه .

والواقع ان فائدة مؤلف القفطى هــذا قــد شملت معظم فصــول البحث فقــد اشار القفطى الى أهمية مزج الثقافات المختلفة والمعارف المتباينة فى بيت الحكمة ، الذى ولده دخول الموالى والبرامكة فى احضان الدولة العباسية .

وأهم الشخصيات التى قامت بهــذا الدور هى : الفضيل بن نوبخت وولاد شاكر ، ويوحنا بن ماسويه الذى ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القــديمة وجعله أمينا عليها . كما تحــدث عن المجالس العلمية والحلقات والمنــاظرات . وأورد القفطى قائمــة كاملة لمؤلفات حنين بن اسحاق باللغتين السريانية والعربية ، اذ أنه أورد فى كتابه تراجم العلمــاء الذين ذكرهم وأسماء كتبهم ويبلغ عــدد من ترجم لهم من الفلاسفة والأطباء والمنجمين وعلماء الحساب والهندسة أربعمائة وتسعة . وتحــدث القفطى عن بداية نشأة بيت الحكمة وكيف أن الرشيد قسمها الى عــدة خزائن أو أقسام لكل منها من يقوم بالاشراف عليها ولهــا تراجمة يتولون الترجمــة فيها ومجلدون يجلدون الكتب فصار لهــا دوائر علمية . كما ذكر القفطى الكثير من البعثات التى أرسلها الخلفاء العباسيون لجلب كنوز المعرفة والثقافة من جميع أنحاء المعمورة أمثال البعثة التى أرسلها الرشيد الى أنقرة وعمورية لاختيار كتب الفلسفة والطب والكتب القيمة التى يندر وجودها . وكذلك البعثة التى أرسلها المــأمون برئاسة يحيى بن البطريق لاحضار الكتب اللاتينية لأنه يعرف اللاتينية .

أما ابن أبى أصيبعة موفــق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفــة الخزرجى (ت ٦٦٨ هـ/١٢٩٦ م) فى كتابه (عيون الأنبــاء فى طبقات الاطباء) الذى يعتبر ذكرا خالدا له ، ومؤلفا ضخما وهو أحسن كتاب فى التراجم لا يشبهه الا كتاب اخبــار الحكماء السابق الذكر ، لكنــه امتاز عليه بأنه أوسع واوفر مادة ، وقــد ابتــدأ المؤلف بترجمــة كبار الاطباء زمن الاغريق والرومان والهنود وقسمه الى عــدة اقسام . وهــو يحتــوى على ما ينــوف عن أربعمائة ترجمة . هــذا وان المؤلف المذكور كان خير عــون لى ابان بحثى لمعظم الشخصيات من الاطباء والعلمــاء والفلاسفة ورجال الأدب ، الذين كان لهم دور فى ازدهار الحركة العلمية وحركة الترجمة فى بيت الحكمة فى العصر العباسى امثال : آل بختيشوع . ويوحنا بن ماسويه وحنين بن اســحاق والخوارزمى وسعيد بن هارون وثابت بن قرة وعمر بن الفرخان الطبرى . ، وحبيش بن الاعسم .وخص حــديثه اشهر المترجمين والنقلة فى عهــد الرشيد والمــأمون من جميع اللغات اليونانية والهندية والفارسية والسريانية الى اللغة العربية . وعن رواتبهم حيث بلغت ٥٠٠ دينار للنقلة والملازمة . كما تحــدث عن اهتمام الوزراء بالنقــل والترجمة من أمثال : محمد بن عبد الملك الزيات حيث

نقلت باسمه عدة كتب . والوزير أحمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب ، وابراهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم من وزراء البرامكة أمثال : أبو سلمة الخلال . وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات ، أما الطبعة التى اعتمدت عليها فهى طبعة د. نزار رضا سنة ١٩٦٥ م فى بيروت .

أما ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م) فى كتابيه (معجم الأدباء) و (معجم البلدان) فهو يؤكد أن بيت الحكمة كان فى حيز الوجود أيام هارون الرشيد اذ يقول : « أن علان الشعوبى انوراق كان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة » .

كما يؤكد ذلك ابن النديم . ويشير الى أن هناك خزائن أخرى على غرار بيت الحكمة أمثال : خزائن الحكمة التى أنشأها على بن المنجم فى قصره وفتحها للراغبين فى الدرس يقيمون فيها ويطالعون الكتب والفقه على حساب يحيى بن المنجم . كما تحدث أيضا عن اهتمام العلماء والخلفاء بخزائن الكتب . ويذكر كيف كانت المساجد والجوامع الاسلامية فى العراق معاهد مهمة يشد اليها الرحال من جميع أنحاء العالم . فقد نالت بغداد شهرة فى آفاق العالم الاسلامى وكيف أنها كانت مركزا للعلم والعلماء .

وتحدث عن المدارس فى بغداد فى العصر العباسى . وكيف كانت دكاكين الوراقين منتدى لالتقاء الأدباء والفضلاء يتناشدون الاشعار . واشار الى اثر مدرسة المعتزلة فى اثراء الفكر الاسلامى وخاصة فى النحو والتفسير واللغة . وان بيت الحكمة يضم العلماء المسلمين والمسيحيين والمجوس وحتى من الشعوبيين المغالين فى بغض العرب امثال علان الشعوبى وسهل بن هارون . كما أشاد بتشجيع الخلفاء والوزراء للحركة العلمية فى بيت الحكمة كالفضل بن جعفر وسهل ابن جعفر وسهل بن هارون ودوره فى حركة النقل والترجمة . ويذكر ياقوت أن بيت الحكمة كان بها خبراء بالعلوم الالهية والعقلية : كالهندسة . والطب ، والتنجيم ، والمنطق ، وبها تعقد المجالس لأهل العلم والأدب .

وابن خلكان (ت ٦٨١ هـ/١٢٨١ م) فى كتابه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) فيعتبر من أهم كتب التراجم التى رجعت اليها ، بالاضافة الى كتاب ياقوت الحموى « معجم الأدباء » حيث وجدت فى كل منهما عددا غير قليل من تراجم العلماء . فقد تحدث ابن خلكان عن اشهر فلاسفة وعلماء المسلمين الذين عاصروا بيت الحكمة أمثال : أولاد شاكر والخوارزمى والبتانى واسحاق بن حنين . وآل

قره (ثابت بن قره وابنه سعيد بن سنان) . كما كان لهؤلاء جميعا آثار فى الفكر والتراث الاسلامى فى مختلف ألوان العلوم مثل الطب والفلسفة والرياضيات والميكانيكا والمنطق والفلك . وأشار الى سخاء وعطاء الخلفاء والوزراء وتشجيعهم للحركة العلمية . وتحدث عن البرامكة والمعتزلة ومكانتهم عند الخلفاء ، مما اثار التنافس فى التاليف بين العلماء وخاصة فى النحو والأدب واللغة . كما ذكر ابن خلكان البعثات التى أرسلت الى بلاد الروم لاحضار الكتب والنقلة الذين عنوا بعلوم الهندسة والموسيقى والنجوم .

وكذلك غريغوريوس أبو الفرج المعروف بابن العبرى (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م) وكان له اطلاع واسع بالعربية والسريانية واليونانية وقد ألف كتابه المشهور (تاريخ مختصر الدول) الذى يعتبر من المصادر العلمية الثمينة فى تاريخ اليهود ، ومن عاصرهم من الكلدانيين والفرس واليونان ، وقد تناول المؤرخ دول ملوك العرب حتى سقوط بغداد على يد المغول . وان ما رواه من الأخبار والوقائع والسير والتراجم يدل على خبرة ومعرفة وذلك من مقارنتها بالحوادث والوقائع التى أشار اليها الطبرى ، وابن الأثير ، والمسعودى ، وابن خلدون، وابن الطقطقى وغيرهم .

فقد تحدث ابن العبرى عن أبرز مترجمى الخليفة المأمون من أهل الذمة أمثال : يوحنا بن ماسويه الذى عينه المأمون أمينا على بيت الحكمة وقد كان طبيبا ماهرا ، كما أشار الى ثابت بن قره الذى اشتغل بالتنجيم وخبرته باللغات الأخرى . والخوارزمى الذى ألف فى الرياضيات والفلك ، ويحيى بن البطريق وأبى على عيسى ابن زرعه الذى اشتغل بالمنطق وبرع فى الفلسفة . ويشير الى تشجيع الخلفاء وتنشيطهم لحركة الترجمة والتأليف فى بيت الحكمة . وهذا واضح فى اغداق الرشيد الأموال على طبيبه بختيشوع بن جرجيس .

والمؤرخ صاعد بن أحمد الأندلسى (ت ٤٦٢ هـ/١٠٦٩ م) فى مؤلفه (طبقات الأمم) الذى يضم بين دفتيه معلومات هامة فى مضمار البحث ، وخاصة فيما يتعلق بالجوانب المختلفة من حياة الشخصيات العلمية التى لمع واقترن اسمها ببيت الحكمة البغدادى كحنين بن اسحاق وابنه اسحاق ، وثابت بن قره ، وعمر ابن الفرخان الطبرى ، وقسطا بن لوقا ، وسنان بن ثابت وعن الحاسب كمنجم . كما تناول أيضا اهتمام الخلفاء والوزراء بالعلماء وحبهم وتشجيعهم لهم وارسالهم البعثات العلمية محملة بالهدايا الى ملك الروم للحصول على ما لديهم من كتب قيمة

منها . فكتاب (طبقات الأمم) كتاب صغير الحجم لكنه ذو قيمة كبيرة لما احتواه من معلومات غنية وملاحظات ذكية وأحكام رصينة ونظرة شاملة أفادتنى فى بحثى .

أما الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨ م) فقد تناول فى كتبه (البيان والتبيين) و (الحيوان) و (التاج) نظم ورسوم الدولة العباسية ، وسياسة خلفائها وأمرائها ، ومدى التأثير فى الحضارة الاسلامية ، وهو يعد بحق مفخرة من مفاخر الكتاب المسلمين بما تضمنه من صدق الأخبار وتصوير الحقائق بالاضافة الى أسلوب التعبير والتفكير ، حيث كان يجانس بين آداب الفرس وأحوالهم ، وسياسات ملوكهم ، وبين ما يماثل هذه الأحوال والسياسات عند العرب والمسلمين ، وذلك على سبيل المقارنة والاستطراد اللذين هما من أخص سجاياه . فقد تحدث عن ازدهار الحركة العلمية فى العصر العباسى الأول الذى عاصره الجاحظ وخاصة فى عصر الرشيد ، فذكر أهم الشخصيات التى لعبت دورا هاما فى تنشيط هذه الحركة كسهل بن هارون وعلان الشعوبى . كما ذكر مجالس البرامكة وكيف كانت مقامة على سلطان العقل والحرية العقلية فى مجالس الخلفاء والندوات التى كان يعقدها ابن أبى دؤاد المعتزلى مستشار المأمون والمعتصم والواثق ويحضرها كبار المترجمين والأطباء . كما أشار الى استعمال الاسطرلاب لمعرفة حركة النجوم وشهرة الهند بالحساب وعلم النجوم وأسرار الطب .

كذلك المسعودى (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م) فى كتابيه (مروج الذهب) و (التنبيه والاشراف) ومع أنه ألف أكثر من عشرين كتابا لم يصل الينا الا هذين الكتابين . أما التنبيه والاشراف فقد أتم تأليفه فى سنة ٣٤٥ هـ عنى فيه بما يتعلق بالفلك والجغرافيا ، وذكر معلومات قيمة عن أحوال الأمم الأخرى مما له علاقة بالعلم وتطوره ، فذكر كيف تدرج التعليم من المساجد الى المدارس الى بيوت خاصة فى العلم أطلق عليها بيوت الحكمة أو خزائن الحكمة والتى كان من أشهرها بيت الحكمة البغدادى .

وأشار الى مجالس البرامكة والندوات الكبيرة للمتكلمين والفلاسفة من كل النحل مما أذكى الحركة العلمية فى بيت الحكمة فى عهد الرشيد والمأمون حيث كان الخلفاء يغدقون عليهم الأرزاق والرواتب . كما ذكر بعض الشخصيات الهامة التى كان لها دور فى حركة النقل والترجمة كسهل بن هارون وعبد الله بن المقفع . وأشار فى حديثه عن علم الفلك ومن اشتهر به .

كذلك رجعت الى ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م) فى كتابه (المقدمة)

فقد عرض فى مقـدمته وتاريخه عن الأنظمة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى العصرين الأموى والعباسى وبين رأيه فيها . تحـدث ابن خلدون عن دور صاحب بيت الحكمة وأنواع الطوائف العاملين بها وقسمهم الى عـدة طوائف كالنساخين والمترجمين والمجلدين ... الخ . ومهمة كل طائفة منهم . كما تحـدث عن الدوافع التى ساعدت على ازدهار حركة الترجمة فى العصر العباسى الأول . والجهود التى بذلهـا الخلفـاء العباسيون فى سـبيل ازدهارها . والبعثات التى أرسلوها لعقـد صفقات لشراء الكتب وكيف تدفـع فى سـبيلها أغلى الأثمـان . وعن حب العرب للمكتبات فى الأندلس اقتداء بمـا فعله الخلفاء العباسيون فى بغـداد .

أما المقريزى (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١ م) فى كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) فقـد تحـدث عن المدارس فى القرنين الثالث والرابع الهجريين ثم أشاد بدور المـأمون فى جلب كنوز المعرفة من بلاد الروم ، وكيف عربهـا عن طريق المعتزلة وخاصة كتب الفلسفة ، بل قام خلفاء الدولة العباسية الآخرون بنفس الدور فكانت قصورهم مركز اشعاع فكرى وثقافى أمثال المعتضد بالله . ثم انتقل للحـديث عن انشاء دار الحكمة فى مصر التى انشأها الحاكم بأمر الله . وكيف كانت مذهبية خاصة على عكس بيت الحكمة البغدادى الذى كان فيه الفكر حرا غير مقيد بمذهب معين .

وابن قتيبة (محمد بن مسلم بن قتيبة) (ت ٢٧٦ هـ) فى كتبه (المعـارف) و (الامامة والسياسة) و (عيون الأخبار) كان من أقـدم الكتب . وهو كتاب شامل نقـل فيه نصوصا كثيرة عن مواضيع متعـددة منها ما يتصل بمكانة العلماء والأطباء عنـد الحـكام الذين نقـل عنهم ومنهم أرسـطو ، وماسرجويه ، وبختيشوع ، وماسرجيس ، وسلمويه ، وحنين . وكان لكتاب عيون الأخبار مكانة كبيرة ، واعتبره ابن خلدون احـد الأركان الأربعة من كتب الأدب عند العرب . وقـد اقتبس منـه عـدد كبير من المؤلفين . وقـد تناول ابن قتيبة المباحثة والمناظرة فى مجلس الخليفة المـأمون ودوره كرئيس للمجلس حيث كان الحوار مذهبيا ، فاشار الى المعتزلة ومذهبهم فى بداية العصر العباسى الأول وموقف الخلفاء منهم . وأكد ابن قتيبة فى كتابيه (الامامة والسياسة) و (المعارف) تشجيع الخلفاء والوزراء العباسيين للعلماء والمؤلفين وبذل العطاء لهم . وسيادة التسامح الفكرى واثر ذلك فى ظهور الفرق الكلامية واحتدام الجـدل بينها .

كما تحـدث عن الكنـدى فيلسوف العـرب ونشاطه الفـكرى فى الفلسـفة والتاريخ الطبيعى وعلم الظـواهر الجـوية .

أما الطبرى (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م) فى كتابه (تاريخ الرسل والملوك) الذى اعتمدت عليه اعتمادا خاصا توضيحا للدور الذى لعبه الوزراء فى الدولة العباسية من خلال الحوادث التاريخية كما عنى الطبرى بسرد الحوادث السياسية وتطرق فى مقدمته الى جوانب هى من صميم علم الفلك فتحدث عن انشاء المراصد والمكتبات والبيمارستانات والمدارس فى بيت الحكمة . وذكر بعض الأمور الادارية والعمرانية ، ولكنه لم يبحث ما يتصل بالعلم والعلماء ، علما بأنه ألف كتبا أخرى هى تفسير القرآن والفقه ، وفيها معلومات اضافية لبعض جوانب التاريخ ، اذ تعرض للحديث عن الحياة الاجتماعية فى زمن الرشيد وكيف كانت قائمة على التوازن بين الجد واللهو ، وناقش قضية خلق القرآن وموقف المأمون منها من حيث انتصر لآرائهم أيما انتصار ، وتشدد فى التمسك بهم .

وقد تبعه فى ذلك ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) فى كتابه (الكامل فى التاريخ) فى منهاجه واعتمد عليه فى أخباره ورواياته الا أنه أخذ من هذه الروايات والأخبار أوثقها فى نظره . فقد تحدث ابن الأثير عن تشجيع الخلفاء والوزراء العباسيين للحركة العلمية عن طريق المباحثة والمناظرة فى سبيل اثراء التراث الثقافى فى جميع جوانبه الدينية والعلمية والفلسفية فى بيت الحكمة ، كما أشاد بدور الفضل بن جعفر فى جمع الكثير من الكتب التى يحتاج نقلها الى أربعمائة بعير ، وكان ما كتبه الطبرى وابن الأثير فى التاريخ موسوعات تاريخية قيمة وكاملة .

واما الخطيب البغدادى (ت ٤٦٣ هـ) فى كتابه (تاريخ بغداد أو مدينة السلام) فهو مؤرخ مدينة بغداد ، فقد خصص لها مجلدا كبيرا فى تاريخه تناول خططها وصروحها وآثارها بافاضة . وهو مجموعة تراجم للعلماء الذين عاشوا فى بغداد وما حولها ولمن زارها وعرف بالرواية فيها خلال تلك الزيارة ، وهو على كل حال واحد من أكبر معاجم التراجم المخصصة للعلماء ، اذ كثيرا ما تجد فى تاريخ بغداد معلومات عن مواقع المساجد والقصور ومنازل العلماء ودكاكينهم ، خاصة منهم الذين عاشوا فى القرنين الرابع والخامس الهجريين .

والف ظهير الدين البيهقى (ت ٥٦٥ هـ) فى كتاب (تتمة صوان الحكمة) الذى طبعه محمد شفيع فى لاهور سنة ١٩٣٥ م معتمدا على مخطوطة فى برلين ثم طبعها محمد كرد على سنة ١٩٤٦ م بعنوان (تاريخ حكماء الاسلام) معتمدا على نسختين مخطوطتين فى استانبول . وفى هذا الكتاب ترجمة لمائة واحد عشر من العلماء والحكماء فى الاسلام ، معظمهم ممن عاش بعد تأليف « صوان الحكمة » وذكر عن

كل منهم اسمه ونسبه وبعض أقواله وكتبه . ومن العلماء الذين تحدث عنهم البيهقى ثابت بن قرة وابن على الشريف البغدادى وكيف كان عالمـا بالهندسة وأجزائها وعارفا بالقانون الفيثاغورى من الموسيقى ، وحنين بن اسحاق ، وحبيش ابن حسن الدمشقى ، وكان من الأطباء المتقدمين والمهندسين متى بن يونس كان حكيمـا نصرانيـا ».

واشار القلقشندى (ت ٨٢١ هـ/١٤٤٨ م) فى كتابه (صبح الأعشى فى صناعة الانشاء) الى خزانة بيت الحكمة ، وكيف كان يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم الى أن استولى عليها المغول . كما اشاد بحركة الترجمة التى قامت فى بيت الحكمة فلم تكن مقصورة على الخلفاء العباسيين بل اهتم الأثرياء منهم بها كأولاد موسى بن شاكر الذين عهدوا الى حنين بن اسحاق بذلك .

وابن الجوزى (ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١ م) فى كتابه (المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم) مؤلف غزير كل الغزارة متنوع كل التنوع ألف فى كثير من الموضوعات كالتاريخ والتراجم والحديث الشريف والتفسير والتصوف ، وكان ذا حظوة لدى الخلفاء العباسيين ، وألف كتابه هـذا ليقص سيرة التاريخ العام من بدء الخليقة حتى عصره هـو . تحدث عن المدارس فى العصر العباسى ، ودور الخلفاء والوزراء فى نشاط مؤسسة بيت الحكمة حتى أن الصاحب بن عباد أنفق على الفقهاء والأدباء خمسة آلاف دينار توزع عليهم .

أما الجهشيارى (ت ٣٣١ هـ/٩٤٢ م) فى كتابه (الوزراء والكتاب) والذى يعـد مصدرا هاما من مصادر التاريخ الاسلامى فيعنى بدراسة الوزارة والوزراء فى الدولة العباسية . فتحدث عن موقف الرشيد من المعتزلة ، ودور الفضل ابن سهل فى حركة النقل والترجمة . وانه كان مقربا من الخلفاء والبرامكة . كما أشار الى دور الخلفاء والوزراء وتشجيعهم لحركة الترجمة وخاصة آل سهل وعلى رأسهم الفضل الذى يترجم للمأمون .

كذلك ابن الطقطقى (ت ٧٠٩ هـ/١٣٠٩ م) فى كتابه (الفخرى فى الآداب السلطانية) الذى عالج الأمور السلطانية والسياسات الملكية ثم تحدث عن الخلفاء العباسيين ووزرائهم فى هـذا العصر والعصر الذى يليه . فقد ذكر المباحثة والمناظرة ووصف الدولة العباسية بأنهـا ساست العلم سياسة ممزوجة بالدين والملك فوصفها بأنها دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم ... الخ .

ومن هـذه المصادر أيضا كتاب (طبقات الأطباء والحكماء) لسليمان بن حسان المعروف بابن جلجل (ت ٣٨٤ هـ/٩٩٤ م) وهـو طبيب أندلسى عاش زمن عبد الرحمن الناصر الذى وصف عصره بأنه « تتابعت الخبرات فى أيامه ودخلت الكتب الطبية من المشرق وجميع العلوم ، وقامت الهمم وظهر الناس مما كان فى صدر دولته من الأطبـاء المشهورين » . يضم كتاب طبقات الأطبـاء والحكماء تراجم سبعة وخمسين عالما وطبيبا » . وقـد أفادنى المؤلف المذكور بصفة خاصة عند بحثى لرعاية حركة الترجمة وأشهر النقـلة على الرغم من أن المعلومات هنا كانت كثيرة تتميز بالايجاز الشديد . والكتاب هـذا يعتبر وثيقـة هامة فى تاريخ العـلوم ، وتطـور حركة التاليف والترجمة فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) الذى يعـد بحـق العصر الذى ازدهرت فيـه الحضارة العربية الاسلامية ونمت وبلغت غايتها من الانتاج الواسع فى شتى ميادين العلوم والآداب ، ولعل ميزة هـذا الكتاب الأولى التى جعلت لـه قيمة علمية خاصـة ، ونصا قـديما لـه خطره فى تاريخ العلم ، أن مؤلفه يعتمد فيما رجـع اليه من مصادر على تراجم عربية لأصـول لاتينية تاريخية . فتحـدث عن الكندى ووصـفه بأنه من كبـار مفكرى العرب الذين يسروا العلوم لمن بعـدهم ، وذكر يوحنا بن ماسويه الذى قلده الرشيد الكتب الطبية لترجمتها ووضـعه أمينا على الترجمـة .

أما اليعقوبى (ت ٢٨٤ هـ/٨٩٧ م) فقـد ألف كتاب (معجم البلـدان) وفيـه وصف جغرافى وبشرى لأقاليم العالم الاسلامى ، وعنى اليعقوبى بذكر العلم ، وخص بعض علماء الطب والرياضيات والجغرافيا بعناية خاصة ، وكان ما كتبه فى ذلك معتمداً ذا قيمة . كما ذكر أيضا أن بغـداد كانت قبلة العلماء من جميع أنحاء العالم .

أما البلاذرى فى كتابه (فتوح البلـدان) فتحـدث عن التراث فى قصـور المعتصم ، وتشجيع الحركة العلمية فى عصره من قبـل الخلفاء والوزراء ، وأن عصر المستنجد كان عصر ازدهار الترجمة ممـا أنعش التراث الاسلامى فيما نقـل عن الفرس واليـونان .

ويذكر أبو المحاسن بن تغرى بردى (ت ٨٧٤ هـ/١٤٩٦ م) فى كتابه (النجوم الزاهرة) فقـد تحـدث عن مجالس الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة رغم اختلاف الملل والنحل وكفل الحركة لكل المتحـدثين والمتكلمين . كمـا أشاد بدور الخلفاء والوزراء فى المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة وخاصة الصاحب بن عباد من مخالطته العلماء والاغـداق عليهم .

كما رجعت أيضا الى الصابى (ت ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م) فى كتابه (تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء) الذى أفرد حديثه للوزراء العباسيين مبينا الأنظمة التى كانت تسير عليها الدولة العباسية ومدى ما بلغته من تنظيم الأمور والدواوين ، فكان لتشجيع الخلفاء والوزراء للحركة العلمية أثره فى تقدمها بمنحهم الأموال لقاء ما يقدمونه من أمثال على بن عيسى وزير الخليفة المقتدر .

أما الأربلى فى كتابه (خلاصة الذهب المسبوك) الذى يعتبر من المؤرخين الثقات الذين عاصروا الدولة العباسية وشهدوا كثيرا من وقائعها واحداثها ، لذلك يعتبر تاريخه مرجعا هاما لنا على الرغم من تدويناته التى جاءت مختصرة ، وتناول فى كتابه تاريخ الدولة العباسية منذ الدعوة العباسية الى سقوطها سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م .

أما ابن دحيه فى كتابه (النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس) فتحدث عن اسهام الخلفاء والوزراء فى المناظرات وحظوة العلماء عند الرشيد والمأمون وتنافسهم فى ازدهار الحركة العلمية فى بيت الحكمة . وهناك مصادر عديدة ذات أهمية ثانوية ، لأنها اعتمدت الى حد كبير على المصادر الآنفة الذكر بالنسبة لبحثنا والتى رجعت اليها وهى مثبتة فى قائمة المراجع ومن أهمها :

المقدسى (ت ٣٧٥ هـ/٩٨٥ م) فى كتابه (أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) .

و (تاريخ الخلفاء) للسيوطى (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م) والمقرى فى كتابه (نفح الطيب) ، وحاجى خليفة (كشف الظنون) (ت ١٠٦٧ هـ) وقد طبع فى استانبول سنة ١٩٤٣ م بمجلدين ذكر فيهما أسماء الكتب مرتبة على العلوم بترتيب الفبائى . وابن شاكر الكتبى فى كتابه (فوات الوفيات) ويمتاز هذا الكتاب بأنه يضم قائمة بأسماء مؤلفين مما الفه كل منهم وانه كتاب شامل لكل العلوم والمعارف .

ومن الكتب المؤلفة فى أسماء الكتب كتاب (مفتاح السعادة ومصباح السيادة) لطاش كبرى زاده . وقد طبع هذا الكتاب فى حيدر آباد فى أربعة أجزاء يبدأ بمقدمة عن التعليم والعلم ثم أصناف العلوم وأبرز الكتب المؤلفة فى كل صنف أهم . كما يعتبر ابن مسكويه من المؤرخين الموثوقين فى التاريخ الاسلامى وكتابه المسمى باسم (تجارب الأمم وتعاقب الهمم) يعكس وجهة نظره فى التاريخ ، فالتاريخ فى رأيه تجارب الأمم ، ومن واجب الحاكم العاقل أن يستفيد من تجارب

الأمم السابقة . وهناك كتاب (الجامع المختصر) لابن الساعي الخازن . هذا كتاب ضخم فى تاريخ العراق خاصة ، لكنه لم يصل منه الا جزء صغير جدا يغطى عددا قليلا من سنوات حكم الخليفة الناصر .

وتعتبر الكتب الحديثة من المراجع المهمة فى دراسة بيت الحكمة فى عصر العباسيين فقد كتب الكثير من المؤرخين العرب والمستشرقين عدة بحوث ومقالات تخص المدارس الاسلامية والنهضة التعليمية فى ذلك العصر ، تناولوا فيها تشجيع الخلفاء والوزراء للحركة العلمية واثر ذلك فى ازدهار بيت الحكمة وتألقها على ما كانت عليه ، معتمدين على روايات المؤرخين القدامى ، فكانت لآرائهم وتحليلاتهم للنصوص التاريخية وعرضها للأحداث ومناقشتها أهمية كبرى فى بيان العلوم المختلفة التى كانت موجودة فى العصر العباسى كالطب والفلك والهندسة والرياضيات بالاضافة الى ما كتبه المؤرخون المسلمون ليكون بحثى أبعد عن الهوى والتحيز . فقد خصص رفائيل أبو اسحاق دراسة خاصة لأحوال نصارى بغداد والعراق وتكلم عن حياتهم الاجتماعية والثقافية ، وموقف المسلمين منهم ، ودور المدارس فى ازدهار الثقافة وأثرهم فى حركة الترجمة والنقل من اليونانية والسريانية الى العربية فى العراق فى العصر العباسى .

وكتب غيره كثير من المستشرقين أثناء بحثهم فى الحضارة العربية الاسلامية عن مواقف المسلمين من أهل الذمة ، وقد اسهب البعض منهم فى تصوير المواقف السامية التى وقفها الحكام المسلمون تجاههم ، وتسامح الاسلام معهم وقد رد هؤلاء المستشرقون على أولئك الذين اتهموا الاسلام والحكام المسلمين باتباع سياسة الاضطهاد والاكراه والاحتقار لأهل الذمة . ومن ابرز هؤلاء المؤرخين المنصفين المستشرق الفرنسى جوستاف لوبون فى كتابه « الحضارة الاسلامية » وبارثولد فى كتابه « تاريخ الحضارة العربية » وآدم متز فى كتابه « الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى » وديورانت فى كتابه « قصة الحضارة » وخودابخش فى كتابه « الحضارة الاسلامية » وفون كريمر « الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الأجنبية » وأوليرى « الفكر العربى ومكانه فى التاريخ » و « مسالك الثقافة الاغريقية » وجرونيباوم فى كتابه « حضارة الاسلام » الذى ترجمه عبد العزيز جاويد .

وزيغريد هونكه فى كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » وجاك . س. ريسلر فى كتابه « الحضارة العربية » وستانوود كب فى كتابه « المسلمون فى تاريخ

الحضارة » يعرض فيه قصة الحضارة الاسلامية ، نشوئها وازدهارها وعطائها ، ومكانة الحضارة الاسلامية فى تاريخ الحضارة الانسانية ، وكيف أن المسلمين تمثلوا بالمعارف الاغريقية والفرس والهنود والقدماء . وديبور فى كتابه « تاريخ الفلسفة فى الاسلام » ونالينو فى كتابه « تاريخ الفلك عند العرب » وهل فى كتابه « الحضارة العربية » . وقد أشار هؤلاء جميعا فى كتبهم اشارات عابرة فى أثناء التكلم عن النظم العربية الاسلامية الى اهتمام الخلفاء والوزراء العباسيين بمختلف فروع المعرفة المتعددة فى بغداد من طب وفلك ورياضيات وكيمياء ... الخ .

على أن الباحثين العرب لم يقصروا جهودهم على ترجمة الدراسات العربية فى هذا المجال ومن الكتابات المبكرة فى الحضارة العربية الاسلامية كتاب « تاريخ التمدن الاسلامى » لجرجى زيدان ، وكتاب محمد كرد على « الاسلام والحضارة العربية » وكتاب جميل نخلة المدور « حضارة الاسلام فى دار السلام » ثم توالت الدراسات العربية فى هذا السبيل مدرجة فى نطاق مؤلفات تاريخية ، وابحاث منفصلة ، فقد حرص الاستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه الضخم الذى ظهر فى أجزاء أربعة « تاريخ الاسلام السياسى والاجتماعى والثقافى » كاملة مسهبة لدراسة الحضارة الاسلامية فى مختلف جوانبها . كما ظهر للأستاذ أحمد أمين مجموعته الطيبة فى التاريخ الفكرى للاسلام « فجر الاسلام » ، « ضحى الاسلام » ، « ظهر الاسلام » . ثم نجد لدينا الدراسات التى ظهرت فى تاريخ الفن الاسلامى كأبحاث الدكتور محمد زكى حسن مثلا « كنوز الفاطميين » ، « الفن الاسلامى » والدراسات العربية المتعددة فى تاريخ الادب العربى وفى تاريخ الفلسفة الاسلامية وقد ظهرت مؤلفات جامعة مفردة تؤرخ الحضارة الاسلامية من جانب بعض الباحثين العرب المحدثين مثل د. عبد المنعم ماجد فى كتبه « العصر العباسى الأول » و « تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى » . و د. على حسنى الخربوطلى فى كتابه « الحضارة الاسلامية » . وأوضح د. عبد العزيز الدورى فى كتبه « العصر العباسى الأول » ، « تاريخ العراق فى القرآن الرابع الهجرى » ، « العصور العباسية المتأخرة » ، « مقدمة فى تاريخ الاقتصاد العربى واحوال المجتمع العراقى خلال العصور العباسية » . ومشيرا الى آثار أهل الذمة فى النواحى السياسية والدينية والثقافية والاقتصادية ومحللا الظواهر الاجتماعية والسياسية والدينية فى المجتمع العراقى . واشار غيرهم الى احوال أهل الذمة اشارات عابرة نجدها فى المصادر المثبتة فى فهرست الرسالة . وقد رجعت الى بعض المقالات والبحوث فى المجلات فيما يخص موضوع البحث « بيت الحكمة فى عصر العباسيين » فقد كانت لهذه الكتب جميعا اهميتها فى استكمال جوانب البحث والقاء الضوء

على الجوانب الفكرية والثقافية والسياسية فيه .

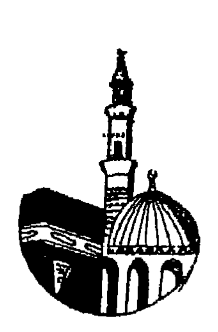
هـــذه أهم المصادر والمراجع التى اعتمدنا عليها ورجعنا اليها . ونقول أهم المصادر والمراجع لأن وراءها مصادر ومراجع كثيرة لم تعرض هنا اكتفاء باثباتها فى هوامش البحث وادراجها فى الثبت الأخير الذى تفرض علينا التقاليد العلمية أن نختم به أبحاثنـــا الجامعيـــة .

وبعـــد ، فلسنا ندعى أننا قلنا الكلمة الأخيرة فى الموضوع ، أو أننـــا أحطنـــا علمـــا بكل جـــوانبه ، فتلك دعوى لا تتفق مع العلم الذى نخلص له ، ولا مـــع الجامعية التى نؤمن بها ، وانما حسبنا أن نذكر أن هـــذا البحث محاولة حاولناها ، وانضينا رواحلنا فى سبيلها ، فان تكن انتهت بنـــا الى الغاية التى تمثلناها فما نبالى ، وان تكن قصرت بنا عن بلوغها فلنتذكر قول شاعر الكوفة أبى العتاهية :

« ما كل ما يتمنى المرء يدركه » .

والله يهـــدينا الى ســـواء السبيل .

الباب الأول



ويشمل الفصـــول الآتيـــة :

الفصـــل الأول : تأسيس بيت الحكمة وأهـــدافها .

الفصـــل الثانى : انشاء بيت الحكمة .

الفصـــل الثالث : النظام الادارى فى بيت الحكمة .

الفصـــل الرابع : أثر بيت الحكمة فى حياة المجتمع العباسى .

الفصل الأول : تأسيس بيت الحكمة وأهدافها



١ ــ المؤسسون لبيت الحكمة .

٢ ــ تاريخ تأسيس بيت الحكمة .

٣ ــ الأهداف المراد تحقيقها من تأسيس بيت الحكمة .

ان احـــدى مميزات الحضارة الاسلامية الرئيسية حبها للكتب ونشرها المعرفة واحتضانها المكتبات وتعميمها وجعلها فى متناول أفراد الشعب ، دون اعتبار للعمر أو الجنس أو اللون . ومما قيل فى هـــذا الصـــدد : « لم يبز شعب من شـــعوب الأرض كلهـــا المسلمين فى حبهم للكتب وحـــدبهم عليها » . ولقـــد بدأت هـــذه العناية فى عصر مبكر ، فما كاد العرب يؤسسون دولتهم حتى جـــدوا فى جمع تراثهم القديم ، وتدوينه ونشطوا فى التأليف فى علوم الاسلام ، وسايرت هـــذا النشاط الجاد حركة منظمة لترجمة الآثار الفكرية والعلمية لمختلف الشعوب ذات الميراث الحضارى ، ثم امتدت نظرتهم الثاقبة الى الأفـــق العالمى الرحب ، فأقبلوا يجمعون ما عرفت الدنيا لعهدهم من كتب ذات بال . فقد أهـــل القرن الثانى للهجرة وقـــد امتدت الفتوحات الاسلامية وبدأت الدولة الاسلامية تأخـــذ دورها القيادى للبشرية فى الحضـــارة المادية والمعنوية ، فكانت نهضتها الفكرية والعلمية من دعائم هـــذه الحضـــارة وعنايتها باحياء تراثها وتشييد دور للكتب تساير هـــذه النهضة مؤثرة ومتأثرة بها .

أولا — المؤسسون لبيت الحكمـــة :

جاء العصر العباسى وكان عصر الحضارة الاسلامية فبانتقال السلطة الى العباسيين سنة ١٣٢ هـ/٧٥٠ م انتقلت عاصمة العالم الاسلامى الى بغداد ، وحرص خلفاء بنى العباس مثل الرشيد والمأمون والمتوكل وغيرهم على استحثاث طلب العلم ودفـــع عجلته الى الأمام . فكانت السمة البارزة فى تاريخ الدولة العباسية هى اهتمام خلفائها بتعميم المعرفة ، وتعضيد من يعمل بها وترجمة ما كتب فيها الى اللغة العربية ، وكان الخليفة المنصور هـــو الراعى الذى فعل أكثر ما يمكن لاجتذاب الأطبـــاء النساطرة الى مدينة بغـــداد . فقـــد ترجمت لـــه كتب فى الطب والنجـــوم والهندسة والآداب ، كما ألفت لـــه معظم كتب الحـــديث والتاريخ . فقـــد ترجم جرجيس بن بختيشوع مؤلفات كثيرة فى الطب من اليونانية الى العربية . فخصص المنصور خزانات لهـــذه الترجمات وغيرها من المخطوطات القيمة[1] . وحتى آخر

---

(١) ابن القفطى : جمال الدين ابو الحسن على بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ/١٢٤٨ م) . (**اخبـــار العلماء بأخبـــار الحكماء**) ، (طبع ليبزك ١٣٢٠ هـ) ص ٣٨٣ .

عهدها كانت مخطوطات التراث ودفاتر العلم تحفظ فى قصر الخلافة فى بغـــداد ، حتى ضـــاق عنها على سعته . ولمـــا جاء الخليفة هارون الرشيد وكان من أعظم خلفـــاء بنى العباس وأكثرهم ذكرا فى التاريخ العباسى ، لمـــا اتصف به من كرم وجـــودا ولمـــا وصلت اليه الدولة العباسية من نهضة حضارية بلغت الأوج ، فقد أصبحت بغـــداد فى عهده كعبة العلم والأدب ومركز التجارة والصناعة وظهر فى أيامه شعراء عظـــام من أمثال أبى العتاهيـــة والعباس بن الأحنـــف ، ومروان بن أبى حفصـــة ، ومؤرخين من أمثال الأصمعى والواقـــدى(٢) وغيرهم كثير . فاتجـــه الرشيد الى اخراج الكتب والمخطوطات التى كانت تحفظ فى جـــدران قصر الخلافة بعـــد أن تضخم رصيدها من التراث المـــدون ، والمخطوطات المؤلفة المترجمة ، لتكون مكتبة عامة مفتوحة الأبواب للدارسين وطلاب العلم ، وبدأ فأسس دارا رحبـــة فخمة نقـــل اليها كل الذخائر وسماها « بيت الحكمة » تقـــديرا لجلال رسالتها(٣) . وكانت هـــذه المؤسسة مؤسسة ثقافية كبرى تقـــوم بعمل جليل . فكانت مهمتها أول الأمر الملازمة كما يقول ابن النـــديم ، ثم تطورت زمن المـــأمون حتى أصبحت مؤسسة علمية من الطراز الممتاز همها ترقية البحث والدرس والتجرد للدراسات العليـــــا . ويمكننا أن نقول ان هـــذه المؤسسة المسماة باسم بيت الحكمة قـــد أصبحت زمن المـــأمون اكاديمية بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة فيها أماكن للدرس ، وأماكن لخزن الكتب ، وأماكن لنقلها ، وأماكن للتأليف الى جانب المرصـــد الفلكى الذى مارســـته وهـــذا تطور طبيعى ومنطقى(٤) ويقول القفطى « ان بيت الحكمة كان رمزا للمناحى العلمية المختلفة فهارون الرشيد هـــو الذى ابتدع فكرة هـــذا المعهد وتبناه ابنـــه الخليفة المـــأمون ، والحكمة فى رأى العلماء المسلمين هى العلوم الالهيـــة والعـــددية وصـــناعتا الطب والتنجيم »(٥) .

وفعلا كانت أكثر اعمال بيت الحكمة ضمن نطاق هـــذه العلوم ، ولتنوع العمل

---

(٢) أولبرى : (**مسالك الثقافة الاغريقية ترجمة تمـــام حسان**) . (دار الفكر العربى ــ القاهرة ١٩٦٣ م) ص ٩٩ .

(٣) د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) (**تراثنا بين ماض وحاضر**) (دار المعارف بمصر ــ ١٣٨٩ هـ/١٩٧٠ م) ص ٢٠ .

(٤) ابن أبى أصيبعه . موفـــق الدين ابو العبـــاس احمـــد بن القاسم بن خليفـــــة بن يونس السعدى الخزرجى (**عيون الانباء فى طبقات الأطباء**) (دار الفكر ــ بيروت ١٩٥٦ م) ج ٢ ص ٣٧ .

(٥) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٣ .

فى هـــذا المعهد نصب الخلفاء على ادارتها رئيسا لـــه من الادراك العلمى ما يقــدر به أن يجعل منها محرابا مقـــدسا للعلم والعلماء(٦) .

وقـــد نالت بيت الحكمة فى عهد الرشيد عناية فائقة بالكتب المترجمة التى تحمل كنـــوز الثقافة الأجنبية فعين لهـــا الموظفين وآتاها حاجتها من الكتب ، فنمت واشتدت وأخـــذت تؤتى أكلها طيبا يانعا(٧) . ولا ريب فى أن هـــذه المؤسسة كانت جامعة كبرى لطلاب العلم والمعرفة ، وقـــد أخـــذ كثيرون من الأفراد باقتناء المكتبات وهـــذا ما سنوضحه فيما بعـــد . وبلغ من اهتمام هارون الرشيد بالعلم والعلمـــاء أنه كان يقبل الجزية كتبا(٨) ، وهـــذا يدلنا على شغف الخليفة باقتناء الكتب وجلبها حتى أصبحت بيت الحكمة أول مكتبة عامة ذات شـــأن فى العالم الاسلامى ، بل انهـــا كانت أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجـــأ اليها الطلاب . وكانت بذلك أول مركز علمى يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا ويخرج لهم من جهـــد القائمين عليه ثقافـــة مختلفة الاتجاه تشـــكل علـــوم الطب والفلســـفة والحكمة وغيرها(٩) . وقـــد أكد بعض المؤرخين « أن بيت الحكمة كان جامعة كبيرة ، وأن المكتبة كانت جزءا منه »(١٠) .

أما الاسم الذى اطلق على هـــذه الأكاديمية فله دلالته الواضحة ، فقـــد سميت « بيت الحكمة » أو خزانة الحكمة ، ولم يسم باسم خزانة الكتب وذلك للاشارة الى الكتب التى كانت تجمع فيها والتى كانت تعرب هناك . فالمعنى اللغوى لكلمة حكمة كما ورد فى المعجم الوسيط(١١) هى : من الحكم من أسماء الله تعالى . والحاكم . وفى التنزيل العزيز : « **أفغير الله أبتغى حكما** »(١٢) . ومن يختار للفصل بين المتنازعين .

---

(٦) ياقـوت الحموى ، أبو عبد الله شهاب الدين بن عبد الله الرومى (**معجم الادباء**) . تحقيق أحمد فريد رفاعى (مطبعة عيسى البابى الحلبى ١٩٣٦ م – القاهرة) ج ٢ ص ٢٧٧ .

(٧) زكريا هاشم زكريا (**فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم**) (مكتبة نهضة مصر بالفجالة – القـاهرة) ص ٢٨٢ .

(٨) د. على عبد الله الدفاع (**موجز فى التراث العربى الاسلامى**) (مطبعة الرسالة – بيروت ١٩٧٧ م) ص ٢٠٣ .

(٩) د. أحمد شلبى (**تاريخ التربية الاسلامية**) (مكتبة النهضة المصرية – الطبعة الخامسة ١٩٧٧ م – القـاهرة) ص ١٨٤ .

(١٠) أحمد أمين (**ضحى الاسلام**) . (دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٣٦ م) ج ٢ ص ٦٤ .

(١١) د. ابراهيم أنيس وآخرون (**المعجم الوسيط**) (طبعة أولى – القاهرة) ، ج ١ ص ١٩٠ .

(١٢) سـورة الأنعـام الآية ١١٤ .

وفى التنزيل العزيز : « **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكمـا من اهـله وحكما من أهلها** »(١٣) . ويقال رجل حكم : مسن . وهم حكمه . الحكمة : معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم . و — العلم والتفقه . وفى التنزيل العزيز : « **ولقـد آتينـا لقمـان الحكمة** »(١٤) . و « يقال : حكمة التشريع . وما الحكمة فى ذلك ؟ و (علم الحكمة) : الكيمياء والطب . الحكمة : حكمه . الحكم : العلم والتفقـه . والحكمة . يقـال : الصمت حكم . و « القضـاء » . وأما الحكمـة فى ذلك الوقت فقـد كانت مرادفة للفلسفة ، وخاصة الفلسفة اليونانية ويقصد بالفلسفة المعنى العام الفضفاض للكلمة ، فقـد كانت كلمة فلسفة تشمل عـدا مباحث الفلسفة المعروفة الطب والفلك وعلم الهيئة والطبيعة والرياضيات والمنطق . وهـذا يدل على الاتجاه العقلى لمؤسس هـذه الأكاديمية . وعلى التيار الثقافى الذى كان غالبا آنذاك . أما كلمة الخزانة أو بيت فهى تدل على المكان الذى يوضع فيه الشىء أو يخزن .

ومات هارون الرشيد وبيت الحكمة زينة بغـداد عاصمة العرب والاسلام ، على الرغم من الثورات والفتن التى ملأت عهد المـأمون ، فان عصره يعتبر من أزهى عصور الدولة العباسية من الناحية العلمية ، فقـد اهتم بالمسائل الفلسفية والعلمية وشجع على النهضة الفكرية ونشر العلوم فزود بيت الحكمة بمختلف أنواع الكتب من الهند وبلاد الروم والفرس ، حتى أصبحت أشبه بجامعة علمية تضم دارا للكتب يجتمع فيها شيوخ العصر للترجمـة والتأليف والتحصيل ، كما خصص منها مواضـع للنسـاخين(١٥) ، وجمع المـأمون فى مكتبته أعظم المفكرين والعلماء والأطباء والنقلة ، وأغـدق عليهم العطاء فأصبحت خزانة كتب بيت الحكمة من أثرى وأعظم خزائن الكتب فى ذلك الوقت ، كان خازنها هـو سهل بن هارون ممـا يؤكد أن بيت الحكمة كانت تضم مكتبة جليلة صنفت كتبها واختير لهـا المترجمون المشهورون ومنهم يوحنا ابن ماسويه وابن البطريق(١٦) .

ويوحنا بن ماسويه السريانى المتعرب الذى قام بترجمـة كتب الطب التى جىء بها من أنقره وعمورية وبلاد الروم يعـاونه عـدد من المترجمين والكتبة الحـذاق

---

(١٣) سـورة النسـاء الآية ٣٥ .

(١٤) سـورة لقمـان الاية ١٢ .

(١٥) د. محمد فاروق النبهان . (**مبادىء الثقـافة الاسلامية**) . دار البحوث – الكـويت ١٩٧٣ م) ص ٦٩ .

(١٦) المقريزى . تقى الدين أحمـد بن على . (**المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار**) . (طبعة بولاق – القاهرة ١٢٧٠ هـ) جـ ١ ص ٤٠٦ .

كما جيء بكتب الحكمة والفلك من فارس وعهد بها الى ابن ابى سهل الفضل بن نوبخت الذى نقلها من الفارسية الى العربية فواصل الحركة التى بدأها ابن المقفع بترجمة تراث الفرس ، وأضيف الى خزائن بيت الحكمة ما صنف علماء العربية والاسلامية فى علومهم الاسلامية والعربية الأصيلة الى جانب ما دونوه من تراثهم المجموع[١٧] . أما حنين بن اسحاق فقد كان من أبرز الأطباء والمترجمين فى عهد المأمون وكان أعلم زمانه باللغة اليونانية والسريانية والفارسية الى حد لم يصل اليه أحد من النقلة الذين كانوا فى زمانه ، مع براعته أيضا فى اللغة العربية ومداومة الاشتغال بها حتى صار من جملة المتميزين بها[١٨] .

ويضيف القفطى قوله « وكان حنين فصيحا لسنا بارعا شاعرا ، وكان له شيخ فى العربية الخليل بن أحمد الفراهيدى »[١٩] . أما محمد بن موسى الخوارزمى الذى عاش فى بغداد فيما بين (١٦٤ هـ/٢٣٥ هـ — ٧٨٠/٨٥٠ م) وتوفى هناك فقد برز فى زمن خلافة المأمون ولمع فى الرياضيات والفلك حتى عينه المأمون رئيسا لبيت الحكمة . وطور الخوارزمى علم الجبر كعلم مستقل عن الحساب . ومن هنا أصبح هذا العلم ينسب اليه فى جميع أنحاء المعمورة . والخوارزمى أصله من خوارزم وكان منقطعا الى خزانة الحكمة فى عهد المأمون وهو من أصحاب علم الهيئة ، وله من الكتب كتاب « الزيج » نسختين أولى وثانية ، وكتاب الرخامة وكتاب العمل بالاسطرلاب وكتاب التاريخ[٢٠] . اذ ابتكر الخوارزمى[٢١] فى بيت الحكمة الفكر الرياضى وذلك بايجاد نظام جديد لتحليل كل معادلات الدرجة الأولى والثانية ذوات المجهول الواحد بطرق جبرية وهندسية . والعالم يدين له بما نعرفه الآن من علمى الجبر والحساب . وهكذا فقد سطع نور بيت الحكمة فى أيام المأمون ، وأيام هذا الخليفة كانت عهدا ذهبيا فى حياة الدولة العباسية .

---

(١٧) احمد أمين . ضحى الاسلام . جـ ٢ ص ٦٤ .

(١٨) ابن أبى أصيبعة . طبقات الأطباء . جـ ١ ص ١٨٦ .

(١٩) ابن القفطى . أخبار العلماء بأخبار الحكماء . ص ١٧٤ .

(٢٠) محمد بن موسى الخوارزمى . (**الجبر والمقابلة**) . (دار الكاتب العربى — ط ١٩٦٨ م — القاهرة) ص ١٠ .

(٢١) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى . ص ١٩٠ .

ثانيا – تاريخ تأسيس بيت الحكمة :

ان بيت الحكمة الذى أسسه العباسيون فى بغداد هو أول بيت حكمة عرف عند المسلمين ، كما كان أعظمها شأنا لما يحتويه من الكتب النفيسة فى شتى العلوم والمعارف فى مختلف اللغات . والنصوص التى وقفنا عليها عن هذه المؤسسة الثقافية لا تساير الباحث ، بل نجدها متفرقة فى بعض المصادر ، ومن الصعب أن نقف على تاريخ معين أو محدد من تأسيسها والذى نراه أنه فى خلافة ابى جعفر المنصور (١٣٥ هـ/١٥٨ هـ – ٧٥٢ م/٧٧٤ م) ترجمت له كتب كثيرة فى الطب والنجوم والهندسة والآداب كما ألفت له بعض الكتب فى التاريخ والحديث والأدب ، فقد ترجم جرجيس بن بختيشوع مؤلفات كثيرة فى الطب من اليونانية الى العربية حيث كان يجيد اليونانية والعربية بالاضافة الى لغته السريانية فخصص المنصور له خزانات لهذه الترجمات وغيرها من المخطوطات القيمة[٢٢] . وكان المنصور شديد الحرص على هذه الكتب ووصى بها الى ابنه ولى عهده محمد المهدى ، وكان المهدى قليل العناية بالكتب وخاصة بعد انتشار حركة الزنادقة ببغداد التى شغلته فضعفت حركة الترجمة فى عهده ، وتجنب العلماء ترجمة كتب الحكمة والنجوم والكتب التى تبحث فى الملل والنحل والأهواء والمعتقدات[٢٣] . ولكن حينما جاء الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ هـ/١٩٣ هـ – ٧٨٦ م/٨٠٨ م) وكان كثير الاهتمام بعلوم الحكمة وترجمة كتبها من اللغات المختلفة ، فاتسعت دائرة الترجمة وزاد عدد الموظفين المشتغلين بها ، وتألق فى عصره نجم عدد من العلماء أمثال الأصمعى النحوى المشهور وجبريل بن بختيشوع[٢٤] . فتجمع لدى الرشيد عدد كبير من الكتب فرأى انشاء مكان لتحفظ فيه هذه الكتب التى جمعها فأنشأ بيت الحكمة مما ساعد على انتشار التعليم[٢٥] .

هكذا فان تاريخ تأسيس بيت الحكمة يرجع الى الخليفة هارون الرشيد

---

(٢٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٣ .

(٢٣) الطرازى الفيكنت فيليب (**خزائن الكتب العربية فى الخافقين**) (دار الكتب اللبنانية – بيروت – بدون تاريخ) ج ١ ص ٩٩ .

(٢٤) سيد أمير على ، (**مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى**) . (طبع بمصر – القاهرة ١٩٣٨ م) ص ٢١٧ .

(٢٥) خودابخس (صلاح الدين) . (**الحضارة الاسلامية**) ، ترجمه على حسنى الخربوطلى (دار احياء الكتب العربية – القاهرة ١٩٦٥ م) ص ١٦٠ .

فقد ذكر ابن النديم[٢٦] فى كلامه عن أبى سهل الفضل بن نوبخت أنه كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد ، وذكر فى ترجمة علان الشعوبى أنه كان منقطعا الى البرامكة وينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة[٢٧] . وحتى يتم مشروع ترجمة الكتب الأجنبية وحفظها فى بيت الحكمة ولى عدة علماء أمرها ، فعهد الى الفضل بن نوبخت[٢٨] أمر العناية بالكتب الفارسية والى يوحنا بن ماسويه وهو شيخ النقلة فى عصره ، ويقول ابن أبى أصيبعة « كان يوحنا بن ماسويه سريانيا قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجده بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أمينا على الترجمة»[٢٩] . ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم ، وقد منح مرة أحد العلماء مائة ألف درهم[٣٠] . ومعظم الكتب التى وصلت عن الهنود فى الطب والفلك والرياضيات . وقد تم الانتهاء من نقلها فى عصر الرشيد ، وكان بعض علماء الهنود قد وفدوا الى بغداد منذ عهد المنصور سواء من تلقاء أنفسهم أو يدعوهم الخلفاء للحضور[٣١] . وقد وجهت العناية فى بداية أيام الرشيد الى الكتب الفارسية والهندية[٣٢] . فكما ذكرنا سابقا أن الرشيد هو الذى أسس بيت الحكمة وجعلها مقرا لنقل الكتب اليونانية والفارسية الى العربية ، بل لعله هو الذى بدأ تلك الحملات العسكرية ذات الهدف العسكرى ، وفى نفس الوقت ذات الهدف العلمى بقصد جلب نفائس المخطوطات اليونانية الى بغداد لتعريبها . ذلك أن الرشيد دأب على غزو الروم فى عقر دارهم فى غزوات أسماها الصوائف وكان يكسر شوكة الروم ويمنعهم من التفكير فى الهجوم على ديار المسلمين ، وفى نفس الوقت يوجه غزواته الى المدن اليونانية المشهورة لأنها معاقل الثقافة كعمورية وانقرة ، وكانت خزائن هذه المدن مليئة بالمخطوطات النادرة والكتب النفيسة التى كان سكانها قد جهلوا قيمتها[٣٣] .

---

(٢٦) ابن النديم ، محمد بن اسحاق أبى يعقوب ، (**الفهرست**) (بيروت ـ لبنان ١٣٢٨ هـ) ص ٣٨٢ .

(٢٧) المصدر نفسه ص ١٥٤ .

(٢٨) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص ٣٠٩ .

(٢٩) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ١٢٤ .

(٣٠) السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر (**تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة**) (المطبعة الخيرية ـ مصر) ص ٢٨٥ .

(٣١) جلال مظهر ، (**حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العلمى**) (القاهرة ١٩٧٤ م) ص ٢٤٧ .

(٣٢) عبد الله عبد الدايم (**التربية عبر التاريخ**) (بيروت ط ٢ ٧٥ م) ص ١٥٨ .

(٣٣) محمد البرقوقى (**الخوارزمى العالم الفلكى الرياضى**) (الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٤ م) ص ٧٨ .

ولما جاء المأمون بعد ذلك كانت له فى العلم رغبة لما كان ينتحله فانبعث بهذه العلوم حرصا ، وأوفد الرسل الى ملوك الروم فى استخراج علوم اليونانيين وانتساخها بالخط العربى ، وبعث المترجمين لذلك فأوعى منه واستوعب وعكف عليها النظار من أهل الاسلام وخدموا فى فنونها وانتهت الى الغاية أنظارهم فيها ، وخالفوا كثيرا من آراء المعلم الأول أرسطو واختصوه بالرد والقبول . ودونوا فى ذلك الدواوين ، واربوا على من تقدمهم فى هذه العلوم(٣٤) . وبهذا نرى أن نشاط بيت الحكمة وصل الى ذروته فى عهد المأمون الذى كان واسع الثقافة حر الفكر . ولعل أحسن وصف للمأمون والحركة التى نشأت فى عهده وغذاها بماله ونفوذه وجهده وعلمه وجهاده هو قول القاضى صاعد الأندلسى(٣٥) فى كتابه « طبقات الأمم » حيث يقول : « ثم لما أفضت الخلافة الى الخليفة السابع منهم — يقصد بنى العباس — عبد الله المأمون بن الرشيد بن محمد المهدى ابن أبى جعفر المنصور فتم ما بدأ به جده المنصور فأقبل على طلب العلم فى مواضعه واستخرجه من معادنه بفضل همته الشريفة وقوة نفسه الفاضلة ... » .

ولقد بنى الخلفاء والأمراء دورا للعلم والحكمة كانت تحوى كل منها مكتبة تفتح لطلاب العلم ، وبعضها يجرى فيها أرزاق على المشتغلين بالعلم وبعضها كانت مراكز للنقل والترجمة(٣٦) . وذلك لما طرأ على حركة الترجمة والتأليف من نشاط فى العصر العباسى ، وكذلك تقدمت صناعة الورق ، فكثرت المكتبات التى كانت تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية .

وعلى بن المنجم هو أول من أسس مكتبة عامة فتح أبوابها للراغبين فى تلقى العلم ، وعين فيها موظفين يتقاضون رواتبهم من ماله الخاص لمساعدة الوافدين عليها كما تفعل البلاد المتحضرة اليوم . ولم يكتف بهذا بل بنى أجنحة فى قصر له بضواحى ببغداد لاقامة الراغبين فى التعليم ومطالعة الكتب ، فكانوا يأكلون على نفقته وكأنما أراد أن يجعل من مكتبته جامعة عامة . وفضل على بن يحيى المنجم يفوق كل فضل فى هذا المضمار لأنه كان فردا واحدا ، وضع على عاتقه

---

(٣٤) ابن خلدون (عبد الرحمن بن خلدون المغربى) (**المقدمة**) (المكتبة التجارية الكبرى — القاهرة ، بدون) ص ٨٩٢ ، ص ٨٩٣ .

(٣٥) صاعد بن أحمد الأندلسى (**طبقات الأمم**) (طبعة مصر) ص ٤٧ .

(٣٦) د. حسن ابراهيم حسن ، (**تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى**) . (طبعة مكتبة النهضة المصرية — القاهرة ١٩٥٣ م) ج ٢ ص ٢٥٨ .

هـذا العبء الكبير متطوعا كما كانت داره فى (سر من رأى) مضـافة لكل أديب وعالم يمنحهم الهبات وينتزع العطايا من الكبراء ويقربهم الى الخلفاء والأمراء . وقال أبو على التنوخى فى كتابه « نشوار المحاضرة » : « كانت لعلى بن المنجم نفيسة وقصر فيه خزانة كتب عظيمة نسميها خزانة الحكمة ، يقصـدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها صنوف العلم والكتب مبذولة فى ذلك لهم ، والصيانة مشتملة عليهم والنفقة من مال على بن يحيى »(٣٧) . وكان يحيى بن المنجم قـد خـدم المـأمون نادما واتصل على فى أيام شبابه بمحمد بن اسحاق المصعبى من زعمـاء ذلك العصر ثم اتصـل بالفتح بن خاقان وزير المتـوكل وصـديقه وأسس لـه مكتبة كبيرة من الكتب ، يستنسخ لهـا الكتب القيمة بنفسه أو يستأجر من يفعل ذلك تحت اشرافه حتى بلغت مبلغـا كبيرا واتصل بعـد ذلك بالمتـوكل وحظى عنده حظـوة عظيمة فكانا لا يفترقان تقريبـا(٣٨) .

وقـد أسس الخليفة المعتضد أيضـا دورا ومساكن ومقاصـد للتعليم وكانت دور الكتب سـواء العامة أو الخاصة عامرة بالكتب من جميع فروع العلم والمعرفة . وبلغ عـدد الكتب فى بعضها أكثر من مليون كتاب ، والى جانب دور الكتب انتشرت محال الوراقـة كمراكز للعلم والمعرفة والثقافة اذ كانت تعمل فى نسخ الكتب وتجويد الخط ، بالاضافة الى أهميتها كمراكز أدبية . وكانت خزانة سابور بن اردشير مركزا ثقافيا ممتازا يلتقى فيه العلماء والباحثون للقراءة والدرس ، وطالمـا أخـذت فيها المناظرات والمناقشات ، وذكر أن عـدد كتبها يزيد على عشرة آلاف مجلـد فى شتى العلوم والمعارف فنجد منها كتب الأدب والفقه والحـديث والفلسفة وغيرها . وممـا يدلنا على أهميتها العلمية أن بعض المؤلفين كانوا يخلدون ذكرهم بتقـديم نسخة ممـا يؤلفونه من الكتب القيمة الى دار العلم ومنهم جبرائيل بن عبد الله بن بختيشوع فقـد وقف نسخة من كتابه « الكافى » على دار العلم المذكورة(٣٩) . وهناك أيضا مكتبة اسحاق بن سليمان العباسى ، وكانت تمتلىء بالكتب والأسفاط والرقوق والدفاتر والمساطر والمحابر(٤٠) . وأضخم منها مكتبة يحيى بن خالـد البرمكى ويقال انه لم يكن فى مكتبته كتاب الا ولـه نسخة(٤١) .

---

(٣٧) التنوخى ، أبو على الحسن بن على بن محمد بن أبى الفهم ، (**نشوان المحاضرة وأخبار المذاكرة**) (دمشق ١٣٤٨ هـ) جـ ٨ ص ١٠٨ .

(٣٨) زكريا هاشم زكريا ، فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٨٢ ، ٢٨٥ .

(٣٩) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٠٥ .

(٤٠) الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى (**الحيـوان**) (مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧ م) جـ ١ ص ٦١ .

(٤١) المصـدر نفسه جـ ١ ص ٦٠ .

وربمـــا فاق هـــذه المكتبة عظما وضخامة مكتبة الواقـــدى المؤرخ المشهور المتوفى ٢٠٧ هـ وكانت تشتمل على ستمائة صندوق مملوءة بالكتب([٤٢]) . وكان لهـــا مملوكان يكتبان لـــه ليلا ، ولعل فى ذلك ما يدل دلالة واضحة على أن الكتب اصبحت مادة أساسية للمعرفة . والحـــق الخلفاء والأمراء وبعض الوزراء بقصورهم وبيوتهم مكتبات ضخمة فكان للمبشر بن فاتك (ت ٤٨٠ هـ) احـــد اعيان أمراء مصر وعلمائها مكتبة قيمة فى العلوم الرياضية والفلسفية وغيرها . وكان للخليفة الناصر لدين الله مكتبة كبيرة جـــدا ، كما كان للخليفة المستعصم بالله مكتبة ضخمة فى داره تحوى نفائس الكتب فى مختلف العلوم([٤٣]) . ومكتبة المستعصم بالله وهـــو آخر الخلفاء العباسيين وقتله المغـــول عقب سقوط بغـــداد ٦٥٦ هـ عظيمة جـــدا تحـــدثت عنها المراجع المختلفة حـــديثا ينبىء عما كان لهـــا من عظمة وجـــلال .

ويقول ابن الفوطى([٤٤]) . ان الخليفة أمر فى سنة ٦٤١ هـ بعمل خزانة للكتب فى داره وكتب على جهاتها أشعارا منها ما نظمها صفى الدين عبد الله بن جميـــل نيقـــدم شـــعر الديوان :

انشـــا الخليفة للعـــلوم خزانة صارت بسيرة فضله أخبـــارها

اهـــدى مناقبـــه لهـــا مستعصم بالله مـــن لألائـــه أنـــوارها

كما انه فى ذلك الوقت كانت الكتب تستهوى الناس اكثر مما يستهويهم الاستماع الى المدرس وهكذا . ومن هـــذا النوع دار العلم التى انشأها بالموصل أبو القاســـم جعفر بن محمد الموصلى وجعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم وقفا على كل طالب علم ، ولا يمنع احـــد من دخولها . واذا جاءها غريب طلب الأدب وكان معسرا أعطاه ورقا وورقا : وكانت تفتح فى كل يوم ويجلس فيها اذا عاد من ركوبه ويجتمع اليه الناس ويملى عليهم من شعره وشعر غيره([٤٥]) .

وكان كثير من العلمـــاء يوقفون نسـخا ممـــا يملكون على دار العـــلم هـــذه

---

(٤٢) ياقـوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٨ ص ٢١٨ .

(٤٣) د. محمد عجاج الخطيب (**لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر**) (مؤسسة الرسالة ــ بيروت لبنان ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م ط ٦) ص ٣٩ .

(٤٤) ابن الفوطى ، أبو الفضل عبد الرزاق . (**الحوادث الجامعة والتجارب النافعة**) تحقيق مصطفى جـواد (بغـداد ــ المكتبة العربية ١٩٣٢ م) ص ١٨٤ .

(٤٥) ياقـوت الحموى ، معجم الادباء جـ ٢ ص ٤٢٠ .

وقد فعل ذلك حمد بن على خيران الكاتب المصرى ، فقد أرسل جزاين من شعره ورسائله يستشير فى تجليدهما بدار العلم وأبدى استعداده أن ينفذ بقية الديوان والرسائل ، ان علم أن ما أنفذه منها ارتضى واستجيب(٤٦) . وكذلك فعل جبريل ابن بختيشوع فانه لما أتم مؤلفه الذى سماه الكافى وقف نسخة منه على دار العلم ببغداد كالتى بالبصرة ، والداران جميعا اتخذهما الأدباء والعلماء مرجعا ومصدرا لما يبغون ، الا أن دار البصرة كانت اكبر واعمر وأكثر كتبا وفى هذه بدأ شيخ يدرس عليه الكلام على مذهب المعتزلة(٤٧) . ونتيجة للحركة التى بدأها فى بغداد بانشاء بيت الحكمة فقد أخذت معظم المدن(٤٨) الاسلامية فى انشاء المكتبات الكبرى التى تضم أمهات الكتب . ويمكن توضيح حركة نموها بالجدول التالى :

---

(٤٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٤٢ .

(٤٧) المقدسى ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر (**احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم**) (ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ م) ص ٤١٣ .

(٤٨) د. عباس صالح طاشكندى . (**مخطوطات الحرمين الشريفين قطعة من تراثنا**) . مجلة **الفيصل** العدد الأول - السعودية (١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م) . ص ٩ ، ١٠ .

المدينة	اسم المكتبة	منشئها	تاريخ الانشاء
بغداد	بيت الحكمة	هارون الرشيد	فى أواخر ٢ هـ
	دار العلم	سابور بن أردشير	٣٨١
	المكتبة النظامية	الب ارسلان	٤٥٧
	المكتبة المستنصرية	المستنصر	٦٣١
الموصل	دار العلم	ابن حمدون	٣٢٤
البصرة	مكتبة ابن ساوار	ابن ساوار	القرن الرابع
حلب	مكتبة الحمدانى	الأمير الحمدانى	القرن الرابع
القاهرة	مكتبة الأزهر	العزيز	٣٧٠
	دار الحكمة	الحاكم بأمر الله	٣٩٥
	المكتبة الفاطمية	القاضى الفاضل	
غزنه	مكتبة غزنه		٤٢٥
مرو	المكتبة النظامية	نظام الملك	القرن الخامس
	المكتبة العزيزية	عزيز الدين	القرن السادس
شيراز	مكتبة عضد الدولة	عضد الدولة	٣٦٧
قرطبة	مكتبة المستنصر	المستنصر	٣٥٠
فاس	مكتبة فاس	السلطان عبد الحق	٥٩٢

ثالثا ـ الأهـداف المراد تحقيقها من تاسيس بيت الحكمة :

ولم تكن الكتب والمساجد كل ما هيـأ لازدهار الحركة العلمية حينئذ فقد هيـأ لهـا ايضا مجالس الخلفاء والوزراء والأمراء والسراة اذ تحولت الى ما يشبه ندوات علمية يتناظر فيها العلماء من كل صـنف على نحـو ما يروى من مناظره الكسائى والكوفى واليزيدى والبصرى بين يدى المهـدى(٤٩) .

فبيت الحكمة مكتبة الدولة مفتوحة على مصراعيها ودور أخرى كثيرة ودكاكين الوراقين بالمثل تعرض كل ما يطلبه القارىء ، وحلقات المساجد تمـوج بالحاضرين فى مختلف فروع المعرفة ، ولكل شخص الحـق فى أن يستمع الى ما يرغب فيه من هـذه المحاضرات . وبالمثل صنعوا مـع الوزراء وذوى النباهة والشان . ومر بنـا فى حـديثنا عن خزانات الكتب ما اقام على بن يحيى المنجم فى صنيعه له من خزائن ضخمة للكتب كان الناس يؤمونها من كل بلد فيجـدون فيها نفعتهم ، وما يشاءون من كتب لا تكاد تحصى . وكان الخلفاء منذ المتوكل يسبغون عليه عطايا جزيلة فكان ينفقها على مكتبته وعلى الناس من شعراء وغير شعراء(٥٠) .

كما ازدانت بغـداد ببيت الحكمة التى اكسبتها مجـدا وعزا وجـذبت اليها العلماء ، والطلاب من مختلف أقطار العالم الاسـلامى الكبير ففى تاريخ دار العلم أو بيت الحكمة ببغـداد لا تكاد تعثر على اسم امرأة فى خـدمة هـذا الصرح العلمى اللهم الا عبارة وردت فى رسالة الغفران تشير الى أمة غير عربية اسمها « توفيقـة السوداء » كانت تخـدم دار العلم ببغـداد فتقـدم الكتب الى النساخ وهذه الوظيفة تقابل فى المكتبة الحـديثة المناولين(٥١) .

فالتشجيع العلمى والتزام الدولة الاسلامية بأداء واجبها فى هـذا الميدان واقبال الأمة على العلم ، وتفتح القلوب للاسلام عقيدة وعبادة وشريعة وأخلاقا ، كل ذلك ولـد نشاطا علميا واسعا فى مختلف ميادين العلم والمعرفة فى الدولة الاسلامية فى

---

(٤٩) د. شوقى ضيف . (**العصر العباسى الأول**) . (دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٦٣ م) ص ١٠٣ .

(٥٠) د. شوقى ضيف . (**العصر العباسى الثانى**) . (دار المعـارف بمصر ـ القـاهرة ط ٢ ١٩٧٣ م) ص ١٨٩ .

(٥١) د. عائشة عبد الرحمن . (**رسالة الغفران**) . (دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٦٣ م) ص ٢٨٧ .

القرون الستة الأولى نشاطا لم يعهد التاريخ مثله ، فحقق الازدهار الحضاري العظيم الذي خلد أعمال العلماء المسلمين وأمد التراث الانساني بذخيرة علمية قيمة لا يزال العالم مدينا لها حتى هذا العصر . ولكن سنة الحياة التي جعلت من عصور القوة في الدولة الاسلامية عصور ازدهار لحضارتها العلمية والفنية والعمرانية ، هي نفسها التي عرضت تلك الدور العلمية العامرة لمثل ما تعرضت له الدولة في عصور ضعفها وانحدارها وواجهت معها نهاية واحدة . وبحكم ارتباطها مجتمعة بمصير واحد ، وبدأ التحول مع نهاية القرن الرابع الهجري الذي هو في حساب المؤرخين عصر القوة . وقد استمرت خزائن الحكمة في العمل وتأدية رسالتها بعد المأمون ولكنها فقدت شيئا كثيرا من أهميتها مع توالي الزمن[٥٢] . وقد كانت لا تزال موجودة في أواسط القرن الرابع للهجرة عندما ألف ابن النديم كتابه (الفهرست) اذ أنه استعمل مواد كانت موجودة في بيت الحكمة كما يذكر هو نفسه ذلك أثناء حديثه عن القلم الحميري[٥٣] . أما بيت الحكمة فيغلب الظن أنه استمر موجودا طوال العصر العباسي وانه دمر فيما دمر عندما احتل المغول بغداد[٥٤] سنة ٦٥٦ هـ . ومن أهم الأهداف التي سعى مؤسسو بيت الحكمة وعلى رأسهم الرشيد والمأمون لتحقيقها لاقامة هذا الصرح العظيم هو تنشيط حركة التأليف والترجمة والتصنيف . فقد بلغت الحضارة العربية الاسلامية أوجها فازدهرت ازدهارا عظيما في العصر العباسي ، حيث وصلت الى المستوى الحضاري الذي تفخر به الأمم والشعوب المتحضرة حيث كان يقاس المستوى الحضاري بالآثار المكتوبة الفكرية يعني الكتب والتأليف[٥٥] .

ولو رجعنا الى مادة الفكر والتأليف لرأينا العرب بلغوا من الدرجات ما لم يبلغ الغرب مثلها الا في العصر الأخير . ومن ثم يصح القول بأن التصنيف ابتدأ في العصر العباسي . معنى هذا أن تصنيف الكتب على اسلوب دقيق بدأ في هذا العصر الا أن الكتابة والتأليف والجمع حدث قبل العصر العباسي . وأيا كان الأمر فالحركة العلمية في العصر العباسي كانت قوية لدرجة تذهل الانسان ، فهذه البصرة تؤلف الكتب وتستخرج الآراء ، وتضع النحو . وهذه الكوفة تكتب في

---

(٥٢) المرجع نفسه ص ٢٨٨ .

(٥٣) ابن النديم ، الفهرست ص ٨ .

(٥٤) القلقشندي . (**صبح الأعشى في صناعة الانشا**) . (المطبعة الأميرية – القاهرة ١٩١٣ م) جـ ١ ص ٤٦٦ .

(٥٥) د. يوسف العشي : (**تاريخ عصر الخلافة العباسية**) . (دار الكتاب دمشق ١٩٦٨ م) ص ٢٢٣ .

القاريخ والأدب وتؤلف فى النحو . وهذه بغداد تضم خضما هائلا من العلماء يتكاثرون فى المساجد ويكتبون العلم حتى اذا ما وصلنا الى عصر المأمون رأينا معظم المتعلمين ينكبون على اخراج الكتب(٥٦) .

واستفاد خلفاء بنى العباس من المدارس الموجودة فى عهدهم : فنشطت حركة التأليف والترجمة حيث قاموا بالاتصال بعلماء هذه المدارس واستدعوهم الى بغداد ، وكانوا ينفقون عليهم الأموال الكثيرة لترجمة الكتب الى اللغة العربية . ودامت هذه الأعمال ، أعمال الترجمة المحضة المثمرة بين عام (٧٥٠ — ٩٠٠ م) وفى هذه الفترة عكف المترجمون على نقل أمهات الكتب من السريانية واليونانية والفهلوية والسنسكريتية ، وكان على رأس أولئك المترجمين المقيمين فى بيت الحكمة طبيب نسطورى هو حنين بن اسحاق (٨٠٩ — ٨٧٣ م) وقد ترجم وحده كما يقول هو نفسه الى السريانية مئة رسالة من رسائل جالينوس ومدرسته العالمية والى اللغة العربية تسعا وثلاثين رسالة أخرى ، وبفضل هذا نجت بعض مؤلفات جالينوس من الفناء . وكاد المأمون أن يفلس بيت المال حين كافأ حنين على أعماله بمثل وزن الكتب ذهبا(٥٧) .

ومن هنا يتضح لنا كيف حافظت بيت الحكمة على التراث العالمى وانقذته من الفناء ، وخير مثال على ذلك مؤلفات جالينوس وهذا أحد أهداف بيت الحكمة . وقد انشأ المأمون فى بغداد مدرسة لتخريج المترجمين ، وهى مكملة لدار الحكمة وعنى بها المأمون وجعل سهل بن هارون أمينا عليها(٥٨) .

وكانت رسالة بيت الحكمة الأساسية ترجمة الكتب اليونانية الى العربية على يد يوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحاق ، وسلم خازن بيت الحكمة فى زمن المأمون ، وممن حاضر فيه وألقى دروسا الامام الخوارزمى(٥٩) . فقد زخرت خزائن بيت الحكمة بالكتب المترجمة واقبل الناس على قراءة هذه الكتب والتمعن فيها

---

(٥٦) ول. ديورانت : (**قصة الحضارة**) ترجمة محمد بدران (طبع الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية) ج ٢ ص ١٧٧ .

(٥٧) ول. ديورانت : (**قصة الحضارة**) ج ٢ ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٥٨) محمد غفرانى خراسانى : **عبد الله بن المقفع**) . (مكتبة نهضة مصر بالفجالة — القاهرة ١٩٧٠ م) ص ٣٦ .

(٥٩) محمد عبد الجواد الأصمعى : (**أبو الفرج الأصفهانى**) . (دار المعارف بمصر — القاهرة ١٩٢٣ م) ص ٤٦ .

فأدى ذلك الى حركة فكرية جديدة فى التاليف والنشر ، هذه الحركة انتجت ثقافة واسعة مبنية على القديم والحديث . كما كان من أهداف بيت الحكمة نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين فانشاء هذا المعهد العالى ان جاز لنا التعبير كان نتيجة لهذا التقدم العلمى فى العصر العباسى[٦٠] ، ومما لا شك فيه أنه ساعد على نشر التعليم بين جمهور المسلمين ، ولم يكن انشاء دور الكتب مقصورا على العراق بل قامت فى مصر والاندلس دور كتب خاصة يتعهدها الخلفاء والأمراء والوزراء فكانت عاملا كبيرا فى تسهيل دراسة العلم والتعليم . كذلك لم يكن التعليم مقصورا على الجوامع والمساجد فكثيرا ما كانوا ينسقون حلقات التدريس بالمستشفيات والرباطات وغيرها من الأماكن[٦١] .

وبانشاء بيت الحكمة تم ادخال نظام جديد على العالم الاسلامى للمكتبات ، فقد كان لمحمد بن يحيى بن عبد الله العباسى بن محمد بن صول أبى بكر المعروف بالصولى وهو أحد العلماء كما يقول شاذان : « رأيت للصولى بيتا عظيما مملوءا بالكتب وهى مصفوفة وجلودها مختلفة الألوان ، كل صف من الكتب لون ، فصف احمر وآخر أخضر ، وآخر أصفر وغير ذلك . قال وكان الصولى يقول : هذه الكتب كلها سماعى »[٦٢] . وهذا الترتيب البديع هو أحدث نظام متبع فى ترتيب مكتبات أوروبا .

ومن أهداف بيت الحكمة حرصها الشديد على المحافظة على الكتب والمصنفات التى تترجم أو تصنف . فقد ارتبط بظهور الحركة العلمية ونشاطها فى بغداد المحافظة على الكتب والمصنفات . ومن هنا جاء دورها الهام باقامة جهاز ادارى يتولى الاشراف والتنسيق داخل بيت الحكمة . وكان العلماء فى الدولة الاسلامية يودعون نسخا من مؤلفاتهم فى بيت الحكمة[٦٣] على أن يقوم الجهاز الادارى بالمحافظة على تلك المؤلفات من الضياع . وفى عهد العباسيين

---

(٦٠) د. نقولا زيادة : (**صور من التاريخ الاسلامى**) . (دار العلم للملايين — بيروت لبنان — بدون تاريخ) ص ٢٤١ ، ٢٤٣ .

(٦١) جورجى زيدان : (**تاريخ التمدن الاسلامى**) مراجعة وتعليق حسين مؤنس (طبع دار الهلال — القاهرة ١٩٠٢ م) ج ٣ ص ٢٠٠ .

(٦٢) البغدادى ، ابو بكر احمد بن على الخطيب : (**تاريخ بغداد او مدينة السلام**) . (مطبعة السعاده بمصر — القاهرة ١٩٣٢ م) ج ٣ ص ٤٣١ .

(٦٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : (**الحواضر الاسلامية الكبرى**) . (دار الفكر العربى — القاهرة ١٩٧٦ م) ص ٢٤٧ .

« نراهم مستودع الذخائر العلمية فى العالم ، كما نرى وكلاء الخلفاء ينقبون فى كل بلد من بلاد العالم عن كنوز الثروة القديمة ثم يجلبونها الى العاصمة بغداد ويعرضونها على الناس فينظرون بعين الاعجاب والتقدير »(٦٤) .

كما كانت تقام ببيت الحكمة المراصد ، وتستخدم فيها أساليب التنجيم ، واستطاع الخليفة المأمون أن يجعل من هذا البيت كعبة للعلماء وأن ينظمهم التنظيم الدقيق . وكانت بيت الحكمة التى عنى بها الرشيد والمأمون مد يده وعينيه ، فكانت تكتظ بكتب الفلسفة وعلوم الأوائل فانقض عليها انقضاضا يقرأ ويستوعب ويستسيغ ويتمثل تمثلا نادرا(٦٥) .

أما الاستفادة من مزج الثقافات المختلفة والمعارف المتباينة ، فقد كانت من أهم أهداف بيت الحكمة ، وساعدها على ذلك دخول الموالى والبرامكة وغيرهم من الطوائف الأخرى فى أحضان الدولة العباسية . فقد كان يعمل فى بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافاتهم ومعارفهم فسهل بن هارون صاحب خزانة بيت الحكمة كان حكيما شاعرا ، وجدير بالذكر أنه فارسى شعوبى المذهب شديد العصبية على العرب ، ويصف الجاحظ براعته وفصاحته وله عدة كتب ، وازداد عدد الكتب فى عهد الخليفة المأمون فلم تكن الكتب اليونانية هى التى حرص على نقلها الى بيت الحكمة بل نجد المأمون يطلب من يحيى بن البطريق احضار كتب لاتينية الى بغداد . وقد كان يحيى بن البطريق على علم بهذه اللغة . وبذلك ضم بيت الحكمة كتبا فى مختلف اللغات ومختلف العلوم(٦٦) .

وقد ساعد الموالى بدخولهم فى أحضان الدولة العباسية على أن يكون هذا العصر هو العصر الذهبى فى تاريخ الترجمة والنقل عند العرب ، واستطاعوا لاتقانهم السريانية واليونانية ان ينقلوا الى اللسان العربى كل ما كان معروفا من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والأدبيات عند سائر الأمم المتمدينة(٦٧) . وأضاف البرامكة الى هذه الخزائن الكثير من الكتب وخصوصا الفارسية فى آخر

---

(٦٤) سيد أمير على : (**روح الاسلام**) . ترجمة أمين محمود الشريف (مكتبة الآداب ـ القاهرة ١٩٦٣ م) ج ٢ ص ٢٥٦ .

(٦٥) د. شوقى ضيف : العصر العباسى الثانى ج ٢ ص ٢٩٨ .

(٦٦) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٨٠ .

(٦٧) د. خليل طوطح : (**تاريخ التربية عند العرب**) . (القدس ١٩٣٣ م) ص ١٥ .

عهد الرشيد فقد ضمت خزائن بيت الحكمة كثيرا من الكتب بلغات متعددة منها العربية واليونانية والفارسية والسريانية وبعض اللغات الهندية(٦٨) .

كما أنفق المأمون أموالا طائلة فى جلب الكتب من الدولة البيزنطية . فبيت الحكمة هو مجمع علمى ومرصد فلكى ومكتبة عامة أنفق فى انشائه مائتى الف دينار (نحو ٩٥٠,٠٠٠ دولار أمريكى) . فأقام فيه طائفة من المترجمين وأجرى عليهم الأرزاق من بيت المال . ويدلنا على عظمة بيت الحكمة وأهميتها ما يقوله ابن خلدون(٦٩) « ان الاسلام مدين الى هذا المعهد العلمى باليقظة الاسلامية الكبرى التى اهتزت لها أرجاؤه والتى تشبه فى أسبابها — وهى انتشار التجارة ، واعادة كشف كنوز اليونان — وفى نتائجها — وهى ازدهار العلوم والفنون » . نقول أنها تشبه فى أسبابها ونتائجها النهضة الأوروبية التى أعقبت العصور الوسطى .

---

(٦٨) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٦ .

(٦٩) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢٦ .

الفصل الثانى : إنشاء بيت الحكمة



١ ــ من هم منشئو بيت الحكمة ٠

٢ ــ الطرق والوسائل التى تم بها انشاء بيت الحكمة ٠

٣ ــ العوامل التى ساعدت على انشاء بيت الحكمة ٠

أولا — من هم منشئو بيت الحكمة :

ان العصر العباسى يعتبر عصر الابداع فى الحضارة الاسلامية فيه بلغت الحضارة الاسلامية أوجها وآثمرت ثمارها اليانعة ، فهو عصر الاسلام الذهبى الذى بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغه من قبل ولا من بعد ، اثمرت فيه الفنون الاسلامية ، وازدهرت الآداب العربية ، ونقلت العلوم الأجنبية ونضج العقل العربى فوجد سبيلا الى البحث ومجالا للتفكير ، ففى العصر العباسى حينما تلاقحت الثقافات وأقبل الناس على حياض العلم ظمأى ينهلون وتعمقوا فى فهم حقائق الكون على نسق فلسفى معلل . وانتشرت الترجمات من كتب الحكماء والمناطقة وأخذ العلماء يحللون ويعللون الأشياء والحوادث والأخلاق بعلل عقلية منظمة(٧٠) .

وقد عنى العباسيون سواء أكانوا خلفاء أو أفرادا بالمكتبات لأنهما كانت طريقة القدماء فى نشر العلم فلما كان يتعذر على الأغنياء اقتناء الكتب نظرا لأنها كانت مخطوطات غالية الثمن ، لجأ من أحب تعليم الناس الى انشاء مكتبة تجمع فيها الكتب ويفتح أبوابها للناس كما فعل العباسيون فى بيت الحكمة . وكان خلفاء بنى العباس والأثرياء من رجال دولتهم يبذلون جهودا مشكورة فى جمع الكتب النادرة ، ويسهلون على أهل العلم الانتفاع بها . وكانت قصور الخلفاء والكبراء تتزين بخزائن تشتمل على العدد الكثير من الكتب . فقد أنشأ هارون الرشيد بيت الحكمة ليحفظ فيها الكتب التى جمعها مما يساعد على انتشار التعليم ، وحتى يتم المشروع بنجاح ولى عددا من العلماء أمر هذا البيت فعهد الى الفضل بن نوبخت امر العناية بالكتب الفارسية والى يوحنا بن ماسويه وهو من جنديسابور أمر الكتب الاغريقية التى جلبها هارون الرشيد معه من آسيا الصغرى ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم . فقد منح مرة سفيان بن عيينة مائة ألف درهم ، ومنح اسحاق الموصلى فى مناسبة أخرى مائتى ألف درهم كما منح مروان بن أبى حفصة مقابل قصيدة مدح خمسة آلاف دينار .وخلع عليه ومنحه جوادا من جياده الخاصة وعشرة أرقاء يونانيين(٧١) .

والتفت جماعة كبيرة من العلماء حول هارون الرشيد مثل البرامكة والقاضى أبى يوسف والشعراء مثل مروان بن أبى حفصة وأبى نواس وغيرهم مما القى

---

(٧٠) د. محمد ماهر حماده : (**الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة**) . (مؤسسة الرسالة بيروت — لبنان ط ١ ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م) ص ٧ .

(٧١) خودا بخش (صلاح الدين) . الحضارة الاسلامية ص ١٣٠ .

ضوءا ساطعا على عصره . فالرشيد هو الذى بدأ تلك الحركة العلمية فحشد الكتب اليونانية والفارسية فى مكتبته وعرب لهما من اللغات الأصلية الى اللغة العربية ، بل لعله هو الذى بدأ تلك الحملات العسكرية ذات الهدف العلمى ، فقصد جلب نفائس المخطوطات اليونانية الى بغداد لتعريبها ، ذلك أن الرشيد كان يقوم بنفسه بغزو بلاد الروم كل سنة ، فكان يطلق على الغزوات اسم الصوائف ، واذا تأملنا الباعث على هذه الغزوات الصيفية اتضح لنا أنها كانت غزوات علمية بمعنى أدق ، لأن الرشيد وان كان يقصد منها القضاء على قوة الروم واخضاع شوكتهم ، كان يهتم الى جانب ذلك كل الاهتمام بالحصول على المزيد من الكتب والمخطوطات فى مختلف أنواع العلوم ، كالطب والفلك والرياضيات والفلسفة . أما طريقة حصوله على تلك الكتب فكان يهتم بأن يتجه بغزواته المشهورة لمعاقل الثقافة اليونانية فى آسيا الصغرى كأنقرة وعمورية وغيرها . وكانت خزائن هذه المدن مليئة بالمخطوطات النادرة والكتب النفيسة التى كان سكان تلك المدن قد جهلوا قيمتها ولم يعودوا يعرفون من أمرها الا أنها مخلفات قديمة[٧٢] .

وكان هارون الرشيد يحرز النصر دائما فى هذه الصوائف ، وكان يجعل من شروط الصلح الحصول على الكتب التى كان يريدها حيث ذكرنا من قبل أنه كان يقبل الجزية كتبا ، ولم يكن الرومان يبدون كبير معارضة بالرشيد فى الحصول على هذه الكتب[٧٣] . فقد روى أن الرشيد ولى يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب الطبيعية القديمة لما وجدها بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسبوا سبيها ووضعه أمينا على الترجمة ورتب له كتابا حذاقا يكتبون بين يديه[٧٤] .

وأوضح من هذا ما ذكره ابن النديم[٧٥] « بأن أبا سهل الفضل بن نوبخت كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد ، وفى موضع آخر كان علان الشعوبى ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة » .

---

(٧٢) محمد البرقوقى : الخوارزمى العالم الفلكى الرياضى ص ٧٨ .

(٧٣) د. محمد ماهر حماده : (**المكتبات فى الاسلام**) . (مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ط ٢ ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م) ص ٥٦ .

(٧٤) ابن أبى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(٧٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٨٤ .

نستطيع أن نستنتج من هــذا أن خزانة الحكمة فى عهد الرشيد كان يعمــل فيها علمــاء مختلفو الثقافات فيوحنا نصرانى سريانى لــه قــدرة على ترجمة الكتب اليونانية ، وابن نوبخت فارسى كما قال القفطى(٧٦) « ينقــل من الفارسية الى العربية من الكتب الفارسية ومعــوله فى كتبه وعلمه على كتب الفرس ، وعلان الشــعوبى راوية نسابة فارسى الأصــل » .

وكان الرشيد شــديد الاهتمام ببيت الحكمة حين عين لهــا رئيسا وأعــوانا فكانت كخلية النحــل الكل يجمع الرحيق من كل مكان ففيها النساخ والمترجمــون من اليونانية والفارسية وكان فيها مجلدون(٧٧) . أما من حيث الاسم الذى كان يطلق على هــذه الدار فهو خزانة الحكمة حينا ودار الحكمة حينا ، وحينا آخر يطلق عليها بيت الحكمة . أما خزانة الحكمة فهو اسم الموضع الذى يخزن فيه الكتب وفى القرآن الكريم : « وان من شى الا عندنا خزائنه »(٧٨) فاستعملوه للدلالة على المكان الذى حفظت فيه الكتب ، وقــد استعملت كلمة خزانة للدلالة على ذلك فى هــذا العصر كثيرا .

فقــد روى أن الجاحظ أراد أن يهــدى الى محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم كتاب سيبويه فقال له ابن الزيات : أوظننت ان خزائننا خالية من هذا الكتاب ؟ فقال الجاحظ : « ما ظننت ذلك ، ولكنها بخط الفراء ومقابلة الكسائى وتهــذيب عمرو ابن بحر الجاحظ ، يعنى نفسه » فأخذها(٧٩) . وأما البيت فاستعملوه فى الدار واطلقوه على حــوانيت التجار والمواضع المباحــة التى تباع فيها الأشياء ويبيح أهلهــا دخــولها(٨٠) . وقــد أطلقــوا فى هــذا العصر كذلك بيت المــال على المكان الذى يحفظ فيــه مال الدولة ، فلا يبعــد أن يكونوا قــد اطلقوا كذلك بيت الحكمــة على المكان الذى حفظت فيه الكتب . أما كلمة الحكمة فقــد استعملوها فيما يرادف فلسفة فالظاهر أنهم أطلقوا خزانة الحكمة أو بيت الحكمة على مكان المجموعة من هــذه الكتب لأن كلها أو أكثرها ليست من الكتب الدينية بل من الكتب التى عنى بنقلها من الأمم الأخرى وأكثر هــذه كتب فلسفة أو حكمة ، وان كان فيهــا شيء من النحــف

---

(٧٦) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

(٧٧) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦٢ .

(٧٨) سورة الحجر ، الآية ٢١ .

(٧٩) ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد : (**وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان**) . (المطبعة الميمنية – القاهرة ١٣١٠ هـ) ج ١ ص ٥٤٩ .

(٨٠) ابن النديم : الفهرست ص ١٩٠ .

والآثار . كما كان سلم(٨١) وسهل بن هارون مشرفين على الخزانة ، اما متعاصرين ، ولكل دائرة اختصاص أو متعاقبين . ويظهر أن بيت الحكمة كان مجموعة خزائن ، كل مجموعة من الكتب خزانة ، وان سهل بن هارون كان مشرفا على القسم الذى احضرته بعثة القسطنطينية ــ كذلك يغلب على الظن ان كتب الرشيد قد أفردت فى خزانة ، وكتب المأمون قد أفردت فى أخرى . فانا نرى أن ابن النديم يستعمل احيانا خزانة المأمون ، واحيانا أخرى خزانة الرشيد(٨٢) .

وكل ما يدلنا فى تخطيط بغداد خبر عن بناء خاص للمكتبة ، وقد اعتاد الخلفاء أن يفعلوا هذا فى قصورهم(٨٣) . أما اذا انتقلنا الى عصر المأمون رأينا أن رغبته فى الفلسفة والعلوم العقلية ، اشتد وميله أقوى وتبع ذلك اتساع العمل فى بيت الحكمة .

روى ابن النديم : « ان المأمون كان بينه وبين ملوك الروم مراسلات وقد استظهر عليه المأمون فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن فى انفاذ ما يختار من العلوم القديمة المخزونة المدخرة ببلاد الروم ، فأجاب الى ذلك بعد امتناع فأخرج المأمون بذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم وصاحب بيت الحكمة وغيرهم . فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا فلما حملوه اليه امر بنقله فنقل ، وقد قيل ان يوحنا بن ماسويه كان ممن نفذ الى بلاد الروم »(٨٤) .

قال ابن نباته عند الكلام على سهل بن هارون : وجعله كاتبا على خزائن بيت الحكمة ، وهى كتب الفلاسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرص وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان ، وكانت مجموعة عندهم فى بيت لا يظهر عليه أحد ، فأرسلها اليه واغتبط بها المأمون وجعل سهل بن هارون خازنا لها(٨٥) .

كما أرسل بعثة الى القسطنطينية لاحضار الكتب اليونانية من طبية وفلسفية ، وانه كان بين أفراد البعثة صاحب بيت الحكمة وهو سلم ، ومعروف انه كان فى

---

(٨١) سلم هذا هو صاحب دار الحكمة . جرونيباوم (جوستاف) ، حضارة الاسلام ص ٢٧ .

(٨٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٩٠ .

(٨٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٦٤ .

(٨٤) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٣ .

(٨٥) ابن نباته المصرى : (سرح العيون) . (القاهرة ١٢٧٨ هـ) ص ١٣٢ .

القسطنطينية مكتبة كبيرة أنشئت سنة ٣٦٦ هـ وعنى بعض الملوك بتوسيعها حتى بلغ ما فيها نحـــو مائة الف مجلد ، ومن التراجمة علان بن الحسن الوراق الشعوبى . وكان هـــذا فى خزانة الحكمة فى عصر الرشيد والمـــامون . كما انشئت المراصـــد والمكتبات والبيمارستانات والمدارس فى بيت الحكمة(٨٦) . واتجه المـــأمون الى بيت الحكمة فأفرد فيها لكل عالم ركنـــا فتزدحم جنبات هـــذا البيت بالعلماء والفلاســـفة والمترجمين والمؤلفين وأئمـــة اللغة ورجال الأدب . الى جانب الكتاب المنشئين، كان هناك كتاب مؤلفون نذكر منهم عبد الله بن المقفع سنة ١٤٣ هـ وكان مختصا بالمنصور وله من الكتب كتاب كليلة ودمنة ، والادب الكبير ، والادب الصغير ، والدرة اليتيمة ورسالة فى الأخلاق ، وله كتب أخرى نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج فى ســيرة أنوشروان ، وكتاب سيرة ملوك العجم(٨٧) . كما أن سهل بن هارون سنة ١٧٣ هـ اقام فى بغـــداد يخـــدم المـــأمون وقـــد تولى له رياسة بيت الحكمة ولـــه من الكتب ديوان الرسائل والاخوان والمسائل وغيرها(٨٨) . وعلى بن عبيد الريحانى كان مختصا بالمـــأمون وقـــد ذكر له ابن النـــديم(٨٩) نحوا من خمسين مؤلفا ضاعت كلها .

---

(٨٦) ابن قتيبه ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى (**المعارف**) (نور محمد . كراتشى – باكستان ١٢٩٦ هـ/١٩٧٦ م) ص ٩ . ١٠ .

(٨٧) ابن خلكان : وفيات الاعيان ص ١٤٩ .

(٨٨) الجاحظ : (**البيان والتبيين**) (تحقيق عبد السلام هارون . نشر مكتبه المثنى ببغـــداد ١٩٦٠ م) جـ ١ ص ٣٠ .

(٨٩) ابن النـــديم : الفهرست ص ١١٩ .

ثانيا ـ الطرق والوسائل التى تم بهـا انشاء بيت الحكمة :

وظـل بيت الحكمة يواصل رسالته فى الترجمة حتى بعـد انتهـاء العصر العباسى الاول ، وكانت الثروة العظيمة التى تجمعت لخلفـاء العصر العباسى الأول قـد أنفق الكثير منها فى هـذا الزاد العلمى العظيم وثمـة أمور أخرى كان لهـا اثرها فى الاقبـال على المعرفة القـديمة وورود مواردها ممثلة فى الحركة التعليمية ، وشيوعها وتقبل ملايين المسلمين من غير العرب للثقـافة العربية ، فنشأت العقليات التى لا تقنـع بالثقافات التقليـدية انمـا ترنو الى المزيد ارواء لتعطشها الى المعرفة وكان المورد الاغريقى الذى عبـوا منه عبـا(٩٠) .

وعصر الخليفة المـأمون عصر الازدهار العلمى الذى ازدهرت ونشطت فيه حركة الترجمة نشاطا واسع النطاق ، فقـد كانت بيت الحكمة من أهم مراكز الثقافة اليونانية ونشرها بين العرب الذين اقبلوا فى ذلك الحين اقبالا منقطع النظير وشجعهم على ذلك اقبال الخليفة نفسه على الثقـافة العقلية واعتزازه بالحرية الفكرية ، وتسامحه من الناحية الدينية ، تسامحا ادى الى تدعيم التيارات العقلية الجديدة ، التى اصطبغت بالثقافة اليونانية(٩١) . ومن هنا كان المـأمون من أكبر انصار مذهب المعتزلة الذى يقوم فى أساسه على تمجيد العقل والاعتزاز بحريته ، ولا يعنى ذلك أنه لم تكن هنـاك ترجمات قبـل عهد المـأمون فكما ذكرنا فقـد بذلت قبـل ذلك العهد جهـود ضخمة من قبـل الخليفة المنصور ثم هارون الرشيد من بعـده لنقل المـادة العلمية اليونانية الى اللسان العربى ، وقـد كان للبرامكة وزراء الرشيد نصيب كبير فى هـذه الجهود فقـد كانت عنايتهم بالثقافة اليونانية عناية كبيرة جعلتهم يعضدون العلماء ويشجعونهم على دراستها ونقلها(٩٢) . كما جعلهم يرسلون الرسل لشراء مخطوطات اغريقية من الأمبراطـورية الرومانية(٩٣) .

وقـد تركز الاهتمام على نقـل المؤلفات الفلكية والرياضية والطبية ، كما نقلت

---

(٩٠) د. حسن أحمد محمود وأحمد الشريف : (**العالم الاسلامى فى العصر العباسى**) (دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧٣ م) ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٩١) كارل . بروكلمان . (**تاريخ الشـعوب الاسـلامية**) . (بيروت ـ لبنـان ١٩٥٣) جـ ٢ ص ٣٨ .

(٩٢) د. عبد الحكيم بلبع : (**أدب المعتزلة فى القرن الرابع الهجرى**) (مطبعة الرسـالة ـ القاهرة ١٩٦٥ م) ص ٩٨ ، ٩٩ .

(٩٣) أوليرى : (مسالك الثقافه الاغريقية) ص ٢٢٨ .

بعض كتب ارسطو وغيرها . كما كانت بيت الحكمة تشتمل على الكتب الشرعية والمسانية وما ترجم عن اليونانية والفارسية والسنسكريتية والكلدانية والقبطية[٩٤] . ولقد كان الأمين على نقيض المأمون ينتمى الى المدرسة السنية ، ويروى انه حينما سمع بنظرية المريسى حول خلق القرآن هدد بأنه لو قبض عليه لقطع رأسه[٩٤] فقد رأى المأمون باعتباره أمير المؤمنين أن يصدر قرارا بخلق القرآن وطلب من القضاة تأييده وعارض ابن حنبل بشدة هذه البدعة ، ولكن بعض كبار الفقهاء أيدوا رأى المأمون بدون تردد[٩٥] . وقد شجع المأمون طلابه على التردد على بيت الحكمة للقراءة ودبر لهم سبل الاقامة وأسباب الراحة فذهب الى حد اقامة جناح ملحق بالدار يضم عدد ثلاث حجرات صغيرة خصصت لينال فيها من يشاء من رواد الدار قسطا من الراحة ، كما يقدم لهم الطعام والشراب دون مقابل[٩٦] .

ولم تأل الدولة جهدا فى تزويد قاعات المكتبات بالخزائن والمناضد والمقاعد كما وفرت للقراء المحابر والأقلام والاوراق[٩٧] . ولا شك أن انتشار المكتبات العامة فى أرجاء العالم الاسلامى ، فى العصور الوسطى واتباعها هذه الأنظمة وفتح أبوابها لكل قارىء ، وتسخير كل هذه الامكانيات لخدمته دليل ناطق على تقدم العرب الفكرى والعلمى ومدعاة للفخر . ويسجل لهم ولتاريخهم بمداد من نور . وقد اثبتت هذه الدار انها أهم مجمع أسس لنشر الثقافة بين جمهور المسلمين ، وكانت الترجمة من بين أعمالها الرئيسية[٩٨] . فقد أنشأ المأمون ديوانا خاصا بالترجمة على رأسه حنين بن اسحاق وأمر بوضع خارطة للعالم سميت « الصورة المأمونية » وهى أول خريطة للعالم فى عهد العباسيين ، ولذلك يلقب بعض المؤرخين المأمون بأستاذ الحضارة العربية لأثره العلمى الكبير فى المجال الحضارى[٩٩] . كما اسند

---

(٩٤) عبد الله بن العباس الجرارى : (**تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا**) . (دار الفكر العربى — القاهرة ١٩٦٣ م) ص ٢٣٣ .

(٩٥) خودابخش (صلاح الدين) : الحضارة الاسلامية ص ١٣١ .

(٩٦) محمد ابراهيم الصيحى : (**العلوم عند العرب**) . (مكتبة نهضة مصر بالفجالة — القاهرة — بدون تاريخ) ص ٧٧ ، ٨١ .

(٩٧) ابن النديم : الفهرست ص ١٥٣ .

(٩٨) HITTI, P. K. : **The History of Arabs,** London 1928, p. 310.

(٩٩) أحمد فريد رفاعى : (**عصر المأمون**) . (مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ١٩٢٨ م) ص ٣٧٥ .

الاشراف فى بيت الحكمـة لحنين بن اسحاق ، وقـد امدها المـأمون بمختلف الكتب والمصنفات التى تحوى كل العلوم التى اشتغل بها العرب(١٠٠) .

كما أنشأ المـأمون وهـو نفسه عالم رياضى دارا للتعريب ورصـد فيهـا علمـاء لتهـذيب الكتب المترجمة وتوجيه أسماء المعرفة من الاعلام والأجنـاس ، على ما يناسب المنطق العربى(١٠١) . وكان لهـذه الدار الفضـل الأكبر فى تهـذيب الكتب المترجمة وتوحيـد الاسماء المعـربة ثم رقـة الألفاظ لانغماس القـوم فى الحضارة ، واخلادهم الى الترف ، وايثار الموالى للكلام السهل والأسلوب المبين ، لأنهم حـذقوا اللغة بالدراسة والصنعة لا بالتلقين والطبع(١٠٢) .

وقـد كان حنين بن اسـحاق الذى جعـله المـأمون على رأس المترجمـين (١٩٤ هـ/٢٦٠ هـ) شـديد العنـاية بعمله حتى قيـل أنه كان لا يعتمد على أقـل من ثلاث نسخ ليستطيع مقارنتها والاطمئنان الى مصـدر صحيح ينقل عنه(١٠٣) . ويتضح هـذا ممـا ذكر عمـا انفقته الدولة على ترجمة كتب اليونان فقـد قـدر ذلك وحـده بـ ٠٠٠ر٣٠٠ دينار فيما يرون .

وتلقى بيت الحكمة جـديد المصنفات العربية التى شارك فيها علماء المسلمين من الفرس والروم ومصر وغيرها من أقطار الدولة ممـن تعرب آباؤهم وأجـدادهم بعـد الفتح(١٠٤) . كما ذكرنا من قبل انه من اشهر من تولوا منصب القيم على بيت الحكمة فى عصر المـأمون « سهل بن هارون » الفارسى الأصل فكانت تحت اشرافه مئات من المترجمين والخطاطين والنساخ وآخرين من المجلـدين والمذهبين . ذكر ابن النـديم فى كتابه الفهرست أسماء المشهورين الذين برعـوا فى فن تذهيب المصاحف وصناعة تجليد الكتب فى خزائن بيت الحكمة كما ذكر أسماء مشهورى المترجمين(١٠٥) .

---

(١٠٠) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى جـ ٢ ص ٢٧٤ .

(١٠١) مصطفى صادق الرافعى : (**تاريخ آداب اللغة العربية**) . دار الكاتب العربى – بيروت – لبنان ١٩٧٠ م صـ ٢٠٥ .

(١٠٢) د. أحمد حسن الزيات : (**تاريخ الأدب العربى للمدارس الثانوية**) مطبعة الرسـالة – القاهرة – بدون ص ٢١٣ .

(١٠٣) د. بهى الدين زيان : (**الغزالى مباحث فكرية عن حيـاته الاسـلامية**) (دار نهضة مصر بالفجالة – القاهرة – بدون) ص ١٤ .

(١٠٤) ابن القفطى : أخبـار العلماء باخبـار الحكماء ص ٣٨٠ .

(١٠٥) ابن النـديم : الفهرست ص ٣٢ .

وقــد كان علماء العربية والاسلام خارج العراق يجعلون واجبهم الى بغــداد واجبا علميا فيحجون[١٠٦] الى بيت الحكمة ويطلعون على ما فيه من نفائس المخطوطات فى زمن لم تكن المطبعة فيه قــد عرفت لتيسر الاطلاع على هــذه النفائس والتعريف بها ونشرها والافادة منها ، واستمرت كذلك لمدى قرون خمسة تقريبا .

(١٠٦) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ١١ .

ثالثا ـ العــوامل التى ساعدت على انشاء بيت الحكمة :

كانت النهضة العلمية تساير عصر القــوة للدول الثلاث فكانت بيت الحكمة فى بغــداد عنوان هــذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها كما كانت دور الكتب العامرة فى المشرق ومن أشهرها مكتبة المدرسة النظامية ، وخزائن كتب النجف الاشرف وخزانة سيف الدولة الحمدانى فى حلب وحماه ودمشق وطرابلس . كانت هــذه الدور الثقافية وأمثالها ممــا لا يتسع المجال لاستيعابه يعطى تفسيرا تاريخيا لهــذه النهضة التى حملت أمتنا لواءها فى العصر الوسيط(١٠٧) .

وفى الحــق ان انشاء المــأمون العباسى دار الحكمة فى بغــداد كان عاملا هاما وحاسما فى انتشار العلوم حيث اختار هــذا الخليفة أحــد البرامكة وزيرا له وهــذا البرمكى سليل أسرة قــديمة كان من أسلافها منذ قرون . وقــد عرف هــؤلاء البرامكة كيف يرغبون الخلفاء وحاشيتهم فى تذوق الدراسات والكتب ، وجعلوا من بغــداد مركزا علميا قــدر له أن يطغى على سمرقند بجمع الروائع الأدبية الصينية والسنسكريتية(١٠٨) ، والمؤلفات البيزنطية من الغرب فى وقت واحــد .

وكانت هــذه الدار من عــدة وجوه أعظم المعاهــد الثقافية التى أنشئت فى ذلك الزمان(١٠٩) . حيث أنشأ المــأمون مرصــدا فلكيا بالشماسية وطلب الكتب حيث سمع بوجودها فقــد طلب من أمير صقلية بعض الكتب الفلسفية والعلميــة فأرسلها لــه ونقــل من خراسان الكثير من الكتب الى بغــداد ، وأرسل جماعة من المترجمين الى بلاد الروم لترجمة عــدد من الكتب . وكانت الكتب التى يرسلها ملك الروم مزخرفة . وقــد وصــل فن بعضها ما يجعلها تحفــة فنيــة . ففى ســنة (٣٢٦ هـ/٩٣٧ م) وصــل كتاب الروم الى الخليفة الراضى ببغــداد ، وكانت الكتابة بالرومية والترجمة بالعربية بالفضــة(١١٠) .

---

(١٠٧) طرازى ، الفيكونت فيليب ، : خزائن الكتب العربية فى الخافقين ص ٥٤ ، ٥٥ .

(١٠٨) جاك . س . ريسلر : (**الحضارة العربية**) ترجمة محمود غنيم (طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦ م) ص ٨٣ ، ٩٨ .

(١٠٩) د . عبد المنعم ماجد : (**العصر العباسى الأول**) . (مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٧٧ م) ص . ٣٥٠ . ٣٥١ .

(١١٠) ابن الجوزى . على بن عبد الرحمن : (**المنتظم فى تاريخ الملوك والامم**) (حيدر آباد ـ الدكن ـ الهند ـ دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧ هـ) ص ١٥٤ .

من هنا يتضح لنا ان الخلفاء والامراء لم يبخل احدهم بمال أو جهد في تزويدهم لها بمختلف المؤلفات الثمينة ويسروا اسباب الراحة لروادها . فما كان منهم الا أن أرسلوا البعوث للبحث عن الكتب والتراث الفكرى القديم(١١١) . وقد دخل ابو يوسف القزوينى المعتزلى المتوفى (٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م) بغداد ومعه عشرة جمال عليها كتب(١١٢) .

ثم أنشأ البغداديون المكتبات على مثال بيت الحكمة ، أشهرها مكتبة سابور ابن اردشير وزير بهاء الدولة فى محلة بين السورين سنة ٣٨١ هـ وجعل فيها أكثر من عشرة آلاف مجلد كلها بخطوط الأئمة المعتبرة ، وكان المؤلفون يقفون عليها نسخا من مؤلفاتهم ، واحترقت فيما احترق من محال الكرخ عند مجيء طغرلبك أول ملوك السلاجقة الى بغداد(١١٣) سنة ٤٤٧ هـ .

وممن تولى حفظ ما بقى فيها والاشراف عليها عبد السلام البصرى(١١٤) . اللغوى المتوفى سنة ٤٠٥ هـ . واشتهر بجمع الكتب من بنى العباس الخليفة الناصر بن المستضيء(١١٥) المتوفى سنة ٦٢٢ هـ . ولكن على الرغم من أن بيت الحكمة كانت ذات شأن فى العالم الاسلامى من حيث انها أول أكاديمية ومؤسسة علمية تشبه فى اقبال العلماء والطلاب عليها للبحث والدرس كخلية النحل يعودون محملين بالشهد الذى يشفى النفوس والعقول . فان ما نالته فى عهد الرشيد والمأمون كان أزهى عصورها . وتجلى ذلك فى الخليفة المأمون أكثر من حيث ما كان يهب للعلم من وقته ورعايته ، ونال العلماء كثيرا من عطفه وعنايته . لكن لم ينل بيت الحكمة من العناية العلمية ما ناله فى عهد الرشيد والمأمون ، بل ضعف ذلك فنجد ان الخليفة المعتصم قد أهمل شأن هذا البيت العظيم ، وقد توالت عليه الأحداث بعد ذلك ، مما زاد فى الاقلال من شأنه . ولكنه يظل يقاوم الى أن داهم التتار بغداد ، وقتل هولاكو المعتصم آخر الخلفاء العباسيين ، فانتهى بذلك مع الأسف أمر هذه المؤسسة العظيمة ، واندثرت خزانة الكتب ، وعفت آثارها .

وحقا ان ما نالته هذه المؤسسة الثقافية وما أنفق عليها من مال ورعاية من ترجمات الاغريق مما يعد مضرب الأمثال .

---

(١١١) Madkour, L. Organon : D., **Aristote Dans Londe,** Paris 1934, pp. 28,29.

(١١٢) تاج الدين ابو نصر عبد الوهاب السبكى : (**طبقات الشافعية الكبرى**) (المطبعة الحسينية بمصر – القاهرة ١٣٢٤ هـ) جـ ٤ ص ٢٣٠ .

(١١٣) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ص ٢٢٦ .

(١١٤) ابن ابى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٤١٢ .

(١١٥) ابن خلدون : المقدمة جـ ٤ ص ١٤٦ .

الفصل الثالث : النظام الإدارى فى بيت الحكمة



١ ــ القائمــون على تنظيم بيت الحكمــة .

٢ ــ المشرفــون على بيت الحكمــة .

٣ ــ رواتب العــاملين داخــل بيت الحكمــة .

اولا ـــ القانـــون على تنظيم بيت الحكمة :

يكاد المؤرخـــون أن يجمعوا على ان القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) هـــو العصر الذى شهد قمـــة التطور فى المؤسسات الحضارية والثقافية الاسلامية ، وكانت بغـــداد فى هـــذا القرن قـــد اكتمل فيها عقـــد العـــلم ، وازدهرت بأجـــلة العلماء الذين نزحـــوا اليها من حـــواضر العالم الاسلامى ، وورثت المدينتين العظيمتين البصرة والكوفة ، فانتقل كثير من علمائهما اليها .

واذا نحن علمنا انه لم يكن فى ذلك العصر مطابع وانمـــا هناك مؤلفون يؤلفون ونساخ ينسخون أدركنا ما يقتضيه عمـــل مكتبة من الجهد العظيم والمـــال الوفير حيث لم تكن المكتبة مقصورة على الكتب بل كانت أحيانا مجتمعا يجتمع فيه طلاب العلم والعلماء ويتداولون فيما بينهم المسائل العلمية . وهـــذا ما جعل هـــذا العصر يزخر بالعلم والعلماء ، وكان بجانب هـــذه المكتبات العامة مكتبات خاصة لكل عالم تشتمل على الكتب التى يحتاج اليها فالغنى منهم يطلب النساخين أن ينسخوا له الكتب التى يريدها ، والفقير ينسخ بنفسه ، ورووا عن السجستانى المحـــدث أنه كان لـــه كم واســـع وكم ضيق فسئل عن ذلك فقال الواسع للكتب والآخر احتاج اليه[116] .

وروى عن أحـــد علمـــاء أصبهان أنه أنفق فى شراء كتبه ثلاثمائة ألف درهم وقالوا ان أبا يوسف القزوينى المعتزلى دخل بغـــداد ومعه عشرة جمال عليها كتب . وليس أدل على عظمة تراثنا من ان بيت الحكمة كانت فى أيام هارون الرشيد تحـــوى مليون كتاب ، أما المـــأمون فقـــد نقـــل الى بغـــداد مائة بعير من الكتب من أوروبا حتى أنه جعل ذلك فى عقـــد الصلح بينه وبين ملوك الروم[117] .

وقـــد جعل الخليفة هارون الرشيد يوحنا بن ماسويه مرشفا عاما على ترجمة الكتب ، بينما جعل المـــأمون سهل بن هارون وهـــو برتبة وزير مشرفا على بيت الحكمة لمـــا كان لها من أهمية فى نظره ونظر الدولة التى يرأسها . وزادت محتويات هـــذه الدار بمـــا قـــدم اليها هـــدية من الحكام العرب أو الاجانب تقربا الى الخلافة الاسلامية بالاضافة الى ما كانوا يبيعونه بأسعار مرتفعة جـــدا . فقـــد اهـــدى صاحب جزيرة قبرص مجموعة قيمة من الكتب الى بيت الحكمة ، وكذلك فعل قيصر القسطنطينية بعـــد ان طلبها المـــأمون . ولعـــل أشهر المترجمين أو المعربين انمـــا

---

(١١٦) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٧ .

(١١٧) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

ظهروا فى فترة حكم الرشيد والمأمون أمثال : أبو سهل الفضل ، ويوحنا بن ماسويه وابن البطريق وحنين بن اسحاق وعمر بن الفرخان وثابت بن قرة[١١٨] وكان العمل أقساما كل قسم له رئيس مسئول عنه ، ومساعدون مسؤواون أمامه ، وهذا فى راينا يفسر ورود اسماء عدد من الأشخاص يوصفون بأنهم أصحاب بيت الحكمة .

وكانت بيت الحكمة مكتبة واسعة رتبت فيها الكتب ونضدت فى رفوف خاصة بحسب لغتها وفروع العلم الذى يتحدث فيه ، وزودت بالمقاعد للقراءة والمطالعة وجعل لها قيم لحفظها وترتيبها وتسليم كتبها الى القراء وما شاكل ذلك وكانت تضم فرقا خاصة للترجمة والنسخ[١١٩] .

ويقسم النشاط فى دار الكتب بين حجرات . فبعضها للنسخ وبعضها الآخر للاطلاع والمراجعة ، وثالث للدرس والمناقشة وربما اشتملت هذه الدار على حجرات للموسيقى يختلف اليها الدارسون للترفيه واستعادة النشاط كلما أعياهم الكد والسأم[١٢٠] . لم تخل مكتبة ذات شأن سواء كانت عامة أو خاصة عن فهرس يرجع اليه استعمال مجموعة الكتب ، وكانت هذه الفهارس منظمة للغاية فهى تشمل الكتب التى بالمكتبة مرتبة حسب موضوعاتها وبجانب هذه الفهارس العامة ، كانت هناك ورقة خاصة ملتصقة بكل دولاب من دواليب الكتب ، وقد كتب على هذه الورقة عناوين الكتب التى يحويها ذلك الدولاب ، وأرقامها فيه بالاضافة الى عنوان الكتاب ورقمه وكانت الفهارس تشمل ملاحظات عن الكتب التى فقدت أو بعض أوراقها ، ولم توجد جميع أجزائها[١٢١] ولنجل جولة سريعة فى مكتبات العالم الاسلامى لعرض ما عثرنا عليه من ذكر لهذه الفهارس التى عرفها المسلمون ونظموها منذ ذلك العهد المبكر ، ومن الواضح ان الفهارس ترتبط ارتباطا تاما بالمكتبات الكبيرة . من أجل هذا سيشتمل حديثنا عن الفهارس ايضاحا لنقطة هامة ، هى غنى المكتبات وما حوته من ذخائر . وأول ما نسوق من ذلك هو قول ابن سينا أنه اطلع على فهارس مكتبة السامانيين فى بخارى ، واختار بضعة كتب طلب أن يطلع عليها ، فأحضرت اليه فى الحال ، ويحكى ابن سينا انه رأى من الكتب ما لم

---

(١١٨) انور الرفاعى : (**الاسلام فى نظمه وحضارته**) . (دار الفكر - بيروت - لبنان ١٩٧٣ م) ص ٥٤٤ .

(١١٩) انور الرفاعى . الاسلام فى نظمه وحضارته ص ٥٤٤ .

(١٢٠) زكريا هاشم زكريا . فضل الحضارة الاسلامية على العالم ص ٢٨٠ .

(١٢١) Islamic Culture (111-1929) p. 229.

يقـــع اسمه قط الى كثير من الناس ، وما كان رآه من قبل ولا رآه أيضا من بعد(١٢٢) .

وقام المـــأمون بتوسيع وتدعيم بيت الحكمة الذى أنشأه ابوه (هارون الرشيد) واهتم بأنواع عـــدة من الثقافة ، فلم يقتصر اهتمامه على الثقافة الفارسية ، فقــد اهتم بجمع الكتب الاغريقية وبعث وفـــدا الى ليـــو الارمنى لجمع الكتب الاغريقية ليطلع عليها واضطر القيصر الى الموافقة على ذلك . وفى ذلك الحين كان حنين بن اسحاق ويعقوب الكندى على استعداد تام لترجمة الكتب الاغريقية الى اللغـــة العربية ، وقـــد درس حنين اللغة اليونانية فى الاسكندرية ، كما درس اللغة العربية على يد الخليل بن احمد الفراهيدى(١٢٣) فى البصرة ،وبعـــد اجادة هاتين اللغتين بدأ تحت رعاية المـــأمون بترجمة الكتب الاغريقية وكانت مهارته عامة بتقريب المـــامون لـــه ، فكان لا ينقطع عن اغـــداق الصلات عليه ، ولمـــا كان حنين نفسه مغـــرما بالكتب فقـــد تحول الى آسيا الصغرى وســـوريا للبحث عن الكتب وكان أول كتاب ترجم الى اللغة العربية هـــو كتاب بطليموس فى الفلك وقام بترجمته ابراهيم بن صلت وراجعه وصححه حنين بن اسحاق(١٢٤) .

وقـــد اتخـــذ المـــأمون بطانته من علماء اليونان والسريان والفرس فانتقـــل الى بيت الحكمة علماء حران والرها وجنديسابور ونقلوا اليهاما امتازوا به فى التراث الانسانى فى مدارس اليونان والرومان والشرق الأدنى وشمال افريقيا فورثتها بغداد جميعا(١٢٥) . ويبـــدو ان المـــأمون ومن اتى بعـــده حاولـــوا أن يجمعـــوا فى هـــذه المؤسسة الثقافية العظيمة القسم الاكبر من تراث الاسلام حتى عهدهم مـــع عناية خاصة بالمواد التى لهـــا صلة بأصلهم .

فقـــد ذكر بن النـــديم(١٢٦) أنه كان يوجـــد فى خزانة المـــأمون كتـــاب بخط عبد المطلب بن فلان الحميرى من أهـــل وزن عليه الف درهم فضـــة كيلا بالحـــديدة ومتى وعاه بها أجابه شهد الله والمكان .

---

(١٢٢) Barthold, W. : **Turkestan Down to the Mongol Invasion.** Luzac 1928, p. 9,10.

(١٢٣) للخليل بن أحمد من علماء اللغـــة والأدب : ابن القفطى : أخبـــار العلمـــاء باخبـــار الحكماء ص ١١٨ . ومن المؤرخين من يرى ان الخليل بن أحمد كان بارض فارس فلازمه حنين حتى برع فى لسان العرب : صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٠ .

(١٢٤) خودابخش (صلاح الدين) الحضارة الاسلامية ص ١٣٢ .

(١٢٥) نجيب العقيقى : (**المستشرقون**) دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م ج ١ ص ٧٩ .

(١٢٦) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ١٧٤ .

ويبدو لنا أن خزانة بيت الحكمة كانت مقسمة الى اقسام كبرى بحسب اللغات فهذا قسم الكتب الفارسية ، وهذا قسم الكتب اليونانية ، وهذا قسم الكتب السريانية ... الخ . وكل قسم تحت رياسة شخص مشرف عليه ومسؤول عنه ، والجميع يعودون فى لأمورهم الى شخص أعلى . ويقول المقدسى(١٢٧) وهو يواصل وصفه لمكتبة عضد الدولة فى شيراز : لكل نوع من الكتب فهارس فيها عناوين كتب . ويسجل أبو الحسن البيهقى انه رأى بنفسه فهارس كتب الصاحب بن عباد وان تلك الفهارس كانت تقع فى عشرة مجلدات(١٢٨) .

وقد كانت الفهارس معروفة فى العراق منذ عهد خزانة الحكمة ، حدث الحسن ابن سهل قال : قال لى المأمون يوما : اى كتب العجم أشرف ؟ فذكرت كثيرا منها ثم قلت : جاد يذان خرد (يتيمة السلطان) يا أمير المؤمنين . فدعا المأمون بفهرست كتبه وجعل يقلبه فلم ير لهذا الكتاب ذكرا . فقال : كيف يسقط ذكر هذا الكتاب من الفهرست(١٢٩) . وكان لمكتبة المدرسة النظامية ببغداد فهرس شامل دقيق رآه ابن الجوزى المتوفى (٥٩٧ هـ) وهو يقول عنه : لقد نظرت فى بيت الكتب الموقوفة فى المدرسة النظامية فاذا به يحتوى على نحو ستة آلاف مجلد(١٣٠) .

ولما فرغ المستنصر بالله من بناء مدرسته نقل اليها من الربعات الشريفة والكتب النفيسة المحتوية على العلوم الدينية والأدبية ما حمله مائة وستون جملا ، وجعلت فى خزانة الكتب وتقدم المستنصر الى الشيخ عبد العزيز شيخ رباط الحريم بالحضور للمدرسة واثبات الكتب واعتبارها ، والى ولده العدل ضياء الدين أحمد الخازن بخزانة كتب الخليفة فى داره أيضا ، فحضروا واعتبرها ، ورتبها أحسن ترتيب ، مفصلا لفنونها ليسهل تناولها ولا يتعب مناولها(١٣١) .

وكان يتولى الأعمال فى دار الكتب طائفة من الموظفين وهم : الخازن والمترجمون وطائفة النساخ ، وطائفة المفسرين ، وطائفة المناولين ، وطائفة الكتبة ، وطائفة

---

(١٢٧) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ٤٤٩ .

(١٢٨) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٢ ص ٣١٥ .

(١٢٩) محمد كرد على : (**رسائل البلغاء**) . (مطبعة لجنة التاليف والترجمه ـ القاهرة ١٣٩٩ هـ/١٩٤٦ م) ص ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

(١٣٠) ابن الجوزى : (**صيد الخاطر**) . (تحقيق السيد عبد القادر عطا . مكتبه الكليات الازهرية ـ القاهرة ـ مصر ـ ١١٩٦ هـ) ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ .

(١٣١) ابن الفوطى : الحوادث الجامعه والتجارب النافعة ص ٥٤ .

المجلدين . وكان الناسخ ينسخ ما يطلب منه نظير أجر وعليه أن يرتب أوراق كل نسخة بعد جمعها واصلاح ما قد يظهر فيها من أخطاء(١٣٢) . أما الخازن أو الأمين كما يسمى فى العصر الحاضر فكان يسند اليه الاشراف على أعمالهم الفنية والادارية جميعا ويجلب الكتب اليها ويلاحظ فهارسها ، وييسر للناس أسباب المراجعة والاطلاع ، لذلك كان يختار الخازن من الأدباء وأصحاب الأقدار بين المثقفين والعلماء كسهل بن هارون(١٣٣) .

وقد استدعى اختراع الورق(١٣٤) وانتشار استعماله ظهور طائفة من الناس يشتغلون بالورق والكتابة والكتب وهؤلاء هم الوراقون الذين لعبوا دورا مهما فى تاريخ الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية ، ذلك أن الوراقين آنذاك كانوا هم الناشرون للكتب يقومون بنسخها وتجليدها وتصحيحها وبيعها وعرضها فى الواجهات والاتجار بها ، وقد اشتغل بالوراقة علماء أجلاء وأصبحت الوراقة مهنة راقية . وانتشرت دكاكين الوراقين فى طول البلاد وعرضها وأصبح للمؤلفين المشهورين وراقون يختصون بهم ، وأصبحت دكاكينهم أماكن ثقافية يرتادها الادباء وتعقد فيها المناظرات وتدور فيها المناقشات بحيث يمكن تشبيهها بيسر بالصالونات الأدبية التى انتشرت فى أوروبا وخاصة فرنسا ابان القرن الثامن عشر .

والحقيقة أننا نجد ذكر الوراقين منذ عهد الرشيد أى منذ استعمال الورق فى الدواوين والرسائل والكتب لأول مرة ، يدل على ذلك القصة التى يوردها ياقوت الحموى(١٣٥) فى معجمه حيث يقول : وحدث أبو مسحل عبد الوهاب قال كان اسماعيل بن صبيح الكاتب قد أقدم أبا عبيدة من البصرة فى أيام الرشيد الى بغداد ، واحضر الأثرم وهو يومئذ وراق وجعله فى دار من دوره وأغلق عليه الباب ودفع اليه كتب أبى عبيدة وأمره بنسخها فكنت أنا وجماعة من أصحابنا نصير الى الأثرم فيدفع الينا الكتاب والورق الأبيض من عنده ويسألنا نسخه وتعجيله ويوافقنا على الوقت الذى نرده اليه ، فكنا نفعل ذلك ، وكان الاثرم يقرأ على أبى عبيدة وكان أبو عبيدة من أضن الناس بكتبه ولو علم ما فعله الاثرم لمنعه من ذلك .

وقد كانت واجبات الوراق كثيرة اذ كان الوراق ينتخب الورق وينسخ الكتاب أو ينسخ تحت اشرافه ويصحح هذا النسخ حتى لا يقع فيه تحريف ويجلده ويبيعه .

---

(١٣٢) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢١ .

(١٣٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٨٠ .

(١٣٤) د. محمد ماهر حماده : المكتبات فى الاسلام ص ٧٥ .

(١٣٥) ياقوت الحموى : معجم الادباء جـ ١٥ ص ٧٧ ، ٧٨ .

وارتبطت صناعة الورق بمهمة نسخ الكتاب ، والنساخون هم الوراقون الذين ينسخون المخطوطات ويسوقونها . وكان على الوراق أن يختار نوع الورق ويقوم بنسخ الكتاب أو يشرف على نسخه ، وقد ظهرت طائفة من الكتاب الذين يحترفون النسخ للوراقين أو لأصحاب المكتبات العامة أو الخاصة نظير أجر . أى أن النسخ كان مهنة بعض المتعلمين يكتسبون منها . وكانت هناك صورتان للنسخ صورة فردية بان ينسخ الناسخ الكتاب بنفسه ، وصورة جماعية بأن يجلس عدد من النساخ بعدد النسخ المطلوبة ، ثم يملى عليهم من النص المطلوب نسخه وهم يكتبون . وبعد الفراغ من نسخ المخطوط لابد من مقابلته بالأصل .

ومن الشروط الأساسية للصناعة أن يكون الناسخ دقيقا فى عمله وأمينا ، صحيح أن الناسخ المحترف قد يقصر فى عمله (ولكن قل أن نجد ناسخا كان يتعمد الأخطاء قصد تغيير نص أو تحريفه) على حد تعبير روزنتال(١٣٦) .

ولعل ما يوضح لنا هذا التثبت الشديد بالدقة والأمانة ما نراه لدى بعض النساخ الذين كانوا يضطرون أحيانا الى الاسراع فى نسخ المخطوطة التى كتبوها فنجدهم ينبهون القارىء بقولهم : (اننى لم أراجع قراءة المنسوخ لاصلاح الأخطاء التى ربما وقعت فى هذا الكتاب ولست متيقنا من أن النسخة هذه خالية من الأخطاء وذلك لأننى كنت مسرعا جدا)(١٣٧) . وكانوا يشترطون أيضا مقابلة ما ينسخونه بأصل صحيح موثوق به ، لأن المقابلة متعينة للكتاب الذى يراد النفع به . قال الامام الشافعى ويحيى بن أبى كبير : (من كتب ولم يعارض — أى لم يقابل — كمن دخل الخلاء ولم يستنج) .

وهناك ناحية هامة وهى معرفة المسلمين للنشر المتخصص ، اى أن بعض الوراقين كانوا يتخصصون فى نشر لون معين من المعرفة كالفلسفة أو الأدب أو الشعر أو يتخصصون فى نشر أعمال مؤلف بعينه فمثلا يحدثنا ابن النديم عن (وراقى المبرد) ويحدثنا فى مكان آخر عن (تلاميذ الكندى ووراقيه)(١٣٨) .

وكانت تجارة الكتب تجارة رائجة ومنظمة ، لها اسواقها المعروفة وتعقد

---

(١٣٦) فرانتز . روزنتال . (**مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى**) . ترجمه أنيس فريحه . (بيروت — لبنان ١٩٦١ م) ص ٦٢ .

(١٣٧) المرجع نفسه . ص ٦٢ .

(١٣٨) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٠ ، ٣٧٩ .

فى أسواقها مزادات لبيع الكتب وعرف بعضهم بسمسار الكتب وكان بعض هــؤلاء علمــاء ومؤرخين مثل أبى المعــالى سعد بن على بن القاسم الأنصــارى الخزرجى الوراق الحظيرى المعروف بدلال الكتب (سمسار الكتب) مؤلف كتاب زينة الدهر فى التاريخ(١٣٩) (زينة الدهر فى لطائف شعراء العصر) .

كذلك زخر العالم الاسلامى بالمكتبات وبهــواة جمع الكتب ومحبيها حتى أصبحنا نرى علمــاء وهــواة بلغ عــدد كتبهم أرقاما خيالية . وممــا ساعد على هــذا التطور اختراع الورق الذى يعــد من النعم التى أســداها المسلمون الى الحضارة العالمية واستدعى هــذا بالتالى ظهور الوراقين وفتحهم الدكاكين الكثيرة وازدهار تجارة الكتب ووجود طائفة هم النساخون الذين أصبحت مهمتهم نسخ المخطوطات واعــدادها للبيــع(١٤٠) .

فلا عجب ان هم اعتنوا بها وأحلوها أعلى منزلة عندهم . تقول أولغا بينتو فى مجلة « الثقافة الاسلامية » : « أن كل ما له علاقة بالكتب تطور بشكل رائع ملحوظ ، فقــد نسخت الكتب وزخرفت وجلدت بشكل أنيــق جــدا ، وقــد أحيطت بأعظم ضروب العناية والرعاية ونشرت بين الناس ، وان جميع ذلك كان هــدف واهتمامات الثقــافة الاســلامية »(١٤١) .

ولقــد حوت أكاديمية بيت الحكمة فريقا من المجلدين همهم تجليد الكتب وحفظها حتى لا تتأثر بكثرة الاستعمال ، وقــد حفظ لنا ابن النــديم اسم أحــد مجلدى بيت الحكمة هــذه فيذكر « ابن أبى الحريش وكان يجلد فى خزانة الحكمة للمأمون »(١٤٢) .

وبذلك ساهم بيت الحكمة فى ترجمة كتب فى علوم مختلفة وبلغات متعــددة الى العربية . وكان المترجم يملى كتابه المترجم على عــدد من النساخ حتى تتعــدد نسخ الكتاب الواحــد وتجلد هــذه الكتب وتودع نسخ منها فى بيت الحكمة(١٤٣) حتى تتاح الفرصــة للقراء للاطلاع عليها والاستفادة منها .

---

(١٣٩) أحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده : (**مفتاح الســعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم**) . تحقيق كامل بكرى وزميله (دار الكتب الحديثة - مصر) ج ١ ص ٢٦٣ .

(١٤٠) د. محمد ماهر حمادة : (**الكتاب العربى مخطوطا ومطبوعا تاريخــه وتطوره حتى مطلع القرن العشرين**) (دار العلوم للطباعة والنشر ١٤٠٢ هـ/١٩٨٤ م الرياض - السعودية) ص ١٠١ .

(١٤١) بينتو ، أولغــا : (**المكتبات العربية فى العصر العباسى**) فى « الثقافة الاسلاميه » (المجلد الثالث ١٩٢٩ م) ص ٢١٢ .

(١٤٢) ابن النــديم : الفهرسـت ص ١٤ .

(١٤٣) المصــدر نفســه ص ١٠ .

وكان بيت الحكمة عبارة عن مجلس للترجمة والنسخ والتاليف فيجلس النساخ فى أماكن خاصة بهم ينسخون لأنفسهم او بأجـــور . وكذلك المؤلفون والمطالعـــون . ومن نساخ بيت الحكمة علان الشعوبى أصله فارسى وكان راوية عارفا بالأنساب والمنافرات وكان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمـــأمون والبرامكة وله كتاب فى مثالب العرب هتك فيه العرب وأظهر مثالبها[١٤٤] . وقيـــل أنه أهـــداه لطـــاهر بن الحسين قائد المـــأمون فأنعم عليه بثلاثين الف درهم تنشيطا وتشجيعا له . وكان اعـــلان الشعوبى هذا حجة بالرغم من ذلك فان له كتبا عديدة فى المثالب فله كتب أيضا عن فضائل بعض القبائل ككتاب فضائل كنانه وفضائل ربيعه ، ولكن نشاطه العلمى اتجه على وجـــه التخصيص الى ذكر مثالب العرب . ولقـــد ضاعت هـــذه الكتب ولكننـــا نجـــد بعض القطع منها هنا وهناك فى الكتب التاريخية والأدبية[١٤٥] .

ولم يلبث أن صار التجليد مـــع الأيام صناعة رابحة وفنا أصيلا يشيع التذهيب والتزويق وتفنن[١٤٦] بعضهم فى تجليد الكتب وزخرفتها والعناية بخطها وأيضا تحلى بالذهب ، ويتنافس رواة الكتب فيما كتبه الخطاطون كابن مقلـــة وابن البـــواب . وكانت المكتبات على وجه العموم تزود بالحبر والورق ، وبعض الأغنياء يتبرع بذلك حسبة لوجـــه الله .

أما المناولون فكان عملهم أن يرشـــدوا القراء الى مواضع الكتب على الرفوف ، او ينقلونها من أماكنها الى حيث يطلبونها ، وكانوا يعملون فى دور الكتب العـــامة والخاصة ويحفظ لنـــا التاريخ أسماء طائفة من دور الكتب العظيمة التى لهـــا فى نشر الثقافة وخـــدمة العلم فضل مذكور ومقام كبيت الحكمـــة فى بغـــداد ودار الحكمـــة فى القاهرة ودار الكتب فى قرطبة[١٤٧] .

ويمكننا القـــول ان هـــذه المؤسسة المسماة باسم بيت الحكمة قـــد اصبحت زمن المـــأمون اكاديمية بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة تحوى أماكن للدرس وأماكن لخزن الكتب وأماكن للنقـــل وأماكن للتأليف الى جانب الرصـــــد الفلكى والنشاط الفلكى الذى مارسته .

---

(١٤٤) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ج ٢ ص ٢٢٦ .

(١٤٥) أبو الفرج الاصفهانى : (الأغـــانى) . (طبعـــة دار الكتب المصرية والساسى ١٢٨٥ هـ) ج ١٢ ص ١٥٦ .

(١٤٦) أحمد أمين : ضـــحى الاســـلام ، ج ٢ ص ٢٢٣ .

(١٤٧) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية على العالم ص ٢٨١ .

ثانيا ــ المشرفــون على بيت الحكمة :

وكان لبيت الحكمة قيم يدير شئونه يسمى صاحب بيت الحكمة ، وأشهر مديريها سهل بن هارون وهــو فارسى شعوبى شــديد التعصب على العرب وله فى ذلك كتب كثيرة ، وقــد انتقل هــذا الى البصرة ثم الى بغــداد وكان شاعرا حكيما عظيما وله رسائل فى البخل ، كما كان يتولى الهيمنة على ادارة بيت الحكمة الخاصة بالدولة المــأمونية فى بغــداد ، وكان يتولى تنظيم خزائن المــأمون . وسعيد بن هارون الكاتب شريك سهل بن هارون فى بيت الحكمة وكان بليغا فصيحا ويحكى عنه الجاحظ ولــه من الكتب كتاب الحكمة ومنافعها وله رسائل مجموعة . وكان سلم صاحب بيت الحكمة مــع سهل بن هارون وله نقول من الفارسى الى العربى(١٤٨) .

أما رئاسة بيت الحكمة فكانت لسهل بن هارون حيث كان المــأمون ميالا الى جمع الكتب من مختلف الثقافات ، وقــد استطاع ان ينقل ــ من جزيرة قبرص ــ كثيرا من الكتب اليـــونانية التى زخر بهـــا بيت الحكمة ، كما حفلت بها مكتبته الخاصـــة(١٤٩) .

ولمــا كان مثل هــذا العمل فى حاجــة الى جهابذة العلماء والادباء والمترجمين فقــد حشد لــه القوى وجعل عليه سهل بن هارون(١٥٠) ، ومن ثم فقــد عاش هــذا الكاتب فى هــذا الجــو العلمى الخالص الذى جعل منه عالمــا ضليعا . وكاتبا بليغا ، ومؤلفا بارعا ، أطراه الجاحظ وأشاد بعبقريته العلمية ومواهبه الادبية .

وقــد رأى المرحوم محمد كرد على(١٥١) : « ان سهل بن هارون تولى خزانة المــأمون الخاصة وتولى خزانة الحكمة لــه اى أن لــه منصبين وكلا العملين عظيم فى بابه ولكنهما من نمط واحــد وفى ذلك ما يشير الى أن المــأمون لم يكن يضن عليه من قصره ولا يقنعه منه انصرافه الى المصالح العامة فقط » .

وكان أبو عثمان الجاحظ يفضل سهل بن هارون ويصف براعته وفصاحتـــه

---

(١٤٨) ابن النـديم : الفهرســت ص ١٧٤ .

(١٤٩) ابن عبد ربه ، أبو عمر أحمد بن محمد : (**العقــد الفريد**) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الابيارى . ط ٢ (لجنة التاليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ١٩٤٨ م) ج ٣ ص ٢٧٤ .

(١٥٠) ياقـوت الحموى : معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٦ .

(١٥١) محمد كرد على : (**أمراء البيان**) . (مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ــ القاهرة ١٩٥٠ م) ص ١٥٢ .

ويحكى عنه فى كتبه ويصف ابن النـديم أنه كان بخيلا وعمل رسائل فى البخل وعمل الحسن بن سهل رسالة يمدحـه فيها ويرغبه فيه ويستسمحه فى خلال ذلك فأجابه الحسن على ظهر رسالته : وصلت رسالتك ووقفنا على نصيحتك وقـد جعلنـا المكافأة عنها القبول منك والتصـديق لك والسلام[١٥٢] ولم يصله عنهـا بشىء . أما سلم[١٥٣] فقـد كان أحـد الأفراد الذين أرسـلوا الى بلاد الروم للحصـول على المخطوطات ويبـدو أنه قـد عهـد اليه برئاسة قسم الكتب الفارسية ، وفى نفس الوقت الاشراف على النقـل من الفارسية الى العربية وكلا العملين مهم فى ذاته .

والفضل بن نوبخت هـو أبو سهل الفضل بن نوبخت[١٥٤] فارسى الأصـل ، وقـد ذكر نسب آل نوبخت فى كتاب المتكلمين ولهـذا الرجل نقل من الفارسية الى العربية ومعوله فى علمه على كتب الفرس . وكان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد . عهـد اليه الرشيد بالقيام بشئون خزانة كتب الحكمة ويذكر القفطى عن الفضل بن نوبخت ابى سهل « انه مذكور مشهور من ائمـة المتكلمين ... وكان فى زمن هارون الرشيد وولاه القيـام بخزانة الحكمة ، وكان ينقل من الفارسـية الى العربية ما يجـد من كتب الحكمة الفارسية »[١٥٥] .

وكذلك عهد الرشيد بتعريب الكتب التى وجـدها فى أنقرة وعمورية الى يوحنا ابن ماسويه وكان شيخ النقلة فى عصره ووضعه أمينا على الترجمة[١٥٦] . وفى رأى محمد عاطف البرقوقى انه هـو الذى نصح هارون الرشيد بانشاء دار كبيرة للكتب وهى تلك الدار التى اتسعت واشتهرت فيما بعـد واصبحت تدعى دار الحكمة[١٥٧] .

يبدو لنـا ان خزانة بيت الحكمة كانت مقسمة الى اقسام كبرى بحسب اللغات فهـذا قسم الكتب الفارسية وهـذا قسم الكتب اليـونانية وهـذا قسم الكتب السريانية ... الخ . وكل قسم تحت رئاسـة شخص مشرف عليه ومسؤول عنـه ،

---

(١٥٢) ابن النـديم : الفهرست ص ١٤٧ .

(١٥٣) المصـدر نفسـه ص ١٧٤ ، ٣٨٢ .

(١٥٤) أبو الفتوح التونسى . (**من أعلام الطب العربى**) . (دار الكاتب المصرى ـ القـاهرة ١٩٧٣ م) ص ٢٢ .

(١٥٥) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٢٥٥ .

(١٥٦) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(١٥٧) محمد عاطف البرقـوقى : الخوارزمى العالم الفلكى الرياضى ص ٧٩ .

والجميع يعــودون فى أمورهم الى شخص أعلى مسؤول عنهم وهم مسؤولون أمامه . هــذا فى رأينا يفسر ورود أسماء عــدد من الأشخاص يوصفون بأنهم أصــحاب بيت الحكمة . من أمثال محمد بن موسى الخوارزمى العالم الرياضى الفلكى الذى ظهر فى عصر المــأمون وكانت لــه مكانة سامية لــديه ، فأحاطه بالرعاية ووكل اليه شئون « دار الحكمــة »(١٥٨) .

(١٥٨) مصطفى الشهابى : (الجغرافيون العرب) • (دار المعارف بمصر ـ القــاهرة ـ سلسلة اقرأ ـ عــدد ٢٣٠ ـ فبراير ١٩٦٢ م)ص ٤٠ •

ثالثا ـ رواتب العاملين فى بيت الحكمة :

وكان يلحق ببيت الحكمة علماء لهم رواتب محددة وتنوعت اختصاصاتهم ، ومن بين هؤلاء علماء فلكيون ذلك لان المأمون الحق ببيت الحكمة مرصدا لاصلاح آلات الرصد ، وكانت أعماله بالضرورة من بيت الحكمة ، بل كان بعضهم من خارجه . وصاحب بيت الحكمة يشرف على العاملين فيها وعليه ان يرتب الكتب ويعد فهارسها ويصنفها . وقد قيل ان يحيى بن ابى منصور الموصلى المنجم المعروف هو أحد أصحاب الارصاد فى القصر المأمونى كما كان جد احمد الطيبى المعروف بالصنوبر الحلبى وأولاد موسى بن شاكر[159] (محمد وأحمد والحسن) وغيرهم من رجال بيت الحكمة فى العصر المأمونى أو ممن كان يتردد على هذه الدار للعمل فيها بصفة رسمية أو للمطالعة والنسخ أو الترجمة والتأليف .

ولا ندرى كم كان ينفق المأمون على مكتبته هذه شهريا أو سنويا ولابد أنه مبلغ ضخم جدا بالنسبة للعمل الذى قامت به تلك المكتبة وبالنسبة للمهمة التى أخذت تنفيذها على عاتقها ، وكذلك بالنسبة للأشخاص الذين كانوا يعملون فيها ، ذلك أن اغلبهم بحاثة وعلماء من الطراز الأول ونعتقد أن رواتبهم كانت أعلى رواتب يمكن أن يتقاضاها أمثالهم .

ونستطيع بشىء من الموازنة ان نصل الى رقم تقريبى لرواتب الموظفين فيها ، ذلك ان ابن ابى اصيبعة يذكر نقلا عن السجستانى أن بنى شاكر وهم محمد وأحمد والحسن كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قره[160] وغيرهم فى الشهر خمسمائة دينار للنقل والملازمة[161] . وأما محمد ابن عبد الملك الزيات الذى كان وزيرا أيام الواثق ، فقد كان يقارب عطاؤه للنقلة والنساخ فى كل شهر الفى دينار[162] . وقد ذكرنا سابقا عطاء المأمون لحنين بن

---

(١٥٩) أولاد شاكر : محمد واحمد والحسن من رعاة العلم والأثرياء وممن عنى باخراج الكتب من بلاد الروم ، ومن انشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمة . (د. الشحات السيد زغلول : (**السريان والحضارة الاسلامية**) . (دار الكاتب المصرى فرع الاسكندرية ١٩٧٣ م) ص ١٩٢ .

(١٦٠) ثابت بن قره ولد سنة ٢٢١ هـ وتوفى ٢٨٨ هـ عمل فى جملة منجمى المعتضد ، وكان ذا منزلة عالية عنده ، وله دور كبير فى حركة الترجمة ، وهو الذى أدخل رئاسة الصابئة الى أرض العراق (ابن جلجل ، أبو داوود سليمان بن حسان الأندلسى المعروف بابن جلجل) . (**طبقات الأطباء وحكماء**) . تحقيق فؤاد السيد (مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ـ القاهرة ١٩٥٥ م) ص ٧٥ .

(١٦١) ابن ابى أصيبعه : عيون الانباء فى طبقات الاطباء جـ ٢ ص ١٤٣ .

(١٦٢) المصدر نفسه جـ ٢ ص ١٧٦ .

اسحاق عما كان ينقله من اليونانية الى العربية ، وكيف ان ذلك العطاء كان زنة ما ينقله مثلا بمثل[١٦٣] . فاذا كان الأمر كذلك واذا كانت رواتب الموظفين الذين ينسخون وينقلون لدى وزير من وزراء الدولة يبلغ الفى دينار فى الشهر ، فكم يجب أن تكون رواتب موظفى ومستخدمى بيت الحكمة ؟ . اعتقد أن الجواب هـــو لا أقل من عشرين الف دينار فى الشهر وربمـــا اكثر من ذلك باستثناء النفقات الأخرى كثمن الحبر والورق واجـــور التجليد وثمن الكتب الجاهزة وأثاث المكتبة وغيرها .

ووجـــه الواثق عناية كبيرة للمترجمين الذين نقلوا الذخائر الأجنبية للســـان العربى ، وكان ابن ماسويه يده اليمنى فى ذلك ، فأعـــد الواثق نعما متوالية ، وخيرا وفيرا ، وفى احـــدى المرات أعطاه دراهم تساوى ثلاثمائة الف روبية[١٦٤] .

ويورد لنـــا المقريزى[١٦٥] قائمة بالنفقات السنوية لمكتبة دار الحكمة مفصـــلة تفصيلا واضحا ولكنها أقل سعة وسخاء وفيما يلى نصها :

ورق النسخ (ربما كان ذلك يشمل مرتبه أيضا)	٩٠ دينارا
مرتب الخـــــازن	٤٨ دينارا
مرتب الفـــراش	١٥ دينارا
لتجليد الكتب (ربما شمل أجرة المجلد)	١٢ دينارا
ورق وحبر وأقـــلام للمطالعين	١٢ دينارا
ثمـــن الحصر العبـــدانى	١٠ دنانير
ثمـــن المـــاء	١٠ دنانير
ثمـــن لبـــود للفرش فى الشتاء	٥ دنانير
ثمـــن طنافس فى الشتاء	٤ دنانير
مرمة الســـتارة	١ دينار

وكانت المرتبات لموظفى المدرسة المستنصرية محـــددة على الوضع التالى : لخازن الكتب فى كل يوم عشرة أرطال خبزا ، وأربعة لحما ، وفى كل شـــهر عشره دنانير ، وللمشرف فى كل يوم خمسة أرطال خبزا ، ورطلان لحما ، وفى كل شـــهر ثلاثة

---

(١٦٣) ابن أبى أصيبعه : عيون الانباء فى طبقات الاطباء جـ ١ ص ١٨٧ .

(١٦٤) Khuda Bukhshi, Contribution to the History of Islamic Civilization, Calcutta 1905, p. 269.

(١٦٥) المقريزى : الخطط والآثار جـ ١ ص ٤٥٩ .

دنانير ، وللمنازل فى كل يوم أربعة أرطال خبزا وغرف طبيخا فى كل شهر دينار ان(١٦٦) .

ومن مكتبات بغداد(١٦٧) الشهيرة المكتبة التى الحقت بالمدرسة المستنصرية وهى ذات قاعات واسعة للمطالعة مجهزة بما يساعد على القراءة من مقاعد وصهاريج لتبريد مياه الشرب وساعة حائط لمعرفة الوقت والتنبيه الى أوقات الصلاة .

هذا الى أن كثيرا من الأغنياء والوزراء كانت لهم مكتبات خاصة فابن العميد وزير عضد الدولة كان له مكتبة فلما نكب حمد الله كثيرا على أن بقيت له مكتبته لأنها أهم شىء عنده(١٦٨) .

وكان على بن المنجم ممن جالس الخلفاء ، وكان له خزانة كتب عظيمة فى ضيعته وسماها خزانة الحكمة ، وكان يقصدها الناس من كل بلد ، فيقيمون فيها ويتعلمون ، والكتب مبذولة والصيانة مشتملة عليهم ، والنفقة فى ذلك من مال على بن المنجم(١٦٩) . وهو الذى أعد مكتبة الفتح بن خاقان وأشرف عليها ، وكان من خاصة ندماء المتوكل ، وخصص أيضا بمن جاء بعده من الخلفاء الى أيام المعتمد ، وكان راوية للأشعار والأخبار ، شاعرا محسنا وله صنعة مقدما عند الخلفاء(١٧٠) .

على أن أكثر هؤلاء الخلفاء المثقفين الذين شجعوا ورعوا حق الرعاية مؤسسة بيت الحكمة ولم يبخلوا بالجهد ولا بالمال ولا بكل شىء فى سبيل دفع عجلة التقدم الى الامام من أمثال الرشيد والمأمون والواثق ومن بعدهم . هذا الى جانب جهود عدد لا يحصى من الأمراء والوزراء والحكام المحلبين والأفراد المتميزين السابق ذكرهم . ولا ننسى استقرار المجتمع الاسلامى وتدفق الثروة عليه ممن جعله يؤسس المؤسسات العلمية العظيمة امثال بيت الحكمة كما نجد عددا من العلماء والفضلاء والوجهاء والرؤساء انقطعوا للعمل فى هذه الأكاديمية مثل أبناء شاكر والخوارزمى وعلان الشعوبى وسلم وسهل بن هارون وسعيد بن هارون وغيرهم .

---

(١٦٦) عواد كوركيس : (خزائن الكتب القديمة فى العراق) . (مطبعة المعارف - بغداد - العراق ١٩٤٨ م) ص ١٦٥ .

(١٦٧) انور الرفاعى : الاسلام فى نظمه وحضارته . ص ٥٤٥ .

(١٦٨) احمد أمين : (ظهر الاسلام) . (ط ٣ - دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٣٦ م) جـ ٢ ص ٢٢٠ .

(١٦٩) المرجع نفسه ص ٢٢١ .

(١٧٠) ابن النديم : الفهرست ص ٢٠٥ .

الفصل الرابع : أثر بيت الحكمة فى حياة المجتمع العباسى



١ ـ تشجيع الحركة العلميـــة فى بيت الحكمـــة .

٢ ـ التغييرات التى طرأت داخـــل بيت الحكمـــة فى التصنيف والترجمة .

٣ ـ نشر روح اليقظـــة الاسلامية فى المجتمع العباسى .

٤ ـ انقـــاذ التراث بادخال نظام المكتبات على العـــالم الاسلامى لحفظ التراث من الضـــياع .

اولا — تشجيع الحركة العلمية فى بيت الحكمة :

ادى التمازج الحضارى والثقافى بين مختلف الأقوام والعروق والأجناس والثقافات الى بروز الحضارة الاسلامية ذات الشخصية الواضحة المميزة التى اشترك فى انتاجها عدد كبير من العروق والأجناس ، وذوى الحضارات المختلفة والديانات المختلفة ، وفيه بلغت هذه الحضارة درجة كمالها وبلوغها الأوج . وقد تطورت فيه جميع المعارف الانسانية وانتشرت فى أرجاء العالم الاسلامى من حدود الصين والهند شرقا الى الأندلس وحدود فرنسا وايطاليا وسويسرا غربا . ثم لم تلبث هذه ان انتقلت الى اوروبا وساهمت الى حد كبير ، فى انهاضها وايقاظها من سباتها ، وفى جعلها تأخذ من الحضارة بنصيب موفور(١٧١) .

وقد بلغ العصر الذهبى ذروته فى عهد هارون الرشيد وابنه المأمون ، حيث استكمل المجتمع الاسلامى تطوره بعالميته الجامعة ، وموارده الاقتصادية الهائلة ، وحياته الثقافية الرفيعة ، يغذيها تقابل الفكر والثقافة العربيين مع الحضارات الاغريقية والهندية والفارسية ، بينما ينحسر دور الجزيرة فى توجيه الثقافة العربية(١٧٢) .

ونريد بالحضارة(١٧٣) ما تبلغ اليه الدولة من الثروة وبسطة العيش والتوسع فى أسباب الترف والرغد فى أرقى درجات عمرانها . والدولة الاسلامية أدركت تلك الدرجات اولا فى العصر العباسى ببغداد فى اواسط القرن الثانى للهجرة (الثامن الميلادى) الى اواسط القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) .

فبلغت بغداد(١٧٤) ذروة الرخاء فى عصر هارون الرشيد (١٧٠ هـ/١٩٣ هـ — ٧٨٦ م/٨٠٩ م) وابنه المأمون (١٩٨ هـ/٢١٨ هـ — ٨١٣ م/٨٣٣ م) وصارت أهم مدن الشرق وذاع صيت الرشيد فى الآفاق ، فارسلت بلاد التتر والهند والصين

---

(١٧١) د. محمد ماهر حماده : (**الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسى الاول**) . (مؤسسة الرسالة — بيروت — لبنان — ١٣٩٩ هـ/١٩٧٩ م) ص ٥ .

(١٧٢) جون. بادوا وآخرون : (**عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة**) (مركز الوثائق والدراسات بابو ظبى ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧ م) ص ٣٨ ، ٣٩ .

(١٧٣) جرجى زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى جـ ٥ ص ٦١٦ .

(١٧٤) جوستاف لوبون : (**حضارة العرب**) ترجمة اكرم زعيتر (دار احياء الكتب العربيه ط ٣ — القاهرة — ١٩٥٦ م) ص ١٧١ ، ١٧٢ .

رسلا الى بلاطه وارسل عاهل المغرب الحقيقى وصاحب الحول والشوكة والامبراطور شرلمان ، الذى كان يملك ما بين المحيط الاطلنطى ونهر الألب ، وهو الذى لم يملك غير أناس سوى الهمج وفدا ليبلغ الرشيد ، أطيب تحياته ويلتمس منه الحماية لحجيج القدس فأجابه الرشيد الى سؤله .

وبلغت الدولة العباسية(١٧٥) أوج العظمة والاستقرار فى العصر العباسى الأول ، بسبب توالى كثير من الخلفاء الأقوياء على حكم الدولة ، فانتشر الأمن والاستقرار فى أرجاء الامبراطورية العباسية . مما دفع معظم خلفاء هذا العصر الى طبع عصرهم بطابع العظمة والفخامة والترف . وكانت البيئة الثقافية(١٧٦) من اقوى العوامل فى النهضة العباسية اذ أخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية فى نواحيها المتعددة ويمدونها بمالهم وجاههم ، وقد بالغوا فى اكرام الأدباء فجالسوهم وولوهم أحيانا المناصب العالية ثم حذا الأمراء والوزراء حذو الخلفاء فى اكبر مدن الدولة ، فكانوا يتنافسون فى ذلك كما يتنافسون فى فتح دور العلم ، وأظهر الجيل الجديد ميلا شديدا الى الحياة العلمية وتشجيعها . لا عجب فى ذلك فقد رأينا ما كان هنالك من نماذج مدنيات واختلاف حضارات ووعى عام أرهفه ما ناله القوم من ثقافات الشعوب المتمدينة .

---

(١٧٥) د. توفيق سلطان اليوزبكى : (**الوزارة نشأتها وتطورها فى الدولة العباسية**) . (مطبعة الرسالة – بغداد ١٩٧٠ م) ص ٦٨ .

(١٧٦) د. طه الحاجرى (**الجاحظ حياته وآثاره**) . (دار المعارف بمصر – القاهره ١٩٦٨ م) ص ٣٤٦ .

ثانيا — التغييرات التى طرأت داخل بيت الحكمة فى التصنيف والترجمة :

أن الثورة العباسية التى جاءت بهذه التغييرات الجذرية كانت قبل كل شىء نصرا للاسلام والداعين الى الاصلاح الدينى ومن هنا نشأت العلوم الاسلامية فى هذه الفترة جنبا الى جنب مع العلوم الأجنبية ، فالعلماء العباسيون هم الذين وضعوا معظم المصادر الأساسية والمؤلفات الممتازة فى الدراسات القرآنية والفقه وعلم الكلام وقواعد اللغة والمعاجم والبلاغة ، والأدب من جهة اخرى . ومن الظواهر التى تستحق التسجيل فى هذا العصر وهو العصر العباسى الأول وعصر ظهور بيت الحكمة هو تدوين التراث العربى كله شعره ونثره ، فكان هذا العمل الجليل من أهم منجزات بيت الحكمة فى تاريخ الفكر العربى[177] .

وفى الحق لا نريد أن نمر بهذه الظاهرة مرورا عابرا فهى من أهم آثار بيت الحكمة التى نحن بصددها ، انما ينبغى أن نقف عندها ونسأل عن الدوافع التى ادت الى مثل هذا الحادث الفكرى ثم نتحدث عن تفاصيله مشيرين الى نتائجه ، فالطاقات الجديدة التى دخلت فى الاسلام واستعربت والملايين المتعطشة الى المعرفة لم يكن من المعقول أن تقنع بالتراث الذى يحتكر روايته شفاها جماعة من الحفاظ انما كانوا فى حاجة الى أن يجدوا بين أيديهم التراث كله مجموعا ليكون غذاء لروحهم ووقودا لنهضتهم ، كما أن النظرة العلمية الجادة التى جاءت نتيجة للاحتكاك بالفكر الهلينى بوجه خاص نتيجة لاسلام الموالى واستقرارهم .

ولم يكن من المعقول أن ننظر نظرة الاعتبار الى التراث المروى مشافهة لما كانت الحاجة ماسة الى متون بين يديها تقتلها درسا وبحثا . وثمة اعتبار آخر نبع من المفكرين العرب أنفسهم الغيورين على تراثهم الفكرى هو خوفهم الى أن تمتد الى هذا التراث غير المكتوب يد الوضع والانتحال والتزييف بسبب الاعتبارات التى استجدت على الحياة العربية فى القرن الثانى الهجرى ، كالشعوبيين الذين كانوا ينقلون من الثقافة العربية ويزدرون بكل ما هو عربى[178] .

وكان العربى فى حاجة الى مواجهة هذه الحركة وبعث أمجاد العرب القديمة والتاريخ الماضى العربى ، كما أن الفرق الدينية والتيارات السياسية المتضاربة

---

(١٧٧) د. حسن أحمد محمود وزميله : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٦١ .

(١٧٨) د. حسن أحمد محمود وآخرون ، العالم الاسلامى فى العصر العباسى ، ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

كانتعتمد الى التراث العربى لتلتمس منه ما يؤيد وجهة نظرها ، وتكسب نشاطهــا طابعــا مشروعا . وهــذا ما جعــل الخلفاء العباسيين يهتمون بالمؤسسات العلمية والثقافية كبيت الحكمة حيث عينوا لــه جلة العلماء ، للترجمة والتصنيف والنسخ والتجليــد والاشراف ورتبــوا لهم المرتبات والأجــور السخية لكى يخــدموا النهضة العلمية وليقــوموا على وجــه الخصوص بأعمال الترجمة ومن هؤلاء يوحنا بن ماسويه وجبريل بن بختيشوع وحنين بن اسحاق وغيرهم .

ثالثا — نشر روح اليقظة الاسلامية فى المجتمع العباسى :

لو نظرنا لتمازج الثقافات الذى حدث فى بغداد وفى بيت الحكمة ومن يعمل بها لوجدنا أنه لما عمرت بغداد(١٧٩) توافد الناس اليها من كل حدب وصوب فريق يطلب الكسب وفريق تستهويه الحياة العلمية والفكرية وفريق يطلب حياة الترف ، فاذا بغداد معترك تشارك فيه الى جانب العربى الفارسى والرومى والنبطى والتركى والصينى والهندى والبربرى والزنجى وفيهم المسلم والنصرانى واليهودى والصابئى والسامرى والمجوسى والبوذى وغيرهم .

وهؤلاء بلا شك قد حملوا الى بغداد ألوانا من الفكر والثقافة سرعان ما انتفعت بها بغداد وأثرت فيها . وقد شهد المجتمع البغدادى(١٨٠) تكتلات اجتماعية قائمة على أساس قومى منذ العقد الأخير من القرن الثانى الهجرى . وتمثل ذلك أيضا فى انقسام عنصرى ومناقشات بين العرب والعجم . ويلمس المقدسى(١٨١) : وجود ظاهرة التكتل القومى والمذهبى فى أسواق بغداد ، عندما يشير الى وجود المجوسى ضمن العاملين فى أسواق بغداد (العاصمة) بالاضافة الى اهل الذمة . سواء أكانوا من النصارى أو اليهود ، مع وجود اغلبية مسلمة من الحنابلة والشيعة . وما بين أولئك من مشاحنات تنعكس على علاقاتهم مع بعضهم البعض .

وقامت الدولة العباسية(١٨٢) على رأس مواليها من اهل خراسان والعراق . وكان لهؤلاء الموالى شأن كبير فى السياسة والعلم والتعليم . فمن هؤلاء الموالى علان الشعوبى وسلم وغيرهم ممن قام بدور بارز فى تنظيم بيت الحكمة واعلاء شأنها . وساهم أهل الذمة فى بغداد فى ازدهار الحركة العلمية فى العصر العباسى الاول ونشر المعرفة ، فأسسوا المدارس وقاموا بالتدريس لابناء كبار رجال بغداد ، وترجموا من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية . ذلك أن الخلفاء العباسيين الاوائل عنوا بترجمة الكتب العلمية ، واستعانوا بأهل الذمة فى حركة الترجمة(١٨٣) .

---

(١٧٩) ابن قتيبة : المعارف ص ٢٩ ، ٣٠ .

(١٨٠) د. حمدان الكبيسى : (**أسواق بغداد فى بداية العصر البويهى**) . (مطبعة وزارة الاعلام — بغداد — العراق ١٩٧٩ م) ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

(١٨١) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ص ١٢٦ .

(١٨٢) الشيخ محمد الخضرى : (**التشريع الاسلامى**) . (المكتبة التجارية الكبرى — مصر — القاهرة ١٩٧٠ م) ص ١٧٠ .

(١٨٣) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ١٨٢ .

وقـــدر الخلفاء جهودهم ومنحوهم الرواتب الجزيلة ، وكان الخلفاء يرسلون العلمـــاء الموثوق بهم من أهـــل الذمة الى الدولة البيزنطية لابتيـــاع طرائف الكتب وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب ، ويعهدون الى التراجمة من أهـــل الذمة بنقل هـــذه الكتب الى العربية[١٨٤] .

ومن أشهر من ساهم فى حركة الترجمة بنصيب موفـــور من أهـــل الذمة حنين ابن اسحاق ، نشأ على حب العلم ، وتتلمذ على الطبيب الحاذق يوحنا بن ماسويه ، وتوجـــه الى الدولة البيزنطية ، وأقام بها فترة من الوقت يدرس خلالها اللغـــة اليونانية ، وعـــاد الى العراق ودرس اللغـــة العربية دراســـة مستفيضة على الخليل ابن أحمد ، ثم عاد الى بغـــداد ومكنته معرفته القـــوية باللغتين اليونانية والعربية من القيام بنشاط كبير فى حركة الترجمة[١٨٥] .

ان بغـــداد[١٨٦] لم تكن العاصمة السياسية ومركز الخلافة فحسب بل كانت الى جانب ذلك ملتقى العلماء والتجار ، وزعماء الحركات السياسية والمذهبية . لكن أكبر حزبين كانا بهـــا ، فى بداية القرن الرابع الهجرى ، هما الحزبان المتشددان فى التمسك بمذهبهما وهما الحنابلة والشيعة . وليس هذا غريبا فى المجتمع العباسى[١٨٧] الذى تمثل الاسلام وعرف قـــدر العلم ومكانته ، فهيأ له وسائله واخـــذ بأيدى أهله الى أعلى الدرجات ، وليس عجبا أن يسارع المسلمون الى المكتبات ، وحـــوانيت الوراقين ، ومؤسسات التعليم ما دام الاسلام قـــد فتح أبواب العلم أمام المسلمين جميعا ، وحث على التعليم ، وجعـــل العلم أساسا فى رفـــع الدرجات وان كان كل ذلك لمـــا يدهش له الباحثون من غير المسلمين ، لأنهم لم يقفوا فى التاريخ على أمة أمدت الحضارة الانسانية بالتراث الفكرى كأمة الاسلام .

وكانت الدولة العباسية فى أولى مراحلها وايامها تحتـــاج الى توطيـــد أركانهـــا واستكمال بنيانها مثلها فى ذلك كمثل كل دولة حـــديثة ناشئة ، ولقـــد كانت عناصر الحياة الاجتماعية فى بغـــداد ثراء عريضا ينصب فى أيدى الخلفاء من منابع عـــديدة

---

(١٨٤) Hitti, P. K. : The History of Arabs, London 1949, p. 327.

(١٨٥) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ١٨٢ .

(١٨٦) آدم متز : (**الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى**) ترجمة د. محمد عبد الهـــادى ابو ريده (مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ط ٢ — القاهرة ١٩٤٧ م) ج ١ ص ٨٧ .

(١٨٧) د. محمد عجاج الخطيب : لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر ص ٤١ .

وحياة عقلية راقية بلغت مبلغها من النضج واقبلت على بغـــداد من كل مكان فنـــــا وغناء وحياة طربة مترفة ، بدأت فى الحجاز وانتقلت الى الشام والكوفة ثم جنت ثمارها ببغـــــداد(١٨٨) .

(١٨٨) أحمد عبد الستار الجوارى : (**الشعر فى بغـداد حتى القرن الثالث الهجرى**) . (مطبعـة وزارة الاعـلام - بغـداد - العراق ١٩٦٥ م) ص ٣٦ .

رابعا ـــ انقاذ التراث بإدخال نظام المكتبات على العـــالم الاســـلامى لحفظ التراث من الضـــــياع :

أما الحياة العقلية[١٨٩] فقــد شهد العراق بواكيرها من قبــل أن تنشأ بغــداد او تظهر الدولة العباسية الى الوجـــود . فكانت نشأة المعتزلة فى البصرة ، وكانت نهضة الرواية وعلم اللغة فى الكوفة . ثم قام الخليـــل بن أحمد وتلاميذه فى البصرة والكوفة فكانت المذاهب النحـــوية والدراسات اللغـــوية والأدبية . وعلى الجملة فقــد قامت بغــداد وربيع الفكر فى ابانه والحياة العقلية مزدهرة تؤذن بثمار دانيـــة القطـــوف . وتلاقت هـــذه المقـــومات الاجتماعية فى المجتمع البغـــدادى فطبعتـــه بطـــابع متميز ، عرفه التاريخ بالمزاج البغـــدادى ، واشتهر بالظرف وتذوق الحياة ، والاستمتاع بألوانهـــا وضروبها المختلفة ، وكانوا الى جانب استمتاعهم بالحياة وترفها يقبلون على العلم ويطلبون منه نصيبا حسنا حتى لقـــد قال فيهم أحـــد المحـــدثين « ما رايت اعقل فى طلب الحـــديث من اهـــل بغـــداد »[١٩٠] .

ومن عوامل التجديد فى بغداد غلبة الاعاجم على الحياة الاجتماعية وصيرورتهم عنصرا اساسيا من عناصر التوجيه الاجتماعى . فانطبع المجتمع العباسى فى كثير من نواحى الحياة فيه بطابع غير عربى . وعرف الترف والبـــذخ واصبح اللهو والشراب والانس اشبه شىء بالضرورة اللازمة للحياة . وكان فـــوق ذلك من تزلزل بعض القيم الاجتماعية التى سار عليها المجتمع الاسلامى محتفظا بالتقاليد العربية[١٩١] .

وحـــدث من جراء ذلك ايضا أن اعان القـــوم على تسرب الحضارة الفارسية الى الحضارة العربية . ودخـــول الأفكار الغريبة والعقائد الأجنبية التى اتضح أن من أغراضها ومراميها زلزلة العقيدة الاسلامية ، ومهاجمة الدين الذى حمله العرب فى عقر دارهـ[١٩٢] . ولعله من المسلم به القـــول بأن العصر العباسى الأول[١٩٣] شـــهد

---

(١٨٩) احمد عبد الستار الجـــوارى : الشعر فى بغـداد حتى نهـــاية القرن الثالث الهجرى . ص ٤٠ ، ٤٥ .

(١٩٠) الخطيب البغـدادى : تاريخ بغـداد ج ١ ص ٥٠ .

(١٩١) احمد عبد الستار الجـوارى : الشـــعر فى بغـداد حتى نهـــاية القرن الثالث الهجرى .

(١٩٢) احمد الشايب (**العـــامل السياسى فى ادب العصر العبـــاسى الأول**) . (مكتبة نهضـــة مصر الفجالة ـــ القاهره ـــ بدون تاريخ) ص ٢٥ .

(١٩٣) د. فاروق عمر : (**العباسيون الاوائل**) . (مطبعة الرسالة ـــ بغـداد ـــ العراق ١٩٦٣ م) جـ ١ ص ٩١ .

نشاطا كبيرا فى الحقول الفكرية والعقلية فى المجتمع الاسلامى وما نتـج عنه من ظهور المدارس المختلفة فى التفسير والتشريع واللغة والآداب والتاريخ وعلم الكلام وغيرها من العلوم العقلية والنقلية . ممـا جعل تنظيم المعارف يبدأ الى جانب التدوين الذى فتح أمام المجتمع العباسى آفاقا جـديدة فى المعرفة ، فاطلعوا على طائفـة من الآثار الأجنبية فى العلوم والفلسفة وبخاصة الآثار اليونانية والفارسية والهندية فأدى ذلك الى النهضـة العلميـة التى رعاها الخلفـاء والوزراء والأمراء والعلمـاء والأدباء والشعراء . فقـد وصلت بغـداد فى عهد الرشيد الى قمة مجـدها ومنتهى فخارها ثم لـما أفضت الخلافة الى المـأمون أتم ما بدأه جـده المنصور فأقبـل على طلب العلم فى مواضعه واستخراجه من معادنه . فداخـل ملوك الروم وسألهم عما لديهم من كتب الفلاسـفة فبعثـوا بمـا حضرهم من كتب أفلاطـون وأرسـطو وأقليدس وجالينوس وبطليموس وغيرهم[194] .

على أن اكثر هؤلاء الخلفاء قربوا اليهم العلماء والأدباء واستوزروهم وزادوا فى انشاء المكتبات وجلبوا لهـا نفائس الكتب ، ولم يضنوا فى سبيلها بمخزون التـلاد فقامت المكتبات العلمية بدور فعال فى نشر العلم والثقافة بين أبناء الأمم الاسلامية ، وقامت أيضا بحفظ التراث من الضياع ، فلا يقـل دورها عن دور المساجد والمدارس فى النهضة العلمية لأن الكتب فى ذلك الوقت لم تكن ميسرة[195] . وكان المهتمـون بالعلم والمعرفة يذهبـون الى المكتبات العالمية حيث تتوافر الكتب والمراجع فيقراون ويطلعون على آراء الأقـدمين من العلماء عن طريق كتبهم وآثارهم .

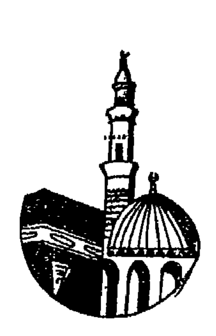
ويحـق لنا أن نطلق على المكتبات اسم « المعاهـد العلمية » لأن الدور الذى كانت تقـوم به لا يقـل عن دور المعاهـد الرسمية ، وكثيرا ما كانت تمثل هـذه المكتبات النوادى الفكرية حيث يجتمع طـلاب المعرفة ومحبوها تدور بينهم المناظرات والمناقشات . فالتشجيع العلمى والتزام الدولة بتقـديم كل ما يلزم لكل طلاب العلم والمعرفة . ولا شـك أن انتشار المكتبات العامة فى أرجاء العالم الاسلامى فى العصور الوسطى واتباعها هـذه الأنظمة وفتح الأبواب لكل قارىء ، وتسخير كل هـذه الامكانيات لخـدمته دليل ناطـق على تقـدم العرب الفكرى والعلمى ومدعـاة للفخر ، ويسجل لهم ولتاريخهم بمـداد من نور . فقـد اثبتت مؤسسة بيت الحكمـة الثقافية أنها سـاهمت فى انقاذ التراث وادخال نظام المكتبات على العـالم الاسلامى لحفظه من الضياع . وهكذا بقيت بغـداد مهـد الحضارة ، ومقر العلم والنور وعين العـالم الاسـلامى وقلبـه .

---

(١٩٤) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصفهانى . ص ٢٦٥ .

(١٩٥) د. محمد فاروق النبهان : مبادىء الثقـافة الاسلامية . ص ٣٣ .

الباب الثاني



ويشمل الفصــول الآتيــة :

الفصــل الأول : تاريخ المدارس الاسلامية وأثر بيت الحكمة فيها .

الفصــل الثانى : التدريس والمدرســون فى بيت الحكمة .

الفصــل الثالث : حركة التأليف فى بيت الحكمة .

الفصــل الرابع : المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء فى بيت الحكمة .

الفصل الأول : تاريخ المدارس الإسلامية وأثر بيت الحكمة فيها



١ ــ نشأة المدارس الاسلامية قبل انشاء بيت الحكمة .

٢ ــ المدارس الاسلامية حالتها بعد انشاء بيت الحكمة .

٣ ــ أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية .

ان الأمم التى تبغى مجـدا عليها أن تخلق فى الأفراد روح الايمان بقابليتهم على الابتداع ، وأن تنشىء فيهم الشعور بالعزة القومية وذلك الاهتمام بماضيها وربطـه بحاضرها وتعريف الناشئة بجهود أسلافهم ومآثرهم فى ميادين العلوم وما كان لهـا من أثر فى تقـدم الحضارة[1] .

وبغـداد كما وصفها المقـدسى فى قـوله : « بغـداد (لأهلها) الخصائص والظرافة ، والقرائح واللطافة هـواء رقيق وعلم دقيق كل جيد بها ، وكل حسن فيها ، وكل حاذق منها ، وكل قلب اليها ، وكل حرب عليها ، وهى اشـهر من أن توصف ، وأحسن من أن تنعت ، واعلى من أن تمـدح »[2] .

بلغت بغـداد حاضرة بنى العباس من الرقى درجـة لم تبلغها مدينة غيرها فى تلك العصور ، فكانت زهرة المشرق وجنـة الدنيا . شيدت فيها القصور حتى سميت مدينة القصور ، وغرست فى انحائها البساتين والحـدائق الغناء ، وامتلأت بالميادين الكبيرة ، منها (الميدان المربع) وكان ميدانا فسيحا أمام قصر الخليفة تقـام فيـه استعراضات الجند والمباريات الرياضية وسباق الخيل ووضعت بطرقاتها المصابيح للانارة ليلا ، وازدحمت المدينة بالمساجد الكبيرة التى شيدت فى بناء ضخم على شكل هندسى جميل وازدانت جـدرانها بالزخارف البديعة والنقوش الزاهيـة . وبزت بغـداد سـائر المدن بمـا حـوته من أسباب المدنية الزاهرة اذ امتلأت بالمدارس ، ودور العلم التى كانت تدرس بها سائر العلوم ، وأقيمت بها دور الشفاء والملاجىء . وأتى النـاس أفواجا من جميع انحـاء الدولة الى (دار السلام) واتخـذوها مقرا لهم ، وبلغ عـدد سكانها فى ذلك الحين قرابة مليونين من السكان[3] وخلاصة القول :

---

(١) قـدرى حافظ طـوقان : (**تراث العرب العلمى فى الرياضـيات والفلك**) . (دار الشروق - بيروت - لبنان ١٩٦٣ م) ص ٢٣ .

(٢) المقـدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١١٩ .

(٣) د. محمود أحمـد الحفنى : (**اسـحاق الموصلى**) . (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر - القـاهرة ١٩٦٤ م) ص ٥٢ .

كانت بغــداد عروس المدائن ومنارة الحواضر . اما الخلفاء العباسيون الأول فكانت لهم أثناء قرن كامل من (١٣٢ هـ/٢٣٢ هـ) الكلمة العليا التامة على العالم الاسلامى شرقا وغربا يأتمر النــاس بأمرهم ، وليس لأحــد مهما علت منزلته وكبر شأنه أن يرد لهم قــولا أو يعصى لهم أمرا . وكانوا فى حيــاتهم مثال الأبهة والجــلال ، وكان الخليفــة يجمــع بين السلطتين المدنيــة والدينية ، وهــو الرئيس الأعلى فى الأمور السياسية والعسكرية ، ومصــدر القــوة ومرجعها وقــد اخــذت الدولة العباسية من مظاهر الأبهة والعظمة ما لم تعرفه الدولة الأموية من قبل(٤) .

كانت مدينة العصر العباسى أزهى عصور العروبة والاسلام تتجلى فى منــاحى مختلفة ومذاهب من الفنون والعلوم متعــددة نشهدها فى مجالى الحياة المشرقة بعمران المدن ، وازدهار الحضارة التى تترجم عنها دور الحكمــة . وتعبر عنهــا المدارس والمعاهــد ومجالس العلماء ومناظراتهم فى مساجد بغــداد والبصرة والكوفة تلك المدينة التى شــع نورها حتى شملت كافــة الأقطار الاسلامية . وترتبط الحيــاة الثقافية بالعواصم والمدن الكبرى ، ويمكن أن يرد تاريخ الثقافة فى أمة الى تاريخ بعض مدنها ، وهــذه المدن مقصــد طلاب العلم والمعرفة ، يحجون اليها كما يحجون الى الأماكن المقــدسة ، وقــد لا يقنعون لمجرد الرحــلة والزيارة ، بل يستقرون ويقيمون حيث اطمأنت نفوسهم فطاب لهم البحث والدرس . والمدن العلمية كانت ولا تزال ملتقى الأجناس والشعوب المختلفة ، وهى تتنافس عادة فيما بينها وتتسابق فى انشاء المعاهــد والكليات وبناء قاعات البحث والمكتبات واقتناء الكتب والمخطوطات واجتذاب العلمــاء وكبــار الباحثين(٥) .

وبغــداد من اكبر عــواصم الدنيا فى القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ورثت ملك كسرى ومعظم بلاد الدولة الرومانية وفتحت أبوابها لثقافات الشرق والغرب فأخــذت منها ما أخــذت وأضافت اليها ما اضافت وأصبحت اكبر مركز ثقافى فى العالم قامت فيها طــوال اربعة قرون أو يزيد دراسات دينية ولغــوية وعلميــة وفلسفية قــد لا يكون لهــا نظير فى مدينة اخرى(٦) .

---

(٤) المرجع نفسه ص ٥٢ .

(٥) د. محمود احمد الحفنى : اسحاق الموصلى ص ٨١ ، ٨٢ .

(٦) د. احمد فكرى : (أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة) . (دار المعارف بمصر ـ القاهرة ١٩٧٨ م) جـ ١ ص ٥١ ، ٥٣ .

فقــد كان العراق فى القرن السادس الهجرى يمــوج بحركة ثقافية لا حــدود لهــا شغلت الجميع على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم وأعمارهم وديانـاتهم . لقــد كانت المدارس والجــوامع والمكتبات البغــدادية تغص بطلاب العلم وعشاق المعرفة من الأقطار المجاورة والبعيدة على حــد سواء ، حتى ليندر أن نجــد عالمــا اشتهر وذاع صيته فى العالم الاسلامى يومذاك دون أن تكون بغــداد صاحبة الفضل عليه ، ويكفى العراقيين فخرا أن المدرسة النظامية ببغــداد كانت المعهد الذى يطمح كل عالم ان يدرس فيــه(٧) .

---

(٧) د. حسين أمين : (**تاريخ العراق فى العصر السلجوقى**) . (مطبعة الارشاد – بغــداد – العراق ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م) ص ٢٢٨ .

اولا ــ نشأة المدارس الاسلامية قبل انشاء بيت الحكمة :

ان التربية والتعليم فى الاسلام ترمى الى هدف مزدوج وهو سعادة المرء فى الدنيا والآخرة . فقد سمحت للفرد بالتنعم فى الدنيا والعمل للحياة الآخرة . فقد دعا الاسلام الى الصدق فى القول والاخلاص فى العمل ، والاستقامة فى السلوك والى ضبط النفس والى التعاون والبذل والمفاداة ، كما مجد الحرية والمساواة فعاشت الأمة الاسلامية كريمة مرهوبة الجانب محبة للنظام تعمل اذا دعيت للعمل ، وتبذل الغالى والرخيص اذا أريد منها البذل والمفاداة[٨] .

وللقرآن الكريم الفضل الأكبر فى انتشار التعليم والتهذيب بين العرب والمسلمين ، فقد تناول الأخلاق والمزايا الشريفة ، وحدد علاقة الفرد والعائلة ، ووضع للمرأة حقوقا وواجبات وحض على تعلم العلم ، وصار القرآن العظيم اصل التعليم فى العالم الاسلامى ، واختلف المسلمون فى اقطارهم فى طرق تعليم القرآن للولدان باختلافهم . واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ المسجد للدراسة واستمر المسجد مكانا لتعليم القرآن والحديث والقصاص ينطقون والفقهاء يعلمون الفقه مدة العهد الأموى ــ وكان هناك حلقات علوم الدين وحلقات لعلوم اللغة العربية[٩] .

لقد وجه الاسلام جل عنايته واهتمامه بطلب العلم وجعل القرآن الكريم الاشخاص غير المتعلمين فى عداد الأموات فى حين جعل المتعلمين فى مصاف الأحياء وقد اعترف الرسول الكريم بأن حبر العلماء يرتقى الى مصاف دم الشهداء[١٠] . وقال أيضا ان الطريق الموصل الى معاهد العلم هو الطريق الموصل الى السموات ، وان الله عز وجل حينما يريد أن يكرم شخصا يمنحه نور العلم والمعرفة ، معرفة الدين والاحاطة بأصوله وفروعه[١١] . ان هذه الأقوال وما يماثلها من اقوال وتعاليم أخرى قد تركت انطباعا عميقا فى أذهان جمهرة المسلمين ، ففى فترة وجيزة من التاريخ أنجب الاسلام مشاهير العلماء . ويكفى أن نشير الى أنه

---

(٨) عمر رضا كحاله : (**المرأة فى عالمى العرب والاسلام**) . (المطبعة الهاشمية ــ دمشق ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م) ج ٢ ص ١١٢ .

(٩) المرجع نفسه ص ١١٣ .

(١٠) محمد رستم ديوان : (**المكتبات فى العصرين العربى والاسلامى فى العصر الوسيط**) . مجلة الاسلام والعصور الحديثة ، نقلا عن مجلة المورد عـ ٤ . (بغداد ــ العراق ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م) ، ترجمة يوسف عبد القادر ، ص ٢٨٤ .

(١١) المرجع نفسه ص ٢٨٤ .

فى القرن السادس الميلادى ظهرت المبادىء الاسلامية التى دعا اليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومنذ انبثاقها كان التعليم قرينا لهـا وكانت اولى الآيات القرآنية تشير الى العلم كما قال تعالى : « **اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ، الذى علم بالقلم ، علم الانسان ما لم يعلم** »(١٢) .

وهناك آيات عـديدة تدعـو المسلمين الى طلب العلم وتحثهم على التعلم ، قال تعالى : « **يرفـع الله الذين آمنوا منكم ، والذين أوتوا العلم درجات** »(١٣) . كما كانت الآيات القرآنية الكريمة ترفع من قـدر العلم وتعلى شأن العلماء وتمجـد العقل والمعرفة وتخفض من الجهل وأهله وكثيرا ما تقترنه بالعمى وتشبهه بالضلالة والظلمات الحالكة كما قال تعـالى : « **وما يستوى الأعمى والبصـير ولا الظلمـات ولا النـور** »(١٤) . « **قـل هـل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** »(١٥) . « **لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بمـا انزل اليك وما انزل من قبلك ... أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما** »(١٦) .

وقـد اعتبر القرآن الكريم التعليم من وظائف النبى صلى الله عليه وسلم حيث جاء فى قوله تعالى : « **وقـل رب زدنى علمـا** »(١٧) . « **ربنـا وابعث فيهم رسـولا منهم يتـلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتـاب والحكمـة ويزكيهم ، انك أنت العـزيز الحكيم** »(١٨) . « **فاسـألوا أهـل الذكر ان كنتم لا تعلمون** »(١٩) .

ومن الأحاديث النبوية الشريفة التى تدعـو للعـلم وتمجـد العلمـاء قـول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم : « وان العلماء ورثة الأنبياء ورثوا العلم من اخـذه أخـذ بحظ وافر »(٢٠) . « ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله لـه

---

(١٢) سـورة العـلق ، الآيات من ١ الى ٥ .

(١٣) سـورة المجـادلة ، الآية ١١ .

(١٤) سـورة فاطـر ، الآيات من ١٩ الى ٢١ .

(١٥) سـورة الزمـر ، الآية ٩ .

(١٦) سـورة النسـاء ، الآية ١٦٢ .

(١٧) سـورة طـه ، الآية ١١٤ .

(١٨) سـورة البقـرة ، الآية ١٢٩ .

(١٩) سـورة النحـل ، الآية ٤٢ .

(٢٠) الامام الحافظ ابو عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخـارى الجعفى امير المؤمنين فى الحـديث : (**صحيح البخارى**) . (عالم الكتب ـ بيروت ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م) ج ١ ص ٤٥ .

طريقا الى الجنة »[٢١] . « ومن يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين »[٢٢] . « ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع »[٢٣] . « اطلبوا العلم ولو بالصين »[٢٤] . « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدماء الشهداء »[٢٥] . « طلب العلم فريضة على كل مسلم »[٢٦] . « فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب »[٢٧] . « غدوة فى طلب العلم ، أحب الى الله من مئة غزوة »[٢٨] .

وقال سيدنا على رضى الله عنه[٢٩] :

وما الفخر الا لأهل العلم انهم — على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه — والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيا له أبدا — الناس موتى وأهل العلم أحياء

وما من شك أن التعليم من مستلزمات تطور وازدهار المجتمع الانسانى وهو من أبسط مظاهره ، ليس سوى تكييف الفرد مع ضروريات الحياة ولوازمها فى بنيته ، واذا كان الاسلام هو النظام الموجه للحياة عند المسلمين بكل مظاهرها فقد كان فهمه ودراسته أمرا لابد منه لأفراد الجماعة الاسلامية ، فالتعليم اذن كان من مستلزمات الدعوة الجديدة لتحقيق التربية الصحيحة التى تهدف الى الدعوة الاسلامية .

ومن الواضح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستهدف بناء أمة جديدة وانشاء حكومة تضاهى الحكومات القائمة فى عصره من وجود طبقة متنورة تتحمل عبء الدولة والدعوة . ولها قوة الحجة والمقدرة على الاقناع بالطرق العلمية . وتذكر المراجع[٣٠] التاريخية أنه لم يكن بين العرب عدد كثير من الذين يتقنون القراءة والكتابة .

ويذكر القلقشندى[٣١] : « ان عدد الكاتبين من بين العرب عند بعث النبى

---

(٢١) . (٢٢) المصدر نفسه .

(٢٣) الغزالى : (**احياء علوم الدين**) . (مطبعة الحلبى — القاهرة ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩ م) جـ ١ ص ١٨ .

(٢٤) . (٢٥) . (٢٦) . (٢٧) . (٢٨) . (٢٩) : المصدر نفسه جـ ١ الصفحات : ١٨ ، ١٥ ، ١١ . ١٦ . ٣٢١ . ١٧ .

(٣٠) د. حسين أمين : (**نشأة الحركة العلمية فى العراق**) . مجلة المؤرخ العربى — بغداد — العراق . س ٤ (١٩٧٧ م) ص ٩ .

(٣١) القلقشندى . صبح الاعشى جـ ٣ ص ١٥ .

صلى الله عليه وسلم لم يكن يزيد على بضعة عشر نفرا » . ولهـذا كان من أهـداف النبى صلى الله عليه وسلم العمل على نشر التعليم بين المسلمين وتشجيعهم على ارتياده وواكب المسجد الدعوة الاسلامية ولازمها كما كانت المعاهـد الاولى للتعلم فى صـدر الاسلام ، وأصبح المسجد المكان الطبيعى والملائم لتلقى العلوم . وانتشرت المساجد فى جميع أنحاء العالم الاسلامى ، فقامت بدورها ورسالتها الدينية والتهذيبية والتعليميـــة .

ولا شـك أن المسجد فى صـدر الاسلام كان هـو المنتدى الوحيد فى اى مدينة اسلامية ، فيه يلتقى العرب المسلمون بغيرهم من ابناء الشعوب المختلفة ، وهـذا الالتقاء أدى الى أن يتعرف الفرس مثلا فى العراق على الأفكار الدينية الجـديدة . ويتلقونها باللغـة العربية الفصحى ، كما يتعرفون على تراثهم الفكرى ، وبخاصـة التراث الأدبى . ويعتبر المسجد من مظاهر الحضارة وعناصرها فى الاسلام ؛ بأهميته الكبرى فى الحياة الدينية والسياسية والفكرية ، ففيه تقـدم فرائض الدين وفيـه يبايع الخلفـاء والأمراء وتبحث أمور الحرب والسـلم ، وكثيرا ما تحـدث فيـه التجمعات السياسية وكان الأمير يعلن فيـه ما أنيـط به وما اعتزمه من أمر . وبقى المسجد الى أواخر القرن الثالث الهجرى على الأقـل المدرسة التى يتلقى فيها الناس العلم والمعرفة ويلتقى فيها العلمـاء والأدباء فيتناقشون او يلقـون المحاضرات فى حلقـاتهم وينشرون علمهم كما يقـول القصاصون والوعاظ بوعظ النـاس وارشادهم وتبصيرهم بمبادىء الدين الاسـلامى .

وقـد صنف الكثير من الكتب فى المساجد الاسلامية ويؤكد ذلك المخطوطات الكثيرة المنتشرة فى انحاء العالم[٣٢] وفيها يشير مؤلفـوها وناسخوها بأنهـا ألفت ونسخت فى عـدد من المساجد كما أن كتب التاريخ والتراجم تزخر باخبار العلمـاء والفقهاء الذين اتخـذوا من المساجد أمكنة فيها يتزودون بالعلوم والمعارف وفيهـا يقيمون ويعيشون ويتدارسون ويدرسون ويؤلفون آثارهم الفكرية . فلم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب بل كانت منبرا للعلوم والمعارف كما ارتفعت كلمات الرسول صلى الله عليه وسلم فـوق مجـد التدين الاعمى . « حبر الطالب اقـدس من دم الشهيد » .

وحـول أعمـدة الجامع كان يجلس الاستاذ ويلتف حوله الطلبة او التلاميذ

---

(٣٢) محمد سعيد الطريحى : (**خزائن الكتب الاسلامية القديمة فى الكوفة**) . مجلة المورد المجلد ٩ عـ ٤ (١٤٠١ هـ/١٩٨١ م) ص ٣٠١ .

لتلقى العلم وكانوا يسمونه فى ذلك الوقت حلقة وينسبون كل حلقة فى الغالب الى أستاذها فيتولون حلقة أبى اسحاق الشيرازى فى جامع المنصور . وهـذه الحلقـة أبوابها مفتوحـة لمن يشاء رجـلا كان أو امرأة لكل الحـق فى سـؤال الأستاذ أو مقاطعته معارضا ، وكان هـذا النظام أكبر دافـع للأساتذة يدفعهم دائما للاعـداد المتقن فى دروسهم والتعمق فيها . كما كان لأى معلم الحق فى أن يلقى ما شـاء من محاضرات وأن يتخـذ الأستاذ الموضوع الذى يريد الحـديث فيه ولكن الجمهور المثقف الواعى بنقـده الدائم ويقظته كان يحمى تلك المجالس من أن يتسرب الى قيادتها مدعى علم أو من لم تنضج ثقافته وتكتمل(٣٣) .

وحـول اعمـدة المساجد اتيحت دائما للطلاب فرصة الاستماع الى الأساتذة الزائرين من كل أنحـاء العـالم المترامى الأطراف . ولقـد كان المتعلمون فى طريقهم يزورون مراكز الثقافة الاسلامية الواقعـة فى بغـداد ودمشق .

وقـد ادت مساجد العراق قسطا كبيرا فى نشر العلوم والمعارف وكانت بحـق مراكزها منارات للاشعاعات الفكرية ، وقـد اشتهرت مساجد عـدة كانت أشـبه بالجامعات اليوم وأهمها جامع المنصور ببغـداد . وكان لهـذا الجامع العظيم المكانة العلمية فى بغـداد وكان لا يفـوز بالتدريس فيه الا كبار العلماء الذين أوتوا حظـا كبيرا من العلم والمعرفة . فقـد انشأ هـذا الجامع الخليفة العباسى عندما بنى مدينة بغـداد عام ١٤٦ هـ وجعله ملاصقا لقصره الشهير (قصر الذهب) وأعاد الرشيد بناءه مـع زيادة مساحته ، ثم أضيفت زيادات كثيرة فى عهد الخلفاء العباسيين(٣٤) .

أما جامع البصرة فقد كان من اهم المراكز العلمية فى العراق . وشهد هذا الجامع حلقات المعتزلة التى احدثت حركة الاعتزال ، فلعبت دورا كبيرا فى الاتجاهات الفكرية والسياسية فى العالم الاسلامى فى العصر العباسى الأول . وفى مسجد البصرة هذا كان الشعراء والأدباء يجتمعون ، وقـد ذكر الجاحظ انه ادرك بالبصرة رواد المسجد بين المريدين ، واتخـذ الخليل بن احمد الفراهيدى المتوفى عام ١٧٤ هـ المسجد مقرا لـه . ويعتبر الخليل أول من رسم علم اللغة واول من صنف فيه ويذكر ابن خلكان

---

(٣٣) زغريد هونكه : (**شمس العرب تسطع على الغرب**) . ترجمـه فاروق بيضـون وكمال دسوقى . (المكتب التجارى للطباعة والتوزيع - بيروت - لبنان ط ١) ص ٣٩٦ . ٣٩٧ .

(٣٤) د. محمد حسين الزبيدى : (**المراكز الثقافيـة فى العراق فى القـرنين الرابع والخامس الهجريين**) . مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق ع ١٥ (١٩٨٠ م) ص ٢٠٤ .

سبب وفاته أنه دخل المسجد فصدمته سارية وكان يقطع بحرا من العروض[٣٥] .
كما يعتبر الخليل بن أحمد أول من وضع علم العروض وفن المعاجم فى العربية وقد عاش معظم حياته فى البصرة متزهدا متعففا ومن أشهر طلابه سيبويه المتوفى سنة ١٨٠ هـ والذى يعتبر امام البصريين فى النحو .

وهناك المسجد الجامع فى الكوفة الذى بنى فى عام ١٤ هـ وأنشأه سعد بن أبى وقاص وجدده زياد بن أبيه عام ٥٠ هـ وقد كان لانتقال على بن أبى طالب الى الكوفة واتخاذه اياها عاصمة له أثر كبير فى اذكاء النهضة العلمية فيها[٣٦] .
واشتهر مسجد الكوفة هذا بأنه كان مدرسة لاقراء القرآن ففيه كان يجلس الشيوخ الأمراء فيلقنون طلاب العلم القراءات التى رووها بأسانيدهم ومن أشهر قراء الكوفة عبد الله بن حبيب ربيعة الضرير وكان أول من جلس لاقراء القرآن الكريم فى مسجد الكوفة[٣٧] .

كما كان مسجد الكوفة مركزا من مراكز دراسة الفقه وازدهارها . ففى هذا المسجد ظهرت بوادر مبادىء الفقه المبنى على التجرد واستنباط مفهومه من الكتاب والسنة ، كما ظهرت فى مسجد الكوفة أيضا مدرسة لتفسير القرآن الكريم ، واشتهر من رجالها سعيد بن جبير حيث كان عالما بالتفسير ، وعلى بن حمزة الكسائى الذى انتهت اليه رياسة الاقراء بعد حمزة بن حبيب فكان يجمع طلابه ويجلس على كرسى يتلو عليهم القرآن الكريم ويسمعون ويضبطون فيه[٣٨] .

ويحيى بن زيد الفراء عنى بدراسة القرآن الكريم وتفسيره ويعتبر الفراء من نحاة الكوفة وشيوخها فى العربية قال ثعلب : « لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها ولولا الفراء لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع »[٣٩] . لانها تاثرت باللغات الأخرى وبذلك كادت أن تفقد خصائصها الأصيلة لذا انبرى الفراء وأمثاله الى وضع قواعد الضبط فى اللغة للحفاظ على تلك الخصائص كما نجحوا نجاحا

---

(٣٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٩ .

(٣٦) ابن الجزرى ، شمس الدين ابو الخير محمد بن محمد : (**غاية النهاية فى طبقات القراء**) . (مكتبة الخانجى – مصر ١٣٥ هـ/١٩٣٢ م) جـ ٢ ص ٤١٣ .

(٣٧) المصدر نفسه .

(٣٨) ابن الجزرى : غاية النهاية فى طبقات القراء جـ ٢ ص ٤١٣ .

(٣٩) الأنبارى ، ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (**نزهة الألباء فى طبقات الأدباء**) تحقيق محمد الفضل ابراهيم . (دار نهضة مصر للطبع والنشر – القاهرة – بدون) ص ٦٥ .

بعيدا فى جعل اللغة العربية سهلة المنال لمن يريد تعلمها وضبطها ومطاوعة لارادة الكتاب للتعبير عن آرائهم وأفكارهم أعنى بهـذا انهم نجحوا فى جعل اللغة العربية سهلة المنال لمن يريد تعلمها وضبطها ، وبتطورها قادرة على مواكبة التطور الحضارى والمعايشة بين اللغـات الانسانية عامة .

وهكذا أصبحت المساجد الاسلامية فى العراق معاهـد مهمة تشد اليها الرحال للدرس والتدريس كما كان يطمع العلماء فى أن ينالوا منصبا تدريسيا فى تلك الجوامع لمكانتها العلمية(٤٠) . ومن أجـل أن يحقق المسجد مطامع مريديه وتيسير عملهم العلمى فقـد الحقت فى كل مسجد مكتبة عامرة تضم عـددا وفيرا من الكتب فى مختلف العلوم والفنون ، وقـد تسابق الناس الى تزويد تلك المساجد بالكتب وان بعض المسلمين كان يوقف كتبه على المساجد ، طلبا للأجر أو الحفـاظ عليها من أن تبـددها الأيدى وهكذا صارت بعض المساجد اشبه بالأكاديميات الثقافية .

وكان لهـذا الأثر الكبير فى نجاح الدرس والتدريس والبحث والتصنيف . والى جانب المسجد كمعهد للتعليم كانت توجـد أماكن اخرى لتعليم الأطفال وهى الكتاتيب ومفردها (كتاب) وفى الكتاب يتعلم الطفل القراءة والكتابة ومبادىء الدين الاسلامى ، وبعض المعلومات من الحساب والنحو وشيئا من اشعار العرب ، وتوجـه العنـاية فى الكتاب الى تحفيظ الصبيان القرآن الكريم(٤١) . ويتقاضى المعلم أجرا على عمله ، والدراسـة فى الكتاتيب أشبه بالدراسـة فى المدارس الابتدائية فى يومنا هـذا . أما الربط وهى جمع رباط وأصل الربط ما تربط فيه الخيول المعـدة للدفاع والمجاهـدة والمرابط هـو المجاهـد يدافع عمن وراءه فالرباط جهاد النفس والمقيم فى الرباط مجاهـد نفسه ويطلق أيضا على بيت الصوفية . ولم تكن الربط دورا مقصورة على التعبد والتزهـد ، وانما كانت فضلا عن ذلك مواضع للتأليف والتصنيف والاقراء والتثقيف والاجازة والمحاضرة وغيرها وكان من عادة واقف الرباط أن يجعل فيـه وقفا من الكتب للمطالعة والدرس والاستنساخ والمراجعة والاستشهاد ، وكان لخزائن الكتب فى الربط قـوام يتولون خزنهـا وصيانتها ومناولتها وترتيبها(٤٢) ومن أشـهر الربط فى بغـداد فى العصر البويهى :

---

(٤٠) ياقـوت الحمـوى : معجم الأدباء جـ ٤ ص ٢٤٣ .

(٤١) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٣ .

(٤٢) د. محمد حسين الزبيدى : المراكز الثقافية فى العراق فى القرنين الرابع والخامس الهجريين عـ ١٥ ص ٢٠٥ .

(أ) رباط الزوزني المتوفى عام ٤٥١ هـ[٤٣] .

(ب) رباط شيخ الشيوخ وقد بناه عميد العراق وقد أشار ابن الأثير الى ذلك بقوله « أما عميد العراق فقتله البساسيرى وكان فيه شجاعة وله فتوة وهو الذى بنى رباط شيخ الشيوخ وقد شيد هذا الرباط على نهر المعلى »[٤٤] .

(جـ) رباط ابن رئيس الرؤساء الاولى ويعرف برباط الدركاه أما رئيس الرؤساء فهو الوزير أبو القاسم على بن الحسين بن احمد المعروف بابن مسلمه وكان كاتبا للخليفة القائم بأمر الله فاستوزره « ولقبه رئيس الرؤساء شرف الوزراء جمال الورى » ولما احتل البساسيرى بغداد باسم الدولة الفاطمية قطع خطبة بنى العباس وخطب للمستنصر بالله الفاطمى وقبض على هذا الوزير وصلبه حتى مات مصلوبا سنة ٤٥٠ هـ .

وهكذا نرى أنه بجانب المجالس الزاهرة ورعاية الامراء والوزراء للعلم والمعرفة هناك سبب آخر لازدهار الفكر فى هذه الحقبة من الزمن هو تيسير الاطلاع والقراءة وتيسير التعليم وحضور الدرس الذى ادى الى ظهور مراكز لتدريس العلوم والمعرفة وهى أشبه بالمدارس اليوم ، فكان معظم هذه المراكز عبارة عن حلقات يجتمع فيها الطلاب حول مدرسهم ويلقى المدرسون على طلبتهم ما يحذقون من علوم دينية ودنيوية ثم تجرى مناظرة بين الطلاب ومدرسيهم وكانت معظم هذه الحلقات بصورة عامة تهتم بالمسائل الدينية بالدرجة الأولى ثم بالمسائل الدنيوية التى تتكون من دراسة اللغة العربية والفلسفة والمنطق والفلك وغيرها . ولم يكن نصيب العلوم البحتة كالطب والرياضيات والصيدلة بأقل من نصيب العلوم الدنيوية والدينية .

فكانت تجرى دراسة الطب فى أغلب الأحيان فى المستشفيات التى اعدت لمعالجة المرضى كما جعلت معاهد علمية لتعليم الطب والحقت بها مكتبات كبيرة زودت بعدد كبير من الكتب الطبية الى جانب الكتب العلمية الأخرى .

وخلاصة القول أنه لم تظهر المدارس العلمية المنظمة فى وقت مبكر لان هناك مراكز أساسية فى العراق كانت تقوم بنفس الدور الذى تقوم به اليوم ومن أهمها ما ذكرناه سابقا من مساجد ومنازل العلماء والربط والمستشفيات ودور العلم والمكتبات .

---

(٤٣) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ١٢ ص ١١٥ .

(٤٤) ابن الأثير ، أبو الحسن على بن الكرم محمد بن عبد الكريم عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الأثير الجزرى : (**الكامل فى التاريخ**) . (المطبعة المنيرية – مصر ١٣٤٩ هـ) جـ ٨ ص ٣٥٠ .

ثانيا ــ المدارس الاسلامية حالتها بعــد انشاء بيت الحكمة :

ان اتساع الحلقات العلمية داخــل المساجد وكثرة المناقشات والمناظرات التى كانت تدور داخلها قــد أبعــدت هــذه المساجد عن مهمتها الأساسية وهى العبادة ولهــذا نجــد أن بعض المساجد قــد اصبحت تتخــذ طابع المدرســة من حيث بناؤها وتنظيمها وتوفير الغرف فيها للطلاب والأساتذة كما أنه لم تكن هنــاك نفقــات معينة تبــذل فى سبيل نشر العلم ، فظهرت الحاجة الملحــة الى تأسيس مكان يخصص لرعاية العلم ، ونشر الثقافة وظهرت فى الوقت نفسه فكرة أن يوقف على هــذا المكان أو المعهد وقف ينتج ايرادا يكفى للانفاق على شئونه وشئون القــائمين بالعمل فيه وكان المــأمون أول من ابرز هــذه الفكرة للوجــود فانه لم يشأ أن يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء بل أراد أن يجعل نشاطه قويا متصلا سواء كان الخليفة شحيحا أم كريما فهيأ للعلماء رزقا سخيا يتقاضونه دون وقف ثابت يفيض ريعــه عن التكاليف المطلوبة لهــذه المؤسسة الثقافية[٤٥] .

ومن المعروف أن تأسيس بيت الحكمة قــد اكتمل على يد المــأمون (٢١٧ هـ/ ٨٣٢ م) ولكنها لم تكن مدرســة نظامية بالمعنى المتعارف عليه بقــدر ما كانت دارا للنسخ والترجمة الى جانب كونها أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الاسلامى .

ويميل بعض المؤرخين الى الاعتقاد بأن نشأة المدارس الاسلامية يحيط بهــا كثير من الغموض ولا يمكن تحــديدها بتاريخ معين كما يرى آخرون أنه من المرجح أن تكون المدارس قــد سبقت فى ظهورها نشأة المدرسة النظامية فى عام ٤٥٩ هـ اى فى منتصف القرن الخامس الهجرى[٤٦] .

ومهما يكن الأمر فان المرجح أن تكون بعض المصادر قــد خلطت بين المدارس كمؤسسات تعليمية مستقلة وبين أماكن التعليم الأخرى مثل الكتاتيب والمساجد وغيرها . حيث لم يصل الينا من الكتب التى تبحث فى المدارس وأماكن التعليم الا عــدد ضئيل اذا قيس بتلك الأعــداد الزاخرة التى ألفها العرب فى الشئون العلمية والحضارية الأخرى . ولعل من اهم الاسباب التى أدت الى ذلك أن هــذه المؤلفات وضــعت فى العصور العباسية المتأخرة ولم يمض عليها الوقت الكافى لاستنساخها واطــلاع

---

(٤٥) Sayed Ameer Ali : Short History of Saracens, London 1916, P. 274.

(٤٦) د. ابراهيم الجبار : (دراسات فى الفكر التربوى) . (وكالة المطبوعات ــ الكويت طبعة ١٩٧٤ م) ص ١٤٣ .

الناس عليها فسرعان ما عصفت بالبلاد الاسلامية موجة المغول التى دمرت مدنا اسلامية كاملة واجتاحت أقطارا واسعة فى بلاد المشرق وأتت على بغداد والدولة العباسية من القواعد فضاعت مئات الألوف من الكتب الخطية ومحقت دور علم وخزائن كتب لا تعد ومحيت معاهد ومدارس مشهورة وقضى على عدد كبير من جلة العلماء والأدباء . ولما حلت ببغداد نكبة تيمورلنك وأيامه السود كانت أشد وطأة عليها من تلك العواصف الهوج فلم تبق حروبه ولم تذر من دور الكتب وخزائنها شيئا يذكر . ولم يبق من الكتب الا ما كانت منه نسخ عديدة انتسخت وامتلكها أناس كانوا فى نجوى من هذا الأعصار أو احتوتها معاهد ومساجد كانت بعيدة عن حروبه ونفوذه يضاف الى ذلك جهل الناس أبان هذه الفترة بقيمة كثير من هذه المؤلفات(٤٧) .

أما الكتب التى كانت بخطوط مؤلفيها ولم يكتب لها الاستنساخ فقد فقدت كلها أوضاع أكثر أجزائها وخير مثال على ذلك كتاب ابن الفوطى المعروف « تلخيص مجمع الآداب فى معجم الأسماء والألقاب » والذى تنص احدى الروايات على انه كان فى ثمانين مجلدا لم يصل الينا منه الا المجلدان الرابع والخامس وهما بخط المؤلف وقد وجد الرابع فى المكتبة الظاهرية بدمشق ووجد الخامس فى لاهور بالباكستان . وذكر ابن الفوطى(٤٨) أن كتبا صنفت عن المستنصر والمستنصرية ولكنها لم تصل الينا .

ان انشاء المدارس فى الاسلام من المنجزات العظيمة التى حققت الاهداف العلمية والتربوية وقدمت الخدمات الجليلة للانسانية جمعاء . وتشير المؤشرات التاريخية أن مدينة نيسابور كانت رائدة المدن الاسلامية فى انشاء المدارس فقد شيد أهلها مدرسة للفقيه الشافعى أبى اسحاق الأسفراييني المتوفى سنة ثمانى عشر وأربعمائة للهجرة(٤٩) .

كما تشير المصادر ان مدرسة اخرى انشئت فى تلك المدينة للعالم ابى بكر

---

(٤٧) د. ناجى معروف : (**المدارس الشرابية ببغداد وواسط ومكة**) . (مطبعة الارشاد - بغداد - العراق ١٣٨٣ هـ/١٩٦٤ م) ص ٩ .

(٤٨) ابن الفوطى : (**تلخيص مجمع الآداب فى معجم الالقاب**) . تحقيق مصطفى جواد (وزارة الثقافة والارشاد القومى - دمشق ١٩٦٤ م) ج ٥ ص ٥٢٨ .

(٤٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٩ .

البيهقى المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة للهجرة(٥٠) . ان انشاء المدارس فى الاسلام يظهر انها مبادرات شعبية حققت للناس طموحاتهم فى أن تكون تلك الأمكنة مراكز علمية تدرس فيها مختلف العلوم والآداب وهى فى عهدها الأول وان لم تستكمل شروط المدرسة فقد تكونت من بيت له رحبة واسعة فيه بعض الغرف للدرس ، وقد تختلف المدرسة من حيث السعة ومن حيث الوقوف التى توقف للصرف عليها وكذلك من حيث الشيوخ الذين يدرسون بها ومكانتهم العلمية واشتهارهم(٥١) .

ويمكننا اعتبار سنة ٤٥٩ هـ حدا فاصلا بين عهدين فى تاريخ المؤسسات التعليمية الاسلامية . ففى هذا العام انشئت المدرسة النظامية فى بغداد مؤذنة ببداية عهد جديد انتقلت فيه أماكن التعليم من الكتاتيب ـ التى كانت فى العصر العباسى الأول تقام لتعليم مبادىء القراءة والكتابة وبعضها كان يعلم فيها أيضا اللغة العربية وما اليها من نحو وعروض(٥٢) ـ والقصور والمساجد ودور الحكمة وحوانيت الوراقين ومنازل العلماء الى المدارس المنظمة(٥٣) .

ويعتبر ظهور المدارس فى العصر الاسلامى أهم محاولة جديدة لتنظيم الدراسة واستمرارها لتوفير وسائل التفرغ لها ، اذ جعلت مرتبات للمدرسين وزود الطلاب فى حالات كثيرة بالمسكن والمآكل مما ساعد بالضرورة على ايجاد نظام ثابت وتقاليد مرعية للمدرس والادارة وعمل على استقرار تلك المعاهد(٥٤) .

وقد كان التعليم الأولى عاما للجميع وخاصة فى عصر الدولة العباسية التى تبنى فيها الخلفاء العلم والعلماء وأبدوا اهتماما كبيرا بالتعليم والمتعلمين ، فعملوا على توفير فرص التعليم الأولى لكل طفل والحقوا بكل مسجد مدرسة لتعليم القراءة والكتابة ومبادىء العلوم بالاضافة الى تحفيظ القرآن .

وكان من نتائج ذلك أن انتشر التعليم فى الدولة الاسلامية اثناء عصورها المزدهرة حتى كادت الأمية أن تختفى تماما . ويعلق أحد الباحثين على ذلك بقوله : « لقد

---

(٥٠) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٦٣ .

(٥١) د. حسين امين : نشأة الحركة العلمية فى العراق عـ ٦ ص ٦ .

(٥٢) عمر رضا كحالة : المرأة فى عالمى العرب والاسلام جـ ٢ ص ١١٣ .

(٥٣) د. ابراهيم الجيار : دراسات فى الفكر التربوى ص ١٤٢ .

(٥٤) أسماء فهمى : (**مبادىء التربية الاسلامية**) . (مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ القاهرة ١٩٤٧ م) ص ٣٣ .

كانت هـــذه الليبرالية العظيمة التى أبداها المسلمون نحـــو تعليم ابنائهم من أهم عـــوامل ازدهار وتقـــدم حضارتهم ، فقـــد كان التعليم فى كل أرجاء الدولة الاسلامية لدرجـــة أنه يروى انه كان من العسير أن تعثر على فرد من المسلمين لا يعرف القراءة والكتـــــــابة »(٥٥) .

أما بالنسبة للتنظيم الداخلى للمؤسسات التعليمية الاسلامية فمن المرجح أن معاهـــد التعليم لم تتبع نظام تقسيم الدراسة الى سنوات تعليمية كما لم يعرف تقسيم التلاميذ الى فصول دراسية ، وانما كان التلاميذ يجلسون فى حلقات حـــول الأستاذ الذى يجلس على خشبة أو منصة ويستند الى حائط أو سارية من ســـوارى المسجد . ويرى كثير من الباحثين أن نظام التربية الاسلامية فى العصور الوسطى قـــد تميز بقـــدر من الحرية ومراعاة الفروق الفردية تحسده عليها المدارس والجامعـــــات الحـــديثة فقـــد كان الطالب هـــو الذى يختار أستاذه وينتقى ما يدرسه من علوم وعندما بدأ عهد المدارس النظامية استحدثت بعض القيود اذ كانت تتطلب استمرار الدراسة والتفرغ لهـــا ، ولذا كان الطالب فى المدارس النظامية عادة من المتفرغين للدراسة والمنقطعين لطلب العلم(٥٦) .

ويقول المستر (درابر) الأمريكى المشهور : ان المسلمين الأولين فى زمن الخلفاء لم يقتصروا فى معاملة أهـــل العلم من النصارى والنسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضـــوا اليهم كثيرا من الأعمال الجسام ورقـــوهم الى مناصـــب الدولة ، حتى أن هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة يوحنا بن ماسويه — ولم ينظر الى البلد الذى عاش فيه العالم ولا الى الدين الذى ولد به ، بل لم يكن ينظر الا الى مكانته من العلم والمعرفة(٥٧) .

أما بالنسبة لتنظيم المدارس الاسلامية فيمكن أن نستخدم لغـــة العصر الحديث فى اعطائه بنية السلم التعليمى على النحو التالى :

١ — المرحلة الأولى : وكانت تقـــدم فى الكتاب من سن ٦ — ١٤ تقريبـــا . وكان الكتاب يوجـــد غالبا خارج المسجد فى منزل الفقيه (المعلم) او فى الحوانيت .

---

(٥٥) E. H. WILDS : The Foundations of Modern Education). London 1959, p. 216.

(٥٦) د. ابراهيم الجبار : دراسات فى الفكر التربوى ص ١٤٤ .

(٥٧) د. مصطفى السباعى : (من روائع حضارتنا) . (المكتب الاسلامى - بيروت - لبنـــان ط ٣ ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م) ص ٩١ .

٢ ــ المرحلة الثانوية أو المتوسطة : كانت مدارس هــذه المرحلة تعرف باسم مدرسة المسجد أو الحلقة أو المدرسة ويتراوح سن التلاميذ فيها من ١٤ الى ١٨ .

٣ ــ مرحلة التعليم العالى : وتبــدأ من بعــد انتهاء التلميذ من حفظ القرآن الكريم وكانت توجــد فى احــدى المؤسسات التالية : بيت الحكمة ، المكتبات ، الصالونات الأدبية ، دور العلماء ، المساجد الكبيرة مثل الأزهر وجامــع القرويين وجامع الزيتونة(٥٨) . وذكر ابن خلكان المتوفى (٦٨١ هـ/١٢٨٢ م) لأن الــوزير السلجوقى نظام الملك الطــوسى المتوفى ٤٨٥ هـ/١٠٩٢ م أول من أحــدث المدارس فى الاسلام وأن أول مدرسة انشئت هى المدرسة النظامية التى شرع بانشائها ببغــداد ٤٥٧ هـ/١٠٦٤ م وافتتحها فى ذى القعدة ٤٥٩ هـ/١٠٦٦ م(٥٩) .

فنظام الملك الطــوسى مؤسس المدرسة النظامية ببغــداد والنظاميات التسع الأخرى فى المشرق والعراق ، لم يكن رجــلا سياسيا فحسب بل كان فقيها متحــدثا ايضا . حــدث بمرو ونيسابور والرى وأصبهان وبغــداد ، وأملى الحــديث فى جامع الرصافة وفى مدرسته النظامية ببغــداد وكان يقول : « انى لأعلم أنى لست أهــلا للرواية ولكن اريد أن أربط نفسى على قطار النقلة بحــديث رســول الله صلى الله عليــه وســلم(٦٠) .

وكانت هــذه المدرسة فى الجانب الشرقى من بغــداد وقــد انشئت لتدريس الفقه الشافعى وشرط الوقفى فيها أن يكون المدرس والواعظ ومتولى الكتب من الشافعية أصلا وفرعا(٦١) ، وكان نظام الملك قــد أمر بانشاء عــدة مدارس أصبحت نموذجا للمدارس الجــديدة ، وغــدا نظام الملك نفسه قــدوة حسنة يحتذى بهــا كبار رجال الدولة من الوزراء والأمراء فى انشاء المدارس كما أن اهمية عمل نظــام الملك ترجــع الى كونه بداية عصر جــديد من الازدهار للمدرسة اذ أصبح السلطان ورجال الطبقة العالية مولعين بتأسيس المدارس ، كما أن تكوين المدرسة على الوضع الذى رسمه نظام الملك وما الحقه من أقسام داخلية لاقامة الطلاب أصبح فيما بعــد نمــوذجا يحتذى فى سائر المدارس التى انشئت فى العصور التالية(٦٢) .

---

(٥٨) د. ابراهيم الجيار : (**تاريخ التعليم الحــديث**) . (دار الثقافة ــ القاهرة ط ١٩٧١ م) ص ١٠ .

(٥٩) ابن خلكان : وفيــات الاعيــان ج ١ ص ٣٩٦ .

(٦٠) ابن الاثير . الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ١٦٢ .

(٦١) ابن الجــوزى : المنتظم ج ٩ ص ٦ .

(٦٢) Encyclopedia of Islam. Art Masjid.

ان الدافـــع على الأرجح من تأسيس المدارس النظامية كان مذهبيا وسياسيا فقـــد كان نظام الملك شافعيا اشعريا حريصا على مذهبـــه وعاصرت نظام الملك آراء وأفكار متباينة كانت منتشرة فى العالم الاسلامى كالمعتزلة والباطنية وبقايا القرامطة من اصحاب الملل والنحـــل . كما أن اندحار البويهيين سياسيا لم يكن يعنى ابدا أن آثار مذهبهم الشيعى فى المشرق قـــد زالت لـــذا كان لابد من اجراء سريع يزيل ما علق فى اذهان الناس ونفوسهم من آثار هـــذا المذهب[٦٣] .

وهـــذا ما قامت به المدرسة النظامية والمدارس الأخرى فى بغـــداد واصبهان ونيسابور حيث بنى نظام الملك مدرسته النظامية على شاطىء دجلة ورتب فيهـــا العلماء لدراسة العلوم الدينية واللسانية وبنى حولها اســـواقا ووقف عليها اوقافا دارة ، ولقـــد كان لهـــذه المدرسة شأن كبير فى العالم الاسلامى تخرج منها جماعه من فحول العلماء ، وكان من اساتذتها ابو اسحاق الشيرازى وابو حامد الغـــزالى وكمال الدين الانبارى ، ثم امتلأت دمشق وحلب وحمص وحماه وبعلبك وغيرها من بلاد الشام وقرطبة واشبيلية وطليطلة وغرناطـــة وغيرها من بلاد الأندلس ثم مصر والاسكندرية بالمدارس المجانية على غرار المدرسة النظامية[٦٤] .

وتكاد تجمع المصادر العربية مثل الأصفهانى وابن الاثير وابن الجوزى والسبكى وغيرهم على عظمة المدارس النظامية وكثرتها ووفرة ما اغـــدق عليها من أموال وما بها من كتب حتى قيل انه انشأ فى كل مدينة مدرسة من العراق وخراسان[٦٥] .

ولقـــد قيل ان ما كان ينفقه نظـــام الملك على المدارس النظامية بلغ ستمائة الف دينار . وكان وقفها ببغـــداد خمسة عشر الف دينار سنويا ونظـــامية أصبهان عشرة آلاف دينار وهكذا[٦٦] . ويكاد يكون غالبا بجانب هـــذه المدارس اربطـــة للصوفية والسابلة وكتاتيب لصغار المتعلمين ودور كتب عظيمة لمراجعة العلمـــاء والطلاب غير خزائن كتب الملوك والوزراء التى كانت تحوى مئات من المجلدات[٦٧] .

---

(٦٢) د. دجاج القادسى : (**المعاهد والمؤسسات التعليمية فى العالم الاسلامى**) . مجله المؤرخ العربى – بغداد – العراق عـ ١٩ (١٤٠١ هـ/١٩٨١ م) ص ١٨٠ ، ١٨٨ .

(٦٤) مصطفى امين : (**تاريخ التربية**) . (دار المعارف بمصر – بدون) ص ١٧٩ .

(٦٥) د. عبد الحليم منتصر . (**تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه**) . (دار المعارف بمصر – القاهرة ط ٦ . ١٩٧٥ م) ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٦٦) د. عبد الحليم منتصر . تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ص ٦٨ ، ٦٠ .

(٦٧) د. محمد عبد المنعم خفاجى : (**الاداب العربية فى العصر العباسى الثانى**) . (المكتبة الأزهرية – القاهرة ١٩٥٧ م) ص ٢٣ .

ونظام الملك هذا كان رجلا دينا له مجالس يحضرها أئمة الدين من قراء وفقهاء ومحدثين كما انه انشأ المدارس فى الأمصار المختلفة لتعليم الحديث بل كان هو يمليه ، وفى ذلك يقول ابن الأثير : « كان عالما دينا جوادا عادلا حكيما كثير الصفح عن المذنبين طويل الصمت ، كان مجلسه عامرا بالقراء والفقهاء ، وائمة المسلمين واهل الخير والصلاح . امر ببناء المدارس فى سائر الأمصار والبلاد وأجرى لها الجرايات العظيمة وأملى الحديث ببغداد وخراسان »(٦٨) .

وعرف عن نظام الملك حبه للعلم واصطفاؤه النابغين من العلماء فتوفر الآباء على تعليم ابنائهم حتى يحظوا بالمناصب التى كان يقسمها درجات ويرشح لكل بحسب فضله وعلمه . فيذكر العماد الأصفهانى « فى أيامه نشأ للناس اولاد نجباء على تهذيب الأبناء ليحضروهم فى مجلسه ويحظوا بتقريبه فانه كان يرشح كل أحد لمنصب يصلح له بمقدار ما يرى فيه من الرشد والفضل ومن وجد فى بلد قد تميز وتبحر فى العلم بنى له مدرسة وقف عليها وقفا جعل فيها دار كتب »(٦٩) .

وساعدت حياة الرخاء والرفاهية وما نالته بغداد من الشهرة فى آفاق العالم الاسلامى على رغبة العلماء والطلاب فى الذهاب اليها وتلقى العلم بها وقد وصف لنا ابن جبير ما تركته هذه المدينة فى نفسه عند ذهابه اليها من أحاسيس وانعكاسات مبهجة لما فيها من الحياة الزاهرة بأنواع السرور والبهجة حتى اشتهرت فى آفاق العالم الاسلامى بذلك وأصبح اسمها علما على البهجة والأناقة والانس ومن اهم من اقاموا فيها دروس الأدب أبو منصور الجواليقى المتوفى ٥٣٩ هـ وشيخه التبريزى ودرس بها على بن ابى زيد القصبى وابن الجوزى(٧٠) .

ان المدارس الاسلامية — على ما اعتقد — كان هدفها واحدا هو العناية بالمواضيع الدينية اساسا ثم الاهتمام بالدراسات الأدبية والعلمية ، ان هذه المدارس ساعدت على اشاعة العلم والمعرفة بين الناس عامة وربط المسلمين برباط الثقافة ، وان اتاحة الفرصة للمسلمين القبول فى اى مدرسة فى بغداد والبصرة والقاهرة وتونس والرباط واصبهان كان له الأثر المحمود فى توحيد الفكر الاسلامى وزيادة الترابط الانسانى مما يساعد على اتاحة الفرصة للعراقى والسورى والمصرى

---

(٦٨) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١٠ ص ٧٢ .

(٦٩) العماد الأصفهانى . الامام عماد الدين محمد بن محمد بن حامد : (**تاريخ دولة آل سلجوق**) .
(طبعة ١ مطبعة دار التأليف — مصر — القاهرة ١٣٧٢ هـ) ص ٥٤ .

(٧٠) ياقوت الحموى . معجم الأدباء جـ ٥ ص ٢٣٩ .

والفارسي والتركي أن ينعارفوا وأن تتماس العقول وتحتك الافكار وتنصهر جميعها فى بوتقة العام لتبرز افكارا مدروسة وآراء مجددية فى حقول الادب والعلم(٧١) .

وهذا على ما اعتقد من أبرز ما قدمته تلك المدارس فى ذلك العصر من خدمة للانسانية ولتراثها الخالد . كما ساعد ذلك اللقاء بين شعوب البلدان المختلفة ، فى تعرفهم على عادات ، وتقاليد بعضهم البعض وانتشار اللغة العربية التى اصبحت لغة الدراسة والثقافة والعلم . مما أدى الى الاهتمام بهذه اللغة وتطويرها وازدهارها . ويرجع انتشار تلك الثقافات فى البلاد الى المدارس والترجمات وتشجيع الخلفاء ونشرهم لها . فمدارس جنديسابور والرها ونصيبين وحران كانت تنشر الثقافة اليونانية ومدرستا الرها ونصيبين كانتا تزخران بالفلسفة اليونانية والتعليم المسيحية فكان فى حران جماعة وثنية تسمى الصابئة نبغت فى الدراسات اليونانية من علمية وأدبية ، أما جنديسابور فقد أسس النساطرة فيها مركزا مهما للثقافة اليونانية ، ونالت شهرة فائقة فى الطب . وكانت هذه المدارس كلها منارات اشعاع فى جميع العالم العربى والاسلامى(٧٢) .

ان المدارس العراقية قامت بأداء رسالتها العلمية والتعليمية وقدمت خدمات جليلة فى نهضة العلوم الدينية كالتفسير والحديث والفقه والفرائض والعلوم العربية كاللغة والنحو والصرف والعروض والآداب والعلوم الرياضية والعقلية كالمنطق وعلم الكلام والاصول والعلوم الطبيعية كالطب والصيدلة وعلم الحيوان ، وأصبحت لتلك المدارس شخصية بارزة فى عالم الثقافة وفى تربية النشء واعدادهم لحياة أفضل(٧٣) . كما أن تلك المدارس كانت مراكز للتطور الفكرى فظهرت المؤلفات والتصانيف فى شتى مواضيع الفكر والمعرفة مما أدى الى تطوير الآداب والعلوم وازدهارها ، فكانت تلك المدارس بحق مصادر الاشعاع الفكرى ومنبع الثقافة الانسانية فى العصور الوسطى الاسلامية حيث انتشر طلابها مشرقا ومغربا ونقلوا تراث بغداد والمدن العراقية الأخرى كما أصبحت تآليف أساتذة المدارس العراقية المعين الذى يغترف منه المتعلمون فى جميع انحاء العالم مراكز لالتقاء العلماء والأدباء وأمكنة البحث والتأليف كل ذلك بلا شك ساعد على تطوير العلوم والآداب ، وعمل على ازدهارها خدمة للعلم والثقافة والانسانية .

(٧١) د. حسين أمين : نشأة الحركة العلمية فى العراق عـ ٦ ص ١٠ .

(٧٢) حنا الفاخورى : (**الجاحظ**) . (دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٥٨ م) ص ١٤ .

(٧٣) د. حسن أمين : نشأة الحركة العلمية فى العراق ، عـ ٤ ص ١٨ ، ١٩ .

كانت المدارس العراقية أمكنة صالحة للعلم والتعليم ، وقد عنيت تلك المدارس فى تدريس العلوم والآداب وتربية المواطنين تربية صالحة واعدادهم الاعداد الذى يليق والمجتمع الاسلامى . وقد عنيت المدارس العراقية بالاختصاص فقد كان لكل موضوع مدرسه المختص وكان هذا واضحا كل الوضوح فى المدرسة النظامية والمستنصرية ؛ فعندما توفى أبو زكريا التبريزى أستاذ الأدب فى النظامية أصبح على ابن محمد الفصيحى صاحب ذلك الكرسى(74) لاشتهاره بالأدب .

وكان مجال المناقشة مفتوحا أمام الطلاب ، وكانت للمناقشة بين الأساتذة وطلابهم آداب خاصة تكفل للأستاذ وقاره وهيبته ومكانته ، كما تحقق للطالب طريق الفهم والتعليم ، ذلك أن طالب العلم لا ينال العلم ولا ينتفع به الا بتعظيم العلم وأهله وتعظيم الأستاذ وتوقيره . وكان الاستاذ هو الذى يضع برنامج التدريس وهو الذى يختار المادة العلمية التى يلقيها على طلابه . وكانت الدراسة حرة أى أن الطالب هو الذى يختار الاساتذة الذين يرغب فى مصاحبتهم وحضور دروسهم .

وارتقت المدارس العراقية فى سلم درجات التدريس مرتبة المعيد ووظيفته أن يساعد المدرس أو الشيخ ويوضح ما يصعب على الطلبة من أمور فى مادة الدرس . وهذا ما كانت تشترطه المدرسة المستنصرية أن يكون لكل طائفة من المذاهب الأربعة مدرس وأربعة معيدين وأن يكون بالمدرسة طبيب حاذق يشغل عشرة أنفس يعلمهم الطب(75) .

أن كثرة المدارس والانفاق عليها بسخاء وميل الناس وخاصة الأثرياء الى بناء مدارس جديدة أو وقف دورهم وقصورهم لتكون مدارس كل هذا يدل على نهضة ثقافية ووعى علمى لا شك فيه .

ويظهر الصراع المذهبى واضحا فى تأسيس المدارس وفى الدراسة والتدريس بها فلكل مذهب طريقته التى يحاول عن طريقها نشر تعاليمه وتشجيع كبار العلماء على اعتناقها ليستطيعوا التدريس فى مدارس المذهب الخاصة ، فقد كانت المدارس النظامية وفيها نظامية بغداد من أسباب انتشار المذهب الشافعى لأن كل طالب لا يقبل فيها الا اذا كان شافعيا وكذلك المدرسون(76) .

---

(74) الاربلى ، عبد الرحمن سنبط بن ابراهيم بن قنيتو : (**خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك**) تحقيق مكى السيد جاسم (مكتبة المثنى - بغداد - العراق ط 2 ، 1964 م) ص 212 .

(75) الزرنوجى ، برهان الاسلام : (**تعلم المتعلم طريق التعلم**) (القاهرة 1948 م) ص 18 .

(76) د. حسين أمين : تاريخ العراق فى العصر السلجوقى ص 223 ، 224 .

قال أبو البقاء العكبرى : وكان حنبلى المذهب ، جاء الى جماعة من الشافعية ، فقالوا : انتقل الى مذهبنا ونعطيك تدريس النحو واللغة والنظامية فأقسمت وقلت لو أقمتمونى وصببتم على الذهب حتى ارتوى ما رجعت عن مذهبى(٧٧) .

قال المقريزى : « والمدارس مما حدث فى الاسلام ولم تكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين وانما حدث عملها بعد الأربعمائة من سنى الهجرة »(٧٨) . ولا شك أن المقريزى يعنى بالمدارس هنا مؤسسات تعليمية خاصة توقف لها الأوقاف والأموال ، وتجرى على نظم معينة كالنظامية فى بغداد ، ودار العلم والازهر فى مصر ، والا فان التعليم سابق للدولة العباسية ، ولكنه لم ينتظم الا بعد القرن الرابع الهجرى . وأهم مراكز التعليم فى العصر العباسى : بغداد ودمشق ومصر والكوفة والبصرة وقرطبة والقدس ويليها حلب وطرابلس مدائن كثيرة من أمصار مختلفة(٧٩) .

واهتم العلماء فى مختلف أنحاء الدولة الاسلامية بالرحيل الى المدن الكبرى للاتصال بالعلماء المشهورين للاستفادة من علمهم وفضلهم ، والسبب فى ذلك أن الناس يأخذون معارفهم تارة علما وتعليما والقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ، وهذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية ، فالرحلة لابد منها فى طلب العلم واكتساب الفوائد(٨٠) .

قال صلى الله عليه وسلم : « من سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا الى الجنة »(٨١) وقوله صلى الله عليه وسلم : « من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة »(٨٢) .

لقد جرت العادة أن تنسب المدرسة الى منشئها وهو الغالب او الى مدرسها اذا كان مشهورا جدا أو الى العالم الذى تنشأ له أو الى الموضع الذى

---

(٧٧) ابن رجب ، زين الدين ابن الفرج عبد الرحمن شهاب : (**ذيل طبقات الحنابلة**) . (مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ/١٩٥٢ م) ج ٢ ص ١١١ .

(٧٨) المقريزى : الخطط ج ٤ ص ١٩٢ .

(٧٩) Khaleil Tutah : Th Contribut:on of the Arabs to **Education)** p. 23, London.

(٨٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤١ .

(٨١) البخارى : صحيح البخارى ج ١ ص ٤٥ .

(٨٢) الغزالى : احياء علوم الدين ج ١ ص ١٩ .

أقيمت فيه ، ولابد لنا أن نذكر نبذة موجزة عن أحوال المدارس العباسية(٨٣) منذ أن تأسست بغداد حتى نهاية القرن السابع الهجرى . ومما يلاحظ فى مواقع هذه المدارس أن كثيرا منها كان على ضفة دجلة أو على مقربة منها ومن هذه المدارس :

١ — مدرسة أبى حنيفة أو المدرسة الشرقية بباب الطاق وقد يطلق عليها (مدرسة الحنفيين بباب الطاق) أنشأها شرف الملك أبو سعد محمد بن منصور العميد الخوارزمى مستوفى المملكة بالسلطان ألب ارسلان السلجوقى سنة ٤٩٥ هـ/ ١٠٦٦ م عند مشهد أبى حنيفة . وقال الصفدى فى ترجمة أبى طالب الزينبى الملقب نور الهدى المتوفى ٥١٢ هـ : « ودرس بالشرقية التى انشأها شرف الملك بباب الطاق » ... وانتهت اليه رياسة أصحاب الرأى ببغداد . وقد اشتهر عدد كبير من مدرسيها وخزان مكتبتها وكان لا يخرج من خزائنها شىء الا الى ذى أمانة نستظهرا بالرهن عن ذلك(٨٤) .

٢ — مدرسة (تركان خاتون) زوجة السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقى بنتها للحنفية بالجانب الشرقى .

٣ — المدرسة التاجية(٨٥) نسبة الى تاج الملك أبى الغنائم المرزبان ابن خسرو مستوفى ملك شاه السلجوقى بناه للشافعيين بباب أبرز ببغداد الشرقية سنة ٤٨٢ هـ ومن أشهر مدرسيها فخر الاسلام أبو بكر الشاشى صاحب المدرسة المعروفة باسمه أحد كبار مدرسى النظامية ببغداد ، وسراج الدين النهرقلى أقضى القضاة(٨٦) .

٤ — المدرسة الفخرية(٨٧) : أو دار الذهب أو مدرسة فخر الدولة بعقد المصطلح فى المأمونية بالجانب الشرقى من بغداد وهى للشافعية بناها الوزير فخر الدولة أبو المظفر الحسن بن عبد الله بن على أبى المطلب الكرمانى البغدادى المتوفى ٥٧٨ هـ . وقد بناها لأبى القاسم يحيى بن فضلان الشافعى ودرس فيها

---

(٨٣) د. مصطفى جواد : (**بحث ممتع فى مدارس بغداد**) . مجلة الأستاذ ، بغداد — العراق ع ٥ ، ٦ (٩٥٨ م/١٩٥٦ م) ص ١١٠ ، ١١٩ ص ٨٦ ، ١١٣ .

(٨٤) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١١٧ . ١١٨ .

(٨٥) ابن الجوزى : المنتظم : جـ ٩ ص ٣٨ . ٢٦٠ .

(٨٦) المصدر نفسه جـ ١٠ ص ٣٨ ، ٤٨٠ .

(٨٧) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٦٣ .

هـو وابنه من بعده أبو عبد الله محمد بن يحيى أول مدرس للمذهب الشافعى بالمدرسة المستنصرية . ومن مدرسيها أيضا مجد الدين أبو طاهر على بن محمد الواسطى البغدادى الفقيه . وممن سكن « دار الذهب » أبو المعالى القاسم بن أبى الحديد المدائنى وقد تولى الاعادة بها قيما بفن العربية والفقه والجدل والأصول والخلافة والحكمة والطب(٨٩) .

٥ — مدرسة درب القيار(٩٠) : أو « مدرسة الحرانى » بدرب القيار شرقى بغداد بـ « مدرسة ابن بكروسى » وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن بكروسى الحمامى الحنبلى . بناها للحنابلة وكانت تجاور منزله . وكانت ولادته سنة اثنين وخمسمائة ووفاته فى سنة ٥٧٣ هـ ودفن بمقبرة الامام أحمد بن حنبل . وكان قد تزهد واعتزل الناس . وتردد الناس اليه فأقرأ جماعة وتفقه به جماعة .

٦ — « مدرسة زمرد خاتون » زوجة الخليفة المستضىء بالله وام الخليفة الناصر لدين الله . وتعرف « بمدرسة الأصحاب » أى أصحاب الشافعى . وتسمى « مدرسة أم الخليفة » وسميت « بالمدرسة الغربية » لوقوعها فى الجانب الغربى فى بغداد وتوصف بـ « الميمونة » بنتها زمرد خاتون للشافعية بالجانب الغربى عند مشهد معروف الكرخى بجوار تربتها . ويظهر أنها بقيت الى عهد سليمان باشا الكبير والى بغداد . وكانت زمرد خاتون من أرغب النساء فى فعل الخير ، واكثرهن له فعلا ولها بر وأفضال فضلت به أمثالها فى الصدقات الجارية وعمارة المساجد والمشاهد والأربطة والمدارس وغير ذلك مما لاخفاء له عن نظر متأمل . عمرت التربة قبر معروف الكرخى والمدرسة الى جانبها ووقفت عليها الأوقاف وكان افتتاح المدرسة فى سنة ٥٨٩ هـ ووفاة مؤسستها(٩١) سنة ٥٩٩ هـ .

٧ — المدرسة الثقتية(٩٢) : أو مدرسة ثقة الدولة بناها لأصحاب الشافعى وكيل الخليفة المقتفى لأمر الله أبو الحسن على بن محمد الانبارى الدرينى

---

(٨٩) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١١٨ .

(٩٠) الحنبلى ، ابن العماد أبو الفلاح عبد الحى الحنبلى : (**شذرات الذهب فى أخبار من ذهب**) . (القاهرة ١٣٥٠ هـ) ج ٤ ص ٢٤٤ .

(٩١) ابن الساعى ، أبو طالب على بن أنجب تاج الدين الملقب بابن الساعى : (**الجامع المختصر فى عيون التواريخ وعيون السير**) تحقيق د. مصطفى جواد (المطبعة السريانية الكاثوليكية — بغداد ١٩٣٤ م) ج ٩ ص ١٨٨ ، ٢١٧ .

(٩٢) ابن الفوطى . تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب ج ٤ ص ٢٧٣ ، ٣٣٩ .

الملقب ثقـــة الدولة المتوفى سنة ٥٤٩ هـ على دجلة تحت راية الخلافة فى باب الأزج بالجانب الشرقى . وكان ثقـــة الدولة أول أمره حـــدادا فقـــدمه المقتفى وقربه وهو زوج الكاتبة العالمـــة شهده بنت أحمد بن الأبرى المتوفاة سنة ٥٧٤ هـ . وقـــد دفنت ببـــاب أبرز قرب المدرسة التاجية وممن درس فيها يعيش بن صـــدقة المتوفى ســـنة ٥٩٣ هـ وكان اماما فى الفقه(٩٤) . وكان أجل الشافعية فى زمانه . وعز الدين بن عمر الطيارى التسترى وشرف الدين يوسف بن بندار الدمشقى المتوفى سنة ٥٦٣ هـ وهو الذى بنى له ثقة الدولة المدرسة الثقتية المنوه بها . وعفيف الدين الزبيدى الواسطى وكمال الدين أبو المظفر عبد الودود الواسطى البغـــدادى . وكيـــل الخليفـــة ، وموفـــق الدين أبو النصر أحمد بن أسفندنار بن عبد الرحمن البغـــدادى النقيـــه المؤدب المتوفى ســـنة ٦٨٥ هـ ومحى الدين أبو المكارم منصور بن الحسن الزنجـــانى وقـــد تولى التدريس بها سنة ٥٩٣ هـ وممن سكن بهـــذه المدرسة محمود الزنجانى وقـــد أعاد بها الدرس لكمال الدين عبد الودود(٩٤) .

٨ ـــ مدرســـة بنفشه(٩٥) وتسمى « المدرسة الشاطئية » بنتها بنفشه زوجة الخليفة المستضىء بالله للحنابلة ببـــاب الأزج بالجانب الشرقى فى بغـــداد ســـنة ٥٧٠ هـ ويذكر ابن الزوجى أنها كانت دارا لنظام الدين أبى نصر بن جهير وكانت وصلت ملكيتها الى الجهة بنقشه فجعلتها مدرسة وسلمتها الى أبى جعفر ابن الصـــباغ وبعـــد أيام سلمتها لابن الجـــوزى فذكر فيها الدروس وحضر قاضى القضـــــاة وحاجب البـــاب وفقهاء بغـــداد .

٩ ـــ المدرســـة الموفقية(٩٦) : وهى مدرسة للحنفية بنتها بنت السلطان ملك شـــاه السلجوقى وزوجـــة الخليفة المستظهر بالله ببغـــداد الشرقية بدرب « زاخا » على نهـــر دجـــلة .

قال ابن الجـــوزى يذكر قتالا جرى سنة ٥٤٣ هـ ببغـــداد فى نهر دجلة بين الأتراك وجيش الخليفة : « وكان القتال تحت مدرسة موفـــق » ولعلهـــا هى مدرسة

(٩٣) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١٢٠ .

(٩٤) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١٢٠ .

(٩٥) الغسانى : **العسجد المسبوك الورقة ١٩٣ ـــ أ ، مخطوط .**

(٩٦) ابن الجـوزى : المنتظم ج ٩ ص ٢٢٧ ، جـ ١٠ ص ٩ ، ١٣٢ .

الخاتون المستظهرية التى ذكرتها بعض المصادر التاريخية . وقد نسبت الى مملوكها الموفق بن عبد الله الخاتونى الذى دفن بالمدرسة وذكر ابن الساعى أن موفق الخادم هو واقفها . ومن مدرسيها علم الدين أبو زكريا بن محرز البغدادى ، ومجد الدين ابن اللمغانى مدرس مشهد أبى حنيفة .

١٠ – مدرسة زبرك « او مدرسة سوق العميد » وهى مدرسة الحنفية بالجانب الشرقى وهى مدرسة للحنابلة انشاها ابو حكيم ابراهيم بن دينار العميد كانت مما يلى جامع المرادية حيث كانت تقع مدرسة زبرك(٩٨) وممن تولى التدريس فيها محمد بن احمد بن عبد الجبار أبى المظفر الحنفى من أهل سمنان ، ويعرف بالشطب المتوفى سنة ٥٧٣ هـ وقال عنه الصفدى : دخل بغداد واستوطنها وولى تدريس مدرسة زبرك بسوق العميد .

١١ – مدرسة ابن دينار(٩٩) النهروانى الحنبلى الحسنى الفقيه بباب الأزج بالجانب الشرقى وهى مدرسة للحنابلة انشأها أبو حكيم ابراهيم بن دينار النهروانى البغدادى الملقب بالقدوة وكان يقيم بها . ولد فى سنة ٤٨٠ هـ وتوفى سنة ٥٥٦ هـ ودفن قريبا من بشر الحافى وكان يخيط للناس الثياب وكان عالما بالمذهب والخلاف والفرائض حسن المعرفة بالفقه والمناظرة وكان يضرب به المثل فى التواضع . قرأ عليه خلق كثير وتخرجوا به .

١٢ – مدرسة ابى سعد المخزومى(١٠٠) : بباب الأزج بالجانب الشرقى بناها سعد المبارك بن على بن الحسين وهى مدرسة الشيخ عبد القادر الجيلى . وتعرف بالقادرية وبمدرسة الجيلى أو مدرسة ابن الخزمى وكانت للحنابلة .

١٣ – المدرسة التتشية(١٠١) : أو مدرسة خمارتكين التتشى المتوفى سنة ٥٠٨ هـ بناها نجم الدولة خمارتكين بمشرعة درب دينار بالجانب الشرقى من بغداد وكانت للحنفية . وهذا خمارتكين هو خادم الملك تتش بن ألب أرسلان يقال له

---

(٩٧) ابن الفوطى : تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب جـ ٤ ص ٥٢١ .

(٩٨) الصفدى ، صلاح الدين خليل بن ايبك : (**الوافى بالوفيات**) (استانبول ١٩٣١ م) ص ١٥٦ .

(٩٩) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ٥ ص ٣٢٧ .

(١٠٠) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ص ٨٧ .

(١٠١) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٢٦ .

داوود السلجوقي . ومن مدرسي « المدرسة التتشية » علم الدين ابو زكريا بن محرز البغدادي ، ويذكر ابن الجوزي من مدرسيها يوسف الدمشقي وابن الشاشي .

١٤ — مدرسة ابن الأبرادي(١٠٢) : وهي مدرسة لاصحاب أحمد بن حنبل بالجانب الشرقي كانت في الأصل دارا بالبلدية لمحمد بن أحمد بن علي ابن الابرادي الفقيه الزاهد المعروف بابن الأبرادي الذي توفي في ٢٢ شهر رمضان سنة ٥٣١ هـ ودفن بباب أبرز .

١٥ — مدرسة سعادة(١٠٣) : وهي من المدارس المشتركة بين الحنفية والشافعية أنشأها بالجانب الشرقي الأمير عز الدين أبو الحسن سعادة الرسائلي الذي وصف بأنه كان يفصح بأكثر اللغات . وكانت وفاته سنة ٥١٠ هـ ودفن في جوار الامام أبي حنيفة . ومما ذكره ابن الجوزي(١٠٤) أنه كان في مدرسة سعادة منارة ، ومن مدرسيها فخر الدين الآمدي الصوفي أحد المعيدين بالمستنصرية وكان مدرسا للنحو فيها والقاضي بدر الدين علي بن محمد ملاق الرقي المحتسب بجانبي بغداد .

١٦ — المدرسة الكمالية(١٠٥) : أو مدرسة ابن طلحة نسبة الى كمال الدين أبي الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الشافعي المتوفى ٥٥٦ هـ . ويعرف بابن بقشلان وأصله من الري . وكان أحد الأماثل الأعيان ولاه المسترشد حجابة باب النوبي في أواخر سنة ٥١٢ هـ وجعله صاحب مخزنه في سنة ٥١٤ هـ ولم تزل حاله عنده عالية مدة خلافته وكذلك من بعده في أيام المقتفي لأمر الله الى أن حج واستعفى من الخدمة سنة سبع أو ست وثلاثين وخمسمائة وانقطع في بيته نحوا من عشرين سنة ، وكان محترما في زمان عزله يغشاه أرباب الدولة وغيرهم . وبنى مدرسة للفقهاء الشافعية مجاورة لداره بباب العامة ووقف عليها ثلث أملاكه ، ورتب فيها « ابن الخل » مدرسا فيها ولذلك تسمى « مدرسة بن الخل » أحيانا . كما تعرف بمدرسة ابن طلحة . ولما توفي دفن بتربة له في الحربية مقابلة لتربة أبي الحسن القزويني . ويظهر أن ابن عمر ابن الشمحل كان متزوجا من ابنته .

(١٠٢) ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ج ٤ ص ٩٦ .

(١٠٣) ابن الفوطي : الحوادث الجامعة ج ٤ ص ٣٨٥ .

(١٠٤) ابن الجوزي : المنتظم ج ١٠ ص ١٠٨ .

(١٠٥) الكتبي ، ابن شاكر محمد : (فوات الوفيات) . تحقيق د. احسان عباس (دار صادر — بيروت — لبنان — بدون) ج ٢ ص ٤٠ .

١٧ — المدرسة الغياثية(١٠٦) : نسبة الى الملك غياث الدين مسعود بن محمد ابن ملك شاه السلجوقى وقد تسمى « المغيثية » التى تنسب الى أخيه مغيث الدين محمود بن محمد ملك شاه السلجوقى . والغياثية مدرسة للحنفية ملحقة بالجانب الشرقى من بغداد وقد ذكرت فى التراجم بالنسبة الى الاخوين غياث الدين ومغيث الدين . فقد ذكر ابن الدبيثى الغياثية فى ترجمة أبى الفضل الضرير الحنفى المتوفى سنة ٥٤٦ هـ هو المعروف بزين الأئمة وقال : درس بالمدرسة الغياثية مدة . كما ذكر الذهبى من مدرسيها : المبارك بن نصر الحنفى ابن الذنى المتوفى سنة ٥٢٨ هـ وذكر ابن الفوطى من مدرسيها مجد الدين مسعود بن الحسين اليزدى المتوفى بالموصل سنة ٥٧١ هـ .

١٨ — المدرسة المغيثية(١٠٧) : ذكرها ابن الفوطى فى ترجمة فخر الاسلام النوجاباذى مدرس المغيثية وقال عنه : قدم مع والده ظهير الدين النوجاباذى عندما استدعى لتدريس الحنفية بالمستنصرية وكان تدريسه بالمغيثية سنة ٦٧٧ هـ وجاء فى الحوادث الجامعة ذكر محى الدين بن المحيا الحنفى مدرس المغيثية سنة ٦٧٣ هـ من مدرسيها أبو الخير مسعود بن الحسن اليزدى الحنفى ومنتخب الدين أبو الفضل المعروف بابن الصيرفى المتوفى سنة ٥٩٦ هـ . وحضر مغيث الدين الى حضرة المسترشد بالله وخلع عليه ومدحه ، واليه تنسب المدرسة المغيثية ببغداد .

١٩ — المدرسة الأسبابذية(١٠٨) : بالجانب الشرقى بين الدربين وذكرها ابن الدبيثى بالأصفهيذية ، وذكرها ابن الساعى وقال عنها : انها سلمت فى سنة ٦٠٤ هـ الى عماد الدين أبى بكر السلامى المعروف بابن الحبير بعد أن انتقل من مذهب أحمد ابن حنبل الى مذهب الشافعى . وفى العسجد المسبوك : ان أبا معشر الهمذانى كان مدرس « مدرسة بين الدربين » وكان شيخا خيرا فاضلا متواضعا .

٢٠ — المدرسة البهائية(١٠٩) : وهى من المدارس الشافعية ، بنيت فى الجانب الشرقى من بغداد ، وكانت على دجلة قريبة من النظامية ومن مدرسيها : علم الدين ابو الخير داوود الجيلى المدرس ، ومحمد أبو حامد البردى الشافعى . قال ابن

---

(١٠٦) ابن الفوطى : الحوادث الجامعة ج ٤ ص ٣٨٥ والتلخيص ج ٥ ص ٣٦٠ .

(١٠٧) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

(١٠٨) محمد بن سعيد بن الدبيثى : (**المختصر المحتاج اليه**) تحقيق د. مصطفى جواد (مطبعة دار الدهان — بغداد ١٣٧١ هـ/١٩٥١ م) ج ١ ص ١٦٢ وابن الساعى : الجامع المختصر ج ٩ ص ٢١٩ .

(١٠٩) ابن الجوزى المنتظم ج ١٠ ص ٢٣٤ .

الجـوزى : « ... واخـذت مدرسة كانت للحنفية وقـد كانت قـديما للشافعية وهى بالموضع الأسمى ببـاب المدرسة على الشط . وقـد حضرت فيهـا مناظرة يوسف الدمشقى وبيـده كانت وآل أمرها الى أن سلمت الى محمد البردى مدرس فيها وحضر قاضى القضاة وشيخ الشيوخ وصاحب البـاب ومدرس النظامية وابن سـديد الدولة كاتب الانشاء » .

٢١ ـ المدرسـة النجيبية(١١٠) : أو مدرسـة أبى النجيب السهروردى بالجانب الشرقى وهـو عبد القاهر بن عبد الله البكرى الصـديقى الشافعى من أشهر أعيان المسلمين ولد سنة ٤٩٠ هـ بسهرورد وتوفى ببغـداد سنة ٥٦٣ هـ ودفن بمدرسـة ولا يزال قبره ظاهرا هنـاك . قال ابن الجوزى عنه : « وكان ممن تفقـه ودرس بالنظامية وبنى لنفسه مدرسة ورباطا ووعظ مدة وكان متصوفا »(١١١) .

٢٢ ـ مدرسـة الشاشى(١١٢) : بناها للشافعى فخر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن عمر الشاشى الأصـل الفارقى المولد البغـدادى . ولـد بميافارقين فى المحرم سنة ٤٢٧ هـ . وقدم بغـداد ولزم الشيخ أبا اسحاق الشيرازى وتفقه على أبى نصر ابن الصـباغ وانتهت اليه رئاسة الشافعية . وتولى التدريس بالنظامية ببغـداد من سنة ٥٠٤ هـ وحتى وفاته سنة ٥٠٧ هـ .

٢٣ ـ مدرسـة أبى شجاع(١١٣) : وكانت مدرسة للحنابلة بناها ببـاب الأزج عند باب كلواذا ودفن فيها . ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء ، وسبل الخير وكانت وفاته سـنة ٥٢٠ هـ .

٢٤ ـ المدرسـة القيصرية(١١٤) : وكانت على مقربة من رباط الشيخ أبى النجيب السهروردى وهى احـدى مدارس الجانب الشرقى أقام بها فخـر الدين النوقانى عندما قـدم الى بغـداد ودرس فيهـا من سـنة ٥٨٩ هـ وحتى وفـاته سـنة ٥٩٢ هـ .

---

(١١٠) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ١٢٧ .

(١١١) ابن الجـوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٢٥ .

(١١٢) المصـدر نفسـه جـ ٩ ص ١٧٩ .

(١١٣) المصـدر نفسـه جـ ٩ ص ٢٦٢ .

(١١٤) ابن الجـوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٤٥ .

٢٥ ــ مدرســـة ابن الجوزى[١١٥] : أبى الفرج عبد الرحمن بن على المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وهـــو مؤلف عـــدد كبير من الكتب منها : المنتظم فى تاريخ الملـــوك والأمم . وكانت هـــذه المدرسة بالجانب الشرقى بدرب دينار . وجاء فى حـــوادث سنة ٥٧٠ هـ أن ابن الجـــوزى ابتدأ بالقـــاء الدروس فى مدرسته بدرب دينار فذكر يومئذ أربعـــة عشر درسا من فنـــون العـــلوم . ومن مدرسيها الشيخ أبو محمـــد عبد اللطيف بن سليمان الخياط .

٢٦ ــ المدرســـة المستنصرية : وفى سنة ٦٣١ هـ ببغـــداد افتتحت المدرســـة المستنصرية تلك المدرسة التى شيدها الخليفة المستنصر بالله العباسى وجعلها موقوفة على المذاهب الأربعة وصار لكل مذهب من المذاهب السنية ركن خاص وله مدرسون وطلبة ، كما درست علوم الطب والأدوية فى هـــذه المدرسة العظيمة[١١٦] .

وقـــد جعل المستنصر لمدرسته هـــذه ميزة أخرى على المدارس الاسلامية وذلك أنه شرط أن يضـــاف الى مدرستيه الفقـــه والطب كما يذكر ابن الســـاعى دارين آخريين لعلمين مهمين من علوم الشريعة والاسلام أولهما دار القرآن والثانيـــة دار الســـــنة[١١٧] .

وظـــل التدريس بالمستنصرية قائما أربعة قرون منذ افتتاحها سنة ٦٣١ هـ الى سنة ١٠٤٨ هـ عـــدا فترتين من الزمن الأولى قصيرة جـــدا وكانت أثناء الاحتـــلال المغـــولى لبغـــداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م حيث تعطلت المدارس والربط والمساجد كما يقول ابن الفـــوطى والثانية طـــويلة جـــدا وتبـــدأ من احتلال الجيوش اللنكية لبغـــداد بقيـــادة تيمورلنـــك .

وكان يدرس بها علوم القرآن والسنة النبوية وعلم الطب والعربية والرياضيات والفرائض وكلها فى مكان واحـــد يتألف من مبان عـــديدة ، أو متجاورة . ولم تكن المدارس قبل المستنصرية كذلك فقـــد كانت مدارس الطب تبنى مستقلة عن مدارس الفقه أو دور الحـــديث أو دور القرآن ، كالبيمارستان العضدى بالجانب الغربى من

---

(١١٥) المصـدر نفسـه ص ٢٥٠ .

(١١٦) د. حسين أمين : (**كتاب المستنصرية**) . مجلة المؤرخ العربى ــ بغـداد ــ العراق عـ ١٤ (١٩٨٠ م) ص ٢١ .

(١١٧) د. ناجى معروف : (**تاريخ علمـاء المستنصرية**) . (مطبعة جامعـــة بغـداد ــ العـراق ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م) جـ ٢ ص ٢٥ .

بغـداد ومدرسـة الطب التى أنشأها أبو المظفر باتكين بالبصرة سنة ٦٢٩ هـ فى خلافـة المستنصر ومدارس الطب فى دمشق(١١٨) .

وقـد أجمع المؤرخـون على أن المستنصر رتب فى المستنصرية خزانة كتب من الكتب النفيسة فى أنواع العلوم المختلفة شىء كثير جـدا ... وجـد برسم من يطالع ويستنسخ من الفقهاء ، ورتب لهم فيها الورق والكتابة عمن يريد النسخ(١١٩) .

وممـا يدل على عناية المستنصر بالعلوم والكتب العلمية وميله لاقتنائها وخزنها فى دور الكتب التى فى المدارس ما ذكره الصـفدى قال : « وبيعت كتب العلم فى أيامه بأغلى الأثمان لميله الى اقتنائها وروعى فى تحصيلها . وانكبابه على مطالعتها وحسن خطوطها . ووقفها على اهـل الفضل وخزنها فى المدارس وصنف الفضلاء فى دولته . يدافـع المصنف فى فنـون العلم وتقربوا باهـدائها اليه »(١٢٠) .

٢٧ ــ المدرسـة البشيرية : وفى بغـداد شرعت زوجـة المعتصم المعروف بباب بشير سنة ٦٤٩ هـ/١٢٥١ م ببناء المدرسة البشيرية بالجانب الغربى من بغداد فجعلتها وقفـا على المذاهب الأربعـة على قاعـدة المدرسة المستنصرية وافتتحت فى سنة ٦٥٣ هـ وعـدت المستنصرية قـدوة لمؤسسى المدارس من الرجال والنساء فى العراق ومصر والشام والحجـاز حيث شرعوا يبنون مدارسهم على صفتها من حيث الدراسة على المذاهب الأربعة(١٢١) . وحضر الخليفـة المستعصم واولاده فجلسوا فى وسطها . ومن مدرسيها سراج الدين النهرقلى أقضى القضاة وشرف الدين ابن عبـد الله بن الجـوزى ، ومحى الدين ابن الجـوزى ونور الدين الخـوارزمى الحنفى ، وعلم الدين الشارماحى ، وجمال الدين ابن العاقـولى ، وصـدر الدين محمد بن شيخ الاسلام . وصفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحـق ، وقاضى قضـاة سراج الدين الهنائسى ، وعلم الدين اسماعيل بن على النحـوى ، وشمس الدين الأصبهانى وعبد الرحمن ابن الكواز ، وتاج الدين عبد الرحيم بن يونس الموصـلى قاضى الجانب الغربى من بغـداد(١٢٢) .

---

(١١٨) ياقـوت الحمـوى :معجم الادباء جـ ١ ص ١٧٨ ، ٥٨ ، ٣٥٨ .

(١١٩) ابن قتيبة : (**عيـون الأخبـار**) الورقة ٢٣٩ ــ مخطوطة .

(١٢٠) الكتبى : (**الواق بالوفيـات**) جـ ٢٤ الورقة ١٢ من مخطوطه لنـدن .

(١٢١) د. ناجى معروف : (**تاريخ علماء المستنصريه**) . (طبعة جامعـة بغـداد ــ العـراق ١٣٨٤ هـ/١٩٦٥ م) جـ ١ ص ٣٠ .

(١٢٢) ابن الفـوطى : الحوادث الجامعة ص ٢٧٤ ، ٣٠٧ ، ٤٤٨ ، ٥٦٢ .

٢٨ — مدارس واسـط : لقـد زخرت واسـط فى خلافة العباسيين بعـدد كبير من المدارس ، ودور القـرآن والمقرئين والمدرسـين وعـدت من أهم المراكز لتدريس القرآن والقراءات المختلفة . وأصبحت المدن الكبرى والاقطـار الاسلامية لا تخلو من واسـطى يدرس فيها القرآن وعلومه . أو مؤلف فى القراءات . كما كثرت فيها الربط التى كانت تؤدى خـدمات ثقافية واجتماعية فى آن واحـد . وقـد وفـد الى مدارسها كثير من الطلاب لطلب العلم فيها . ولعـل من أشهرهم الفيروزابادى الصـديقى البكرى صاحب القاموس المحيط . فقـد وفـد اليها من بلاد فارس ، ورحـل بعـد ذلك الى بغـداد وغيرها[١٢٣] .

واشتهر من بين الأساتذة الكبار بواسـط : أبو بكر الباقلانى الذى قرأ القرآن بهـا . وقرأ عليه الأدب والنحو القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطى[١٢٤] ومن علمائها : عماد الدين القزوينى الأنصارى صاحب كتاب آثار البلاد وأخبار العباد وكتاب عجائب المخلوقات . وابن الدبيثى الواسطى المتوفى سنة ٦٣٧ هـ ، وأبو طالب الكتانى المتوفى سنة ٥٧٩ هـ وكان يتولى الحسبة بواسط هو وأبوه[١٢٥] .

والقاضى أبو تغلب الواسطى ، وابن أخيه محمـد بن الرشـيدى وكان نـاظر مارستان واسـط[١٢٦] . وأبو بكر الفاروقى ، والداعى الرشيدى والبدر عبد الجبار ابن المجـد محـدث واسـط وفقيهها ، وعبد الله بن عبد المؤمن التاجر الواسـطى الذى أقرأ الناس ببغـداد وواسـط والبصرة والبحرين ، والذى صنف كثيرا من كتب القراءات والمقرىء أبو العز القـلانسى وأبو الحسين بنان بن محمد بن حمدان الحمال ، ويزيد بن هارون وكان عالمـا عابدا مقرئا محـدثا ... الخ[١٢٧] .

ان ظهـور الحركة المدرسـية فى المشرق[١٢٨] فى عهـد الوزير نظـام الملك السلجوقى عامة وفى العراق خاصـة وما تبعها من تطـور لتلك الحركة وتوسـيع وتنظيم ، كان لـه الأثر الكبير فى انتقال تلك الفكرة الى الأقطار الاسلامية ولا سيما الى مصر والشام . ويجـد الباحث المدقق أن هناك الكثير من المدارس التى بنيت فى

---

(١٢٣) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ٢٦٤ .

(١٢٤) ياقـوت الحمـوى : معجم الأدباء ج ٥ ص ٢٥٩ .

(١٢٥) ابن الدبيثى : المختصر المحتاج اليه ج ١ ص ٩٤ ، ٩٥ .

(١٢٦) المصـدر نفسـه ج ١ ص ١١٠ .

(١٢٧) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ٢٦٤ .

القاهرة زمن السلطان صلاح الدين الأيوبى الذى سار على غرار سياسة نظام الملك السلجوقى فى نشر المدارس الاسلامية والعمل على تشجيع تشييدها .

ومما لا شك فيه أن المدارس التى نهضت فى بغداد وانتشرت انتشارا واسعا كانت تخدم فكرة نشر المذهب السنى والعمل على تقويته والدفاع عن أصحابه ، وان انتقال الفكرة المدرسية الى مصر أيام الحكم الفاطمى معناه العمل فى مصر على اضعاف الدولة الفاطمية الشيعية وفعلا عملت المدارس السنية وخاصة تلك التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى وعملها المؤثر البالغ فى اظهار المذاهب السنية . فلا غرو اذن أن الاتصال السياسى والاقتصادى والثقافى الذى كان يسود المنطقة الاسلامية وعلى الأخص العراق ومصر كان عاملا مهما فى نقل الفكرة المدرسية الى القاهرة وضعف وانزواء المذهب الشيعى الذى كان المنقذ والمسيطر على مصر بأسرها ، ولعل هذه من النتائج الكبيرة للعلاقات الثقافية التى كانت سائدة بين القاهرة وبغداد والتى كانت حصيلة نشر المدارس فى أرض الكنانة(١٢٩) .

وقد أدت الحركة العلمية التى يعتبر بيت الحكمة لولبها الى ازدياد طلب المعرفة من قبل فئات لا يستهان بها من الناس الأمر الذى أدى الى الاقبال على شراء الورق ، لذا أسست مصانع الورق فى عهد الرشيد فى بغداد(١٣٠) ثم انتشرت صناعته فى أنحاء البلاد العربية وقبل ذلك كان يكتب على ورق البردى أو على الرفوف من الجلود أو العظام أو أى شيء . ووجدت حوانيت الوراقين بكثرة وخاصة فى خلافة المأمون(١٣١) وكان ظهور الورق فاتحة لانتشار الثقافة العربية(١٣٢) .

---

(١٢٨) د. حسين أمين : كتاب المستنصرية ، مجلة المؤرخ العربى عـ ١٤ ص ٢٠ بغداد ـ العراق .

(١٢٩) د. حسين أمين : كتاب المستنصرية ، مجلة المؤرخ العربى ـ بغداد ـ العراق عـ ١٤ ص ٢١ ، ١٩٨٠ م .

(١٣٠) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٦٥ .

(١٣١) د. عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الأول جـ ١ ص ٣٥٨ .

(١٣٢) د. ناجى معروف : (أصالة الحضارة العربية) دار الثقافة ـ بيروت ـ لبنان ط ٣ ، ١٩٧٥ م) ص ٤٤١ .

ثالثا ــ أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية :

أضحى من المسلم به أن المكتبة برسالتها ، وهـدفها عـدت صورة حيـة صادقة للأمم وتقـدمها ، ومظهرا حضاريا بمـدى اهتمام الشعوب بالفكر ، وصيانة آثاره من العبث والضياع ، فضلا عن الدور الذى تؤديه لحفظ ما خلف السلف من كنوز المعرفة ، وثمار القرائح ونتاج العقل .

ففى العصر العباسى الأول انتشرت الكتابة ، وكثر التأليف ، واشتدت الحاجة الى معرفة ثقافـة الشعوب العريقة التى غلبت على أمرها ، وباتت الترجمة عمـلا منظما تشرف عليه الدولة وترعاه ، وأصبح النقلة شبه موظفين يختارون لهذا العمل بالنسبة لثقافاتهم ومعارفهم . ويعينهم الخليفة ويجرى عليهم المـال ، بمـا ساعد على انتشـار الكتب المنقولة عن اللغات ، واتساع حركة التأليف والتدوين والنسخ ، وانشاء المكتبات لتستوعب هـذه المجلدات الكبيرة وتعين على استمرار حركة الثقافة والمعرفـة(١٣٣) .

فالأمة التى لا تولى الكتاب والمكتبة كل عنايتها هى أمة متخلفة من العسير أن تتبـوأ مركزها فى موكب الحضارة ، وكل نهضة لا تقـوم على أساس من التخطيط المعتمد على الكتب والمكتبات كأداة فعالة وأساسية فى هذه النهضة يتهددها الفشل .

وفى خلافة العباسيين اختلف الأمر عمـا كان عليه فى صـدر الاسلام حيث اعتنى العرب فى العصر العباسى بفن التدوين ، ووضعت مسانيد الحـديث فألفت الكتب فى كل صقع واهتموا حينئذ بانشاء دور الكتب وهى عبارة عن خزانات عامة للكتب يخصص احـد جـوانبها لمطالعة الكتب ونسخها وتكون هـذه الدور موئلا للعلماء والباحثين يناقشـون فيها ويبحثون مختلف المواضيع وتقـوم تلك الدور أحيانا بصورة عرضية بمهمة تعليمية ولا سيما أن بعض روادها يقصـدونها من أماكن بعيـدة ويقيمون فيها مدة طـويلة ، وأن القائمين على تلك الخزانات يسهمون بنفقات أولئك الرواد ويمكن تصنيف خزانات الكتب التى ظهرت فى هـذه الفترة الى ثلاثة أصناف :

(أ) خزانات عامة : وهى خزانات الكتب الملحقة بالمدارس والمساجد والربط والبيمارستانات وكانت تعير الكتب للطلاب وأصبح لهـذه الخزانات نظام تسير عليه الادارة للاعارة والاستنساخ .

---

(١٣٣) عبد الله أنيس الطباع : (**علم المكتبات ــ الادارة والتنظيم**) . (دار الكتاب اللبنانى ــ بيروت ــ ط ١ ، ١٩٧٢ م) ص ٢٠٣ ، ٢٠٥ .

(ب) خزانات خاصة : وهى الخزانات الشخصية التى كانت فى بيوت الخلفاء والولاة والعلماء والأدباء والأثرياء من الناس .

(جـ) خزانات بين العامة والخاصة : وكان استعمالها مقتصرا على طبقة معينة من العلماء والطلاب ومن أشهر الخزانات فى ذلك العهد خزانة بيت الحكمة التى أنشاها الرشيد وازهرت كثيرا فى خلافة ابنه المأمون وقد حوت هذه الخزانة العديد من الكتب القيمة ، وكان فيها الى جانب الكتب العربية المخطوطات الفارسية والسريانية واليونانية وغيرها(١٣٤) .

وكانت هذه الكتب تعار مقابل رهن حافظ لقيمتها مما ساعد الطلاب على الاستفادة من هذه الكتب ، أما ادارة خزائن الكتب فكان يتولاها أحد العلماء المشهورين ويطلق عليه الخازن ويساعده فى ذلك المشرفون والمناولون وقد خصصت لهم الرواتب والجرايات .

وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت بغداد تجتذب الطلاب العديدين من مختلف الجهات ولم تكن الدراسة فى معاهد بغداد قاصرة على الناحية النظرية بل كانت هناك ايضا دراسات عملية تعالج أهم النظريات فى الكيمياء والطب والهندسة ، ولعل احصائية القرن العاشر فى عصر المقتدر بالله تبين لنا عدد الأطباء الذين كانوا يمارسون المهنة بعد حصولهم على شهادات رسمية فى الدراسات الطبية قد وصل ٨٦٠ طبيبا . وبجانب هذا العدد الكبير كان يوجد أكثر من ٢٠٠ طبيب يمارسون العمل بدون شهادات وذلك بسبب خبرتهم الطويلة وبسبب أنهم كانوا أطباء فى قصور الخلفاء . وقبل عمل هذه الاحصائية بقليل كان عدد الأطباء المسلمين فقط الذين يعملون فى قصر الخليفة المتوكل ستة وخمسين طبيبا(١٣٥) .

وكان المأمون أول من ابرز فكرة بيت الحكمة للوجود وكان سخيا فى الانفاق عليها وعين لها جلة العلماء للاشراف عليها ورتب لهم المرتبات والأجور السخية فانتشرت فكرة المأمون هذه بين من جاء بعده من الخلفاء والعظماء(١٣٦) فأصبح

---

(١٣٤) محمد سعيد الطريحى : خزائن الكتب الاسلامية القديمة فى الكوفة ص ٢٦٢ ، ٢٩٣ ٣

(١٣٥) د. حسن عون : (**صور ملهمة من واقع المجتمع العربى**) (دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ بدون) ص ٢٥٠ .

(١٣٦) Sayed Ameer Ali : **Short History of Saracens**, p. 274.

من ضروريات انشاء معهد ثقافى أو مدرسة أن يعين لهــا وقف ثابت تتلقى فيه ما يفى بنفقاتها وما يمــدها بمـــا تحتاجه من مصروفات ثم تطور هــذا الاتجاه فظهرت الأوقاف أيضا على الذين يشغلون أنفسهم بخــدمة العلم فى المساجد بل ان بعض الأركان والأعمــدة بالمساجد كان يوقف عليها أوقاف سخية يصرف ريعها الى من يجلس بها للتدريس والتعليم(١٣٧) .

وقــد قــدر للخلفاء العباسيين أن يجمعوا فى بيت الحكمة كل الكتب التى نقلت من أنقره وسائر بلاد الروم ، وأن تنشر فى زمنهم مجموعة كبيرة من الكتب المنقولة من اللغـــات العالمية المعروفة مثل السريانية واليونانية والفارسية والهندية فى ذلك العصر من علوم الطب والفلك والحكمة والآداب والقصص وغيرها ، هــذا فضــلا عن المؤلفات العربية الجــديدة التى أنتجها علماء العربية فى شتى أنواع العــلوم القرآنية واللغة والنحو والتاريخ وسائر الفروع الأخرى(١٣٨) .

فكان هارون الرشيد شــديد الحرص عليها ثم جاء من بعــده ابنه المــأمون فزاد فى عـــددها كما ونوعا حيث أصبحت المكتبة تنطق بفضله وتشهد للعباســيين بمكانتهم العلمية ومركز دولتهم الحضارى وأثرت فى التراث العربى الاسلامى بهــذه الكتب(١٣٩) .

واهتم الخلفاء العباسيون بتعليم الرعية ولم يلبث أن جعل من التربية واجبــا ترعاه الدولة فالأطفال من مختلف الطبقات يتعلمون التعليم الأولى مقابل مبلغ ضئيل يقــدر على دفعـــه دون مشقة ، ومنذ أن بدأت الدولة تعين المعلمين بالمدارس أمكن الفقراء أن يعلموا أولادهم مجــانا ولقــد أفادت حركة التعليم من التنافس السياسى بين المعارضة وأحزاب الحكومة وبدأت أحزاب المعارضة تضع فى برنامجهــا من قبيل الدعاية انشاء تعليم عال لكل طبقــات الشعب ومدارس عليا تشبه الكليــات فأنشأت المدارس العليا فى كافـــة المدن الكبيرة(١٤٠) .

ونستطيع القـــول بأن التسامح الدينى الذى كان سائدا فى أنحاء العــالم

---

(١٣٧) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٣٦٥ .

(١٣٨) د. عبد الجبار الجومرد : (**هارون الرشيد**) . (المكتبة العمومية ـ بيروت ـ لبنان ، ١٩٥٦ م) ج ٢ ص ٣٢٧ .

(١٣٩) عبد الله أنيس الطباع : علم المكتبات والادارة والتنظيم ص ٢٠٦ .

(١٤٠) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٩٢ .

الاسلامى فى عصر ازدهار الحضارة الاسلامية كان كبيرا جـدا ولنـا أن نشير هنا الى أقـوال كثير من كبار المؤرخين الذين أعجبوا أيما اعجاب بهـذا التسامح الذى كان فى ذلك العصر من المستحيلات فى غير الدولة الاسلامية ، يقول الأسـتاذ سيديو « ان المذهب النسطورى المسيحى قـد تغلغل وانتشر فى الاجزاء الشرقية من آسيا تحت الحماية العسكرية الاسلامية . ويعجب الأستاذ « دريبر » ان النساطرة لم يسمح لهم بممارسـة شـعائرهم الدينية فحسب بل ان العرب قـد عهدوا اليهم أحيانا بتثقيف أبناء العائلات الكبيرة . ويقول بأن هـذا الموقف تحرر مذهل اذا قيس بتعصب أوروبا . وهـذ التحرر قـد جعل هارون الرشيد يقلد يوحنا بن ماسـويه وهـو نسطورى مشرفا على التعليم فى عصره ، أما المـأمون فكان مجلسه يتألف من ممثلين لجميع الطـوائف التى تدين بملكه . ويذكر الأستاذ دوزى مبرهنا على حرية التفكير فى ذلك العصر قصة نقلها عن أحـد علماء الكلام العرب يروى فيها كيف كان يحضر فى بغـداد دروسا كثيرة فى الفلسفة يشترك فيها يهـود وزنادقة ومجـوس ومسلمون ونصارى . ويخبرنا أن الحضور كانوا يستمعون الى كل منهم باحترام عظيم وانه لم يكن ينبغى لأى منهم أن يستند الا الى الأدلة الصادرة عن العقـل لا الى الأدلة المـأخوذة من أى كتاب مقـدس .

ولا غرو اذن أن يسمح الخلفاء والأمراء المسلمون للنصارى واليهود أن يتقلدوا مناصب الدولة كالمسلمين تمـاما(١٤١) . وذلك سهل لبيت الحكمة القيام بأكبر مجهود فى ترجمـة العلوم الفلسفية والمعارف القـديمة وفى حـدود منتصف القرن التاسـع الميلادى أصبح تحت يد العرب مختلف علوم الأسبقين ومعارفهم(١٤٢) .

ونهض التعليم العـالى على وجـه الخصوص حينما اهتم الخلفاء العباسـيون بحركة النقل ومن أساتذة بيت الحكمة نستنتج ونحكم على مستواها العلمى من مقدرة أسـاتذته ومديره اذا نظرنا الى منهج التدريس فى الحكمة وجـدناه راقيـا جـدا فكانت تدرس فيه العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والتاريخ والموسيقى(١٤٣) فاذا كان هـذا خريج بيت الحكمة وقـد أنهى هـذه العلوم فلا ريب فى أن ذلك المعهد كان يساوى الكلية فى يومنا هـذا .

---

(١٤١) جـلال مظهر : (**الحضارة الاسلامية أساس التقـدم العلمى الحـديث**) . (مركز كتب الشرق الأوسط ، ١٩٦٩ م) ص ٥٧ .

(١٤٢) جـلال مظهر : (**علوم المسلمين أساس التقـدم العلمى الحـديث**) . (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القـاهرة ١٩٧٠ م - عـ ٢٤٧) ص ١١ ، ١٥ .

(١٤٣) د. عبد المنعم ماجـد : (**تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى**) . (مكتبـة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٣ م) ص ١٦٣ .

ولعل من آثار تقدم الحضارة العربية وازدهارها أن التعليم كان حرا من كل قيد اللهم الا الميل والرغبة . هذا يهوى العلوم الشرعية فيتجه اليها وذاك يعشق الحديث فيرحل لطلبه من رجاله وثالث يميل الى علم الكلام أو التصوف أو الطب او الرياضيات فيتعمقها . وأفضل دراسة ما كانت عن ميل أصيل فى النفس(١٤٤) ، ونشأت علوم جديدة مثل علوم التفسير والحديث واللغة ، فلما اتسعت دائرة العلوم اتسع بطبيعة الحال مجال التدريس وشمل هذه العلوم أيضا ، ولما كان الاسلام دينا واقعيا حض المسلمين على الاستزادة من العلم ولم يضع أى عقبات فى هذا السبيل فكان طبيعيا ان تستمر هذه المدارس وأن تنشأ مدارس جديدة وأن يستفيد المسلمون منها ومن علمائها فى وضع حجر الأساس للحضارة العلمية الاسلامية التى بلغت ذروتها فى عهد الخلفاء العباسيين ، وقد كان لبيت الحكمة القدح المعلى فى ازدهار الحركة العلمية فيها .

وكان المأمون مثالا فى انشاء المكاتب فى الممالك الاسلامية كما كان مثالا فى سائر اسباب النهضة العالمية ، فقد اقتدى به كثيرون من الوزراء والأمراء داخل بغداد وخارجها فقد أقيمت دور كتب أخرى كثيرة فى بغداد وجمع لها من الكتب آلاف مؤلفة فكانت هذه الدور جميعها ركنا من أركان النهضة العلمية فى الدولة العباسية(١٤٥) .

وفى الأندلس تشبه بنو امية بالمأمون فأخذوا فى انشاء دور الكتب وملئها بأنفس الأسفار وعجيب المخطوطات وأشبههم به الحكم بن الناصر الذى تولى الخلافة سنة ٣٥٠ هـ وكان محبا للعلم والعلماء وقد أنشأ فى قرطبة دار كتب كبيرة وجمع اليها الكتب من جميع الجهات وكان يرسل التجار لشرائها من أسواق العالم ويحضهم على كثرة البذل والعطاء .

واقتدى بخلفاء بغداد الخلفاء الفاطميون بمصر فبدأ العزيز بالله ثانى خلفاء الفاطميين بجمع الكتب فى عصره وخصص لها قاعات سماها خزائن الكتب ويقدر رجال التاريخ عدد أسفارهم بألف مجلد ثم دار الحكمة التى أنشأها الحاكم بأمر

---

(١٤٤) د. أحمد فؤاد الأهوانى : (الكندى فيلسوف العرب) . (وزارة الثقافة والارشاد القومى - القاهرة عـ ٢٦ اعلام العرب) ص ٣١ .

(١٤٥) جرجى زيدان : التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢٠٨ .

الله بن العزيز بالله سنة ٣٩٥ هـ بجوار القصر الغربى بالقاهرة ويقـــدر ما كان فيها من الكتب بنحـــو مائة الف مجلد وهى غير خزانة العزيز او خزائن القصور[١٤٦] .

(١٤٦) جرجى زيدان : التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢١١ ، وقد كانت دار للعلم الحاكمية أكبر معهد علمى شهده القرن الرابع الهجرى بناها الحاكم بأمر الله الفاطمى ليجعلهـــا منافسة لدار الحكمـــة فى بغـداد . (محمد عبد الرحيم غنيمة) (**الجامعات الاسلامية الكبرى**) (المغرب - تطوان ١٩٥٣ م) ص ٥٩٥ .

الفصل الثانى : التدريس والمدرسون فى بيت الحكمة



١ ــ عمل المدرسين فى بيت الحكمة .

٢ ــ رواتب المدرسين فى بيت الحكمة .

٣ ــ المواد الدراسية التى تدرس فى بيت الحكمة .

اولا — عمــل المدرســين فى بيت الحكمــة :

ويحس الرشيد بقيمة العلم ومكانته ، وقــدره واحترامه فلا يسعه الا أن يدعو أفاضــل العلماء أن يتعهدوا أبناءه بالتربية والتهــذيب والتقويم والتثقيف وهــذا خلف الأحمر يتولى ذلك مــع الأمين فترة من الزمن ، ثم يحل محله بعــد ذلك الكسائى وكذلك يدفــع بالمــأمون الى اليزيد ثم سيبويه ، وممــا يعتبر دستورا للمربين أو نبراسا هاديا للأساتذة لتكون تربيتهم للناشئة على أصــول مرعية ، ذلك الخطاب الذى كتب به الى الأحمر ليجعله عماده فى السير مع الأمين فى ساحات العلم ، وباحات المعرفة ، دون أن يرهقه ، أو يدخل عليه الكراهية والملل . . قال : « يا احمر ، ان أمير المؤمنين قــد دفــع اليــك بمهجة نفسه ، وثمرة قلبه ، وفلذة كبده ، فصير يدك عليه مبسوطة ، وطاعته لك واجبة ، وكن لــه بحيث وضعك أمير المؤمنين اقرئه القرآن ، وعرفه الأخبار ، ورو‍ه الأشعار ، وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه ، وامنعه من الضحك الا فى أوقاته ، وخــذه بتعظيم بنى هاشم اذا دخلوا عليه ، ورفــع مجالس القواد اذا حضروا عنده ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مغتنم فائدة تفيده اياها ، من غير أن تحزنه فتميت ذهنــه ، ولا تمعن فى مسامحته فيستحلى الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة ، فان اباها فعليك بالغلظة والشدة »(١٤٧) .

وكان الخلفاء العباسيون يجلون العلماء ويحرصون على تعليم أولادهم بواسطة نخبة من رجالات عصرهم ، فالمنصور ضم الشرقى بن القطامى الى ابنه المهدى(١٤٨) . وقــد حضر بعض أولاد الخليفة المهــدى عند شريك القاضى (١٧٧ هـ) وهــو يلقى الدرس على طلابه ، فاستند ابنه المهــدى الى الحائط وسأل عن حــديث فلم يلتفت اليه شريك . ثم عاد وسأل فعاد شريك الى اهماله فقال ابن الخليفة : تستخف بأبناء الخلفاء ؟ قال : لا ولكن العلم أزين عند أهله من أن يضيعوه(١٤٩) . ومر مرة بحلقة محمد بن الحسن فقام الناس كلهم الا محمد بن الحسن فخرج الآذن ونادى محمد بن الحسن ، فذهب هــذا لمقابلة الرشيد فلمــا عاد سأله أصحابه عما كان فقال : سألنى الرشيد : مالك لم تقم مــع الناس ؟ فقلت : كرهت أن أخرج عن طبقة العلماء الى طبقــة العامة ، فسر باجابتى(١٥٠) .

---

(١٤٧) المسعودى ، أبو الحسن على بن الحسين بن على : (**مروج الذهب**) (القاهرة ١٣٧٠ هـ/ ١٩٣٨ م) جـ ٢ ص ٢٧٨ .

(١٤٨) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصبهانى ص ٥٧ .

(١٤٩) ابن جماعة ، بدر الدين : (**تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم**) . (حيدر أباد ١٣٥٣) ص ٨٨ . ٨٩ .

(١٥٠) الخطيب البغــدادى : تاريخ بغــداد جـ ٢ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

ويحكي بالمر(١٥١) : ان ابا معاوية العالم الأعمى كان يتغدى مرة مع الرشيد فلما انتهى الغداء فأراد العالم ان يغسل يديه على عادة المسلمين ، قدم له شخص ما الطشت والأبريق وصب عليه ، ولما انتهى العالم الأعمى من غسل يديه شكر ذلك الذى أولاه هذه العناية وصب عليه الماء ، ولكنه اكتشف أن الذى فعل ذلك هو الرشيد نفسه على كثرة خدمه . فقال العالم : يا أمير المؤمنين ، انى أعتقد أنك فعلت هذا تكريما للعلم ، فأجاب الرشيد : هو كذلك .

وقد اهتم الخلفاء والعظماء بمؤدبى اولادهم اهتماما عظيما وارتفعوا بمستواهم الاجتماعى الى درجة تناسب مكانتهم من الأمراء وولاة العهود . فقد كان على بن الحسن الأحمر (١٩٤ هـ) حينما اختير لتأديب الامين يعيش معه فى حجرة واحدة فى حى متواضع من أحياء بغداد فسرعان ما نقله الرشيد الى مستوى اجتماعى رفيع يصفه محمد بن الجهم : كنا اذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل قصرا من قصور الملوك ويخرج علينا الأحمر وعليه ثياب الملوك(١٥٢) .

ومن سمو مكانة المعلم واحترامه من تلاميذه ما حدث ابن محمد بن اسحاق النديم قال : « قرأت بخط أبى الطيب ابن أخى الشافعى قال : أشرف الرشيد على الكسائى وهو لا يراه فقام الكسائى ليلبس نعله لحاجة يريدها فابتدرها الأمين والمأمون ، وكان مؤدبهما فوضعاها بين يديه فقبل رأسيهما وأيديهما ثم أقسم عليهما الا يعاودا فلما جلس الرشيد مجلسه قال : أى الناس أكرم خدما ؟ قالوا : أمين المؤمنين أعزه الله ، قال : بل الكسائى ، يخدمه الأمين والمأمون . وحدثهم الحديث »(١٥٣) . أما الخليفة المأمون فيعلل لما أثر عن بعض المعلمين من بلادة وتخلف بالعبارة الآتية : « وكان الكندى أقرب الى المعتصم بالله ، فهو مؤدب ابنه ، واليهما كتب كثيرا من رسائله » .

روى المقريزى « أن الخليفة المعتضد بالله هو الذى ولى الخلافة سنة ٢٧٩ هـ الى ٢٨٩ هـ/٨٩٢ الى ١٠٩٢ م بنى بجوار قصره فى الشماسية ببغداد دورا ومساكن ومقاصير ورتب فى كل موضع منها رؤساء كل صناعة ومذهب من مذاهب العلوم

---

(١٥١) Palmer, E. : **(Harun Rashid)**. (Marcus Ward, 1881) p.32.

(١٥٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٥ ص ١١٠ .

(١٥٣) ابن النديم : الفهرست ص ٦٥ .

النظرية والعملية وأجرى عليهم الأرزاق السنية »[١٥٤] ليقصد كل من اختار علما وصناعة رئيس ما يختاره فيأخذ عنه .

وكان المعتضد يطوف يوما فى البستان وهو آخذ بيد ثابت بن قرة اذ جذبها دفعة واحدة وخلاها فقال ثابت : ما بدا يا أمير المؤمنين ؟ فقال المعتضد : كانت يدى فوق يدك والعلم يعلو ولا يعلى عليه[١٥٥] . نصح أحد الخلفاء برسالة هامة جاء فيها : وأعلم أن مواقع العلماء من ملكك مواقع السرج المتألقة والمصابيح المتعلقة وعلى قدر تعاهدك لما تبذل من الضياء وتجلو بنورها صور الأشياء[١٥٦] .

وقيل لاحد أكابر الخلفاء « قد حقق الله لك كل مرغوب ومأرب فهل بقيت لك لذة او بغية لم تنلها ؟ فقال : نعم بقيت لذة واحدة هى أعلى من جميع ما نلته . وأفخم من كل ما باشرته ، بل لم تقترب منها ، فضلا عن أن تساويها لذة من لذات الدنيا ولا مرتبة من مراتب الخلافة العليا ، وهى أن أجلس مجلسا كمجلس مشايخ الحديث فأملى وأشرح وأفيد »[١٥٧] .

وكن أبو الاسود الدؤلى يقول : ليس اعز من العلم ، والملوك حكام على الناس ، والعلماء حكام على الملوك[١٥٨] .

وقال الشاعر :

على قدر أهل العزم تأتى العزام
وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها
وتصغر فى عين العظيم العظائم

هذه الأمثلة القليلة نماذج لتراث ضخم يتحدث عن قدر العلماء ومكانتهم

---

(١٥٤) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ٣٦٣ .
(١٥٥) ياقوت الحموى : معجم الادباء ج ٦ ص ٣١٠ .
(١٥٦) **مجموعة رسائل بجامعة اسطنبول** ، ورقة ٣٧ ب ، مخطوط .
(١٥٧) ابن حجر : **معجم ابن حجر** (دار الكتب المصرية ، ٢٥ مجاميع م ، ٨ ب) .
(١٥٨) الذهبى ، الامام أبو عبد الله شمس الدين : (**تذكرة الحفاظ**) (دار احياء التراث العربى - بيروت - لبنان ١٣٧٤ هـ) ص ٢٠ .

السامية وهى وسواها تدل بوضوح على المنزلة الرفيعة التى كان ينزلها من نفوس الناس هؤلاء العلماء والمدرسون .

وقبل انشاء المدارس كانت قصور الخلفاء ، ومنازل العلماء ، ودور الكتب والمساجد بمثابة جامعات يحج اليها طلاب العلم من كل أرجاء الأرض ، وجاء وقت كان كل طالب علم يجد معهدا يتعلم فيه ، ومعلما يقوم على تعليمه ، وراتبا يقوم بأوده . وكان الجامع المنصور فى بغداد ، والجامع الأموى فى دمشق ، والجامع الأزهر فى القاهرة وجامع القيروان فى تونس ، وجامع القيروان فى فاس وجامع قرطبة بالأندلس ، والجامع الكبير بصنعاء ، الى جانب بيت الحكمة فى بغداد ودار العلم بالموصل ، ومكتبة ابن سوار بالبصرة ومكتبة ابن الشاطر بالشام ، ودار الحكمة بالقاهرة كانت جميعها بمثابة معاهد للعلم فى أرقى صوره وكانت فى رعاية الخلفاء والحكام(١٥٩) .

وكان من مظاهر النهضة الثقافية والعلمية فى العالم الاسلامى والعناية بوسائلها الحرص على تأسيس المدارس والمكتبات . ولقد بدأ التدريس أول الأمر فى المساجد والجوامع ، كما كان يجرى أحيانا فى بيوت المدرسين الخاصة ثم صار يعد له دور علم خاصة يؤسسها الخلفاء والولاة وكان يطلق عليها اسم بيوت الحكمة أو خزائن الحكمة(١٦٠) وصواوين الحكمة . وكانت هذه أساسا دور كتب وجد فيها أيضا مدرسون وعلماء بالاضافة الى التراجمة والنساخين والمجلدين .

وكانت الشهادة أو الاجازة يمنحها الأستاذ للتلميذ أن يفرغ الطالب من دراسة كتاب أو موضوع يجيز له تدريسه ، ويشرف على ادارة المدرسة ناظر يتولى ادارة شئونها ، ويعاونه المشرف أو المعاون والمسجل أو الكاتب وأمين المكتبة الذى يتولى شئون خزائن الكتب .

فدار الحكمة كان يتردد عليها أفاضل العلماء أمثال محمد بن موسى الخوارزمى الفلكى ويحيى بن أبى منصور المولى الراصد المشهور والبلاذرى (أحمد بن يحيى ابن جابر) مؤلف « فتوح البلدان » الذى يتحدث عن الأحوال الاقتصادية

---

(١٥٩) د. عبد الحليم منتصر : (أثر العرب فى النهضة الأوروبية) (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧٠ م) ص ٢٠٥ .

(١٦٠) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٣ .

والعملة والنقــود العربية وكتاب « انساب الأشراف » الذى يشرح الأنساب والأعمال التى يقــوم بها ذوو النفــوذ والجاه فى عصره[١٦١] .

والمربون المسلمون قــد عرفــوا الطريقة الحــوارية التى ينسبها المربون المحــدثون الى الفيلسوف اليونانى سقراط ، فطــوروها وطبعــوها بطابع دينهم واخلاقهم وبنوا عليها طريقة المناظرة التى تعتبر بحــق من مميزات التربية الاسلامية ... وكان لاشــتداد حركة الاعتزال فى عصر المــأمون وخــلافها اثرها على المذاهب الأخــرى[١٦٢] .

وكثر اهتمام العلماء فى مختلف أنحاء الدولة الاسلامية بالرحيل الى المدن الكبرى للاتصال بالعلماء المشهورين للاستفادة من علمهم وفضلهم والسبب فى ذلك « ان الناس ياخــذون معارفهم تارة علما وتعليما والقاء ، وتاره محاكاة وتلقينا بالمباشرة »[١٦٣] .

ومن العــوامل الفعالة فى سرعة نضج العلم فى النهضة العباسية أن الخلفــاء أصحاب تلك النهضة كانوا يبذلون كل مرتخص وغال فى سبيل نقــل هــذه الكتب ، ويرغبون النقلة وغيرهم بالبــذل والكرم بقطع النظر عن مللهم ونحلهم أو انسابهم حتى أن صاحب كشف الظنون يقول : فى هــذه المناسبة « والحــق أن أعظم الأسباب فى رواج العلم وكساده رغبــة الملوك فى كل عصر »[١٦٤] .

وثمة عامل آخر كان لــه القــدح المعلى فى نشر العلم والتعليم هو استعمال الورق ، فمما لا شك فيه ان حركة العلم وتدوينه فى العصر العباسى ما كانت تصــل الى ذلك القــدر من الرقى لو ظلت أدوات الكتابة على حالتها الأولى من السذاجة أو النــدرة[١٦٥] . فالتعليم مدين لصــناعة الورق الــذى به أثرت الكتب والمكاتب وخزائنها وأصبحت مصدرا عظيما للثقافة فساعدت المتعلمين على ارتشاف مناهل

---

(١٦١) محمد الحسينى عبد العزيز : (**الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية**) . (وكالة المطبوعات - الكويت ١٩٧٣ م) ص ٦١ .

(١٦٢) د. عمر محمد التومى الشيبانى : (**فلسفة التربية الاسلامية**) (الشركة العربية للنشر والتوزيع - طرابلس - ليبيا ط ١ ، ١٩٧٥ م) ص ٤٤٥ .

(١٦٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٤ .

(١٦٤) حاجى خليفة : (**كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون**) (طبع دار المعارف التركيــة ١٩٤١ م) ج ١ ص ٢٩ .

(١٦٥) أحمد أمين : ضــحى الاســلام ج ٢ ص ٢١ .

العلم وربما كان تأثير استعمال الورق فى خلق النهضة العلمية فى الاسلام مثل تأثير الطباعة فى اوروبا فى أواخر العصور الوسطى .

ان خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل كان لاستنباط الدولة العباسية ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها أثر كبير فى خلق نهضة ثقافية عظيمة كان لهنا أثرها فى الشرق(١٦٦) .

وكان للمدرسين دور سياسى الى جانب وظيفتهم التعليمية فلم يقتصر المدرسون على ان يكونوا مجرد معلمين مجهزين لموظفين فحسب بل صارت لهم أهميتهم فى مجال السياسة الداخلية والخارجية كما كان يختار منهم فى كثير من الأحيان رجال الدولة والادارة كالولاة وأصحاب الشرطة والوزراء والشعراء وغيرهم كما كانوا بمثابة مستشارين للولاة والأمراء . وازداد نفوذ المدرسين بفضل سلطانهم الأدبى والروحى فعظمت منزلتهم بين الناس فى حياتهم وبعد موتهم ومن ثم استطاعوا أن يوجهوا الرأى العام . واستغل الولاة هذه المنزلة فعنوا بتقريب المدرسين حتى يضمنوا كسب الرأى العام واستقرار الأمور(١٦٧) .

واكتسب العباسيون ثقافة الفرس وتأثروا بمحيطهم وفتحوا الأبواب على مصراعيها لنبوغ الأعاجم وما يستدعى الانتباه أن السواد الأعظم من الذين اشتغلوا بالعلم والتعليم كانوا من الموالى(١٦٨) .

وقد عقد ابن خلدون فى المقدمة فصلا عن أن « حملة العلم فى الاسلام اكثرهم من العجم »(١٦٩) . ولهذا فقد غدا الناس جميعا من الخليفة الى اقل أفراد العامة شأنا طلابا للعلم وعلى الأقل أنصارا للأدب فكانوا يجوبون ثلاث قارات سعيا وراء موارد العلم والعرفان ثم يعودون الى بلادهم كالنحل يحملون الشهد الى جموع التلاميذ المتلهفين اليه(١٧٠) .

---

(١٦٦) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصبهانى ص ٥٦ ، ٥٧ .

(١٦٧) د. حسن الباشا : (**دراسات فى الحضارة الاسلامية**) . (دار المعارف بالاسكندرية ـ ١٩٦٨ م) ص ١٠١ .

(١٦٨) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى والاجتماعى ٢ ص ٢٣٩ .

(١٦٩) ابن خلدون : المقدمة ص ٦٣٦ .

(١٧٠) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى والثقافى ج ٢ ص ٢٤٠ .

وتأثر المسلمون بالعلوم التى نقلت الى اللغـــة العربية فلم تكن تعرف لديهم حتى أخــذوا فى درسها والاشتغال بها ، وكان اشتغالهم بها فى أول الأمر لا يتعــدى النظر والتلخيص والشرح حتى كسبوا ملكاتها ونضج تمدنهم وانتشرت العلوم فى البلاد . أخــذوا يتدبرون كل علم يدرسـونه منها ويحققون مسائله بكل ما أوتوا من قــوة وعقل وصحة وفهم فأصبحت العلوم عمــدتها النظر والقيــاس والتحليــل والتركيب(١٧١) .

(١٧١) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون جـ ٤ ص ١٧٤ .

ثانيا ــ رواتب المدرسين فى بيت الحكمة :

لم يكن المدرسون فى صدر الاسلام يأخذون اجرا على تعليمهم حتى اذا امتدت واتسعت الحضارة وبنيت المدارس واوقفت الأوقاف جعل للمدرسين فيها رواتب شهرية معلومة وأصبح لهم رواتب تختلف بين الكثرة والقلة بحسب الأمصار والمدارس والأوقاف ولكنها على كل حال كانت كافية ليعيش المدرس عيشة هانئة . فالأجر ضرورى فى نظر القابسى فوجه الضرورة « أنه لو اعتمد الناس على التطوع لضاع كثير من الصبيان ولما تعلم القرآن كثير من الناس فتكون هى الضرورة القائدة الى السقوط فى فقدان القرآن من الصدور والداعية الى تثبت أطفال المعلمين على الجهالة »(١٧٢) .

والقابسى ينظر الى الواقع لا يتطلب المثل العليا العسيرة المنال فهو يريد معلما ورعا تقيا مخلصا فى عمله وفى دينه وفى سلوكه يقوم فى التلاميذ مقام الوالد من ولده ويأخذ الصبيان بالشفقة والرحمة والسياسة والحكمة ويبصرهم احوال دينهم ويحفظهم كتاب الله وسنة رسوله حفظا للدين من الضياع ولم يضن القابسى على المعلم فى سبيل ذلك بالأجر لحفظ المعاش وكسب الضروريات للحياة(١٧٣) .

ومما ساعد على نمو الحركة التعليمية وذيوعها وامتدادها الى أبعد الحواضر ما كان من رحلة العلماء بين مشرق العالم الاسلامى ومغربه ، ولا شك أن الأمن الموفور والمستوى المعاشى المرتفع والتشجيع الكبير الذى يظفر به الرحالون من الولاة كان له أثره العظيم فى اشتداد الرحلة الى الأمصار وامتدادها الى بلاد الشام فأرسل المأمون بعثة القسطنطينية لاحضار الكتب ورحلة حنين بن اسحاق الى بلاد الروم ليتمكن من اللغة اليونانية(١٧٤) .

ونرى أن المأمون قد استعان بأفراد كثيرين من غير المسلمين ليخدموا النهضة العلمية وليقوموا على وجه الخصوص بأعمال الترجمة ومن هؤلاء يوحنا ابن ماسويه وجبريل بن بختيشوع وحنين بن اسحاق وغيرهم وكانوا يمنحون أجورا سخية على القيام بهذا العمل . ويذكر البروفسور أمان الله خان فى بحثه

---

(١٧٢) د. أحمد فؤاد الاهوانى : (التربية فى الاسلام) . (دار المعارف بمصر ــ القاهرة ١٩٧٥ م) ص ١٨٤ .

(١٧٣) المرجع نفسه ص ١٩٢ .

(١٧٤) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ١٦٩ .

عن « المـــأمون وبيت الحكمة » أن المترجمين والموظفين فى بيت الحكمة كانوا يتقاضون رواتب شهرية ما يعادل تقريبا ٢٥٠٠ روبية باكستانية بالاضافة الى ان المـــأمون كان يدفـــع مقابل كل كتاب يترجم وزنه ذهبا(١٧٥) .

وقـــد قرب الخلفاء اليهم بعض العلماء الذين اشتهروا فى عصرهم واقاموا على تعليم ابنائهم وتأديبهم فأجزلوا لهم العطاء ومن أمثال هـــؤلاء : الكسائى على بن حمزة ، وابو زكريا يحيى بن زياد حظى عند المـــأمون وعهد اليه بتعليم ابنيه النحـــو وله مؤلفات فى النحو واللغـــة(١٧٦) وابن السكيت وأبو يوسف يعقوب بن اســـحاق وكان يؤدب ولـــد جعفر المتوكل .

وارتفعت ثقافـــة بعض العلماء وتنوعت ، فسجلت أسماؤهم مـــع الفقهـــاء ومـــع العلماء ومـــع الندماء وكان البعض يأخـــذ أرزاقا فى هـــذه الطوائف كلها ، كالزجاج (٣١٠ هـ) فقـــد كان لـــه رزق فى الندماء ، وفى الفقهاء ، وفى العلماء ، ومبلغ ذلك ٢٠٠ دينار كل شهر(١٧٧) .

وقـــد أجرى الخليفة المقتدر على ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ خمسين دينارا فى كل شهر حينما قـــدم بغـــداد فقيرا(١٧٨) . وعندما أنشئت المدارس وعين المدرسون بها كان هـــؤلاء يتناولون مرتبات شهرية منتظمة من الخزانة العامة أو من ايراد الأوقاف التى كانت عادة تعين لينفق من ريعها على هـــذه المنشآت ، وقـــد كانت هـــذه المرتبات تختلف باختلاف مكانة المدرس وريع الوقف ، ولكنهـــا كانت على العموم أميل الى الجـــود والسخاء .

---

(١٧٥) Dr. Amin Allah Khan : **Al-Mamun and his Bayt Al-Hikmat). p. 8 (1962, Lahour, Jakistan).**

(١٧٦) ابن خلكان : وفيـــات الأعيـــان ج ٢ ص ٢٢٨ .

(١٧٧) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٩٠ .

(١٧٨) آدم متز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ١ ص ٣٠٩ .

ثالثا ــ المواد الدراسية التى تدرس فى بيت الحكمـــة :

ان المدارس الاسلامية فى العصر العباسى أدت دورها البنـــاء فى الحفاظ على التراث العربى الاسلامى وتطـــوير وازدهار الدراسات الدينية والأدبية والعلمية وقـــدمت خـــدمات جليلة للثقافة الاسلامية .

وممـــا لا شك فيه أن المدارس الاسلامية فى أول نشأتها بذلت عنـــاية فائقـــة فى دراسة العلوم الدينية ، وكان لهـــذا الأمر الأثر الكبير فى تطـــوير وتعميق المواضيع الدينية فعلوم القرآن الكريم والحـــديث والفقه وقـــد ساعد على هـــذا الامر تفهم الناس لتلك المواضيع وظهور الدراسات العلمية التى تميزت بالمتانة والوضـــوح والجـــدية واصالة البحث ثم دخلت المواضيع الأدبية كاللغـــــة والنحو والصرف والعروض والأخبار والأدب الى المدارس الاسلامية وكانت العنـــاية فائقـــة بتطوير الدراســـات وبذل مجهودات قيمة من أجـــل خـــدمة التراث الأدبى العربى وتقـــديم البحـــوث القيمة فى هـــذا المجـــال ، كما عنيت المدارس بالعلوم الرياضية وهى تشمل الحساب والجبر والهندســـة والمساحة وبالعلوم العقلية التى تضم المنطق وعلم الكلام وقـــد ارتقى مناصب التدريس فى هـــذه المواضيع نخبة من علماء العرب بذلوا مجهودات قيمة من أجـــل دراســـة تلك العلوم وتوسيع مدارك الطلبة وتقـــديم البحـــوث القيمة فى مجالات العلم المختلفة ممـــا أضاف حصيلة ممتازة فى الميـــدان العـــلمى(١٧٩) .

والمدارس الاسلامية التى عنيت بالدراسات الدينية والعلمية قامت بتخريج أعـــداد كبيرة من الطلبة الذين انتشروا فى العالم الاسلامى وصاروا ينقلون ما تعلموه فى تلك المدارس ، وارتقى العـــديد من خريجى تلك المدارس الوظائف السامية فى مختلف الأمصار الاسلامية . وساعدت هـــذه المدارس على اشـــاعة العلم والمعرفة بين الناس عامة وربط المسلمين برباط الثقافة . وان اتاحـــة الفرص للمسلمين القبول فى أى مدرسة فى بغـــداد أو البصرة أو القـــاهرة أو تونس أو الرباط أو اصفهان كان لـــه الاثر المحمود فى توحيد الفكر الاسلامى ، وزيادة الترابط الانسانى ممـــا ساعد على اتاحـــة الفرص للعراقى أو المصرى أو السورى أو المغربى أو الفارسى أو التركى أن يتعارفوا وأن تتمـــاس العقول وتحتك الأفكار وتنصهر جميعها فى بوتقـــة العلم لتبرز أفكارا مدروسة وآراء مجـــدية فى حقول العلم والأدب(١٨٠) .

---

(١٧٩) د. حسين أمين : (**المدارس الاسـلامية فى العصر العباسى وأثرها فى تطـوير التعـليم**) . مجلة المؤرخ العربى ـ بغـداد ـ العراق عـ ٦ . (١٩٨٠ م) . ص ٩ ، ١٠ .

(١٨٠) د. حسين أمين : المدارس الاسلامية فى العصر العباسى ، مجلة المؤرخ العربى عـ ٦ ، ص ١٠ .

هـذا على ما أعتقـد من أبرز ما قـدمته تلك المـدارس فى ذلك العصر من خـدمة للانسانية وتراثها الخالـد . كما ساعد ذلك اللقاء بين البلدان المختلفة فى تعرفهم على عادات وتقاليـد بعضهم البعض وانتشار اللغـة العربية التى أصبحت لغـة الدراسة والثقافة ممـا أدى الى الاهتمام بها وتطـويرها وازدهارها . وقـد تغلبت اللغة العربية على ألسن أهـل البـلاد التى دخلت فيها وأصبحت لغة الانشاء والتأليف .

يقول نالينو : « ان وحـدة الدين استوجبت أيضا وحـدة اللسان والحضارة والعمران ، فصار الفرس وأهـل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القـديمة فى التمـدن الاسلامى الجـديد »(١٨١) . كذلك شجع الاشتغال بالترجمة ميل أفراد من الخلفاء فى العصر العباسى الى العلوم الفلسفية ؛ « والخلفاء عادة أقـدر على الترغيب فيمـا أحبـوه ، والناس أسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم ، والولـوع بمـا اولعـوا به »(١٨٢) .

ويقول ابن صاعـد الأندلسى : « لمـا افضت الخـلافة الى عبد الله المـأمون طمحت نفسه الفاضلة الى ادراك الحكمة ، وسمت به همته الشريفة الى الاشراف على علوم الفلسفة »(١٨٣) . ويقول صاحب فوات الوفيات : « لمـا كبر المـأمون عنى بعلوم الأوائل ومهر فى الفلسفة »(١٨٤) . ويذكر أوليرى : « أنه لكون المـأمون تلقى ثقافته فى مرو فى محيط الهيلينية المحـدثة طبق القواعـد الفلسفية على العقائد الاسـلامية »(١٨٥) .

وكان يوحنا بن ماسويه الذى جعله المـأمون رئيسا لبيت الحكمة يعقـد مجلسا للنظر ، ويجرى فيها من كل نوع من العلوم كالفلسفة والفلك والطب والرياضيات ، كما كان يدرس فيها ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون وقـد تتلمذ عليه حنين بن اسـحاق فترة من الزمن(١٨٦) .

---

(١٨١) كرلو نالينو : (**تاريخ علم الفلك عند العرب**) . (طبع بمدينة روما ١٩١١ م) ص ١٤١ .
(١٨٢) أحمد أمين : ضـحى الاسـلام ج ٢ ص ٢٦٦ .
(١٨٣) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٥٨ .
(١٨٤) الكتبى ، محمد بن شاكر : فـوات الوفيات ج ١ ص ٢٣٩ .
(١٨٥) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٣ .
(١٨٦) غريغوريوس بن هارون توما الملطى المعروف بابن العبرى : (**مختصر تاريخ الدول**) . (المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت ١٩٥٨ م) ص ٢٥٩ .

وقــد بلغ من سرور جبريل بن بختيشوع طبيب المــأمون بحنين واعجــابه بروعة ترجماته أن قــدمه لأبناء موسى الثلاثة ، وقد كانوا من رعاة العلم الأثرياء .

يقول القفطى فيهم « وممن عنى باخراج الكتب من بلاد الروم محمــد وأحمــد والحسن بنو موسى بن شاكر المنجم ، وقــد بذلــــوا فى ذلك الرغائب ، وأحضروا الغرائب منها فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب وغيرها »[187] . فاحتضنه هــؤلاء وكانوا اصحاب الفضل فى اظهار مواهبه كما يجزلون له العطاء وقدموه[188] بدورهم الى الخليفة المــأمون فعينه عميدا لبيت الحكمة[189] .

وهكذا نشأ أولاد موسى بن شــــاكر الثلاثة فى بيت كلــه علم وجــو مشبع بالمناقشات الكبيرة بين العلمــاء ، وكان يحيى بن أبى منصـــور يدير « بيت الحكمة » فى بغــداد ولا غرابة فى أن يصبح أبناء موسى بن شاكر الفلكى من أساطين العلم فى الفلك والهندسة والميكانيكا[190] .

وقــد انتقل محمد بن جابر بن سنان البتانى الى بغــداد فى شبابه وعمــل فى المراصــد « بدار الحكمة » ببغــداد .. وهكذا كان الى أن قيض لــه أن يصــبح واحــدا من أكبر علماء عصره أو من المعروفين فى عهده[191] .

وهكذا كانت بغــداد فى علو كعبها فى العلم حيث اصبحت القبلة التى توجــه اليها رواد العلم من كل حــدب وصوب فى الدولة الاسلامية التى تحــدثت بذكرها الركبان وأسمعت شهرتها الأصم وطرقت أسماع القاصى والدانى الا وهى : « بيت الحكمة » التى تضم فى اركانها كل ما وصلت اليه الأمة الاسلامية من تفوق حضارى وتقــدم علمى وازدهار ثقافى تمثل فى مختلف العلوم التى كانت تدرس فيها مثل : الفلسفة والفلك والطب والرياضيات واللغات المختلفة كاليونانية والفارسية والهندية الى جانب اللغــة العربية .

---

(١٨٧) القفطى : اخبــار العلماء باخبــار الحكماء ص ٢٤ .

(١٨٨) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٩ .

(١٨٩) حنين بن اسحاق : (مقــدمة العشر مقــالات فى العين) ، تحقيق ماكس مايرهــوف ، القــاهرة ١٩٢٨ م ص ١٦ .

(١٩٠) محمد رجب السامرائى : (علم الفلك عند العرب) . (بغــداد ــ العراق ــ دائرة الشئون الثقافية ــ الموسوعة الصغيرة ، ١٣٨ ، ١٩٨٤ م) ص ٩٥ .

(١٩١) المرجــع نفســه ، ص ٩٢ .

منهج التدريس فى بيت الحكمة :

مرحلة الاعداد للالتحاق بالدراسة فى بيت الحكمة	المرحلة العالية أو مرحلة الدراسة داخل بيت الحكمة
١ – من سن ٦ الى ١٤ سنة : تتم داخل الكتاب فى منزل الفقيه (المعلم) أو الحوانيت ، ويتم فيها حفظ القرآن ، اجادة الكتابة والقراءة ، ودراسة قواعد اللغة ، وممارسة أوليات الحساب . ٢ – من سن ١٤ الى ١٨ سنة : وتتم داخل مدارس المسجد أو الحلقة ويدرس فيها بعض العلوم الدينية من فقه وتفسير وكلام ورواية حديث ثم معرفة رواية الشعر وسير الاعلام والأخبار مع التفقه فى اللغة والأدب والبيان والنقد .	بعد اتمام المرحلتين السابقتين . يتم فيها التدريس عن طريق نظامين : ١ – نظام المحاضرات . ٢ – نظام الحوار والمناظرة والمناقشة . يدرس فيها العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والجغرافيا والموسيقى . المدرس يحاضر فى بعض العلوم العالية فى قاعات كبيرة ، والمعيد يساعد المدرس فيجتمع بفئة من الطلاب ويشرح لهم ما استغلق من المحاضرة ويناقشهم فى مادتها والأستاذ أو الشيخ هو المرجع الأخير فى موضوعه . وكان الطلاب ينتقلون من حلقة الى أخرى يعالجون فى كل منها فرعا من فروع العلم وربما ألحت بهم الرغبة فى الاستزادة من علم ما أرشاقتهم شهرة أحد مشاهير المعلمين فانكبوا على دراسة موضوعه حتى النهاية .

لباس الخريجين أو العلماء	الشهادة التى تمنح لهم
كان لباس الخريجين والعلماء عبارة عن عمامة سوداء وطيلسانا لعله الروب الجامعى اليوم . وكان هذا الزى ضروريا للمدرسين والفقهاء تمييزا لهم عن غيرهم .	اذا كان خريج بيت الحكمة قد أنهى دراسة علم من هذه العلوم السالفة الذكر يمنحه أستاذه اجازة تشهد بأنه قد اتقن ذلك العلم ؛ فاذا كان من الممتازين فيه نصت الشهادة على أنه قد أجيز له تدريسه . فحق منح الشهادة ، كان — والحالة هذه — للأستاذ لا للمعهد . اذن الألقاب العلمية لم تكن تمنحها هيئة خاصة بل كان مبعثها تقدير المثقفين . فكان الأستاذ يكتب للخريج أجازة يذكر فيها اسم الطالب وشيخه ومذهبه وتاريخ الاجازة . وهذا يشبه الى حد كبير ما استنتها الجامعات الأوروبية التى أنشئت فى أواخر القرن الثانى عشر .

الفصل الثالث : حركة التأليف فى بيت الحكمة



١ ــ نشأة حركة التأليف فى بيت الحكمـــة .

٢ ــ تشجيع حركة التأليف فى بيت الحكمة على يد الخلفاء والوزراء .

٣ ــ عمـــل المؤلفـــين فى بيت الحكمـــة ورواتبهم .

أولا ــ نشأة حركة التأليف فى بيت الحكمة :

لقـد كان لعمليات النشاط الفكرى المختلفة التى تمت بدايتها فى العصر الأموى ، أن تكون قاعـدة لعمليات ونشاط فكرى أوسـع فى العصر العباسى ، والذى عرف بالعصر الذهبى ، والشيء البارز هـو أن حلقات الدرس والتتبع والتأليف والترجمة وتشييد المكتبات العلمية التى كانت على نطاق محـدود نسبيا فى العصر الأموى قد اتسعت وتعـددت فى العصر العباسى وحظيت برعاية الدولة الفائقة . الأهم من ذلك هـو وجود نسبة أكبر من قادة الدولة ورؤسائها ممن كانوا يعنون بالعلم والمعرفة . حيث كانوا ينشئون المكتبات العلمية الواسعة التى بلغ تعـداد كتبها بالملايين بعـد أن كانت فى حـدود الآلاف من قبل . كما أنهم كانوا يحضرون حلقات المناظرة والمناقشة بأنفسهم . اضافة الى تشجيعهم وتعضيدهم رسميا لكل من يعمل على تنشيط الحركة العلميـة والفـكرية(١٩٣) .

واذا كانت هـذه الظاهرة قـد صـدقت على أبى جعفر المنصـور وهارون الرشيد بصورة ملموسة ، فانها كانت أوسع مدى مـع المـأمون . فلقـد كانت عناية المـأمون للعلم والعلماء ظاهرة بارزة فى عهده . كما عرف بانشائه المكاتب والمدارس العلمية . وعرف بتخصيصه المكافآت الكبيرة لكل الباحثين فى حقول المعرفة المختلفة . كما عرف بأنه كان يجند العلمـاء للترجمة والتأليف وأنه كان يصنفهم حسب حقـولهم ويحضر حلقـات مناقشاتهم . والأكثر من هـذا أن تتبعه دراسته الخاصة قـد أدت به الى أن يجد نفسه قد انتمى الى هذه المدرسة الفكرية دون تلك(١٩٢) .

على كل حال فى أقـل من خمسين عاما من آخر الدولة الأموية الى صدر الدولة العباسية كانت أغلب العلوم قـد دونت ونظمت سواء فى ذلك العلوم النقلية من علوم القرآن والحـديث والفقه وأصـوله ، وعلم اللغـة والأدب على اختلافها والعلوم العقلية من علوم الرياضة والمنطق والفلسفة وعلم الكلام(١٩٤) .

وكان نشاط المسلمين فى ذلك يسترعى الأنظـار ويستخرج العجب وليس هناك من نشاط يشبهه الا نشاط العرب فى فتـوح البلـدان . وقـد نظم العلماء أنفسهم

---

(١٩٢) د. فاضـل زكى محمد : (**الفكر السياسى والعربى الاسلامى بين ماضيه وحاضره**) . (دار الحرية للطباعة ـ بغـداد ـ العراق ط ٢ ١٩٧٦ م) ص ٣١٥ .

(١٩٣) المرجـع نفسـه ص ٣١٥ .

(١٩٤) أحمد أمين : ضـحى الاسـلام جـ ٢ ص ١٩ .

فرقا كفرق الجيش كل فرقة تغزو الجهل او الفوضى فى ناحيتها تخضعها لنظامها نفرقة للغة وفرقة للحديث وفرقة للنحو وفرقة للكلام ، وفرقة للرياضيات وهكذا ، وهم يتسابقون فى الغزو والانتصار ، وتدوين العلم وتنظيمه تسابق قبائل العرب فى الفتوح والغزوات ، كل قبيلة تود أن تكون السابقة فى الميدان ، ووجد فى ساحة الميدان قواد بارزون يتنافسون فى الابتكار ، فاذا فاز أبو حنيفة بوضع الفقه ثارت حماسة الخليل بن أحمد فيضع العروض ويرسم المنهج لمعجم اللغة ، بل ويريد بعقله الجبار أن يضع « نوعا من الحساب تمضى به الجارية الى البياع فلا يمكنه ظلمها »(١٩٥) .

وهكذا فى سائر الفروع ، وقد ظل المسلمون ، طوال حياتهم يعيشون على هذه الثروة فى هذا العصر ليس لهم فى الغالب من أثر الا الايجاز والاطناب حينا وجمع متفرق وتفريق مجتمع . أما الابتكار فقليل نادر ساعد على هذه الحركة العلمية الواسعة أو قل نتج عن هذه الحركة والميل الى تدوين العلم ونقله من المشافهة الى الكتابة اتساع صناعة الورق(١٩٦) .

ذلك أن للعرب فى تاريخ العلوم مجدا متألقا لا يخبو ، فقد عكفوا على العلم منذ شرح الله صدورهم للاسلام ووجدوا فى طلب العلم عبادة واستجابة لدعوة دينهم ... فاقبلوا على مناهل العلم اقبالا ، وشجعوا العلماء والأدباء تشجيعا جديرا بالثناء ثم ان بعض الخلفاء والأمراء فى العصر الأموى والعباسى كانوا يتباهون بعلمهم وكانوا يقربون العلماء اليهم ويغدقون عليهم ورفعوهم مكانا عاليا فضربوا بهذا أروع مثل فى الشغف بالمعرفة وتقدير رجالها(١٩٧) .

وقد ظهر ابن النديم بكتابه « الفهرست » فى الربع الأخير من هذا القرن حاشدا فيه صنوف المؤلفات فى عصره وما قبله ، وفيها من كتب الفلسفة مقدار يدل على رواجها واتقانها ، وتفرغ العلماء للبحث والتأليف فى هذا العصر تفرغا لم يعهده السابقون . وقد شاع فى هذا العصر اقتناء الكتب وكثرة المكتبات فصار

---

(١٩٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٤٥ .

(١٩٦) أحمد امين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٣٠ .

(١٩٧) د. أحمد الحوفى : (تيارات ثقافية بين العرب والفرس) (دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ الفجالة ـ القاهرة ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م) ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ .

الملوك والأمراء بعد الخليفة الأمين يفاخرون باقتناء المصنفات ويتسابقون الى شراء نوادرها وفى اواخر هذا القرن أولعت بغداد بالكتب والتآليف(١٩٨) .

واتفق المؤرخون من عرب وافرنج على أن أول طالع سعيد لارتقاء الأمة العربية كان فى القرن الثانى من الهجرة ، حيث سطع نور العلم من بغداد فأنار جميع الآفاق مصر والأندلس ، لانه فى هذا العصر شرع علماء الاسلام فى تدوين الحديث والفقه والتفسير وصناف بن جريج التصانيف بمكة ، وصنف سعيد بن أبى عروبة ، وحماد ابن سلمة وغيرهما بالبصرة ، وصنف أبو حنيفة الفقه والرأى بالكوفة ، وصنف الأوزاعى بالشام ، وصنف مالك الموطأ بالمدينة وصنف أبو اسحاق المغازى ، وصنف معمر باليمن وصنف سفيان الثورى كتاب الجامع ، ثم بعد يسير صنف هشام كتبه ، وصنف الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ، ثم ابن المبارك والقاضى أبو يوسف ، وابن وهب ، وعيسى بن عمر النحوى ، وكثر تدوين العلم وتبويبه ، ورتبت ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس وقبل هذا العصر كان سائر العلماء يتكلمون عن حفظهم ويروون الكلم عن صحف صحيحة غير مرتبة ، نسهل ولله الحمد تناول العلم(١٩٩) .

اتسع أفق الفكر الاسلامى فى عهد السلاجقة اتساعا كبيرا ، فقد كانت ملكات المسلمين فى البحث والتأليف على درجة عظيمة من النضج كنتيجة طبيعية لحركة الترجمة التى نشطت فى الدولة العباسية ، وكثرة تنقل رجال العلم والأدب فى مشارق العالم الاسلامى ومغاربه فى ذلك الوقت للاتصال بحكام الدول التى استقلت عن الخلافة العباسية ، فنشطت الحركة الفكرية ، وراجت الثقافة وزخر بلاط السلاجقة وغيرهم من حكام الدول بالعلماء والأدباء(٢٠٠) .

وكانت المدارس الفكرية لا حصر لها ، وكانت الفنون والعلوم تشجع على الحكمة ، وكان الجو يموج بالشعر وبالمتعة الكاملة فى الفهم ، وكانت حياة بغداد تنطوى على شىء من التسامى ، وفى زمن الرشيد لم تكن المدينة قد بلغت من العمر خمسين عاما ، لكنها اعتبرت مركزا عالميا فى الدرجة الأولى من القدر وكأنها

---

(١٩٨) د. زكى المحاسنى : (**المتنبى ، من نوابغ الفكر العربى**) . (دار المعارف بمصر ١٩٧١ م) ص ١٢ ، ١٣ .

(١٩٩) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الاصبهانى ص ١١٢ .

(٢٠٠) د. عبد النعيم حسنين : (**سلاجقة ايران والعراق**) . (مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ط ٢ ، ١٣٨٠ هـ/١٩٧٠ م) ص ١٨٧ .

مكان مقدس للفكر ، واذا كانت عظمتها قد نمت فى عصر الامبراطورية ، فانها أصبحت بسرعة المنافسة للامبراطورية البيزنطية(٢٠١) .

فالتاريخ يحدثنا أن خلفاء الدولة العباسية شجعوا العلم على اختلاف ألوانه فأمروا بنقل الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية فضلا عن عنايتهم بالعلوم الاسلامية ، وقد اقتفى اثرهم وسار على منوالهم امراء الدويلات الناشئة فى العصر العباسى الثانى وجعلوا من العلم ميدانا للمنافسة وجمعوا العلماء حولهم ، وقربوهم ، حتى ان الباحث ليلمس أن العلوم الكلامية لا الفلسفة كلها قد سارت جنبا الى جنب فى طريق التقدم والنضوج(٢٠٢) .

ومن الناحية الثقافية ظهرت آثار سياسة الانفتاح نحو الشرق فى الحركة العلمية ، فكان العصر العباسى عصر احياء للثقافات الاقليمية وبالذات للثقافات الفارسية القديمة ، وهو العصر الذى بلغت الحياة العلمية فيه أوجها ، ونشطت حركة الترجمة عن اليونانية والهندية والفارسية(٢٠٣) .

وفى هذه البيئة العلمية الصالحة ، وفى هذا الجو العلمى الحافل نشأ عدد من العلماء يقرنون الى أعاظم العلماء فى كل عصر وآن .. وكانت العربية لغة العلم يكتب بها العلماء ، ليقرأها الناس فى أى صقع من اصقاع الوطن الاسلامى الكبير ، وازدهرت حركة الترجمة أيما ازدهار ثم أقبل العلماء على التأليف والكتابة فى مختلف فروع المعرفة العلمية ، نقلوا علوما وابتكروا أخرى ، واضافوا كثيرا من الآراء والنظريات التى نسبت الى غيرهم(٢٠٤) .

وكان مركز الحركة الثقافية قبل تأسيس بغداد فى البصرة والكوفة ثم شيدت بغداد فغلبت على المدينتين . ويقول اليعقوبى(٢٠٥) : « ليس لها نظير فى مشارق

---

(٢٠١) جاك . س . ريسلر : الحضارة العربية ص ١١٤ .

(٢٠٢) د . فوقية حسين محمود : (**الجوينى امام الحرمين**) . (الدار المصرية للتاليف والنشر ـ القاهرة ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م) ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٢٠٣) د . السيد عبد العزيز سالم : (**دراسات فى تاريخ العرب ، العصر العباسى الأول**) . (مؤسسة الشباب الجامعة ـ الاسكندرية ـ بدون) ج ٣ ص ٤٩ .

(٢٠٤) د . صالح رمضان محمود : (**أهم المبدعين فى مجالات الفكر والعلم**) . مجلة المؤرخ العربى ـ بغداد العراق عدد ١٨ (١٩٨١ م) ص ١٦ .

(٢٠٥) اليعقوبى ، أحمد بن ابى يعقوب بن جعفر وهب بن واضح : (**معجم البلدان**) . (بيروت ـ لبنان ـ دار صادر ١٩٦٠ م) ص ٢٣٣ .

الأرض ومغاربها سـعة وكبرا وعمارة وكثرة مياه ، وصحة هـواء ، لأنه سكنها من أصناف الناس وأهـل الأمصار والكور وانتقل اليها من جميع البلدان القاصية والدانية وآثرها جميع أهـل الآفاق على أوطانهم وهى مع هـذا مدينة بنى هاشم ودار ملكهم ومحـل سلطانهم ... واعتدال الهـواء وطيب الثرى وعـذوبة المـاء حسنت أخـلاق أهلها ونضرت وجـوههم وانفتقت أذهانهم حتى فضلوا النـاس فى العلم والفهم والأدب . فليس أعلم من عالمهم ، ولا أروى من روايتهم ، ولا أجـدل من متكلمهم ولا أحـذق من مفتيهم ولا أعرب من نحـويهم ولا أصلح من قارئهم ، ولا أمهر من مطببهم ولا أكتب من كاتبهم ، ولا أشعر من شاعرهم .

وكذلك ظهر فى بغـداد علماء عنوا بتأليف الكتب واقتناء النفيس منها كمحمـد ابن عمر الواقـدى الذى خلف بعـد وفاته ستمائة قمطر كتب كل قمطر منها حمـل رجلين ، وكان له غلامان مملوكان يكتبان له الليل والنهار[٢٠٦] ، وله عدة مصنفات .

ويذكر ابن خلكان[٢٠٧] أن اسحاق بن ابراهيم الموصلى كان عنده الف جزء من لغات العرب . ونشطت الكتب والمباحث الجغرافية منذ هـذا التاريخ المبكر ، ومع افتتاح هـذا العصر العباسى الثانى يؤلف عبد الله بن خرداذبه الفارسى الأصل كتابه « المسالك والممـالك » وهـو يصرح فى مطالعه بأنه اعتمد فى بيان حـدود الارض ومسالكها على كتاب بطليموس ، ومر بنا أنهم كانوا يشجعون بأموالهم والأغـداق على الترجمـة ، وان كثيرا من الكتب ترجم باسمهم ومن أهمهم بختيشوع[٢٠٨] بن جبرائيل بن بختيشوع ، وبلغ من كثرة ثرائه انه كان يضاهى الخليفة المتوكل فى الزينة والفرش والمـآكل والمشرب .

نخلص من ذلك أن النشاط العلمى الزاخر الذى حفلت به بيت الحكمة فى ظـل العباسيين كان لـه دوره فى دفـع حركة الفكر الى الامام ، وكانت دعامة هـذه الحركة ترجمة الكتب الأجنبية التى استجلبها الخلفاء من بقاع كثيرة وكان السريان بخاصة هم الذين اضطلعوا بالنصيب الوافر من هـذا العمل . ولولا التعريب الذى قام به هـؤلاء المترجمون لمـا انتفع أحـد بتلك العلوم لعـدم معرفة غيرهم ببلاد اليونان . لا جرم كل كتاب لم يعرفه باق على حاله ، ولا ينتفع به الا من عـرف تلك اللغـة[٢٠٩] .

---

(٢٠٦) ابن النـديم : الفهرسـت ص ١٤٤ .

(٢٠٧) ابن خلكان : وفيـات الاعيـان ج ١ ص ٩٢ .

(٢٠٨) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ١٠٢ .

(٢٠٩) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان ج ١ ص ٢٠٩ .

ونراهم ينشئون المدارس والمعاهـــد العلمية فى كل مكان . ويؤسسون المكتبات فى كل مكان ويبيحون دخـــولها لكل قاصـــد ، ويدرسون آراء كبار الفلاسفة القدامى جنبا الى جنب مع دراسة القرآن ، وهـــذا يلقى جالينوس وأرســطو وأفلاطـــون واقليدس وبطليموس وما هم له من التقـــدير[210] ولم تكن مهنة الوراقة فى عهد الدولة العباسية تقف عند حـــد الصفقات التجارية ، وانما كانت تتعـــدى ذلك الى مهام ثقافية بالغـــة الأهمية فى ذلك الحـــين ، اذ كان الوراقـــون هم الذين ينسخون الكتب ويعرضونها للراغبين فيها . ويتقاضـــون على ذلك أجرا متواضعا متوسطه دينـــار عن كل كتـــاب[211] .

ووصف ابن الجـــوزى[212] (٥٩٧ هـ) ســـوق الوراقين ببغـــداد فى زمنـــه بقوله : انها ســـوق كبيرة وهى مجالس العلماء والشعراء .

(٢١٠) سيد أمير على : (**روح الاسلام**) ترجمة محمود أمين الشريف (مكتبة الآداب بالقاهرة ـ ١٩٦٣ م) جـ ٢ ص ٢٥٦ .

(٢١١) Ameer -Ali-short History of Saracens, p. 460.

(٢١٢) ابن الجـوزى : (**مناقب بغـداد**) . (بغـداد ١٣٤٢ هـ) نشره محمد بهجت الأثرى ص ٢٦ .

ثانيا ـ تشجيع حركة التاليف فى بيت الحكمة على يد الخلفاء والوزراء :

كان التدوين فى المشرق سائرا فى منهج التقدم فى هذا العصر ، فتعددت اغراضه وموضوعات علومه ، وتنوعت أشكال كتبه من مبسوطات مفصلة ومختصرات مجملة ، ورغب العلماء المصنفون فى الافادة والاستفادة ووجود عدة دول متجاورة متنافسة كل منها تحرص ان تفوق الأخرى فى احراز وسائل القوة وعتاد الملك وترفيه العيش ، ولا يكون ذلك الا بتأثيل الحضارة وتعضيد العلم وأغدق ملوك هذه الدول ووزراؤها على العلماء والأدباء ، وتنافسوا فى ضمهم الى مجالسهم واغراء هؤلاء بتأليفهم الكتب بأسمائهم واستنباط دقائق العلوم لفائدتهم ، فكثرت الكتب والمصنفات التى وضعت فى العصر العباسى الأول فى علوم أخرى اشتقت منها كعلوم الأخلاق ، وآداب السلوك ، وسياسة الملك وقيادة الحرب ، وتعبئة الجيوش ، واستعمال الأسلحة وتدبير المال وتصريف وحدة الكسب فى التجارة وتدبير المنزل ، والبحث فى معرفة اسباب العمران(٢١٣) ، واتسع مجال البحث فى الطب والحساب والجبر والهندسة والكيمياء والطبيعة والفلك والجغرافيا وفن الحيل ، والمنطق وعلم الكلام ، وسائر العلوم الحكمية والدخيلة ، فثبتت أصولها ، وتشعبت فروعها وتعددت المذاهب ، وأصبحت بعيدة الشبه بأصولها اليونانية ، وانصبغت بصبغة الروايات وامتزجت باختلاف طرقها(٢١٤) .

وبازدهار حركة التدوين والتأليف والترجمة فى العصر العباسى ، اتسعت دور المكتبات العلمية ، وحفلت بأنواع مختلفة من الكتب المؤلفة والمترجمة واصبح العلماء يذهبون للاطلاع على هذه الكتب التى كانت الدولة العباسية تحرص على تزويد المكتبات بها ، وكثيرا ما كان الخليفة يرسل البعثات العلمية الى الأمصار المختلفة لشراء الكتب وتزويد المكتبات بها ، وقد فعل الخليفة المأمون ذلك بأن أرسل البعثات الى بلاد الروم للبحث فى خزائنها العلمية الشهيرة عن الكتب الهامة لنقلها الى البلاد الاسلامية وترجمتها(٢١٥) .

وأخذ العلماء المسلمون ينهلون من موارد العلم بمختلف فروعه وفنونه ، فأخذوا يترجمون العلوم وينقلون الى اللغة العربية علوم اليونان والرومان والفرس والهنود ... ترجموا عن الاغريقية والفارسية والقبطية والآرامية والهندسية ونقلت

---

(٢١٣) د. محمد عبد المنعم خفاجى : الآداب العربية فى العصر العباسى الثانى ص ٢٢ .

(٢١٤) المرجع نفسه ص ٢٣ .

(٢١٥) د. محمد فاروق النبهان : مبادىء الثقافة الاسلامية ص ٣٤ .

الوف الكتب من المكتبات القديمة ، واقيمت دور الكتب والمكتبات ، وفتح الخلفاء والأمراء قصورهم للعلم والعلماء ، وتنافس الخلفاء والحكام فى رعاية العلم والعلماء ، وتسابقوا فى الانفاق فى سخاء عليهم ، وقبل الرشيد الجزية كتبا كما دفع المأمون وزن ما يترجم ذهبا(٢١٦) فما بالك بمن يقوم بالتأليف ؟ .

وكانت حركة التأليف تسير الى جانب حركة الترجمة بدليل أن بعض المترجمين كانوا يزاولون التأليف والترجمة(٢١٧) فى وقت واحد ، وقد عرفنا من قبل أن علماء العرب كانوا مولعين بالعلم لذلك أكبوا على الدراسة والاطلاع فكسبوا الملكة فى العلم والقدرة على التأليف ومن أجل ذلك كانت نهضة اخرى بعد نهضة الترجمة وهى نهضة التأليف فى العلوم وقد وضح ذلك مما قدمناه ، كما ان الذين اشتغلوا بالترجمة والتأليف كانوا من الأطباء وان اعلام التراث العربى كانوا ينبغون فى أكثر من علم واحد(٢١٨) .

ويقول مؤرخ الحضارة الاسلامية فى عهد الخلفاء : « من الحقائق المشهورة أن الخليفة المنصور ، الذى تنسينا مزاياه الخلقية والعقلية بعض النواحى السوداء من طباعه ، كان من أنصار الحركة الفكرية العظيمة التى بدأت اذ ذاك فى العالم الاسلامى فهو الذى أمر بترجمة الكتب العلمية والأدبية من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، وهو الذى ألم بقدر لا يستهان به من العلوم والرياضيات ولم تكد هذه الكتب المترجمة تنشر حتى أكب الناس على دراستها بشغف ولم يقف خلفاء المنصور عند حد تشجيع العلماء البارزين الذين وفدوا على العاصمة من كل حدب بل كانوا هم أنفسهم أشد الناس اهتماما باكتساب كل فروع المعرفة ، وفى عهدهم سارت الحركة العلمية بخطى حثيثة عند العرب ، وبعبارة اخرى عند مختلف الأمم التى انضوت تحت لواء الخلافة ، وكان لكل أمة من أمم العالم العظيمة عصرها الذهبى . كان عصر أثينا الذهبى هو عصر أغسطس ، وكذلك كان للعالم الاسلامى عصره الذهبى(٢١٩) . كان المنصور سخيا نحو العلماء والأدباء حتى أنه جعل من نفسه

---

(٢١٦) د. صالح رمضان محمود : أهم المبدعين فى مجالات الفكر والعلم ص ٢٦٨ ، مجلة المؤرخ العربى ع ١٨ ، ١٩٨١ م .

(٢١٧) أبو الفتوح التوانسى : (من أعلام الطب العربى) (الدار القومية للطباعة والنشر — القاهرة ١٩٦٦ م) ع ١٤٤ ص ٢٨ .

(٢١٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦١ .

(٢١٩) السيد أمير على : روح الاسلام ج ٢ ص ٢٥٤ .

قــدوة فى محبة العلوم والآداب[٢٢٠] .

فلقــد عنى خلفاؤه وعلماؤه بتدوين العلوم وترجمتها ونشرها وكان المنصور أسبقهم الى ذلك حيث استقدم جرجيس بن بختيشوع رأس أطباء جنديسابور من السريان والفرس والهنــود فترجموا لــه كتبا فى النجوم والطب ... فنشطت حركة التأليف والترجمة وعظمت صناعة الورق وتبع ذلك ظهور حرفة الوراقين ووجود أمكنة تتخــذ مباءة للعلماء والأدباء ، يتزودون منها بالعـــلم ، وكثرت المكتبات ونخرت بالكتب[٢٢١] ، وكان الخليفة المهــدى للأدب ، مشجعا على التأليف فيه[٢٢٢] وفى حجر المهــدى نشأ ابن ابراهيم أديبا شاعرا موسيقيا ، ولقــد شارك فى التأليف فألف كتابا فى الأدب سماه « ادب ابراهيم » و « كتاب فى الطبخ » وآخر فى الطب ، وكتابا فى الغناء الا أنها كلها لعبت بها يد الزمان فضاعت فيما ضاع[٢٢٣] .

وكان الهادى مثل أبيه محبا للآداب مشجعا للشعراء ، وكان على سنته فى بغض الزنادقــة وليس من شــك فى أن هؤلاء الزنادقــة قــد تركوا أثرا ملموســا فى الدين والشعر والأدب ، أما أثرهم فى الدين فقــد احــدثوا معانى جــديدة فى تفسير لغــة القرآن ، وساعدوا على نشر مبدأ التأويل واتخــذوه وسيلة للطعن فى كتاب الله ، كما أنهم نشطوا فى وضع الأحاديث والدس فيها ، ومن ناحية أخرى انتشر بسببهم علم الكلام واشتد الجــدل بينهم وبين العلماء والفقهاء فكانت حركة غزيرة فى التأليف والمناظرات ، فوضعت كتب كثيرة للرد على الزنادقــة وأهـــل الالحـــاد[٢٢٤] .

ثم فترت هــذه النهضة أيام المهــدى والهادى حتى قــواها الرشيد بروح البرامكة ، ونشرها فى مملكته المتسعة ، وضم ايوانه نوابغ العلماء وأخذ على نفسه بأن

---

(٢٢٠) ل. أ. سيديو : (تاريخ العرب العام) نقله عادل زعيتر (دار احياء الكتب العربية - مكتبة الحلبى - القاهرة - ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م) ص ١٨٢ .

(٢٢١) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦١ .

(٢٢٢) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المـأمون ج ١ ص ١٠٥ ، ١١٢ .

(٢٢٣) ابن قتيبه ، ابى محمد بن عبد الله بن مسلم : (المعارف) ، تحقيق د. ثروت عكاشة - (دار المعارف بمصر ١٩٦٩ م) ص ٩ .

(٢٢٤) د. زاهية قدورة : (الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى) (دار الكتاب اللبنانى - بيروت - لبنان ط ١ ١٩٧٢ م) ص ١٧١ .

الحق بكل جامع جامعة للعلم وأن يصطحب مائة من العلماء كلما سافر وكان يجعل العلماء على تباين نحلهم(٢٢٥) ، ثم ينشيء (هارون الرشيد) فى نفسك صورة الخليفة العالم الأديب الفقيه بألوان العلم والدين والأدب ، المشجع للفقهاء والعلماء والشعراء والكتاب تشجيعا أصبح فيه مثلا لمن جاء بعده فى الشرق والغرب(٢٢٦) .

ولقد كانت دولة الرشيد كما يقول الفخرى : « دولة من أحسن الدول وأكثرها وقارا ورونقا وخيرا ، وأوسعها رفعة مملكة ، ولم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب والندماء والمغنين ، مثلما اجتمعوا على باب الرشيد وكان يصل كل واحد منهم أجزل صلة ، ويرفعه أعلى درجة . وكان فاضلا شاعرا راويا للأخبار والآثار والأشعار صحيح الذوق والتمييز مهيبا عند الخاصة والعامة »(٢٢٧) .

ولهذا كان عصر الرشيد نفسه من أزهى العصور بالنسبة لحياة اللغة العربية والتأليف فيها ويكفى أن نذكر من علماء هذه الفترة أمثال الكسائى والأصمعى والفراء وأبى عبيدة وأبى زيد الأنصارى لنتبين صدق ما ذهبت اليه(٢٢٨) .

يقول ابن أبى أصيبعة : « كان يوحنا بن ماسويه مسيحى المذهب سريانيا قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة مما وجده بأنقرة وعمورية وسائر بلاد الروم حين سباها المسلمون ووضعه أمينا على الترجمة(٢٢٩) مما شجع حركة التأليف فى بيت الحكمة . ويقال أنه هو الذى نصح هارون الرشيد بانشاء دار كتب كبيرة وهى تلك الدار التى اتسعت واشتهرت فيما بعد وأصبحت تدعى دار الحكمة(٢٣٠) » أو بيت الحكمة » .

ويمكننا أن نعد من النقلة الذين خدموا الرشيد ومن بعده المأمون الحجاج بن يوسف بن مطر اذ أنه نقل كتاب أقليدس وأصول الهندسة مرتين الأولى

---

(٢٢٥) د. أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربى ص ٣٥٨ .

(٢٢٦) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٢٢٧) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(٢٢٨) د. محمد مصطفى هداره : (**اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى**) . (دار المعارف بمصر ط ٢ ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م) ص ٨٦ .

(٢٢٩) ابن أبى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ١٢٤ .

(٢٣٠) محمد عاطف البرقوقى : الخوارزمى العالم الرياضى الفلكى ص ٧٩ .

زمن هارون الرشيد ويعرف هـذا النقـل بالهارونى نسبة لهـارون الرشيد والثانية زمن المـأمون ويعرف هـذا النقل بالمـأمونى(٢٣١) .

كذلك عهـد الرشيد بالقيام بشئون خزانة الحكمة الى شخص يتقن الفارسية هـو الفضل بن نوبخت أبو سهل وهـو فارسى الأصـل . يذكر عنه القفطى أنه مذكور مشهور من أئمـة المتكلمين فى زمن هارون الرشيد حيث ولاه القيام بخزانة كتب الحكمة وكان ينقـل من الفارسى الى العربى ما يجـده من كتب الحكمـة الفارسية ومعـوله فى علمه وكتبه على كتب الفرس(٢٣٢) .

وقـد اتبع المـأمون سياسة والده فى توجيه الغزوات نحـو المدن التى تحوى خزائن عامة للمخطوطات وذلك من أجـل الحصول على تلك الثروة العلميـة التى لا تقـدر بثمن ، ولكنه زاد عليـه زيادة كبرى ، وذلك فى مراسلته ملوك الروم فى القسطنطينية وصقلية وقبرص وطلبه منهم انفاذ ما عندهم من مخطوطات يونانيـة وارساله البعوث المختلفة الى بلاد الروم فى سبيل الحصول على مثل هذه الكتب(٢٣٣) .

وقـد صار التأليف الأصيل فى هـذا العهد جنبا الى جنب مع النقـل والتعريب فقـد زخر العصر بالعلماء والاعلام الذين ألفـوا فى مختلف العلوم ، ذلك أن الامام مالك ألف كتابه الموطـأ فى مطالع هـذا العصر ، وفى الواقع لقـد شاهد هـذا العصر ازدهار الدراسات الاسلامية ونشوء المذاهب الفقهية وألف الجاحظ كتبه فى الأدب والتى قيل فيها كتب الجاحظ تعلم العقل والأدب ثانيا(٢٣٤) .

شجع المـأمون التأليف عن طريق بذل المنح السخية وكان هناك عـدد لا حصر لـه من كتب الرياضيات والهندسة والفلسفة والفلك وعلم الارصاد الجـوية وعلم البصريات والميكانيك والطب ... الخ ، كل هـذه العلوم قـد جمعت ويسرت الاطلاع عليهـا لجمهرة القراء(٢٣٥) .

---

(٢٣١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٧١ .

(٢٣٢) القفطى : أخبـار العلماء فى أخبـار الحكماء ص ٢٥٥ .

(٢٣٣) د. محمد ماهر حماده : المكتبات فى الاسـلام ص ٥٩ .

(٢٣٤) المرجـع نفسـه ص ٧١ .

(٢٣٥) جى. دبليو. تومسون : (تاريخ المكتبات فى العصر الوسيط) (نيويورك ، شركة هافنز للنشر ١٩٥٧ م) ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

وكان البرازى المتوفى ٩٢٥ م من علماء الفيزياء حيث كتب ما يربو على مئتى كتاب لبيت الحكمة كما أن (ابن أبى الحارث) وهـو من مشاهير مجلدى الكتب عـد كمجلـد للكتب فى هـذه المكتبة . وفى هـذا الجـو العلمى الخلاق والحضـارة الزاهرة والمنيرة قـويت حركة التأليف فى عهد المـأمون حتى انه تخير المؤلفين ممن كان له اثره فىتنوير أفكاره وتحضير أعماله(٢٣٦) .

ويقول سيديو فى كتابه تاريخ العرب العام « كان المـأمون يعـد سلالة الامم فى العلم ، ولم يرد المـأمون أن يشع نور العلم من جـود ولى الأمر الطارىء ، فجعل شرف الآداب فى حرز من تقلبات الحوادث بمـا حبسه عليها من الوقف الدائم ، وفتحت المدارس من كل ناحية ، فصرت ترى لأول مرة فى تاريخ العالم على ما يحتمل حكومة دينية مستبدة تخالف الفلسفة وتهيىء فـوزها وتشاطرها نصرها »(٢٣٧) ونرى المـأمون يضرب به المثل فى عظم الحركة العلمية فيشير « نولدكه » فى « دائرة المعارف البريطانية » وغيرهم يمثلون المـأمون انوشروان وغيره من خـدمة الانسانية ورسل الثقافة العامة ، والحـق ان المـأمون وعصر المـأمون كانا متقـدمين عن زمانهما ، اذ كانت حالة المـأمون وحال المملـكة المـأمونية فى ذلك الحين — أرقى بمراحـل من حال ملوك أوروبا وممالك أوروبا . ويقول د. خليل طوطح فى رسالته الانكليزية عن حال التعليم عند العرب : « انه بينما كان شارلمـان يتعلم القراءة مكبا على مطالعة رسائله مـع أترابه فى مدرسة القصر كان المـأمون يعالج الفلسفة ومناقشته أقضيتها هنـاك فى بغـداد »(٢٣٨) .

أما المؤلفون النساطرة فعـددهم وفير ومقامهم رفيـع أولهم تلك الأسرة الراسخة فى علم الطب والفلسفة آل بختيشوع من جنديسابور وقـد تناقلوا العلم من جيل الى جيل على مدى ثلاثة قرون تقريبا فى عهد العباسيين مؤسسها جورجيس ابن جبرائيل وابن بختيشوع وحفيده جبرائيل وابن حفيده بختيشوع وحفيد حفيده يوحنا من أبناء هـذه الأسرة جبرائيل بن عبد الله وابنه سعيد عبيد الله كلهم خـدموا الطب والفلسفة والمنطق والديانة النصرانية بما عربوا والفوا . نقل الينا أخبارهم ابن أبى

---

(٢٣٦) د. زاعية قدورة : الشعوبية واثرها الاجتماعى والسياسى ص ٢٢٢ .

(٢٣٧) ل. أ. سيديو : تاريخ العرب العام ص ١٨٢ .

(٢٣٨) د. خليل طوطح : التربية والتعليم عند العرب ، ص ٦٩ .

اصيبعة[٢٣٩] وأبو الفرج العـبرى[٢٤٠] . والقفطى[٢٤١] من القـدماء ، شـيخو[٢٤٢] وسليمان صائغ[٢٤٣] وبرغشتراسر[٢٤٤] وماكس مايرهوف[٢٤٥] وبركلمـان[٢٤٦] ودائرة المعارف الاسلامية ويوسـف غنيمة[٢٤٧] .

هـؤلاء هم المؤلفون النساطرة وقـد كانوا من نخبة القـوم علميا واجتماعيا . وكان حنين بن اسحاق مؤلفا غزير الكتابة غزارته فى الترجمة ، كتب فى مواضيع علمية متنوعة كما وضـع ثبتا قيما بكتاب جالينوس المتوفرة فى ترجمات سريانية وعربيـة وقـد نسب (الفهرست) لابن النـديم الى حنين تسعة وعشرين وصفا وكان يرى فيه أبرز مؤسسى العلوم الصحية والعربية[٢٤٨] .

ففى عهد الخلفاء العباسـيين الستة الأول وبخاصـة عهـد المـأمون كان المسلمون يحملون لواء الحضارة ، وكانت الأمة العربية الاسلامية أجـدر الأمم بأن تكون أستاذ البشرية بفضل عبقريتها المرنة ، وتوسط مركزها بين الأمم ممـا أتاح لهـا الانتفاع بكنوز اليونان والرومان وكنوز الهند والصين التى ظلت تغط فى سبات عميق طـوال العصور .

وظهر جليا اشتغال العلماء بالتأليف فى ميادين العلم المختلفة ومن بينها التأليف

---

(٢٣٩) ابن ابى أصيبعه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٢٣ .

(٢٤٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢١٣ .

(٢٤١) القفطى : تاريخ العلماء بأخبـار الحكماء ص ١٠٢ .

(٢٤٢) شـيخو : (**معـانى الأدب فى حـدائق العـرب**) . (طبعـة بيروت - لبنـان ١٩٠٠ م) حـ ٤ ص ٢٩ .

(٢٤٣) سليمان صائغ : (**مقال عن أسرة بختيشوع**) . مجلة النجم - بغـداد - العراق عـ ٤ (١٩٣٢ م ص ٣٧٦) .

(٢٤٤) برغشتراسر : (**حنين بن اسحاق حـول ترجمات كتب جالينوس السريانية والعربية**) . (لبيزج ١٩٢٥ م) ص

(٢٤٥) ماكس مايرهـوف : (**الفلسفة الانسانية الحـديثة**) مجـلة أيزيس عـ ٨ (١٩٣٥ م) ص ٧١٧ .

(٢٤٦) كارل بروكلمان : (**تاريخ الأدب العربى بالألمـانية**) أنظر الفهارس .

(٢٤٧) يوسف غنيمة : (**خزائن كتب العراق العامة فى أيام العباسيين**) مجلة المشرق بغـداد - العراق عـ ٨ (١٩١٥ م) ص ١٠٩٧ ، ١١٠٧ .

(٢٤٨) لويس ماسينيوس : (**السياسة الاسلامية المسيحية لكتاب النساطرة**) بالفرنسية (فى مؤلفاته الصغرى - بيروت - لبنان ١٩٦٣ م) ص ٢٥٠ ، ٢٥٧ .

فى علم اللغـــة والأدب وأخبار العرب وأشعارهم فتركوا لنـــا ذخائر (مثل الكامل للمبرد ، والبيان والتبيين للجاحظ والأغانى لأبى الفرج الأصفهانى) قيمة خـــالدة تعكس صـــورا واضحة المعالم من الحياة الفكرية والثقافية والاجتماعية فى ذلك الزمان[٢٤٩] ولم يكن الوزراء بأقـــل شأنا فى تشجيع حركة التاليف فى بيت الحكمـــة حيث أدرك ذلك سهل بن هارون وزير المـــأمون فى قـــوة شخصية الجاحظ وثقافته العميقة والهـــوة التى تفصل بين أسلوبه وأسلوبهم وبيانه وبيانهم ، فقال كلمتـــه التى هزت أفئدة الديوانيين : ان ثبت الجاحظ فى الديوان أفـــل نجم الكتاب . فبعـــد أن قرأ الجاحظ كثيرا واتسعت آفاق ثقافته ووعى علم العربية بشتى فروعها ومختلف الوانها . وبعـــد أن أحاط احاطة شاملة بمـــا ترجم عن اليونانية والهندية والفارسية — رأى أن المؤلفين الذين سبقوه الى التدوين والتأليف ليسوا بأكثر منه ولا أبصر منه ذوقا ، ولا أقـــدر وأعمق منه على تناول قضايا الفكر والادب بالبحث والدرس . واخـــذ يؤلف الرسالة تلو الرسالة ، والكتاب تلو الكتاب ، فمـــا فرغ من تأليف كتاب « العباســـة » الذى أهـــداه للمأمون حتى اختاره لتولى ديوان الرسائل فى بغـــداد ، وهـــو منصب خطير لا يتولاه الا الاعلام من أئمـــة الأدب : .. فحز هـــذا الاختيار فى نفـــوس الكثيرين من الأدباء المرموقين ، وأخـــذت دسائسهم تنصب عليه ، فلم يتركوا قـــذيفة من قـــذائف المثالب الا رموه بها[٢٥٠] .

نعم آثر الجاحظ الحياة الحرة المنطلقة على قيود الوظيفة وجـــودها الموبوء . وقـــد فرض على نفسه أن يتفرغ لعالم الفكر بآفاقـــه الواسعة فلا يكاد يفرغ من تأليف كتاب حـــدد له موضوعه حتى يجـــد موضوعات تنتظره وتنسيه مضض بؤســـه وســـواد فقـــره[٢٥١] .

وممن شجع العلم وأكرم العلماء بنو طاهر فى خراسان والسامانيون فى بلاد ما وراء النهر وبنو طاهر فى طبرستان ، ثم بلاد الفرس وبغـــداد أمراء الدولة . وكان عبد الرحمن الصوفى من أشهر علماء الطبيعة فى عصره صـــديقا حميما للأمير البويهى عضـــد الدولة الذى سمى بحـــق أغسطس العرب الثانى ، وأدخـــل عبد الرحمن شيئا من التحسن على قياس الضـــوء ، وكان عضـــد الدولة نفسه رياضيا فأكرم العلماء الذين وفـــدوا على بغـــداد من كل حـــدب وصوب ، واشترك فى مجالسهم العلمية ، وقام جعفر بن الخليفة المكتفى بالله بارصاد خاضعة لحركة المذنبات وألف

(٢٤٩) د. سعد الدين الجيزاوى : دراسات فى الادب العربى ص ٦٧ .

(٢٥٠) سامى الكيالى : (النفس الانسانية فى أدب الجاحظ) . (دار المعارف بمصر ١٩٦١ م سلسلة اقرأ) ص ١٦ ، ١٧ .

(٢٥١) المرجع نفسه ص ١٨ .

بحثــا فيها ، كما اشتغل غيره من الأمراء بدراســة العلوم مــع رعناياهم جنبا الى جنب[252] .

وهــذا (أبو العباس احمد بن محمد مروان) السرخسى عرف العباس باسم « احمد بن الطيب » فارسى الأصــل ، وكان من تلاميذ الكندى ويقال انه ينتمى اليه ، وكان متفننا فى علوم كثيرة من علوم القــدماء والعرب ، حسن المعرفة جيد القريحة بليغ اللسان ، مليح التصنيف والتأليف[253] . مضى عليه زمن كان فيه معلما وصديقا ومستشارا « للمعتضد » ولكن هــذا لم يدم طــويلا وانتهى الأمر بقتل « السرخسى » لأسباب لم نرد الخوض فيها ، وكان ذلك حــوالى (سنة ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م) اشــتغل السرخسى بالجبر والحساب والتنجيم والموسيقى وله فى ذلك مؤلفات أهمها « كتاب المدخل الى صناعة النجوم » و« كتاب الاتماطيقى فى الاعداد والجبر والمقابلة »[254] ، و « كتاب المدخل الى الموسيقى » وغيرها من الكتب .

وباستقرار الأمر للعباسيين بدأت الحركة العلمية تنمو وتزدهر حيث أصــبحت بغــداد قبلة الوافــدين من أنحاء الدولة الاسلامية فأسست بها دور العلم وعظم شــأن مدينة المنصور بفضل تشجيع الخلفاء والوزراء والقادة حتى ساهم كثير منهم فى تأسيس دور العلم التى أخرجت أعاظم العلماء وفحول الكتاب والمؤلفين الذين كانوا روادالحركة الفكرية فى العصور الوسطى ، كما نشطت حركة الترجمــة عن اليونانية والفارسية وأرست دار الحكمة أو بيت الحكمة وغيرها وأقيمت الندوات فى قصور الرشيد والمــأمون ، كما عقدت حلقات الدرس والمناقشــة والأدب والشــعر والفلسفة والمنطق وغيرها[255] .

وللثعالبى[256] كلمة فى بنى العباس لم تكن بعيدة عن الصواب ، قال فيها : ان لبنى العباس فاتحــة وواسطة وخاتمة . فالفاتحة المنصور والواسطة المــأمون والخاتمــة المعتضــد ؛ وبعــد الواثق أخــذ الانحطاط يتسرب الى جسم الدولة حتى أتى الخليفة السابع والثلاثون المستعصم لاقت الدولة أجلها المحتوم على أيدى المغــول سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م .

---

(٢٥٢) سيد أمير على : روح الاســلام : ج ٢ ص ٣٦١ .

(٢٥٣) ابن النــديم : الفهرســت ص ٣٦٦ .

(٢٥٤) ـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٨٤ .

(٢٥٥) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٨ .

(٢٥٦) الثعالبى . أبو منصور عبد الملك بن محمد : (لطائف المعارف) (نشر دى يوانغ ، ليدن ١٨٦٧ م) ص ٧١ .

لكن ذلك لن ينسينا ذروة النفوذ والسلطان والعمران التى بلغها بنو العباس ممثلة فى أيام هارون الرشيد وابنه المأمون اللذين القيا على ذلك العصر هالة مشرقة من النور بحيث أصبح يعتبر أزهى عصور التاريخ الاسلامى على الاطلاق[٢٥٧] . وكما تجلى لنا باستطلاع علاقاتهم فى الدول الأخرى وباستعراض حياة البلاط وبساط الارستقراطية فى العاصمة بغداد وبمراجعة النهضة الفكرية فى عصر المأمون . هذه هى النهضة التى لم تعادلها نهضة أخرى[٢٥٨] .

---

(٢٥٧) د. فيليب حتى : (**تاريخ العرب المطول**) . ترجمة ادوارد جرجى و د. جبرائيل جبور (دار الكشاف ـ بيروت ـ لبنان ـ ط ٤ ، ١٩٦٥ م) جـ ١ ص ٣٦٩ .

(٢٥٨) **المرجع** نفسه جـ ١ ص ٢٧٠ .

ثالثا — عمل المؤلفين فى بيت الحكمة ورواتبهم :

وكان يلحق ببيت الحكمة علماء لهم رواتب محددة ، وتنوعت اختصاصاتهم ، ومن بين هؤلاء العلماء علماء فلكيون ذلك لأن المأمون ألحق ببيت الحكمة مرصدا لاصلاح آلات الرصد ، وكان عماله بالضرورة من بيت الحكمة . بل كان بعضهم من خارجه[٢٥٩] وصاحب بيت الحكمة يرشد على العاملين فيه وعليه أن يرتب الكتب ويعد فهارسها ويصنفها ، وضم بيت الحكمة عدة طوائف ، طائفة النساخ ، وطائفة المترجمين ، وطائفة المفسرين ، وطائفة المنجمين ، وطائفة الكتبة وطائفة المجلدين ، وكان الناسخ ينسخ كل ما يطلب منه نظير أجر ، وعليه أن يرتب لها أوراق كل نسخة بعد جمعها واصلاح ما قد يظهر فيها من أخطاء[٢٦٠] .

وحين فرغ الجاحظ من تأليف كتاب « البيان والتبيين » أهداه الى قاضى القضاة احمد بن أبى داوود فأعطاه خمسة آلاف دينار وحين فرغ من تأليف كتاب « الزرع والنخيل »أهداه الى ابراهيم بن العباس الصولى فأعطاه أيضا خمسة آلاف دينار . وقبل تأليف هذين الكتابين كان قد فرغ من تأليف كتاب « الحيوان » فأهداه الى محمد بن عبد الملك الزيات فأعطاه خمسة آلاف دينار . واذا تجلت مواهبه الفذة جعل التأليف صناعته ، فما من باب الا ولجه باطمئنان وجلى فيه ، وقد كثرت كتبه ورسائله حتى بلغت على حد بعض الرواة ، ثلاثمائة وخمسين مصنفا لم يصلنا منها غير « البيان والتبيين » — البخلاء — الحيوان — المحاسن والاضداد[٢٦١] .

وكان بيع الكتب وشراؤها ونسخها وتجليدها يشغل حيزا كبيرا من حياة الناس الاقتصادية والمعاشية ، فقد كان للكتب سوق تباع فيه كما تباع بقية البضائع ، ويقع سوق هذا بباب بدر ببغداد الشرقية[٢٦٢] ، وعرف أبو المعالى سعيد بن على الحظيرى[٢٦٣] ، المتوفى سنة ٥٦٨ هـ بأنه دلال الكتب فى بغداد[٢٦٤]

---

(٢٥٩) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٧ .

(٢٦٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٢١ .

(٢٦١) سامى الكيالى : النفس الانسانية ، ص ١٩ .

(٢٦٢) الأصفهانى ، عماد الدين أبو عبد الله محمد بن أبى الرجاء : (خريدة القصر وجريدة العصر) . (لجنة التأليف والترجمة بمصر ١٣٥١ هـ — القاهرة) جـ ٢ ص ٣٤٤ .

(٢٦٣) نسبة الى الحظير وهى قرية كبيرة كانت من أعمال بغداد . من جهة تكريت من ناحية دجيل — معجم البلدان — الحظيرة .

(٢٦٤) ابن الجوزى : المنتظم جـ ١٠ ص ٢٤ .

وكان معاشه من الكتب[٢٦٥] . وقد اشتهر جماعة بجودة الخط ، وكان قسم من هؤلاء ممن يحرص الناس أن يحصلوا على كتب بخطوطهم لما عرفت به من الدقة والجمال ، فقد عرف أبو الحسن على بن عبد الرحيم المعروف بابن القصار اللغوى المتوفى سنة ٥٧٦ هـ بأنه كتب بخطه الكثير من كتب الأدب وشعر العرب ... والناس يتنافسون فى خطه ويغالون به[٣٦٦] .

وكذلك اشتهر موهوب بن أحمد المعروف بابن الجواليقى المتوفى سنة ٥٤٠ هـ بأنه مليح الخط كثير الضبط ، صنف التصانيف وانتشرت عنه وشاع ذكره بخطه الكثير[٣٦٧] . وكان صدقة بن أبى الحسين المتوفى سنة ٥٧٣ هـ يعرف بالناسخ ، لأنه كان يعيش من نسخ الكتب . وكان ما يتقاضاه الخزان العظام فى المستنصرية كابن الساعى وابن الفوطى وهما من كبار مؤرخى العراق لا يزيد عن (عشرة دنانير فى الشهر)[٢٦٨] . وكان على بن عيسى وزير المقتدر يعطى الطالبيين والعباسيين وأبناء الأنصار[٢٦٩] .

وكان ابن الفرات يعطى الفقهاء والعلماء والفقراء وأهل البيوتات أكثرهم مئة دينار فى الشهر وأقلهم خمسة دراهم وما بين ذلك[٢٧٠] لهذا كله كانت كل أنظار الناس موجهة الى الخلفاء والأمراء . فالعلماء ان أرادوا الغنى لم يجدوه الا فى خدمتهم ، والشعراء ان أرادوا العيش لم يجدوه الا فى مديحهم . ومن أبرز مظاهر الحركة الثقافية الكبرى فى القرن السادس الهجرى الاقبال على التأليف والتصنيف ، وهذا الغرام بالكتب والتسابق لاقتنائها وبذل الأموال الطائلة فى سبيل ذلك . فأبو محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب المتوفى سنة ٥٦٧ هـ كان مولعا بالكتب حتى أنه لم يحث أحد من أهل العلم وأصحاب الحديث الا وكان يشترى كتبه كلها بل انه باع داره ليشترى بثمنها كتبا حين وجد أن ما معه من نقود لا يكفى[٢٧١] .

---

(٢٦٥) ابن الدبيثى : المختصر المحتاج اليه جـ ٢ ص ٨١ .

(٣٦٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٣ ص ٢٥ .

(٢٦٧) ابن رجب : ذيل الطبقات الحنابلة جـ ١ ص ٢٠٥ .

(٢٦٨) د. ناجى معروف : المدارس الشرابية ص ٣٥ .

(٢٦٩) الصابى ، أبو الحسين هلال بن المحسن : (**تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء**) . (مطبعة البابى الحلبى – مصر – القاهرة – بدون) ص ٣٢٣ .

(٢٧٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٧٢ .

(٢٧١) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة جـ ١ ص ٣١٩ .

وحين عرفت كتب أبى محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان المتوفى سنة ٥٦٩ هـ اشاروا عليه ، أن يبخرها ويصلح ما يمكن منها ، فبخرها بأكثر من ثلاثين رطلا وطلع على راسه وعينيه ، فأحدث له العمى وكف بصره(٢٧٢) .

لقد خاض عالمنا الكبير (الكندى) حقولا شتى من المعرفة وتناول بالتأليف مواضيع مختلفة فى علوم الكيمياء والطب والحساب والمنطق والأدب والهندسة والسياسة والجدلية وعلمى الفلك والنجوم ووضع الألحان الموسيقية وغير ذلك من البحوث التى تناولت تقلبات الجو والبرد والثلج والضباب والرعد والبرق والصواعق . وكان عالمنا على جانب كبير من الثقافة والفلسفة اليونانية وكان متمكنا منها . وقد احصى ابن النديم مؤلفات ومترجمات الكندى بـ (٢٤١) مؤلفا وقد نشر الأستاذ الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده مجلدين تضمنا خمسا وعشرين رسالة من مصنفاته وسماها بـ (رسائل الكندى الفلسفية) وقد ترجم بعض المستشرقين بعض مؤلفات الكندى الى اللغة اللاتينية والألمانية وغيرها من اللغات الأجنبية(٢٧٣) .

فالكندى واسع الاطلاع متبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ، وهو لم يقف عند حد الاطلاع والتبحر بل أنتج وكان منتجا الى أبعد حدود الانتاج ، يدلنا على ذلك مصنفاته العديدة التى وردت فى الفهرست وقد جعلها ابن النديم على سبعة عشر نوعا وهى تزيد على (٢٣٠) كتابا ورسالة : فلقد وضع الكندى : ٢٢ كتابا فى الفلسفة ، ١٩ كتابا فى النجوم ، ١٦ كتابا فى الفلك ، ١٧ كتابا فى الجدل ، ١١ كتابا فى الحساب ، ٢٣ كتابا فى الهندسة ، ٢٢ كتابا فى الطب ، ١٢ كتابا فى الطبيعيات ، ٨ كتب فى الكريات ، ٧ فى الموسيقى ، ٥ فى النفس ، ٥ فى تقدم المعرفة ، ٩ فى المنطق ، ١٠ فى الاحصائيات ، ٤ فى الاحداثيات ، ٨ فى الابعادات(٢٧٤) .

ومن هنا يتجلى لنا خصب قريحة (الكندى) وأنه كان واحد عصره فى معرفة العلوم بأسرها وهى تدل على احاطته بكل أنواع المعارف التى كانت لعهده على اختلافها احاطة تدل على سعة مداركه وقوة عقله وعظيم جهوده . ويرى بعضهم أن مؤلفات الكندى من اهم العوامل التى دفعت الراغبين فى التحصيل الى التلمذة

---

(٢٧٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٢٥ .

(٢٧٣) د.حسين امين (**الفلاسفة المسلمون الأوائل وأثرهم فى التراث الفكرى**) . مجلة المؤرخ العربى - بغداد العراق عـ ٩ (١٩٧٨ م) ص ١٢ ، ١٣ .

(٢٧٤) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٧٤ .

عليه والأخــذ عنه ، كما راى فيها انها زانت دولة الخلافة فى زمن المعتصم فقال ابن نباتة : « وكانت دولة المعتصم تتجمل « بالكندى » وبمصنفاته وهى كثيرة جدا »(٢٧٥) .

والكندى يعتبر رائد الحقيقة ، فقد كان يقــدس الحــق والعلم والعناية بهما ويعتبرها من المميزات الأساسية للاسلام وللروح الاســلامية ، ويعبر الكندى فى رسائله عن شكره لكل من جاء بشىء من الحــق مهما كان يسيرا ، لأن معرفة الحقيقة ثمرة نضـــال الأجيال فى عصور متطاولة ويذكر الأستاذ « ديبــور » فى كتابه تاريخ الفلسفة فى الاسلام « كان الكندى واســع الاطلاع فى جميع العلوم وقــد تمثل كل ما كان فى عصره من علم »(٢٧٦) . وجماع القــول فى مصنفات الكندى ومؤلفـــاته ورسائله ، أنها تدل على شمول عام بميادين المعرفة ، وعلى أنواع من الاهتمام بكل الاتجاهات والتيارات الفكرية فى عصره لا تتهيأ للعقول الكبيرة .

(٢٧٥) ابن نبــاته المصرى : سرح العيــون · ص ١٠٢ ·

(٢٧٦) د· حسين أمين : الفلاسفة المسلمون الأوائل وأثرهم فى التراث الفكرى ، مجلة المؤرخ العربى عـ ٩ ص ١٣ ·

الفصل الرابع : المباحثة والمناظرة بين العلماء والخلفاء والوزراء فى بيت الحكمة



١ ـ تشجيع الخلفاء للمباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة .

٢ ـ رغبة الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة داخل بيت الحكمة .

٣ ـ مشاركة العلماء والشعراء والأدباء فى المناظرة والمباحثة فى بيت الحكمة .

أولا — تشجيع الخلفاء للمباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة :

انتشرت المجالس العلمية فى بغداد التى تضم العلماء فى الدور والقصور والمساجد ، ويتناظرون فيها فى فروع العلم المختلفة . وقد حرص الخلفاء على عقد هذه المجالس ، ومما لا شك فيه أن هذه المناظرات ادت الى رواج الحركة العلمية لأن المناظرة اذا كانت تتم أمام خليفة أو احد كبار رجال الدولة ، فان المشتركين فيها حريصون على اتقان مادتها العلمية حتى يدعم رايه بالأسانيد المعقولة والمقبولة ، ويحظى بتقدير الحاضرين ، وكان للخلافات فى الراى التى تحدث بين رجال العلم أثر كبير فى تقدم الحركة العلمية ، ذاك انها شجعت العلماء على مواصلة البحث والدرس واعداد انفسهم حتى لا يخذلوا فى مجلس المناظرة مما يسوء الى سمعتهم ومكانتهم(٢٧٧) .

كان من عوامل انتعاش الحياة الفكرية فى هذه الحقبة من التاريخ أن كانت هنالك ندوات يغشاها المتبحرون من أعلام اللغة والأدب ممن لهم بصر بالشعر ، وذوق فى النقد ، ودراية بالمنحول أو المسروق ، وربما حضر تلك الندوات الخليفة على جلالة قدره وعظم منزلته ، وخطر جاهه ، وكان يشارك فى الراى ويدافع بالحجة ، ويرجح بعض الجوانب على الآخر بما عنده من علم ، وما لديه من تحصيل ولا يقتصر فى ذلك كله على فن واحد او معرفة بعينها أو ثقافة خاصة ، ولكنه كان ملما بأكثر من ناحية ، وعالما بكثير من العلوم ، يخوض فيها خوض الحاذق ويحاول فيها جدل الباحث ، ويهدر فيها هدير الموج فى البحر المتلاطم ، وقد عرفنا ان الذين اعتلوا عرش الخلافة منذ أبى العباس السفاح حتى أيام المتوكل كانوا هكذا يصبون للعلم ويشجعون الأدب بالندوات والمجالس ، فأبو جعفر المنصور يقول للامام مالك وقد مر بدار الهجرة حاجا ان الناس يتخبطون فى أحكام شريعتهم ، ويجادلون فى أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأننا أرجو ان تختار لهم من تلك الأحاديث ما يكون لهم بمثابة الاعلام التى يهتدون اليها او المعالم التى يترسمون طريقها فلا يضلون فى حكم ولا يختلفون على حق(٢٧٨) .

فيجمع مالك بن انس كتابه الموطأ مسترشدا برأيه معتمدا على توجيهاته التى كانت له بمثابة الأستاذ المعلم والدليل الهادى ثم لا يفوته أن يعترف بذلك ليدلنا

---

(٢٧٧) ابن الجوزى : مناقب بغداد ص ٣٦ .

(٢٧٨) د. ابراهيم أبو خشب : (**تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول**) .
(دار الفكر العربى بالقاهرة — ١٩٧٤ م ، ط ١٩٧٥ م) ص ٢٢ .

بهـذا على مقـدار ما كان عليه المنصور من كفاية يستطيع بها ان يتصدر المجالس ويتزعم المحافـل(٢٧٩) وتروى لنا الأخبار أن المنصور كان وهـو شاب جنادا فى طلب العلم والأدب ، وكان يقصـد مجالس الفقهاء والأدباء(٢٨٠) .

والمعروف عن الخليفة المنصور بجـولاته فى البلدان فى فترة شبابه وحضوره المناظرات والحلقات الفكرية والدينية فى مساجد البصرة والكوفة والمدينة والاهـواز والموصـل وغيرها . ولعـل ذلك ساعد على ذوقـه وسعة وكثرة معرفته وولعـه بالحـديث والأخبار وفى رواية انه عـاد مرة من البصرة الى دار والده فى الشام واخذ يتكلم فى القـدر والمسائل الكلامية وحين سمعه والده منعه من ذلك .

وقـد كان المهـدى يوجـه المناظرات العلمية والأدبية ويجعل أيامه موزعة توزيعا عادلا على العلوم والفنون يستقبل العلماء فى يوم ، والأدباء فى يوم ، ورجال الفنون الأخرى فى يوم آخر ، وكان كل جماعة من هـؤلاء جميعا ، يعرضون عليـه ما وصـل اليه تحصيلهم او انتهى اليهم علمهم وكان يناقش فى ذلك كله عن سـعة علم ، ونضـوج عقل وكثرة وعى ، وعمق تفكير ، وكان اذا شعر من احـد بفتور ، أو تقصير حثه على الجـد ، ودفعه الى المزيد(٢٨١) .

والواقع أن الخلفاء العباسيين لم يالوا جهـدا فى سبيل تشجيع الحركة العلمية فكان الرشيد من ابلغ الناس كلاما ، وأحسنهم نطقا وأكثرهم علمـا وفهما ، كتب الى ولاة الأمصار كلها والى أمراء الأجناد يطالبهم بتشجيع العلم وأهله فقال : فانظروا من التزم الأذان عندكم فاكتبوه فى الف من العطاء ومن جمع القرآن واقبـل على طلب العلم ، وعمر مجالس العلم ومقاعـد الأدب ، فاكتبوه فى الف دينار من العطاء ، ومن جمع القرآن وروى الحـديث وتفقه فى العلم فاكتبوه فى أربعة آلاف دينار من العطاء واسمعوا قـول الفضلاء فى عصركم وعلماء دهركم واطيعـوا الرسول وأولى الأمر منكم وهم اهـل العلم(٢٨٢) .

وبلغ من تشجيع الرشيد للعلم والتعليم أن الغـلام كان يحفظ القرآن الكريم

---

(٢٧٩) المرجع نفسـه ، ص ٢٢٠ .

(٢٨٠) د. صالح الحمارنة : (عمرو بن عبيد وعلاقته بأبى جعفر المنصور) مجلة المؤرخ العربى - بغداد ع- ٢٢ (١٤٠٤ هـ/١٩٨٢ م) ص ٢٠٥ .

(٢٨١) د. ابراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ، ص ٢٢١ .

(٢٨٢) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٦ .

وهـــو ابن نهان سنين ويتبحر فى الفقـــه ويروى الحـــديث ويناظر المعلمين وهـــو ابن احـــد عشر عاما[٢٨٣] .

وكانت الحلقات العلمية فى حضرة الخلفاء تجمع بين مختلف العلماء على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم . كانت للمـــأمون حلقـــة علمية تجمع فيها علماء الديانات والمذاهب كلها . وكان يقول لهم ابحثـــوا مما شئتم من العلم من غير أن يستدل كل واحـــد منكم بكتابه الدينى كيلا يثور بذلك مشاكل طائفية . ومثل ذلك كانت الحلقات العلميـــة الشعبية . قال خلف بن المثنى لقـــد شـــهدنا عشرة فى البصرة يجتمعون فى مجلس لا يعرف مثلهم فى الدنيا علما ونباهـــة . وهم الخليل بن أحمد صاحب النحو (وهـــو سنى) والحميرى الشاعر (وهـــو شـــيعى) وصالح بن عبد القـــدوس (وهـــو زنديق ثنـــوى) وسفيان بن مجاشـــع (وهـــو خارجى صـــفوى) وبشـــار بن برد (وهـــو شعوبى خليع ماجن) وحماد عجرد (وهـــو زنديق شعوبى) وابن رأس جالـــوت (وهـــو يهـــودى) وابن نظير المتكلم (وهـــو نصرانى) وعمر بن المؤيد (وهـــو مجـــوسى) وابن سنان الحرانى (وهـــو صابئى) كانوا يجتمعون ويتناشدون الاشـــعار ويتناقلون الاخبار فى جـــو من الـــود لا تكاد تعرف منهم أن بينهم هـــذا الاختلاف الشديد فى دياناتهم ومذاهبهم[٢٨٤] .

وتطورت بعـــد ذلك مجالس الخلفاء فى العصر العبـــاسى ، فكانت من أروع المجالس فى أثاثها وســـعة رحابها ، وكثرة علمائها وأدبائها وتنـــوع أبحاثها وفنونها ، عـــذا عدا مجالس الطرب التى كانت الصـــبغة الأدبيـــة غالبـــة عليهـــا بما يثـــار فيها من حـــديث الشعر والشعراء وتفسير الكلمات التى يتغنى بها المغنـــون ومن اشـــهر حلقات بنى العباس فى فخامة مجالسهم وروعتها الرشيد والمـــأمون . أما الرشيد فقـــد كان يحتشد فى مجالسه أعلام العلماء من كل فن وعلم ، وحسبك ان كان من رواد مجالسه من الشعراء أبو نواس وأبو العتـــاهية ودعبـــل ومسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف ومن الفقهاء أبو يوســـف والشافعى وأحمد بن الحسن ومن اللغـــويين الأصمعى والكسائى ومن المؤرخين الواقـــدى المؤرخ الشهير[٢٨٥] .

ومن المناظرات الفقهية التى وقعت فى مجلسه أن محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة وصف الكسائى بأنه لا يحسن ، وانمـــا يحسن شيئا من كلام العرب ، فقال

---

(٢٨٣) ابن قتيبة : (**الامامة والسياسة**) . (القاهرة ١٣٢٢ هـ) جـ ١ ص ٩٩ .

(٢٨٤) د. مصطفى السباعى : من روائع حضارتنا ص ٨٩ .

(٢٨٥) المرجع نفسته ، ص ١٦٤ .

الكسائى من تبحر فى علم واحد اهتدى به الى سائر العلوم ، فقال له محمد يختبره ، ما تقول فيمن سها فى سجود السهو هل يسجد مرة اخرى ؟ قال الكسائى . لا . قال محمد لماذا ؟ فأجاب الكسائى : لأن النحاة تقول المصغر لا يصغر(٢٨٦) . فالفقهاء والمتكلمون فحدث ما شئت عن شغفهم ببغداد وهيامهم فيها وعما كان لهم من مجالس المناظرة والجدال .

فأما الحياة العلمية فقد كانت على شدة الاضطراب السياسى غضة نضرة ، وربما امتاز عصر أبى العلاء بالمجامع العلمية ببغداد فقد كان للأدباء على اختلافهم مجمع زعيمه الشريف الرضى ومجمع آخر حول الوزير سابور بن أردشير الذى خصص الثعالبى فى اليتيمة فصلا لمدحه ، وكان هناك مجامع فلسفية وكلامية منها العامة التى يشهدها الناس كافة كمجمع الشريف الرضى ومنها الخاصة التى لم يشهدها الا أفراد تآخوا واتفقوا على الا يحضر اجتماعهم الا من نحا نحوهم فى الرأى المجمع الذى يلتئم يوم الجمعة من كل أسبوع فى بيت أبى أحمد بن الحسن البصرى صاحب الصوت البعيد فى علم تقويم البلدان وكانت المحاضرات تلقى على الناس من أئمة اللغة والفقه والكلام ، حسبك أن تعلم أن أبا حامد الأسفراييني وهو من فقهاء الشافعية كان يحضر درسه ألف وسبعمائة من الطلبة منهم التلاميذ والمتعلمون والأساتذة المعلمون والرجوع الى ترجمته فى وفيات الأعيان(٢٨٧) .

وواضح من هذين النصين كيف كان يلتقى أصحاب الملل والنحل والأهواء المختلفة فى المجالس ، وكيف كانوا يثيرون كثيرا من المسائل التى تتصل بأهوائهم ونحلهم وملهم ويتحاورون حوارا طويلا . وكانت هناك مجالس أخرى للمتفلسفة والمتكلمين ، ويقال ان مجلس يوحنا بن ماسويه كان أعمر مجلس بمدينة بغداد يحضره المتطبب أو المتكلم أو المتفلسف ويجتمع فيه كل صنف من أصناف أهل الأدب وكان تلاميذه يقرأون عليه كتب المنطق لأرسطوطاليس وكتب جالينوس فى الطب(٢٨٨) .

وكانت لأبى داوود المعتزلى مستشار المأمون والمعتصم والواثق ندوة كبيرة

---

(٢٨٦) المرجع نفسه ، ص ١٦٥ .

(٢٨٧) د. طه حسين : (تجديد ذكرى أبى العلاء المعرى) . (ط ٦ ، دار المعارف بمصر — بدون) ص ١٣٢ .

(٢٨٨) ابن أبى أصيبعة — عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ، ج ١ ص ١٢٤ .

يحضرها من كبار المترجمين والأطباء سلمويه وابن ماسويه وبختيشوع وابن جبريل(٢٨٩) .

ولقد كان للمرأة دور فى المباحثة والمناظرة وهى ليست بأقل من الرجل فزبيدة ام جعفر زوجة الرشيد كانت تنظم الشعر وتناظر الرجال فى شتى نواحى الثقافة والفكر(٢٩٠) .

وكانت عائشة بنت الرشيد من أفضل نساء عصرها تشجع الأدباء والشعراء وتجزل الصلات لهم وكذلك علية بنت الرشيد كانت من الشعراء ومن ربات الرأى ، وعرف عنها الحزم ، وكذلك كان أبوها يعتمد عليها فى مهام أموره ويفضى اليها بأسراره(٢٩١) .

أما العباسه بنت المهدى فكانت سيدة أديبة فاضلة وكان الرشيد يشركها فى مجالسه مع وزيره جعفر بن يحيى البرمكى حينما ينظر فى الأمور الهامة لأنه يأنس برأيها ، ويطمئن اليها(٢٩٢) . ثم كانت تعقد مناظرات فى قصور الخلفاء والأمراء ودور الولاة والعلماء ومن أكثر هذه المناظرات شهرة تلك التى كانت تعقد فى عهد المأمون فى قصره . ولم تكن تلك المناظرات او المجالس دورا مخصصة للدرس والتدريس ولكنها كانت على كل حال مراكز علم(٢٩٣) كل ذلك ساعد على ظهور الحركة العلمية ونشاطها فى بغداد مما جعل بيت الحكمة ذا مكانة مرموقة تمتلىء بالكتب المختلفة وتضاف اليها المصنفات العظيمة مما شجع أصحابها على التأليف والمباحثة والمناظرة حتى أن علان الشعوبى كان راوية عارفا بالانساب والمناظرات ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون(٢٩٤) .

وكان المأمون مثقفا ثقافة فارسية لأن أمه كانت فارسية وكان يميل الى حرية الفكر والبحث ، مما دفعه الى ايجاد « مجالس المناظرة » حتى يتمكن عن طريقها من ازالة الخلاف بين العلماء فيما يدلون به من آراء علمية ، فقد روى عن

---

(٢٨٩) الجاحظ : الحيوان جـ ٤ ص ١٢٣ .

(٢٩٠) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٥١٥ .

(٢٩١) عمر رضا كحالة : (أعلام النساء فى عالمى العرب والاسلام) . (المطبعة الهاشمية - دمشق ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م) جـ ٣ ص ٣٣ .

(٢٩٢) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٩٠ .

(٢٩٣) د. أحمد فكرى (أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة) . (دار الكتب المصرية ١٩٦٩ م) ص ١٨٧ .

(٢٩٤) Brown Edward G. : **A Literary History of Persia.** London 1909, p. 281.

القاضى يحيى بن أكتم انه قال : امرنى المـــامون عند دخوله بغـــداد أن أجمع لــــه وجـــوه الفقهاء واهـــل العلم من بغـــداد فاخترت لـــه من أعلامهم اربعين رجلا واحضرتهم وجلس لهم المـــامون . فسأل عن مسائل ، وأفاض فى فنون الحـــديث والعلم . فلمـــا انفض المجلس الذى جعلناه للنظر فى أمر الدين قال المـــامون يا أبا محمـــد ... انى لأرجـــو ان يكون مجلسنا هـــذا .. بتوفيق الله وتأييده ... سببا لاجتماع هـــذه الطوائف على ما هـــو ارضى واصلح للدين(٢٩٥) .

فكان المـــأمون يجلس كل أسبوع للمناظرة فقهاء الاسلام فى زمانه وكانوا يلتقون حـــول مائدة ، ويستمعون بعضهم الى آراء بعض ، ويتقبلون النظر فى القضـــــايا المطروحة وقـــد يتفقـــون من بعـــد خـــلاف فقـــد دخـــل الكندى الشـــاب المعتد بنفسه الى مكان الاجتماع ، فنظر حـــوله ، ثم تخطى القـــوم حتى يجلس قريبـــا من الخليفة وكان مجلس الرجل من الخليفة يحـــدد فى العادة مكانته من الحاضرين وقـــد جاء مجلس الكندى فـــوق مجلس احـــد الفقهاء البارزين فغاظـــه ذلك وسأل الكندى كيف يتجرأ أن يتبوأ مجلسا افضل من مجلسه - فرد عليه الكندى « لأنى أعرف ما لا تعرف ، ولا تعرف ما أعرف »(٢٩٦) .

وكان لهـــذه المجالس دور كبير فى تشجيع الحركة العلمية وازدهارها لأن اشراف الخليفة المباشر عليها فى جميع مجالاتها قـــد أعطاها أهمية كبيرة ولهـــذا انطلق فى التعميق والبحث والمناقشـــــة والمناظرة معتمدين فى ذلك على تشجيع الدولة للعلم والعلماء وفى أخبـــار مجالسه ما يدل على أنه كان يمارس اكتساب المعرفة بطـــرق علمية تجريبية غير مكتف بمـــا يقرأ وما سيسمع وغير قانع بمـــا يحصل عليه بتلك الطرق(٢٩٧) .

وظلت حرية التفكير هى السنة المـــالوفة فى بلاط الخليفة ويصف المسعودى مجلسا من المجالس العلمية التى كان يعقـــدها المـــأمون فى آخر النهار . كان المـــأمون يجلس فى كل يوم للمناظرة فى الفقه يوم الثلاثاء ، فاذا حضر الفقهاء ومن يناظره من ســـائر اهـــل المقالات ادخلوهم حجرة مفروشة ، وقيل لهم : انزعـــوا اخفافكم ، ثم احضرت الموائد وقيل لهم اصيبوا من الطعام والشراب ، وجـــددوا الوضـــوء فاذا

---

(٢٩٥) د. على ابراهيم حسن : (التاريخ الاسلامى العام) . (مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ط ٢ ١٩٧٢ م) ص ٤٠٧ .

(٢٩٦) جـون. س بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية- ينبوع النهضة ص ٨٠ .

(٢٩٧) د. فاروق النبهان : مبادىء الثقافة الاسلامية ص ٢٩ ، ٣٠ .

فرغـوا أتوا بالمجـامر فبخروا وطيبـوا ثم أخرجـوا فاستدناهم حتى يدنوا منـه ويناظرهم احسن مناظرة وانصعها وأبعـدها عن مناظرة المتزمتين ، فلا يزالون كذلك الى أن تزول الشمس ثم تنصب الموائد الثانية فيطعمون وينصرفون(٢٩٨) .

اما مجالس المناظرة ومكانتها السامية فى العصر المـأمونى . فقـد وقفت على طرف عظيم منه : نقـول ان المناقشات الحادة بين سيبويه والكسائى فى شأن مسألة نحـوية ، وبين الشـعراء والأدباء فى تفضـيل شاعر على شـاعر وبين السنيين والمعتزلة فى القـول بخلق القرآن ، وأبهاء الأدب عند الأمين والمـأمون وأنصارهما ، وأمراء العرب كأبى دلف وعبد الله بن طاهر وغيرهما لتدل أوضح الدلالة على ما كان للمناظرة فى هـذا العصر من مكانة حتى أصبحت من أهم مميزاته وكبريات آثاره(٢٩٩) .

من جانب آخر نرى أن شخصية المـأمون كان لهـا اكبر الأثر فى أن يتم هـذا التطور الى غايته ، فقـد كان فى طبيعته رجلا رحب العقل حر النظر واسـع الأفق ، كما تشهد بذلك صـور حياته ، وشجع على المناظرة وجعل مجالسه مجالس بحث ونظر وحـوار بين المذاهب المختلفة ، وأقبـل على هـذه المتعـة العقلية يحيط بها نفسـه ويملأ بها حسه فكان يميل الى المعتزلة لأن آراءهم تتفق مع العقل والمنطق . فقد كان بلاط المـأمون يموج بجمهرة غفيرة من رجال العلم والأدب والأطباء والفلاسفة الذين شملهم جميعا برعايته(٣٠٠) .

وكان المـأمون يشرف بنفسه ويشترك فيها بعلمه وثقافته الواسـعة ولم تكن مجالس المناظرة والمباحثة قاصرة على قصور الخلفاء وانمـا تعـدت ذلك الى الجامعات ومعاهـد العلم وبيوت العلمـاء وقـد بلغ ولع علمـاء الاسلام بالمناظرة والمباحثة اذ جعـلوها من أنواع التسلية والترويح عن النفس والمتعـة الأدبية ، واستمرت المناظرة عاملا من عوامل النشاط والحياة للفكر الاسلامى . حتى أصابها الضعف وانتابتها المزالـق والافات ، فاهتم المتناظرون بالتوافـه من الأمور ووجهوا همهم نحـو مسائل وأمور غير واقعية(٣٠١) .

---

(٢٩٨) ول . ديورانت : قصة الحضارة جـ ٢ ص ٩٦ .

(٢٩٩) د. احمد فريد رفاعى : عصر المـأمون ص ٤٠٦ .

(٣٠٠) د. طـه الحاجرى : (**الجاحظ حيـاته وآثاره**) . (دار المعـارف بمصر ١٩٦٩ م) ص ٢١٢ ، ٢١٣ .

(٣٠١) د. عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٤١٦ ، ٤١٩ .

غير أننا لا نوافق الدكتور التومى الشيبانى فيما ذهب اليه لأن المناظرة والمباحثة فى بيت الحكمة كانت على أشدها وتتم فى جو علمى تسوده الحرية المطلقة والمباحثة فى مختلف أنواع العلوم الفلسفية والطبية وغيرها .

وهكذا كان المأمون بحق نجم ولد العباس فى العلوم التى أخذ منها بقسط وافر . حتى أن البرامكة مع علو كعبهم فى العلوم . فانهم اعتبروا أشبه بالجهلة بالنسبة له(٣٠٢) . فكانت منازل الخلفاء والوزراء تثار فيها المسائل ؛ وتناقش فيها القضايا ؛ وقد ساعد على ذلك اطلاق الخلفاء العباسيين الحرية فى التفكير والاعتقاد ما دام ذلك لا يمس الخلافة . ولا ينال من السلطان القائم .

وكانت بغداد فى العصر العباسى الثانى كعبة يحج اليها العلماء ، كما كانت روميه فى ابان التمدن الرومانى حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الأتراك كان على مذهب أخيه المأمون فى الاعتزال واكرام الشيعة . فظلت بغداد على نحو ما كانت عليه ايام المأمون(٣٠٣) .

وكان الواثق يتشبه بالمأمون فى حركاته وسكناته . وكان يعقد المجالس مثله للمباحثة بين الفقهاء والمتكلمين فى انواع العلوم العقلية والسمعية فى جميع الفروع . وهم حتى فى مجالس سمرهم ولهوهم كانوا علماء أدباء لا يفوتهم تحقيق مسألة أو كشف غامض أو تصحيح خطأ ؛ كما نلمس ذلك فى الحادثة التاريخية التالية : فى أحد مجالس الخليفة الواثق غنت جارية بين يديه :

أظلوم أن مصابكم رجلا   أهدى السلام تحية ظلم

فرد عليها بعض الحاضرين نصبها (رجلا) ظانا أنه خبر (ان) فصوابه الرفع على زعمه .وما درى أن (رجلا) مفعول المصدر و (مصابكم) فى معنى « أصابتكم » وخبر « ان » هو « ظلم » فانكرت الجارية ما زعمه هذا الرجل وقالت : لا اقبل هذا ولا غيره . وقد قرأته هكذا على اعلم الناس بالبصرة أبى عثمان المازنى . فأمر الواثق باحضاره من البصرة الى بغداد . قال المازنى : لما دخلت على الواثق قال : باسمك ؟ يريد : ما اسمك ؟ قال المازنى : وكأنه أراد أن يعلمنى معرفة بابدال الباء مكان الميم فى هذه اللغة . فقلت له : بكر بن محمد

---

(٣٠٢) د. عبد المنعم ماجد : العصر العباسى الاول جـ ١ ص ٢٤٩ .

(٣٠٣) جرجى زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية جـ ٢ ص ٢٣ .

المازنى . قال مازن شيبان أم مازن تميم ؟ قلت : مازن شيبان ، فقال حدثنا ، فقلت يا أمير المؤمنين : هيبتك تمنعنى من ذلك ، وقد قال الراجز :

لا تقلواها وادلواها دلوا ان مع اليوم اخاه غدوا

قال : فسره لنا ، قلت : لا تقلواها : لا تعنفاها فى السير : يقال : قلوته : اذا سرت سيرا عنيفا ، ودلوت : اذا سرت سيرا رفيقا(٣٠٤) .

هكذا كانت مجالس الخلفاء فى العصر العباسى كخلية النحل نفوس تشفى وعقول تتغذى بجمال الفكر وروعته وما مجلس الخليفة الواثق الا خير شاهد على ذلك .

ويروى الخطيب البغدادى(٣٠٥) أن ابن أبى دواد الذى ولد بالبصرة سنة ١٦٠ هـ قد اتصل بالمأمون عن طريق يحيى بن أكثم ، فكان يجلس مجالس المأمون فى الجدل والمناظرة ، فاعجب المأمون بعقله وحسن منطقه وقربه ، واصبح ذا نفوذ كبير فى قصره وكان من وصية المأمون للمعتصم « أبو عبيد الله ابن أحمد بن أبى دؤاد لا يفارقك التركة فى المشورة فى كل أمرك ، فانه موضع ذاك ولا تتخذن بعدى وزيرا » .

فلما ولى المعتصم جعل ابن أبى دواد قاضى القضاة وكان يحيى بن أكثم كذلك قاضى القضاة فى أيام الواثق ويتولى المتوكل فأصيب بالفالج وافل نجمه ، وكانت مدة عظمته ونفوذه وجاهه نحوا من ثمان وعشرين سنة ، ومن سنة ٢٠٤ هـ وهى السنة التى عرفه فيها المأمون الى سنة ٢٣٢ هـ وهى سنة خلافة المتوكل ومات أحمد سنة ٢٤٠ هـ على ما حكى المسعودى والذهبى وابن خلكان .

وكان ابن أبى دواد عظيم الجاه ، قوى النفوذ ، وقد كسب نفوذه من شخصيته ومكانته من الخلفاء مثل فى دولة النفوذ الفارسى المروءة العربية ، فكان واسع المروءة ، بعيد الهمة ، كان مظهر مروءته الكرم الوافر الذى يمتلك من قلوب الناس وأعلى بكرمه شأن العرب كما أعلى البرامكة بكرمهم شأن الفرس ، وكان يقال : « اكرم من كان فى دولة بنى العباس البرامكة ثم ابن أبى دواد »(٣٠٦) .

---

(٣٠٤) د. مصطفى السباعى : من روائع حضارتنا ص ١٦٨ .

(٣٠٥) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ٤ ص ١٤٢ .

(٣٠٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢١ .

وعلى هـــذا التدهور السياسى صحبته نهضة علميـــة ، وضـــعف العاصمة واضمحلالها نشأ عنه عـــواصم كل منها مثلت دور بغـــداد بنجاح عظيم . يقـــول خـــودا بخش(٣٠٧) : « وفى الممالك المستقلة أو شبه المستقلة التى انقسم لهـــا العالم الاسلامى ، قامت أسر حاكمة ، وكانت هـــذه ينافس بعضها بعضا فى حماية العـــلم والمتعلمين ، فأصبحت القصور الجـــديدة فى العواصم المتعـــددة ،راكز ثقـــافية خصبة » . وكانت تلك القصور وما فيها من مجالس فى ذلك العهد تقوم مقام الجامعات اليـــــوم(٣٠٨) .

ويقـــول العينى(٣٠٩) « وكان السلطان محمود يحب العلم والعلمـــاء ويكرمهم ويجالســهم ويحسن اليهم وكانت تعقـــد مناظرات طويلة بين يديه » . وحين استولى السلاجقة على بغـــداد وعلى اغلب العالم الاسلامى ظهر اسم الوزير نظـــام الملك الذى كان الســـلطان الحقيقى لدولة السلاجقة الأولى وكان هـــو نفسه فقيهـــا وعالمـــا(٣١٠) .

فكانت تعقـــد المناظرات فى حضرته ، وقـــد خرج لـــه الغزالى مرة وناظر الأئمـــة والعلماء فى مجلسه ، وقهر الخصوم ، وظهر كلامه على الجميع ... فـــولاه نظام الملك التدريس بالمدرسة النظامية ببغـــداد(٣١١) .

وطالمـــا جرت مناظرات بين ابى اسحاق الشيرازى وامام الحرمين ابى المعالى الجـــوينى بحضرة نظام الملك(٣١٢) . والواقع أن الخلفاء العباسيين لم يألوا جهـــدا فى تشجيع الحركة العلمية عن طريق المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة التى لعبت دورا عظيما فى تنميتها وتشجيع النهضة الفكرية واثراء تراثنا الثقافى فى جميع جـــوانبه الدينية والأدبية والفلسفية والعلمية . ويشيد بذلك جوستاف لوبون : ان حب العرب للعلم كان عظيما وانهم بلغـــوا درجة رفيعة من الثقافة بعـــد أن أتمـــوا فتوحاتهم بزمن قصير ، حتى استطاعوا ان يبدعـــوا حضارة انبعث فيها الآداب والعلوم والفنون وبلغت الذروة .

---

(٣٠٨) Khuda Bukhsh : Contribution to the History of Islamic Civilization, p. 284.

(٣٠٨) احمد امين : ظهر الاســلام ج ٢ ص ٢٨٧ .

(٣٠٩) العينى : بدر الدين محمود بن احمد : عقـد الجمان فى تاريخ اهـل الزمان ج ١٣ مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

(٣١٠) السبكى : طبقات الشافعية ج ٣ ص ١٣٥ ، ١٤٥ .

(٣١١) الغزالى : احيـاء علوم الدين ج ١ ص ٣ .

(٣١٢) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٨١ .

ثانيا — رغبة الخلفاء والوزراء فى المباحثة والمناظرة داخــل بيت الحكمــة :

ومما لا شك فيه أن المجتمع كان يرتبط حينئذ بالاسلام ارتباطا وثيقا فى جميع شئونه الروحية والاجتماعية ولكن كأنما أصبح سلطان العقل فوق سلطان الدين . وكل ذلك باعثه الحقيقى رقى الحياة العقلية فى هـذا العصر ، فاذا كل شىء يناقش فى حرية ، واذا كل شىء يعرض على بساط البحث والجـدل فكان وراء هـذا المجلس الكبير ومجلس يحيى بن خالد البرمكى مجالس صغرى ما يزال يجتمع فيها العلماء ويتجادلون ويتناظرون ، من ذلك مجلس أيوب بن جعفر ابن أبى جعفر أبى المنصور . وقـد اجتمع فيه يوما النظام وابو شمر المتكلم ، وكانت فى أبى شمر رزانة تجعله لا يحرك يديه ولا منكبيه اذا جادل أو ناظر ، فاضطره النظام بما أورد عليه من البراهين فى مسألة ناظره فيها ان يحرك يديه وان يحبو اليه حبوا يريد أن يسكته بيـده بعـد أن أعجزه أن يسكته بالأدلة العقلية[٣١٣] .

فكانت الثقافة فى هـذا العصر شيئا طاغيا جارفا تنفعـل به النفوس وتدور حـوله أحاديث المجالس ؛ كمجلس يحيى بن خالـد البرمكى الذى أشرت اليه من قبـل ؛ وتنعقـد لـه حلقات الدرس فى المساجد وفى دور العلماء[٣١٤] .

ثم ان الأمراء والوزراء فى الدولة الاسلامية[٣١٥] كان لهم أيضا شغف بمجالس العلم ورعايتها ومن أشهر هـذه المجالس مجلس الوزير ابن الفرات فى عشرينات القرن الرابع الهجرى ؛ ومجلس أبى عبد الله الحسين فى سبعينات القرن نفسـه . ولعلنا ندرك أن هناك أرضا خصبة لاحتضان العلوم وازدهارها فى هـذا المجتمـع العباسى الذى يحرص فيـه الخلفاء والوزراء كل الحرص على رعاية العلم والعلماء ، وفى ظـل تلك النظرة السامية للعلم والعلماء اتفقت نظرتهم ورغبتهم فى المباحثـة والمناظرة فى بيت الحكمـة .

وما يروى من مناظرة الكسائى وسيبويه بين يدى الرشيد أو بين يحيى بن خالد البرمكى[٣١٦] ،وكانت مجالس البرامكة ندوات كبيرة للمتكلمين والفلاسفة من كل نحلة

---

(٣١٣) الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٩١ .

(٣١٤) د. محمد مصطفى هداره : (**اتجاهات الشعر العربى فى القرن الثانى الهجرى**) . (دار المعارف بمصر ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م) ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٣١٥) ابن القفطى : (**أنباه الرواة على أنباه النحاة**) . (طبعة مصر ١٣٦٩ هـ) ج ٢ ص ٢٧١ .

(٣١٦) المسعودى : مروج الذهب حـ ٣ ص ٢٨٦ .

يتجادلون فيها ويتحاورون فى كل ما يعرض لهم من مسائل . وفى ذلك يقول المسعودى : « كان يحيى بن خالد البرمكى اذا بحث ونظر ، وله مجلس يجتمع فيه أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل ، فقال لهم يحيى وقد اجتمعوا عنده : قد أكثرتم الكلام فى الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفى والحركة والسكون والمماسة والمباينة والوجود والعدم والجوهر ، والطفرة والأجسام والاعراض والتعديل والتحوير والكمية والكيف والمضاف والامامة أنص هى اختيار سائر ما ترونه من الكلام فى الأصول والفروع فقالوا الآن فى العشق على غير منازعة وليورد كل منكم ما سنح له فيه وخطر بباله »[٣١٧] .

ويصور المسعودى ما عاد على الحركة العلمية من هذه الندوات التى غدت كأنها مجمع علمى كبير فيقول : « قرب المأمون اليه كثيرا من الجدليين والنظاريين كأبى هذيل العلاف وأبى اسحاق بن سيار النظام[٣١٧] وغيرهما ممن وافقهما وخالفهما (يريد المعتزلة وغيرهم) وألزم مجالسة الفقهاء وأهل المعرفة من الأدباء وأقدمهم من الأمصار وأجرى عليهم الأرزاق (الرواتب) فرغب الناس فى صناعة النظر وتعلموا البحث والجدل ، ووضع كل فريق منهم كتبا ينصر فيها مذهبه ويؤيد بها قوله » .

وقد كفلت الحرية العقلية فى هذا المجلس وهذا المجمع الى أبعد غاية ممكنة بحيث كان كل رأى يعرض للمناقشة العقلية الخالصة حتى آراء الزنادقة[٣١٨] . ويتحدث صاحب النجوم الزاهرة عن مجلس فى البصرة فيقول : « كان يجتمع بالبصرة عشرة من مجلس لا يعرف مثلهم : الخليل ابن أحمد صاحب العروض (سنى) ووليد ابن محمد الحميرى الشاعر (رافضى) وصالح بن عبد القدوس (ثنوى) وسفيان ابن مجاشع (صفرى) وبشار بن برد خليع ماجن ، وحماد عجرد (زنديق) وابن رأس الجالوت الشاعر اليهودى وابن نظير النصرانى (متكلم) وعمرو بن أخت المؤيد المجوسى وابن سنان الحرانى الشاعر فتناشد الجماعة أشعارا وأخبارا[٣١٩] كما تروى لنا بعض كتب النحو مناظرات بعض العلماء فى النحو والصرف واللغة ، كالفصل القيم الذى عقده السيوطى فى كتابه — الأشباه والنظائر فى المناظرات

---

(٣١٧) المسعودى . مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٥ .

(٣١٨) الجاحظ : الحيوان ج ٤ ص ٤٤٢ .

(٣١٩) ابن تغرى بردى ، أبو المحاسن جمال الدين : (**النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة**) . (طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة . ١٣٧٠ هـ/١٩٥٢ م) ج ٢ ص ٢٩ .

والمجالسات والفتاوى والمكاتبات والمراسلات(٣٢٠) وقد تناظر ثعلب مع المبرد فى حضرة محمد بن عبد الله بن طاهر فى كلمة « لواذا » ومن قوله تعالى : « قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا »(٣٢١) . ويروى أيضا أن محمد بن عبد الله بن طاهر كان رجلا لا يقبل من العلوم الا حقائقها وانه كان يجمع بين البصريين والكوفيين للمناظرة(٣٢٢) . ويروى أن الكميت شهد الجمعة بمسجد الجامع فأحاط به علماء الكوفة ورواتهم ، فيهم حماد والطرماح فجعلوا يسألونه حتى اذا فرغوا من سؤالهم اخذ هو يسألهم(٣٢٣) .

وكانت مسألة خلق القرآن أهم موضوع جدلى أثير فى عهد المأمون ، وقد اعتنق المأمون رأى المعتزلة فيه ، ولم يدع للناس حرية ما يعتنقون فى هذه المسألة ، بل رأى أن من لم يقل بخلق القرآن فهو مطعون فى دينه ، وكانت وسيلته الأولى الاقناع والمناظرة ، ومن ثم حفلت المجالس بالقول والجدل فى هذا الموضوع الخطير ، وقد دونت كتب الأدب والتاريخ صورا من هذه المناظرات(٣٢٤) .

ولما كانت المناظرة والجدل من أهم ما كان يعتمد عليه المعتزلة فى نشر آرائهم فقد وضعوا أسسا تعتبر بحق قواعد علم للبحث والمناظرة فقد روى « أنه اجتمع متكلمان فقال أحدهما : هل لك فى المناظرة ؟ فقال على شرائط : الا تغضب ولا تعجب ولا تشغب ، ولا تحكم ولا تقبل على غيرى وأنا أكلمك ، ولا تجعل الدعوى دليلا ولا تجز لنفسك تأويل آية على مذهبك الا جوزت لى تأويل مثلها على مذهبى وعلى أن تؤثر التصادق ، وتنقاد للتعارف ، وعلى أن كلا منا يبنى مناظرته على أن الحق ضالته والرشد غايته »(٣٢٥) .

وكان عهد سلسلة انتصارات للمعتزلة فى مجالس البحث والمناظرة الكثيرة التى عقدوها مع الشيعة ، والملحدين من الدهرية والثنوية فقد ناظر ابو الهذيل

---

(٣٢٠) السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن ابى بكر : (الأشباه والنظائر) . (حيدر آباد ـ الدكن ـ الهند ١٣١٦ هـ) جـ ٣ ص ١٥ .

(٣٢١) ابن حنزابه : مجالس أبى مسلم ـ مخطوط ص ٦٠ دار الكتب المصرية ٧٧ ادب .

(٣٢٢) ابن طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر : (تاريخ بغداد) (طبعة ليبسك ١٩٠٨ م) ص ٦٨ .

(٣٢٣) المصدر نفسه ١١٨ .

(٣٢٤) السبكى : طبقات الشافعية جـ ١ ص ٢٠٥ ، ٢١٥ .

(٣٢٥) الأصفهانى ، الحسين : (محاضرات الأدباء) . (القاهرة ـ ١٢٨٧ هـ) جـ ١ ص ٤٥ .

العلاف صالح بن عبد القدوس لما قال فى العالم أنه من أصلين قديمين : نور وظلمة ، وكانا متباينين فامتزجا فقال أبو الهذيل : فامتزاجهما اهو هما أم غيرهما قال : بل أقول هو هما : فألزمه أن يكونا ممتزجين متباينين اذ لم يكن هناك معنى غيرهما ولم يرجع(٣٢٦) ذلك اليهما فانقطع وأنشأ يقول :

الى الهذيل جزاك الله من رجل فأنت حقا لعمرى مفصل جدل

ويعود انتصار المعتزلة على خصومهم فى مجالس المباحثة والمناظرة الى اتصالهم بالفلسفة اليونانية وتزودهم بها حتى ضمنوا انتصارهم كما فعل أبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام(٣٢٧) ودرسوا كذلك المذاهب الأخرى ليتعرفوا مواطن الضعف فيها وليعدوا أنفسهم للرد عليها .

على كل حال كانت هذه المجالس والمناظرات سببا كبيرا من أسباب الرقى العلمى ، فقد حفزت العلماء للبحث والنظر ، وحملتهم على الجد فى تصفية المسائل حتى يظهروا فى هذه المجالس فظهر الثقة الدقيق النظر وحتى لا يفشلوا فيكون فى هذا الفشل القضاء عليهم . كان العلماء يطيلون النظر ويعدون العدة الطويلة لمثل هذا الموقف(٣٢٨) .

وكثيرا ما أخذ المأمون نفسه دورا رئيسيا فى المناظرات التى كانت تدور فى مجلسه حيث كان الحوار مذهبيا . فسأل المأمون عليا الرضى : بم تدعون هذا الأمر ؟ قال بقرابة على من النبى صلى الله عليه وسلم وبقرابة فاطمة رضى الله عنها . فقال المأمون : ان لم يكن هاهنا شىء الا القرابة ففى خلف رسول الله من أهل بيته من هو أقرب اليه من على ومن هو فى القرابة مثله ، وان كان بقرابة فاطمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فان الحق بعد فاطمة للحسن والحسين وليس لعلى فى هذا الأمر حق وهما حيان ، واذا كان الأمر على ذلك فان عليا قد ابتزهما جميعا وهما حيان صحيحان واستولى على ما لا يجب له ، فما أحار على ابن موسى نطقا(٣٢٩) .

---

(٣٢٦) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٨٥ ، ٨٦ .

(٣٢٧) أحمد بن يحيى المرتضى : (**المنية والأمل فى شرح الملل والنحل**) (حيدر اباد – الدكن ١٣١٦ هـ) ص ٢٧ .

(٣٢٨) أحمد امين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٥٩ .

(٣٢٩) ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ١٤٠ ، ١٤١ .

ولندع الآن عهد المأمون الزاخر بالعلم والمعرفة ، ولنسر الى العهود التالية له : فى مجلس من مجالس الادب والمناظرة التى عقدت فى عصر الواثق تلاحى مخارق وحسين بن الضحاك فى أبى العتاهية وأبى نواس أيهما أشعر ، وكانت الملاحاة على مال ، فاتفقا على اختيار شعر من شعريهما يتناظران فيه ، فاختار الحسين بن الضحاك شيئا من شعر أبى نواس جيدا قسويا لمعرفته بذلك واختار مخارق شيئا من شعر أبى العتاهية ضعيفا غزلا لا لشيء عرفه فيه الا لأنه استملحه وغناه ،واختار الواثق أبا محلم ليتحاكما اليه بالشعرين فحكم أبو محلم لحسين بن الضحاك . فقال مخارق لم أحسن الاختيار للشعر ، ولأبى العتاهية خير مما أخذت وقد اختار حسين أجود ما قدر عليه لأبى نواس لأنه أعلم منى بالشعر ولكنا نتناظر بالشاعرين ففيهما وقع الجدال فحكم أبو محلم لأبى نواس فقال : هو أشعر ، وأذهب فى فنون الشعر وأكثر احسانا فى جميع تصرفه فأمر الواثق بدفع المال الى الحسين ابن الضحاك وانكسر مخارق(٣٣٠) .

وكان الوزراء والأمراء البويهيون يحبون أصحاب هذه المجالس يشجعونها ماديا ومعنويا فكان عضد الدولة يمد يده بالمال الى أبى سليمان ويصله بالهبات والعطايا .

ومن المجالس العلمية المهمة الأخرى مجلس الشريف المرتضى على بن الحسين العلوى . وكان يملى فيه ضروبا من المسائل وكتابه الذى سماه (الغرر والدرر) مجالس أملاها فى فنون معانى الأدب كالنحو واللغة وغيرها . وكان لأبى القاسم على بن المحسن التنوخى حلقة يحضرها طائفة من العلماء والأدباء(٣٣١) . ولأبى حامد الأسفرايينى مجلس يحضره ثلاثمائة فقيه وقد أشار ابن السبكى الى ما كان يقع بينه وبين غيره من المناظرات ـــ وذكر شيئا من المناظرات التى وقعت بين أبى اسحاق الشيرازى والدمغانى وبين أبى الطيب الطبرى وأبى عبد الله الصيمرى ، وبين أبى اسحاق وعبد الجبار المعتزلى وبين الطبرى لأبى الحسين الطلقانى وبين الطبرى والقدورى وغيرهما(٣٣٢) .

وكان الوزراء يهتمون بما يدور فى تلك الاجتماعات من مناقشات وجدل

(٣٣٠) أبو الفرج الأصبهانى : الأغانى ج ٦ ص ١٨٨ .

(٣٣١) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٥ .

(٣٣٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٣ ص ٢٤ .

فكان ابن سـعدان يسأل أبا حيان التوحيدى عن أخبار أبى سليمان وكيف يزوره رسـل سجستان أيام الجمعة[٣٣٣] وكان يعطيه رقعة بخط يده ليباحث أبا سليمان بما فيها من المسائل الفلسفية الخاصة بالنفس قائلا أعرضها على أبى سليمان ولا تدع عنده بل انسخ لـه وحصل ما يجيبك به ويصـدع لك بحقيقته ولخصه ورفعـه بلفظك السهل وايضاحك اللين[٣٣٤] .

وقد نقل أبو حيان أهم ما كان يدور فى مجلس أبى سليمان فى كتابيه (المقابسات) و (الامتاع والمؤانسة) فى كل علم وفن من أدب وفلسفة ومجـون وأخـلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير وحـديث وغناء ولغـة وسياسة وتحليل شخصيات الفلاسـفة فى عصره والأدباء والعلماء وتصـوير العادات وأحاديث المجالس وغير ذلك ممـا يطـول شرحه[٣٣٥] .

(٣٣٣) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ١ ص ٧٢ .

(٣٣٤) المصدر نفسـه ص ٨٣ .

(٣٣٥) المصدر نفسـه ص ٢١٢ .

ثالثا ـ مشاركة العلماء والشعراء والأدباء فى المباحثة والمناظرة فى بيت الحكمة :

كانت تعقد فى قصور الخلفاء والأمراء حلقات العلم وفيها يتناظر العلماء فى اللغة والأدب والشعر والفقه والحكمة والمنطق وعلم الكلام ، وكانت عناية العباسيين واضحة وأشهر من عقدت حلقات المناظرة فى قصره من حلقاتهم هارون الرشيد الذى كان قصره كعبة العلماء والأدباء وكان يحضر مجلسه أبو نواس وابو العتاهية ودعبل ومسلم بن الوليد والعباس بن الأحنف وابراهيم الموصلى والأصمعى والكسائى والواقدى وغيرهم(٣٣٦) .

فقد كان هو نفسه أديبا عالما قرب العلماء وشجعهم على البحث والمناظرة وقد اعتنق المأمون مذهب المعتزلة الذين اعتمدوا على الجدل وقوة الحجة ولما ضعفت الخلافة العباسية فى بغداد وانفصلت الأطراف وقامت بها دولة مستقلة تنافس سلاطين هذه الدول وامراؤها فى اجتذاب أشهر العلماء والأدباء الى مراكز حكمهم وقصورهم وأصبحت القصور فى العواصم المختلفة مراكز ثقافية(٣٣٧) .

نظهر فى العراق دور العلم هى كما ترى انها دور خاصة بالدرس والبحث ، ولعل من اشهرها بيت الحكمة ببغداد ، ودار العلم فى الموصل ، وبيت الحكمة اشبه ما يكون بأكاديمية مختصة بالدرس والبحث وترجمة الكتب العلمية والأدبية ، كما كانت تعقد فيها مجالس العلم للمناظرة من أجل التوصل الى حقائق العلم ومن مشاهير من اشتغل فى بيت الحكمة أبو سهل الفضل بن نوبخت وكان قد عهد اليه بترجمة كتب الحكمة من الفارسية الى العربية(٣٣٨) يضاف الى هذا كله انتشار مجالس المناظرة فى الدور والقصور والمساجد بين العلماء وفى حضرة الخلفاء فى الفقه والنحو والصرف واللغة والمسائل الدينية ، وكان يشد من أزر هذه المناظرات الشغف بالعلم وعطايا الخلفاء والأمراء ونيل الحظوة عندهم .. وكان بعض الخلفاء والأمراء يحضرون هذه المناظرات ويشتركون فى الرأى يؤيدون البعض ويفندون البعض . وكان العلماء يستعدون للمناظرة يتسلحون لها رغبة فى الشهرة ، وذيوع الصيت ، وكانت تذكيها المنافسة الحادة بين الامراء والخلفاء . وقد شهدت بغداد على نحو خاص مناظرات فى النحو والصرف واللغة ، ومن أمثالها ما جرى

---

(٣٣٦) Nicholson : A Literary History of the Arabs. London 1923, p. 261.

(٣٣٧) Khuda Bakhsh : Contribution of the History of Islamic Civilization, p. 184.

(٣٣٨) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٦ .

بين سيبويه والكسائى فى مجلس يحيى البرمكى وما كان بين الكسائى واليزيدى فى حضرة المهــدى ثم الكسائى والأصمعى أمام الرشيد ، وما روى عن محاورة بين ابى العباس احمد بن يحيى مــع ابن الأعرابى فى مجلس الأمير احمد بن سعيد ، كما تناظر ابو العباس ثعلب مــع المبرد فى حضرة محمد بن عبد الله بن طاهر . ومن أشهرها جميعا مناظرات المــأمون الذى كان يرى أن تثار بين يديه المسائل الدينية المختلفــة فيسمع من كل رأيه وحجته ، ثم يفصل فى أوجه الخلاف على ضوء هذه الحجج(٣٣٩) .

ويشهد الحكام أنفسهم المجالس الأدبية والمناظرات الفلسفية فقــد كان عصر ابن المقفع يزخر بهــذه المجالس الثقافية حيث كان الخليفة يجمع حــوله العلمــاء والأدباء والشعراء الذين يتسابقون لنيل نواله ويبدعــون فى صناعة القصائد وانشاد الأشــعار وحكاية الروايات والنوادر والأمثال وغير ذلك من فنون الأدب ، ممــا جعل هــذه المجالس وما يدور فيها من مناقشات أدبية طريفة عاملا من عوامل انعــاش الحركة الثقافية فى البلاد الاسلامية فضلا عن أن هــذه المجالس كانت تدور حــول بعض المبادىء السياسية وأحقية العباسيين فى الحكم على بنى أمية ، فكانت تراثا ذا طابع سياسى له قيمته وخطره وأثره فى التوجيه الفكرى فى هــذه الحقبــة من التاريخ ، وكان الخلفاء العباسيون يجلون العلماء ، ويعنون بالشعر واللغة والأشــعار ورواية الأخبار فكانوا يعتبرون عــدم حفظ الأشعار العربية سبة ليس بعــدها ســبة(٣٤٠) .

وفى هذا العصر ظهر نوعان من العلماء : الأول هم الذين يغلب على ثقافتهم(٣٤١) النقل والاستيعاب ويسمونه أهــل العلم ، والثانى هم الذين تغلب على ثقــافتهم الابتداع والاستنباط ويسمونه أهــل العقل(٣٤٢) .

وقــد ذكر ابن خلكان(٣٤٣) : أن الخليل ابن أحمد اجتمع بابن المقفع وتحــديا فى شتى المسائل ، فلمــا افترقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلا علمه أكثر من عقله ، وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل بن أحمد ؟ قال : رأيت عقله أكبر من علمه » ، وليس من شك فى أن ابن المقفع قــد غلب على ثقافته النقل

---

(٣٣٩) د. حسن أحمد محمود وآخرون : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٣٤٠) محمد غفرانى خراسانى : عبد الله بن المقفع ص ٤٠ .

(٣٤١) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى ج ٢ ص ٣٢٣ .

(٣٤٢) المرجــع نفســه ص ٣٢٤ .

(٣٤٣) ابن خلكان : وفيــات الأعيــان ج ١ ص ١٧٣ .

والترجمة والتأثر بآراء غيره من العلماء ، على حين قد غلب على ثقافة الخليل الابتكار الذى يتجلى من هذه الحقيقة وهى أنه أول من فرع قواعد النحو ، وأول من صنف المعاجم ، وأول من تكلم فى علم العروض ، فالأول اذن ذو علم والثانى ذو عقل .

وقد امتدت المباحثة والمناظرة الى منازل العلماء حيث كان بعض العلماء يخصص فى بيته مكانا للمجالس العلمية التى يرتادها أهل العلم وغالبا ما تكون المجالس العلمية التى تعقد فى المنازل خاصة وطبقه من الناس يتنافسون فى المسائل العلمية الدقيقة ويتناظرون فى الأدلة والحجج(٣٤٤) .

لقد كانت مجالس العلماء دورا لتلقى العلم والمعرفة يؤمها عدد كبير من مؤيدى العلم ينهلون من معينه وكانت تعقد هذه الندوات العلمية فى الليل ومن اشهر هذه المنازل فى العصر البويهى منزل الرئيس ابن سينا(٣٤٥) ، وقد ضمت هذه الدار نخبة عظيمة من العلماء .

وذكر ابن القفطى(٣٤٦) : أن الجوزجانى كان يجتمع كل ليلة فى دار ابن سينا طلابا للعلم وكنت أقرأ معه كتاب الشفاء ، وكان يقرأ من القانون وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار وخدمة الأمير شمس الدين ، وقضينا على ذلك زمنا » .

ومن المنازل المهمة أيضا منزل أبو سليمان السجستانى (محمد بن طاهر بن بهرام) كان معيلا لأهل العلوم القديمة تصدى لقراءتها وقصده الرؤساء الاجلاء وانتهت اليه الصدارة فى الفلسفة بعد يحيى بن عدى الذى كان تلميذا وهو بلا شك من انبغ تلاميذه وكان فاضلا فى العلوم الحكمية متقنا لها مطلعا على دقائقها واجتمع بيحيى بن عدى ببغداد(٣٤٧) وأخذ عنه .

وكان لتشجيع الخليفة المأمون للأدباء والعلماء والشعراء حيث كان بيت الحكمة تزخر بمختلف الكتب والمصنفات العلمية والأدبية والفلسفية(٣٤٨) ، مما

---

(٣٤٤) د. محمد فاروق النبهان : مبادىء الثقافة الاسلامية ص ٢٨ .

(٣٤٥) ابن النديم : الفهرست ص ٢٩٩ .

(٣٤٦) ابن القفطى اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٥ .

(٣٤٧) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٣٢١ .

(٣٤٨) د. ابراهيم الشريقى : (التاريخ الاسلامى فى خلال أربعة عشر قرنا) (القاهرة ١٩٧١ م) ص ١٣٨ .

جعل الحلقات تعقد وتدور المناقشات والمجادلات فى القضاء والقــدر وفيما اذا كان الانسان مسيرا أم مخيرا فانقسموا الى فئتين كل فئـــــة تناصر احـــد الرأيين ولذلك احتاجوا فى العصر العباسى الى معرفة ما عند الأمم الأخرى ممـــا يفيدهم فى تلك المجادلات والمناظرات(٣٤٩) .

وقـــد أسهم بعض الخلفاء فى تلك المناظرات ، فكان يجلس المـــأمون للمناظرة مـــع العلماء والأدباء والشعراء من أول النهار الى آخره يتناظرون بين يديه فيرشدهم ويمـــدهم بالأموال والكتب ويتفقـــدهم اذا غابوا عنهم ويزورهم فى بيوتهم مـــع كثرة العطـــاء والرغبة فى حسن الثناء(٣٥٠) .

فنفقت ســـوق العلم فى زمانه ، وقامت دولة الحكمـــة فى عصره وتنافس أولو النباهـــة فى العلوم لمـــا كانوا يرون من أخطـــائه لمنتحليها واختصاصه لمتقـــدميها ، فكان يخلو بهم ويأنس بمناظرتهم ، ويلتـــذ بمذاكرتهم . فينالون عنده المنزلة الرفيعـــة والمراتب السنية ، وكذلك كانت سيرته مـــع سائر العلمـــاء والفقهاء والمحـــدثين والمتكلمين وأهـــل اللغـــة والأخبار والمعرفة بالشعر والنسب فأتقن جماعة من ذوى الفنون والتعليم فى أيامه كثيرا من أجزاء الفلسفة وسنوا لمن بعـــدهم منهاج الطلب فهـــدوا لأصـــول الأدب حتى كادت الدولة العباسية تضاهى الرومية أيام اكتمالها وزمان اجتماع شملها »(٣٥١) .

ومن هنا كانت بيت الحكمة منارة يهتـــدى بها الخلفاء والشعراء والأدباء والعلماء فيتناقشون ويتناظرون من اجـــل الوصول الى الحـــق والحقيقة .

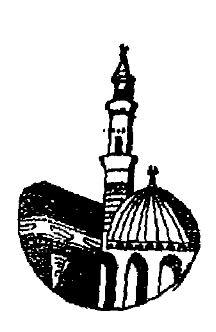
---

(٣٤٩) د. ناجى معروف : أصـــالة الحضارة العربيـــة ص ٤٢٠ .

(٣٥٠) ابن دحية ، عمر بن حسن بن على الكلبى : (**النبراس فى تاريخ خلفـــاء بنى العباس**) صححه وعلق عليه عباس العزاوى (**مطبعة** المعارف - بغـداد - العراق ١٩٤٦ م) ص ٤٨ .

(٣٥١) صاعـد الاندلسى : طبقـــات الأمم ص ٧٥ . ٧٦ .

الباب الثالث



ويشتمل على الفصـول الآتية :

الفصـل الأول : بيت الحكمة فى عهـد المـأمون .

الفصـل الثانى : بيت الحكمة بعـد عهـد المـأمون .

الفصـل الثالث : تأثير بيت الحكمـة كمؤسسة علميـة وتعليمية على المدارس الاسـلامية .

الفصـل الرابع : بيت الحكمـة كجامعة اسـلامية عظيمة .

الفصل الأول : بيت الحكمة فى عهد المأمون



١ ــ حالة بيت الحكمة قبل عهد المــأمون ٠

٢ ــ عنــاية واهتمام المــأمون ببيت الحكمــة ٠

٣ ــ صرف الأموال فى ســبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمــة ٠

اولا ـ حالة بيت الحكمة قبل عهد المأمون :

وشهدت بغداد فى عهد منشئها أبى جعفر المنصور ، حركة تدوين العلوم والنقل عن الأمم القديمة فترجمت الكتب عن الفارسية واليونانية الى العربية . وبذلك كانت بغداد منذ انشائها مسرحا لنهضة علمية واسعة النطاق ، وساعد على ذلك ان المنصور نفسه كان راوية للحديث ، بارعا فى العلوم والفنون ولعا بالطب(1) . وكان المنصور اديبا مصيبا فى رأيه سديدا وكان مقدما فى علم الكلام ، مكثرا من كتابة الأخبار . ويعزز جانب الحكمة ويغدق بره ومعروفه لأهلها . وقد شهدت القرون الأولى من عهد العباسيين حركة ثقافية نشطة ذلك لأن الرفاه الاقتصادى أدى الى انشاء المدن حيث الحياة الحضرية المترفة والسكان ذوو الذوق الراقى والفراغ الكبير نسبيا وحب الاستطلاع(2) .

ولقد كان الخلفاء العباسيون أول من ادرك العناية بالعلم ، فكان حرصهم شديدا على ان يبذل العلماء كل ما يملكونه من جهد لنشر العلم بين الطوائف وافادة الأمة منه بقدر ما تستطيع من استفادة وكان ابو جعفر المنصور يجل العلماء ويجعلهم فى مكان الاعزاز والاحترام ، فلا يغلق بابه دونهم ، ولا يشيح بوجهه عنهم ، ولكنه يقربهم ، ويفسح صدره لهم ، ويبالغ فى رفع منازلهم ويطلب اليهم وضع الكتب القيمة ويشجعهم على أن يقدموا للناس عصارة مما علموه من الثقافات وخلاصة ما حصلوه من المعارف ، يرجو مالك بن انس ان يؤلف له كتابه الموطأ ليكون عمدة الباحث ونبراس المتفقة وهداية الضال وفيصل المحتكم ، ويستجيب الامام رحمه الله لرجائه ويحقق عدته ، ويستقبل الناس ذلك الصنيع باغتباط ، وتتلقف مجالسهم للدراسة فيه ، والفهم له والانتفاع به وكذلك يفعل ابن المقفع ليترجم عن الفارسية كليلة ودمنة وغيره ، ويحذو حذو ابن المقفع كثير من فحول العلم ، واساطين المعرفة ، ولا تنتهى خلافة المنصور حتى تعج الدولة بالكتب المؤلفة او المترجمة وتتحول البلاد الى دور للدراسة ، ومجالس للعلم ، ونواد للجدل والمناظرة ومعاهد للغة والفهم والثقافة والتهذيب(3) .

ثم يأتى المهدى بعد ذلك فيستن فى هذا سنة حميدة ، ويسلك سلوكا

---

(1) د. زكى محمد حسن : (**كنوز الفاطميين**) . (القاهرة ١٩٣٧ م) ص ٨٢ ، ١٤٠ .

(2) د. فاروق عمر : العباسيون الأوائل ج ٢ ص ٧٣ ، ٦٧ ، ٦٨ .

(3) د. ابراهيم على ابو خشب : (**تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول**) . (دار الفكر العربى بالقاهرة ١٩٧٤ م) ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

مستقيما ، ويولى العلم والتعليم جهدا مشكورا واهتمام المتفضل ، وعناية الراغب ، ونفكير الجاد ، ويتخذ لأهل العلم والأدب ، أياما خاصة من فراغه ليعرضوا عليه أحسن بضاعتهم ، وأروع نتاجهم ، ولا يفوته أن يغمرهم بالجود ، ويعمهم بالاحسان ، ويترك فى نفوسهم الأثر الطيب من اقباله عليهم ، وتقديره لهم ، وتشجيعه اياهم ، ليزيدوا من احسانهم الى البلاد ، وجهودهم للدولة ورفعهم لراية الخلافة واعزازهم للوطن الذى أقلتهم أرضه وأظلتهم سماؤه(٤) .

ويتولى الرشيد الخلافة فلا يشغله شاغل ، ولا يلهيه عمل ولا يحول وجهه من العلم والعلماء ، وفتح آفاق المعرفة واتساع مجال الثقافة فكان شغوفا بالفنون والعلوم . وكان قصره الزاهى مركزا لمختلف الثقافات ، وأما ولعه بالشعر فمضرب بالآداب ، واجازته الشعراء بسخاء فالحديث فى ذلك طويل المناحى(٥) .

كما شهدت بغداد فى عهد الرشيد نهضة ادبية وفكرية عظيمة لم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتاب ما اجتمع على باب الرشيد(٦) . ولم يكن دون سابقيه رغبة فى العلم ، وحبا للعلماء ، لقد حكى عنه أنه كان يحفظ شعر ذى الرمة(٧) .

فدولة الرشيد التى صورها جرجى زيدان وأمثاله دولة أبى نواس والجوارى والمغنين ، ودولة الف ليلة وليلة هى : دولة أعلام العلم والاختراع والحضارة حقيقة وصدقا ، فقد ضمت دولة الرشيد أعلام العلم الذين تفخر بهم البشرية جمعاء مثل : جابر بن حيان الكوفى ، والحسن بن الهيثم ، والبتانى أمثال العالم المسلم فى أرقى مراتبه . فالعلماء الذين تعتز بهم الانسانية ، لأن نهضتها تدين لهم بالفضل منهم من عاش فى كنف الرشيد ، ومنهم من هيأ له الرشيد كنوز العلوم فى « دار الحكمة » فنهلوا من مراجعها ومصادرها(٨) . فدار الحكمة أو بيت الحكمة يرجح المؤرخون أن أول من أسس هذه الدار الجامعة لمختلف المؤلفات هو الخليفة هارون الرشيد ثم امدها ابنه المأمون بعده بالمؤلفات الكثيرة والدواوين

---

(٤) المرجع نفسه ص ١٤٨ .

(٥) د. أحمد فريد رفاى : عصر المأمون ص ١١٩ .

(٦) د. سميرة مختار الليثى : (جهاد الشيعة فى العصر العباسى الأول) (دار الجيل – بيروت – لبنان ١٣٩٦/١٩٧٦) ص ٢٠٩ .

(٧) أبو الفرج الأصبهانى : الأغانى ج ٧ ص ٣٩ .

(٨) شوقى خليل : (جرجى زيدان) . (دار الفكر – دمشق ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م) ص ١٧٩ .

الضخمة حتى صارت هـذه المكتبة من اكبر خزائن الكتب فى العصر العباسي وظلت هـذه الخزانة(٩) قائمة يستفيد منها الرواد والعلماء وطلاب العلم الى أن استولى عليها المغـول(١٠) فى بغـداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م .

وعاش العلماء العرب عصرا ذهبيا انعكس على آلاف الكتب التى وضعوها فى مختلف العلوم وشتى الموضوعات ، تضمنت نظريات جـديدة ، وآراء مبتكرة ، وابحاثا قمية ، وافكارا فريدة ، ولقى العلماء كل تكريم من الخلفاء والحكام ، ففتحـوا لهم الأبواب ، واغـدقوا عليهم العطاء ، وذللوا لهم الصـعاب وكانوا يجلسون اليوم دائمـا(١١) .

ويمكن أن يوصف بيت الحكمة ببغـداد بأنه بناية كبيرة فيها عـدد من القاعات والحجرات الواسعة موزعة فى اقسام الدار ، تضم مجموعة من خزائن الكتب فى كل خزانة مجموعة من الأسفار العلمية الخاصة التى تنسب فى الغالب الى مؤسسها كخزانة الرشيد وخزانة المـأمون(١٢) . ووصفت بأنها دار كبيرة مقسمة الى عـدة أقسام خصص البعض منها لحفظ الكتب والأقسام الأخرى للترجمة والنسخ والتاليف والتجليد والمطالعة(١٣) . وقـدر لهـذه الخزانة أن تصبح أعظم بيوت الحكمة شأنا عند المسلمين لمـا حوت من كتب نفيسة .

وهكذا كان للرشيد مكانته وقـدره فقـد ازدهرت فيه الحضارة الاسـلامية أيما ازدهار وظهرت فيه آثار تحول المدنية فى العصور التى سبقته فقـد كان قصره المثابة التى يهرع اليها الحكماء والعلماء من أنحاء العالم وكانت سوق البلاغة والشعر والتاريخ والفقه والطب والموسيقى والفنون نافقة ، اذ يقابلها الخليفة مقـابلة فى سجيته النبل والكرم ، كل ذلك مما آتى أكله وثمره الناضج فى العصور الآتية . ولقـد كان الرشيد يجيز العلماء فى كل فن جائزات ملكية نبيلة على أن الشعراء كانوا موضع تكريم منه وخاصـة مروان بن أبى حفصة الذى منحه الرشيد خمسة آلاف دينـار

---

(٩) د. محمد عجاج الخطيب : لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر ص ٣٥ .

(١٠) القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١ ص ٤٦٦ .

(١١) محمد ابراهيم الصيحى : (**العلوم عند العرب**) . (مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ـ بدون) ص ٨ .

(١٢) د. ناجى معروف : أصالة الحضارة العربية ص ٤٤١ .

(١٣) رشيد حميد حسن الجميلى : (**أثر الترجمة فى الحضارة الاسلامية فى القرن الثانى الهجرى**) . (أطروحة ماجستير مكتوبة على الآلـة الكاتبة) ص ٢٠ .

وكساه خلعته تشريفا لـــه وأمر لـــه بعشرة من رقيق الروم ، وحمله على برذون من خاص مراكبه(١٤) . يقول ابراهيم الموصلى :

الم تر أن الشمس كانت سقيمة فلمـــا ولى هارون أشرق نورها

يمن أمين الله هارون ذى الندى فهـــارون واليها ويحيى وزيرها

وأما العلم فان بغـــداد صارت قبلة لطلاب العلم من جميع الأمصار الاسلامية ، يرحلون اليها ليتموا ما بدأوا فيه من العلوم والفنون فبها المدرسة العليا لطلاب الدينية والعربية على اختلافها فقـــد كان فيها كبار المحـــدثين والقراء والفقهاء وحفـــاظ اللغـــة وآداب العرب النحويون وكلهم قائمـــون بالدرس والافـــادة لتلاميذهم فى المساجد الجامعة التى كانت تعتبر مدارس عليا لتلقى هـــذه العلوم وقلمـــا كان يتم الانسان وصـــف عالم أو فقيه أو محـــدث أو كاتب الا اذا رحـــل الى بغـــداد وأخـــذ من علمائها . وجميع هـــؤلاء العلماء كانوا يعيشون عيشا رغـــدا ممـــا كان يفيضه عليهم الرشيد والبرامكة ومن دونهم من الخير الواسع والبر العميم . ولم تكن بغـــداد بالمقصرة فى علوم الدنيا كالطب والحكمة وغيرها من ســـائر الصناعات فقـــد حشد اليها الأطبـــاء والمهندسون وســـائر الصناع من الأقاليم المختلفة فاستفاد من العـــلوم ممـــن سبقهم من الأمم فى المدنية كالفرس وأهـــل الهند وأهـــل الروم والصـــابئة وغيرهم ، وزادوا على تلك العلوم بمـــا منحوا من المواهب العقلية(١٥) .

ويؤكد ذلك ابن طباطبا(١٦) فى كتابه الفخرى فى الآداب السلطانية : « ان الدولة العباسية ساست العـــالم سياسة ممزوجة بالدين والملك فكانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم أسواق العلوم فيها قائمـــة وبضائع الآداب فيها نافقة وشـــعائر الدين فيها معظمة والحرمات مرعية » .

وفى بغـــداد التقى الطب اليونانى بالطب الهندى على صعيد واحـــد . فقـــد سبق لهارون الرشيد نفسه أن استدعى مرة الطبيب الهندى منكه الى بغـــداد ، وكما سبق للبرامكة أن أمروا بنقـــل بعض الكتب الطبية الهندية الى اللغة العربية(١٧) .

---

(١٤) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ١٣٣ ، ١٣٥ .

(١٥) الشيخ محمد الخضرى : (**محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية**) . (المكتبة التجارية الكبرى – القاهرة ١٩٧٠) ص ١٣٥ .

(١٦) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٢٨ .

(١٧) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٠٢ .

وهكذا جمعت الكتب التى ترجمت فى الطب والنجوم والهندسة والكتب التى ألفت فى الحديث والتاريخ والأدب ووضعت فى خزانة[18] بيت الحكمة .

ومن مميزات العصر العباسى اشتغال الخلفاء والأمراء بالعلم والأدب وأخبار المنصور والرشيد والمأمون وأقاربهم ووزرائهم وشعرائهم تملأ كتب الأدب والتاريخ العربى وكان من حياتهم أعظم دافع لاشتغال الرعية بطلب العلم والنبوغ فيه . ومن مفاخر هذا العهد اطلاق الفكر من قيود التقليد حتى تعددت البدع وتفرقت الفرق وكثرت النحل[19] . .

---

(١٨) سعيد الديوه جى : (**بيت الحكمه**) . (مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م ط ٢) ص ٣٣ .

(١٩) محمد لطفى جمعه : (**تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب**) (ط ١ المكتبة العلمية - ليون - فرنسا ١٩٠٩ م) من المقدمة .

ثانيا — عنـاية واهتمام المـأمون ببيت الحكمة :

والمـأمون بعـد تربعـه على كرسى الخلافة ، وتقلده زمام الحكم أصبح اليد المشكورة على العلم والأدب والثقافة والمعرفة ، والفلسفة والحكمة ، حتى كأنه هو وحـده باعث هـذا العصر والنافخ فيه من روحـه وهـو الذى حول بيت الحكمة الى ما يشبه الجامعة ، فصارت مثابة للعلم ومنارة للرشد ، ومباءة للمعرفة ، وأصبحت حضارة العصر كله مدينة لها بما أدت للانسانية من جهود ميمونة مباركة[٢٠] .

وفى خلافة المـأمون لقيت الموسومة بيت الحكمة كنوز العلم الاسلامية الى كنوز العلم الأجنبية وأمر بأن تشترى المصنفات اليونانية من آسيا الصغرى فى عهده واستهل أبو يوسف يعقوب الكندى « فيلسوف العرب » واحـد العقول الكبرى[٢١] فى تاريخ العالم كما دعاه كاردفـو Cardavo .

ويقـول « هـوجز » : « ان عصر المـأمون أزهى فترة فى تاريخ النهضـة بالعالم الاسلامى اذ كان الخليفة نفسه عالمـا من أساطين العلماء ، واختار اصحابه ورجال الدولة من الصفوة الأفـذاذ فى الشرق والغرب ، هـذا ، الى جانب الأساتذة والمستشارين والمترجمين والمفكرين الذين حلى بهم بلاطـه وزين ملكه »[٢٢] .

ويصف سيد أمير على[٢٣] : « ان بلاط المـأمون كان يموج بجمهرة عظيمة من رجال العلم والأدب والشعراء والأطباء والفلاسفة الذين استدعاهم المـأمون من جبات متعـددة من العالم المتمـدين وشملهم بعنايته ، مهمـا اختلفت مشاربهم أو جنسياتهم ، وكثيرا ما أخـذ المـأمون نفسه دورا رئيسيا فى المناظرات التى كانت تدور فى مجلسـه » .

ان المـأمون[٢٤] كان أديبا عالمـا افانين القـول ومناحيه ، وليس ذلك ببعيد على من تتلمذ على شيوخ الأدب كسيبويه واليزيدى ، ويحيى بن المبارك بن المغيرة ،

---

(٢٠) د. ابراهيم أبو خشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ص ١٤٩ .

(٢١) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٠٣ .

(٢٢) Hughos, Thomas Patrick : Dictionary of Islam, London 1885, p. 295 - 296.

(٢٣) Saed Ameer Ali : Short History of Saracens, p. 278.

(٢٤) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ٣٥٤ .

الذى أخــذ العربية من امثال أبى عمرو بن العــلاء وابن أبى اســحاق الحضرمى ، وأخــذ اللغــة والعروض عن الخليل بن احمد ، والذى ألف كتابا فى النحــو لبعض اولاد المــأمون . فقــد افاد المــأمون من هؤلاء وأمثالهم من رجال الأدب والكفاية أيما افادة . قال عمارة بن عقيل : أنشدت المــأمون قصيدة مئة بيت فابتدىء بصــدر البيت فيبارى الى قافيته كما قفيته ، فقلت والله يا أمير المؤمنين ، ما سمعها منى أحــد قط ! فقال هكذا ينبغى أن يكون . ثم قال لى : أما مبلغك أن عمر بن أبى ربيعة أنشد عبد الله بن عباس قصيدته التى يقول فيها : تشط غــدا دار جيراننا . فقال ابن عباس : وللدار بعــد غــد ابعــد . حتى انشد القصيدة يقفيها ابن عباس ثم قال : انا ابن ذاك .

وحينما قرب المــأمون الفلاسفة والمتكلمين كان فيه ميل الى العلم والثقــافة حيث جمع فى بيت الحكمة أمهات الكتب العربية وغير العربية مع مئات العلماء والمفكرين والمترجمين . وجمع بلاطه فلاسفة وعلماء تدارسوا القرآن والحــديث والفقه والمسائل المتفرعة منها ولكن المــأمون كان يميل الى آراء المعتزلة ويعجب بأدلتهم العقليــة والنقلية ولذلك اصــبح أحمــد بن أبى داوود المعتزلى ذا نفــوذ كبير فى دولة المــأمون(٢٥) .

كان المــأمون وافر العلم غزير الاطلاع وليس ذلك بعزيز على خليفة ملأ عصره بأنواع المعارف الانسانية ونفخ فيه من روحــه القــوى ، حتى استطاع الباحث ان أن يسميه بسمته ، وأن يرجع فضــل الحضارة العباسية اليه . ولكن المــأمون فى علمه وثقافته لم يقف عند حــد الثقــافة الذاتية ، وانمــا وجــه حرصه الى أن يثير فى نفــوس أصحابه كوامن الرغبة الى التعمق فى الدرس ، والشوق الى ادراك حقائق الأشياء ، وكانت لــه فى ذلك طريقة معروفة هى توجيه السمر والحــديث الى فنــون العلم وضروب العرفان فكان حــديث الليل وحــديث المــائدة يفتح لجلسائه أبوابا من القــول لما كانت تخطر لهم ببال(٢٦) فان المــأمون فى علمه وعرفانه أهــل للاحتذاء والارتسام من أقرانه ، قمين بالتمثيل به والاقتفاء ليكون زمانهم غرة فى جبين الدهر كزمانه ، وليكون نصيبهم نصيبه فى مهابته ورفعــة شأنه ، ورســوخ عرشه وقــوة بنيانه(٢٧) .

---

(٢٥) د. فاروق عمر فوزى : (العصر الذهبى عصر الازدهار الحضارى) مجــلة المؤرخ العربى - بغــداد - العراق عــ ١٥ (١٩٨٠ م) ص ١٤٢ .

(٢٦) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ٣٥٩ ، ٣٦٠ .

(٢٧) المرجــع نفســه ص ٣٦٢ .

وفى غضون حكم المـــأمون[٢٨] (١٩٨ هـ/٢١٨ هـ ــ ٨١٣ م/٨٣٣ م)وصلت الجهود الثقافية الجـــديدة الحـــد الأقصى . فقـــد أنشأ الخليفة فى بغـــداد دارا رسمية للترجمة مجهزة بمكتبة وكان أحـــد مترجميها « حنين بن اسحاق » الفيلسوف العبقرى العظيم المواهب والطبيب النطـــاسى الواسع الاطـــلاع والشخصية الرئيسية فى عصر المترجمين هـــذا .

واختار المـــأمون سهل بن هارون كاتبا على خزانة الحكمة التى ضمت آلاف المراجـــع فى كل علم وفن ، وخصص مكان معين للمؤلفات اليونانية وعكف المترجمون على العمل فى جـــد ونشاط ظهر أثرهما واضحا فى تقـــدم علوم الطب عند العرب[٢٩] .

ويقول العالم بلنتو : « ان اهتمـــام المسلمين بالمكتبات لا يوصـــف فهى مزودة بحجرات متعـــددة بها رفـــوف لوضـــع الكتب وبعضها مخصص للاطـــلاع وبعضـــها للنسخ وبعضها لحلقات الدراسة » . ولأهمية خزائن بيت الحكمة جعل سهل بن هارون كاتبا عليها وهى كتب الفلاسفة التى نقلت للمـــأمون من قبرص[٣٠] .

ان بيت الحكمة هـــذا كان اكاديمية علمية بالمعنى الصحيح ، ولابد لنـــا أن نشيد بالجهود العلمية التى بذلتها هـــذه المؤسســة . ذلك أن النقـــل والتعريب كان آنذاك صعبا كل الصعوبة لأن النقلة كانوا يطرقون موضوعا جـــديدا كل الجـــدة عليهم ولا سيما اذا تذكرنا المصطلحات العلمية الكثيرة التى كان يجب عليهم ايجـــاد بديل لهـــا باللغة العربية ، وقـــد تمكنوا فى اغلب الأحيان من ايجاد البديل المناسب ونقولهم هـــذه بشكل عام جيدة ، وقسم كبير من التراث اليونانى لم تعرفه أوروبا الا عن طريق النقـــول العربية[٣١] .

ان قيام بيت الحكمة البغـــدادى وازدهار حركة ترجمة الكتب الطبية والفلسفية والعلمية الأخرى من اليونانية الى السريانية فالعربية ، ونبوغ حنين بن اســـحاق ومدرسته وعلى رأس تلاميذها ابن اسحاق وابن أخته حبيش بن الحسن الأعسم ، فكانت مدرسة كاملة للترجمة ذات نهج علمى ، وانتاج زاخر ، وعرف العالم العربى

---

(٢٨) توماس أرنولد وآخرون : (تراث الاســـلام) • (ط ٣ دار الطليعة ــ بيروت ــ لبنـــــان) ص ٤٥٣ ، ٤٥٤ •

(٢٩) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٩ •

(٣٠) احمد أمين : ضـحى الاســلام جـ ٢ ص ٦٥ •

(٣١) ابن نبـاته المصرى : سرح العيـون ص ١٣٢ •

اقــوى حركة للترجمة بفضل بيت الحكمة على عهــد المــأمون والمتوكل وتكاثرت بيوت الحكمة والعلم فى ســائر انحاء العالم الاسلامى ومنهم سلم الحرانى الملقب بصاحب بيت الحكمة وهــو معاصر للمــأمون ، وقــد لمع خاصة ثابت بن قرة الذى انتقل من حران الى بغــداد(٣٢) .

قال جوستاف لوبون عن المــأمون انه كان يخــلو بالحكمــاء ويأتى بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم علمــا منه بأن اهــل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده . فلهــذا السبب كان أهــل العلم مصابيح الدجى وسادة البشر وأوحشت الدنيــا لفقــدهم » . وكان أولئك يحيطون بخلفاء بغــداد وكان يمكن لهــؤلاء الخلفاء أن يعــدوا قصورهم أول قصور العالم وانضرها(٣٣) .

ويعتبر بيت الحكمة أول مكتبة علمية ذات شــأن فى العــالم الاسلامى ، ولعــله اول جمعية علمية يجتمع فيها العلماء للبحث والدراسة . وكان عصر المــأمون أزهى عصور العلم ، وكان الخليفة نفسه مثال الخليفة العالم ... يهب وقته ورعايته للعلماء ويمنحهم عطفه وتشجيعه . ونادى الخليفة بأن لا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء فهيأ للعلماء أرزاقا يتقاضون فى أوقات ثابتة يفيض ريعها على التكاليف المطلوبة . وكان الخلفاء العباسيون يعــدون أنفسهم حماة للعلم ويرون أن قصورهم لابد أن تكون مراكز ثقافية ومدارس يلتقى فيها العلماء والطلبة وخصص بعض الخلفاء فى قصورهم دورا ومساكن ومقاصير يرتب فى كل موضــع منها رؤساء كل صــناعة ومذهب من مذاهب العلوم النظرية والعلمية(٣٤) .

فكان المــأمون يجل علماء اليهود والنصارى ، ويحتفى بهم فى مجلسه لا لعلمهم فحسب بل لثقافاتهم فى لغــة العرب وحــذقهم فى معرفة لغــة اليونان وآدابها ، ومن تشجيع الخلفاء لأهــل العلم واكرامهم لرجال الأدب ، ومن انصراف همم أولى الفضل الى التأليف والترجمة أن السبيل التى سلكتها الآداب فى صــدر العصر العباسى قــد بلغت غايتها فى أيام المــأمون ، فعصره اذن هــو الثمرة الناضجة ، لتغير الآداب فى العصر العباسى(٣٥) . ويعتبر العصر الذى بلغت فيه الآداب العربية الذروة من الكمال المقــدور لهــا(٣٦) .

---

(٣٢) الأب يوسـف حبى : (يوحنا بن هيلان معلم الفارابى فى المنطق) مجــلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق عـ ٣ (١٩٧٥ م) ص ١٧٧ .

(٣٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ١٧٤ .

(٣٤) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٩ .

(٣٥) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون ص ٤٠١ ، ٤٠٢ .

(٣٦) المصدر نفسه ص ٤٠٢ .

كما اقترن اسمه (المـــأمون) بتلك النهضة الفكرية التى ازدهرت فى العصر العباسى الأول ، بوجه عام . وفى عصر المـــأمون بوجه خاص ذلك لأنه شارك فيهـــا بنفسه حتى قيل أنه أعلم الخلفاء بالفقه وعلم الكلام وأنه فيلسوف الخلفاء وحكيم بنى العباس . واهتم بالتراث القـــديم وجمعه وخاصة التراث اليونانى ، فارسل بعثات من العلماء الى القسطنطينية وجزيرة قبرص للبحث عن نفائس الكتب اليونانية ونقلها الى بيت الحكمة فى بغـــداد ، وكان هـــذا البيت بمثابة معهد علمى يضم مكتبة لنسخ الكتب ، ودارا لترجمتها الى العربية ، وكان له مدير ومساعدون ومترجمون ومجلدون للكتب وقـــد بلغ من شغفه بالثقافة الاغريقية أن زاد اهتمامه بهـــذا البيت وما حـــدث فيـــــه[٣٧] .

فعصر المـــأمون من العصور الاسلامية الزاهرة ، ولم تكن شخصيته سياسية بقـــدر ما هى شخصية ادبية ، فقـــد شجع النهضة العلمية وحرية الفكر ، ودفـــع حركة النقـــل والترجمـــة الى الأمام[٣٨] فكان عصره من أزهـــى عصـــور العـــلم فى الدولة العباسية لميله الى تحصيل العلوم والمعارف ونشر المعـــرفة بين افراد الأمة الاسلامية وقـــد تجلى ذلك فى امداد « بيت الحكمة » فى بغـــداد الذى وضـــع أساسه الرشيد وضمت مختلف العلوم والفنون ، ممـــا جلبه من بلاد الهند والروم والفرس وغيرها حتى اصبح أشبه بجامعة علمية تحـــوى دارا للكتب ، يجمع فيها العلمـــاء للترجمة والتأليف والدرس وبه أماكن خاصة للنساخين لنسخ الكتب لأنفسهم ولغيرهم بأجـــور معينة ، واشرف عليه موظف عرف باسم « صاحب بيت الحكمة » كان الخلفاء يختارونه ممن اتصف بسعة العقل والأمانة العلمية[٣٩] لو لم يكن المـــأمون خليفة ، لكان احـــد العلماء البارزين فى العصر العباسى ، نشأ نشأة علمية ، وعاش فى وســـط علمى ، ومال الى مذهب الاعتزال ، لانه مذهب يعتمد على العقـــل فى محاكمـــاته للأشياء ، فافاد المـــأمون من مركزه السياسى لتدعيم الحركة العلمية ، فأمر بنقـــل جميع ما يقـــع عليه من كتب فلسفية ومنطقية لتأييد مذهب الاعتزال ، ولم يتعصب للفلسفة فقط بل عطف على جميع العلوم ، وأنفق فى سبيلها بسخاء ، حتى أنه اعطى وزن ممـــا يترجم ذهبا ، وكان يضع علامة على كل كتاب يترجم لـــه ويشجع الناس على قراءة الكتب المترجمة ويرغبهم فى تعلمها ، ويضع الجوائز الكبيرة فى المنظرات التى كانت تجرى تحت اشرافه أو تحت رعايته ، واقتدى المـــأمون أهـــل الوجاهة

---

(٣٧) د. أحمد مختار العبادى : (**فى التاريخ العباسى والأندلسى**) . (دار النهضـــــة العربية – بيروت – لبنان ١٩٧٢ م ط ٢) ص ١٠٨ .

(٣٨) د. على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ص ٣٩٧ .

(٣٩) المرجـــع نفســـه ص ٤٠٧ .

والثروة متقاطر المترجمون والنساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والروم والبراهمة وغيرهم على بغــداد . وكثر الوراقــون وباعــة الكتب وراجت صــناعة العــلم والآداب ، واغتنى محترفــوها(٤٠) .

يقول خودا بخش(٤١) عن المــأمون عند الحــديث على النهضة الأدبية والنشاط العلمى فى العالم الاسلامى : يبــدو عصر المــأمون وهــو أزهى العصور ومكانته القمة بالنسبة الى سواه ... ومن الحق أن يقال ان جميع الحركات الثقافيــة فى الأقطار الاسلامية منذ عهد المــأمون هى فروع للأصول التى غرسها وسقاها ذلك الخليفة العظيم . فهــذا بيت الحكمة أول مؤسسة ثقافية عند المسلمين يدين للمــأمون بمــا منحه له عن عنايته ، وما أضفى عليه من قــوة ، وما أنفق من مال . وعن طريق هــذا المعهد كسبت اللغــة العربية كثيرا من الزاد والمعرفة بمــا يجرى فى بيت الحكمة من ترجمة اليها من اللغات الأجنبية وبواسطة بيت الحكمة حفظ للانسانية كثير من تراث الاغريق الذى ضاعت أصوله ، فلم يجــد العالم غير الترجمات العربيــة وسيلة للوصول الى هــذا التراث(٤٢) .

وليس من شــك فى انه قــدر للمــأمون أن يخــدم الثقافة الاسلامية خــدمة جلى خلال العشرين سنة من مقامه فى بغــداد عن طريق اهتمامه الشخصى بعــلوم اليونان(٤٣) ، وذلك أن المــأمون لمــا هادن صاحب هــذه الجزيرة (جزيرة قبرص) أرســل اليه يطلب خزائنه من كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم فى بيت لا يظهر عليها أحــد ، فجمع صاحب هــذه الجزيرة بطانته ، وذوى الرأى عنده واستشارهم فى حمل الخزانة الى المــأمون ، فكلهم أشاروا بعــدم الموافقة الا مطرانا و حــدا فانه قال : الرأى أن تعجل بانفاذها اليه فمــا دخلت هــذه العلوم العقلية على دولــة شرعية الا افسدتها وأوقعت بين علمائها ، فارسلها اليه واغتبط بها المــأمون(٤٤) .

غير أن نشاط بيت الحكمة وصل الى ذروته فى عهد المــأمون الذى كان واســع الثقافة حر الفكر ، ولــه شغف بالعلوم والآداب ، ومن أجل هــذا أولى بيت الحكمة عنــاية خاصــة كان من نتائجها تطــور الثقافــة عنــد المسلمين ، ودخــول العلوم

(٤٠) أنور الرفاعى : الاسلام فى حضارته ونظمه ص ٥٣٢ .

(٤١) — Khuda Bukhsh : Islamic Civilization pp. 270-277.

(٤٢) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٣٥٥ – ٣٥٦ .

(٤٣) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ص ٢٠١ .

(٤٤) ابن نباته المصرى : سرح العيون ص ١٦٦ .

الأجنبية اليهم واختصاصهم لهـذه العلوم . ممـا أدى الى حفظ ذلك التراث ونقله الى الاجيال التالية ، وكان على وشـك أن يضيع . وقـد ضم بيت الحكمة كتبـا وضعت فى الأصـل بلغـات مختلفة ومن أهمها الكتب اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية ومن أجـل هـذا كان المترجمون كثيرين ينقـل بعضهم من اللغة اليونانية ، وينقل آخرون من الفارسية ، وينقل فريق ثالث من الهندية(٤٥) وهكذا .

ومن أجل هـذا نجـد يحيى بن خالد البرمكى الذى يشرف على شئون الدولة بوجـه عام وعلى النهضة الثقافية بوجه خاص يرسل فى طلب بعض العلماء الهنود المتفوقين ويعين من يترجم عنهم كتبهم وأفكارهم الى اللغة العربية وبواسطة هؤلاء العلماء الهنود الذين استدعاهم يحيى نقلت فنون من الثروة العلمية من الهندية الى العربية(٤٦) . ومن أبرز مترجمى المـأمون من أهـل الذمة يوحنا بن البطريق ، وكان أمينا على ترجمة الكتب العلمية حسن التأدية للمعانى وكانت الفلسفة أغلب عليـه من الطب(٤٧) .

ممـا تقـدم نرى أن بيت الحكمة كانت تنال جـل اهتمام المـأمون وعنايته ، ومع ذلك بقيت بغـداد على بعـدها — أستاذا لأهل هـذه الأقطار فاتخـذوها قبلة لهم فى تفكيرهم وسعوا اليها سعى الحاج الى بيت الله الحرام ، وتوافـدوا عليها من فارس والحجاز ومصر والشام ومن المغرب والأندلس وتركزت فيهـا الحركات الأدبية(٤٨) والعلمية زمنا طـويلا . كما كانت معينا فياضا سائغا ينهلون منه ويردون على الدوام حياضه ، ويقتفون أثره ويحملون رسالته ويتمون أداءها ، لبثت بغـداد نفسها تجنى ثمار نهضتها العلمية الأولى . فزخرت بفحول العلماء ، وكبار المؤلفين وأساطين الأدباء وبلغاء الشعراء ، والمبتكرين من أهـل الفلسفة والكلام وغيرهم ، وانضجت فى رجالها روح التخصص فى النواحى العلمية . كما ازدهرت التآليف الشائعة بها ويشهدون حلقات ودروس علمائها ومناظرات أدبائها ومحاورات ظرفائها ومسابقات شعرائها ، ومفاكهات أئمة المجالس فيها . وامتلأت كذلك فى خلال هـذه المدة بشتى الكتب طارفها وتليدها ، وتضخمت دور كتبها فأصبحت تراثا فكريا ثمينا ، وذخيرة علمية

---

(٤٥) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٢ .

(٤٦) Khuda Bukhsh : (Islamic Libraries The Nineteenth Century L11) P. 128.

(٤٧) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٣٣٦ ، ٣٣٩ .

(٤٨) محمود رزق سليم : (**عصر سلاطين المماليك**) . (مكتبة الآداب بالجماميز بالقـاهرة ١٩٤٩ م) ص ٦ .

نفيسة ورمزا انسانيا ساميا لمرحلة من مراحل العلم ، ودور من أدوار الحضـــارة والمدنية[٤٩] . وبذلك كله ظلت بغـــداد زهاء خمسة قرون هى العاصمة الروحيـــة الفكرية للمسلمين قاطبة وللناطقين بالعربية ، وظـــل بيت الحكمة منارة تهتـــدى بـه الشعوب الاسلامية والعربية فى عز ازدهارها فى عهد الخليفة المـــأمون .

(٤٩) المرجـع نفســه ص ٦ ، ٧ .

ثالثا ــ صرف الأموال فى سبيل ازدهار وارتقاء بيت الحكمة :

كانت رعاية المــأمون لبيت الحكمة ، وما انفق عليه من مال وما جرى فى عهده من ترجمات لتراث الاغريق مضرب الأمثال ، فهو أول من نادى بألا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء فهيأ للعلماء أرزاقا سخية يتقاضـــونها فى أوقات ثابتة ، يغيض ريعها عن التكاليف المطلوبة لهـــذه المؤسسة العظيمة . وكذلك جرى العمـــل من بعـــده على أن يكون معهـــدا أو مؤسســة لهـــا وقف ثابت يفى بنفقاتهـــــا(٥٠) .

وكان يتقاضى كل من حنين بن اسحاق ، وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهم فى الشهر خمسمائة دينار للنقـــل والملازمة(٥١) ، واتخـــذ العلماء والمدرسون لهم زيا خاصا ، وكان أبو يوســـف أول من غير لبس العلمـــاء واقترح لتميز هـــذه الطائفة عمامة سوداء أو طيلسانا لعله الروب الجامعى اليوم ، ومنذ ذلك الحين أصبح هـــذا الزى ضروريا للمدرسين(٥٢) وازدهرت بيت الحكمة وارتقت فى عهـــد المـــأمون لميله الى الفلسفة والعلوم العقلية ، وأنفق أموالا طائلة فى نقـــل الكتب الى بيت الحكمة من الدولة البيزنطية وغيرها .

وكان يعمل فى بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافتهم ومعارفهم ، فسهل بن هارون صـــاحب خزانة الحكمة للمـــأمون كان حكيما شاعرا ، وجـــدير بالذكر أنه فارسى شـــعوبى المذهب شـــديد العصبية على العرب ويصف الجاحظ براعته وفصاحته فى عـــدة كتب(٥٣) .

وازداد النشـاط الفكرى والثقافى فى بيت الحكمة بزيادة عـــدد الكتب فى عهـــد الخليفة المـــأمون ، ولم تكن الكتب اليونانية هى التى حرص المـــأمون على نقلها الى بيت الحكمة بل نجـــده يطلب من يوحنا بن البطريق احضار كتب لاتينية الى بغـــداد ، وقـــد كان يوحنا يعرف اللغة اليونانية ، وضمت هـــذه الكتب الى بيت الحكمـــة وبذلك ضم بيت الحكمة كتبا فى مختلف اللغات ومختلف العلوم(٥٤) وكان العلماء فى

---

(٥٠) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب ص ٧٣ .

(٥١) محمد أسعد طلس : (عصر الازدهار وتاريخ الدولة العباسية) . (دار الأندلس ــ بيروت ــ لبنـــان ــ بدون ، ط ١) ص ١٦٤ .

(٥٢) د. عبد الله عبد الدايم : التربية عبر التاريخ ص ١٧٥ .

(٥٣) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ١٧٤ .

(٥٤) ابن القفطى : أخبـــار العلماء بأخبـــار الحكماء ص ٢٨٠ .

الدولة الاسلامية يودعــون نسخا من مؤلفاتهم فى بيت الحكمة وهــذا يدلنا على أهمية بيت الحكمة كمركز اشعاع فكرى للانسانية وهــذا ما يحــدث الآن بالنسبة لكل مؤلف عليه أن يودع نسخا من مؤلفاته أو مؤلفاتهم فى دار الكتب المشهورة فى بلده كدار الكتب المصرية فى القاهرة أو غيرها من البلاد الاسلامية الأخرى .

فحينما نقول المــأمون بإطلاقه فانما نعنى المــأمون العباسى بن هارون الرشيد فكان الخليفة المــأمون العباسى كوكبا لامعا فى سماء الاسلام ، فى السياسة ، وفى الفكر والفلسفة وفى العلم ، فهــو نموذج للحكام المتنورين المستنيرين الذين نقيسهم به اذا قلنا (فى التاريخ الحــديث) : بطرس الأكبر (فى روسيا) ولويس الرابع عشر (فى فرنسا) وفردريك الكبير (فى ألمــانيا) وحينما نذكر عظماء الحكام فى الاسلام من أولئك الذين تركوا جهودهم على الحضارة الانسانية — فلابد أن نذكر عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والوليد بن عبد الملك ، والمــأمون العباسى ، وعبد الرحمن الناصر ويوسف بن تاشفين وصلاح الدين الأيوبى والمنصور الموحــدى ، والظــاهر بيبرس ، ونفرا كثيرا من ملوك المسلمين فى العراق والشام ومصر والأندلس والهنــد وتركيــا من المشرق والمغرب(٥٥) .

كان المــأمون يحض الناس على قراءة الكتب التى ترجمت فى أيامه ويرغبهم فى تعلمها ، ومن ثم تقــدمت الحركة العلمية فى عهــده ، وتنافس أولو النباهــة من العلماء والفقهاء والمحــدثين والأدباء والشعراء فى تحسين انتــاجهم فأجزل لهم العطاء ، شــغل علماء بغــداد وغيرها من الحواضر الاسلامية فى القرنين الثانى والثالث للهجرة بنقــل وترجمة العلوم الأجنبية الى العربية ؛ لكنهم فى القرن الرابع انصرفوا الى الانتاج الشخصى ، وكانوا يعنون بالعلوم الدينية واللغوية أكثر من عنايتهم بالعلوم الرياضية والفلسفية ، ويرجع السبب فى ذلك الى ما كان للعامل الدينى من أثر فى حملهم على الاشتغال بالعلوم الدينيــة وما ترتب على ذلك من حرصهم على دراســة العلوم اللغوية ، لأنها خير زاد لفهم الدين(٥٦) .

وكان أكثر الخلفاء تسامحا فى الدين المــأمون الذى بلغ به تسامحه أن انتصر

---

(٥٥) د. عمر فروخ (المــأمون ومكانته فى السياسة والفكر والعلم) مجلة الباحث — بيروت — لبنان عـ ٤ (السنة الرابعة — أبريل ١٩٨٢ م) ص ٩ .

(٥٦) د. محمد جمال الدين سرور : (تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق) ، (دار الفكر العربى — القــاهرة) ص ٢٠٩ .

المعتزلة فى القــول بخلق القرآن ، فكانت الأفكار من حيث الدين مطلقة الحرية لا يكره الرجــل على معتقد أو مذهب ، وقــد اجتمع ستة أخــوة لأبى جعــد اثنان منهما يتسيعان ، واثنان مرجئان واثنان خارجيان وكلهم تحت سقف واحــد[٥٧] .

ولقد تم هــذا التزاوج فى البيئات التى تعيق بالروح الهلينية بدافع من مساواة الاسلام بين معتنقيه ، اذ لم يكن ثمــة تعصب أو انحياز ، انمــا كانت المساواة وكان التسامح هما الأساس الذى بنى عليه الاسلام معاملته لأهــل الأديان الأخرى ، وقــد كان لذلك أثره فى استثارة هممهم ، وتحريك رغبتهم فى المشاركة فى الــوان النشاط المختلفة التى تدور حــولهم[٥٨] .

يقول جوستاف جرونيباوم[٥٩] : « وكانت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين فى بواكير صــدر الاسلام مرضية مقبولة » .

ويقول ف. بارثولد[٦٠] : « وكان النصارى أحسن حالا تحت حكم المسلمين فى الأزمنة الأولى لحاجــة الفاتحين الى هــذا العنصر المسيحى المتفوق على العــرب حضـــــارة » .

ولكن ولا شــك أبدا فى أن المــأمون قــد حفظ بعمله جانبــا كبيرا من تراث الفكر الانسانى ثم عمــل على نشر ذخائر ذلك الفكر فى العالم الاسلامى . ومن العالم الاسلامى انتشر هــذا النور الساطع فى أرجاء العالم المتحضر كلها[٦١] .

والمــأمون هــو الذى أولى بيت الحكمة فى بغــداد جل اهتمامه وصرف الأموال فى سبيل ازدهارها وارتقائها ، وبعــد أن كان نقــل الكتب يقوم به الأفراد تطــوعا واتجارا ، جعل المــأمون هــذا النقل لكتب العلم والفلسفة « ادارة رسمية » فى الدولة ، وجعل فيها الموظفين من كل طبقة ونوع ، وكانت الكتب تنسخ له (أى يشبه

---

(٥٧) محمد لطفى جمعه : تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق والمغرب – المقدمه .

(٥٨) د. النشحات السيد زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٢٨ .

(٥٩) جوستاف جرونيباوم : حضارة الاسلام ص ٢٣٣ .

(٦٠) ف. بارتولد : (**تاريخ الحضارة الاسلامية**) ترجمة حمزة طاهر (دار المعـــــارف بمصر ١٩٤٢ م ط ٣) ص ٥١ .

(٦١) د. عمر فروخ : المأمون ومكانته فى السياسة والفكر والعــلم ، مجــلة الباحث عــ ٢٢ (١٩٨٢ م) ص ١٥ ، ١٧ .

هـو بنسخها عن أصـول عربية أو ينقلها عن أصـول غير عربية وتفسر لـه) اذا كانت موضوعاتها تحتاج الى مثل هـذا التفسير[٦٢] .

وقـد كان فى خزائنه هـذه كتب بخطوط مختلفة[٦٣] ، كما كان قـد أخـذ (الطالب) أصحابه وكتابه بتجـويد خطوطهم .

فقـد كان للمـأمون ولعـه الشخصى بالأمور العلمية الفلسفية . فكان يعقـد مجالس المناظرة فى حضرته ويبعث فى طلب العلماء والاعلام لحضورها من بيزنطه . وكان يتصيد الكتب النادرة ، ويدفـع فيها المبالغ الطائلة ، ويجعل بعضها شرطا من شروط الهـدنة مـع الروم ، كما أقام (بيت الحكمة) فجمع فيه مكتبة ضخمة هائلة وجهازا كبيرا للترجمة من مختلف اللغات الى اللغة العربية حشد لـه سبعين مترجما . ولقـد أدى هـذا العمل الى ظهور عصر الترجمة الثانى فى تاريخ الفكر الاسلامى ، أو الى التعجيل فى ظهوره على الأقل كما مزج الثقافات المختلفة مزجا قويا واعتنى باللغة العربية بتراث فكرى واسع وعجل فى ظهور ما نسميه بالثقافة الاسلامية[٦٤] .

ولم تكن العناية بالترجمة مقصورة على الخلفاء العباسيين ، بل اهتم جماعة من الأثرياء فى عهد المـأمون بنقل كثير من الكتب الى العربية . ومن هؤلاء بنو شاكر المنجم الذين عهدوا الى حنين بن اسحاق بالذهاب الى بلاد الروم ، فأحضر اليهم كثيرا من طرائف الكتب والمصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب[٦٥] . ومن الكتب التى ترجمت فى عهده الحـكم الذهبية لفيثاغـورس ، وبعض مصنفات لابواقراط وجالينوس ، وكتاب السياسة المدنية لأفلاطـون ، وكتـاب المقـولات والطبيعيات لأرسـطو[٦٦] . وكان عهد المـأمون أرقى عهود العلم فى العصر العباسى وذلك لأمرين . الأول : أن المـأمون نفسه قـد اشتغل بالعلم وأمعن فيه فبينما كان بمرو فقـد جالس كثيرا من العلماء وأخـذ عنهم جملة صالحة من العلوم الدينيـة كالحـديث والتفسير والفقه واللغـة العربية فكان لذلك محبا للعلم ولازدياد نشره . والثانى : ما كان نفسها اذ ذاك حيث وجد فيها شوقا الى العلم والبحث وكثرة العلماء

---

(٦٢) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٥ ، ١٠ .

(٦٣) المصـدر نفسـه ص ١٧ ، ١٩ .

(٦٤) د. شـاكر مصطفى : (**دولة بنى العباس**) . (وكالة المطبوعات ـ الكويت ط ١ ، ١٩٧٣ م) جـ ١ ص ١ .

(٦٥) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٤٠ .

(٦٦) أحمد أمين : ضـحى الاسـلام جـ ١ ص ٣٧٨ .

فى كل مصر من امصار المسلمين فتوافق راى الامام واستعداد الأمة فكان من وراء ذلك ما نقصه من تقـدم حركة العلم ورفعة بغـداد[٦٧] .

فليس غريبا على الخليفة المـأمون أن يعرف عهده بالعصر الذهبى فقـد قام بتوسيع (بيت الحكمة) التى أسسها والده الرشيد فكان بلاطه مزدحما بمشـاهير الأسـاتذة والشعراء والأطبـاء والفلاسفة الذين قـدموا من جميع انحـاء العـالم ، ومن مختلف المعتقدات والجنسيات . وقـد أغـدق عليهم دونمـا تمييز فى الجنس والرعاية الواسعة كما أغـدق الأموال الطائلة على المؤرخين والفلاسفة والنحويين وجامعى الحـديث الذين تجمعوا فى عاصمة ملكه . ولقـد قام المـأمون باكتنـاز سجلات أيام الجاهلية عند العرب وأغنى بيت الحكمة فيها بالاضافة الى جمعه شعر العرب القـدامى والرسائل والوثائق الأرشيفية[٦٨] .

ان ضخامة مكتبة المـأمون والعـدد الهـائل من الكتب التى احتـوتها يمكن تصورها بسهولة فى حقيقة كون مدينة بغـداد رغم تعرضها للسلب والنهب مرات عـديدة وسرقت منها الكتب الأدبية ولكنها رغم كل ذلك فان عـدد الكتب التى بقيت سالمة حتى القرن السابع الهجرى كان هائلا جـدا[٦٩] .

ومن حسن الحظ فان أبى اصيبعة قـد حصل على هـذه الكتب وذكرها فى ترجمـة حنين بن اسحاق . ومنذ عصر المـأمون فان ممارسة جمع وحفظ الكتب قـد أصبحت سمة عامة فى أرجاء بغـداد طـولا وعرضا ، وان معظم الوزراء وأفراد الحاشية الملكية وكبار رجال الجيش يملكون مكتباتهم الخاصة بهم وصرفـوا المزيد من المـال من أجل جمعها وخزنها[٧٠] .

وفى خلال العصر العباسى أدخـل المسلمون تحسينات كبيرة فى حقـل النشاط الفكرى فتم تشييد المكتبات الكبيرة وأدخلوا علوما جـديدة فى حقـل العلم والانسانيات كما أدخلوا فى معارفهم المكتشفات المهمة مثل الجغرافيا والكيمياء والطب ... الخ .

---

(٦٧) الشيخ محمد الخضرى : محاضرات تاريخ الأمم الاسلامية ، الدولة العباسية ، ص ٢٠٦ .

(٦٨) محمد رستم ديوان : المكتبات فى العالمين العربى والاسلامى فى العصر الوسيط ، عن مجلة المورد عـ ٤ ص ٢٨٥ — بغـداد .

(٦٩) مقالات الشبلى — المجلد السادس ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، — غرام كاره — الهند .

(٧٠) محمد ديوان رستم : المكتبات فى العالمين العربى والاسلامى فى العصر الوسط — عـ ٤ مجلد ٩ ص ٨٦ . ١٩٨١ م — بغـداد .

وكما اشرنا كان الخليفة المأمون هـو السباق الى هـذا فكان من كبار رعاة العلم والعلماء(٧١) . فترجمت المؤلفات العلمية والادبية من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية وذلك فى عام ٢١٥ هـ وقـد أشار ابن النـديم الى ذلك فى كتابه الفهرست .

وكان الأساتذة الهندوس يتدفقـون من الهند فـواجا الى بلاط الخليفـة العباسى فى بغـداد حيث كان موضع ترحيب الخلفاء الذين كلفوهم بترجمة بضـعة كتب من السنسكريتية الى العربية وقـد تم تعيين بعض الأساتذة الهندوس فى بعض المناصب المهمة فى بلاط الخليفة(٧٢) .

هـذا هو المـأمون بن الرشيد الذى ازدهرت وارتقت بيت الحكمة فى عهـده كما بلغت حركة الترجمة أيضا فى عهده شأنا كبيرا ، وفتح آفاق العلم والمعرفة بصورة لم يسبق لها مثيل كما شجع العلماء والأدباء والمفكرين ، فكان من أهم من تعهـدوا برعاية البـذور التى غرسها من قبل الراشـدون والأمويون فى بستان الحضـارة الاسلامية . وحتى اينعت وعبقت بأريجها الدنيا . هـذا هو المـأمون يسمع عن عالم شهير فى الرياضيات فى القسطنطينية ـ هـو « ليسو » فيكتب اليه رسالة جاء فيها : « اننـا نعرف الشجرة من ثمارها .. وتعرف الأستاذ من تلميذه لهـذا فالك با من زودت العلم الكثير من الأمور أنت بين مواطنيك مجهول بسبب فضيلتك .. وغزارة علمك ... أنت لم تجن ثمار علمك وحكمتك .. ولم تنـل من مواطنيك أى تشريف أو تكريم .. ولا يتردد اذن فى القـدوم الينا ، ولسوف نعرف لك نحن قـدرك .. ونقـدر فيك علمك . فاذا فعلت هـذا وجئت فان العرب سوف يحتفون بك ويمنحونك شرفا عظيما وأموالا كثيرة لم ينلها من البشر أحـد »(٧٣) .

هكذا كان خلق الخليفة المـأمون العربى العالم الذى يعلن استعداده للذهاب بنفسه الى بلاط خصمه لاستحضار احـد العلماء حتى لو افترضنا أن هـذه كانت صورة مبالغة من جانب المـأمون فان مجرد التفكير فيها والافصاح عنها دليـل صدق على حضارة العالم العربى آنذاك وعلى رقى مؤسساته العلمية وخاصة بيت الحكمة .

---

(٧١) مقالات الشبلى ـ المجلد السادس ص ٤ ، ٧ ـ غرام كاره ـ الهند .

(٧٢) مقالات الشبلى ، المجلد السادس ص ٤ ، ٧ ـ غرام كاره ـ الهند .

(٧٣) د. رأفت عبد الحميد : (السلوك الحضارى والعسكرية العربية « تقدير العرب للعلم والعلماء ») ، مجلة درع الوطـن ـ أبو ظبى ـ الامارات العربية المتحـدة ـ عـ ١٥٨ (١٤٠١ هـ/ ١٩٨٤ م) ص ٥٧ .

الفصل الثانى : بيت الحكمة بعد عهد المأمون



١ ــ بيت الحكمــة تستمر فى رحلتها العلمية والأدبية ·

٢ ــ عناية الخلفــاء والوزراء ببيت الحكمة بعــد المــأمون ·

٣ ــ الحركة العلمية ونشاطها فى بيت الحكمة بعــد عهد المــأمون ·

أولا ــ بيت الحكمة تستمر فى رحلتها العلمية والأدبية :

سجل التاريخ نهضة للثقافة العربية الاسلامية فى العصر العباسى فى شتى مراحله ، وازدهرت الترجمة التى نقلت للمحيط العربى ثقافة الفرس ، والهند واليونان وفلسفتهم . وكان الخلفاء العباسيون الأولون مشاعل للعلم والمعرفة بما أنشئوه من المعاهد والمدارس ، وبما أقاموه من الأندية والمجالس وبما بذلوه من المكافآت للأدباء والعلماء والمؤدبين والولاة(٧٤) .

واذا كان العصر العباسى هو دون شك فترة الأوج فى العطاء فانه كان أيضا على المستوى نفسه فى الخصب السياسى ، يصف صاحب الفخرى دولتهم بأنها « كانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم ، أسواق العلوم فيها قائمة ، وبضائع الآداب فيها نافقة وشعائر الدين فيها معظمة والخيرات فيها دارة ، والدنيا عامرة والحرمات مرعية ، والثغور محصنة ، وما زالت على ذلك حتى كانت أواخرها فانتشر الجبر واضطرب الأمر وانفلتت الدولة »(٧٥) .

ان استمرار حركة النقل بعد المأمون كانت ديدنا لكثير من الناس ، واستمر النقل والتصحيح والتحقيق فى التراجم السابقة ، وشاعت اللغات الأعجمية بين الناس حتى أصبحت الهندية واليونانية والفارسية لغات شائعة عند الطبقات المتأدبة التى لم تصل الى رتبة العلماء . وأهم ما ترجم فى هذا الدور كتاب الفلاحة النبطية نقله الى العربية احمد بن على بن المختار النبطى المعروف بابن وحشية(٧٦) سنة ٢٩١ هـ .

نقول بالرغم من هذا كان هذا العصر بحق أزهى العصور الاسلامية على الاطلاق وأن خلفاءه كانوا من اقوى الشخصيات ، فقد عرف أبو العباس السفاح بجبروته وقوة شخصيته واشتهر أبو جعفر المنصور بالحزم واليقظة وشدة البأس ، وكان المهدى يجلس للمظالم بنفسه والهادى يخوض المعارك متقدما الصفوف والرشيد الذى تحدثت بأقاصيصه الركبان والمأمون الذى يمثل عصره

---

(٧٤) د. محمد كامل الفقى : (**الأدب فى العصر المملوكى**) . (الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ القاهرة ١٩٧٦ م) ص ١٥ .

(٧٥) ابن الطقطقى : الفخرى فى الآداب السلطانية ص ١٢٧ .

(٧٦) أنور الرفاعى : الاسلام فى حضارته ونظمه ص ٥٣٣ .

عصر الاسلام الذهبى والمعتصم الذى اشـــــتهر بشـــجاعته والواثق المحب للعلم والعـــــلماء(٧٧) .

وقـــد اشـــتهر بعـــد المـــأمون امراء شـــغفوا بحبهم للكتب وجمعهم اياهـــا وتأسيسهم للمكتبات الفخمة ، وانفاقهم على النقل كمحمد بن عبد الملك الزيات الذى نقلت باسمه عـــدة كتب والتف حـــوله فريق من أكابر الأطباء والفلاسفة مثل يوحنا ابن ماسويه وجبرائيل بن بختيشوع وبختيشوع وابنه داوود وابن سرابيون واليسع واسرائيل بن زكريا بن انطيفورى وحبيش بن الحسن(٧٨) .

وقـــد ذكرنا سابقا أبناء شاكر محمد وأحمد والحسن وانقطاعهم للعمل ببيت الحكمة ويظهر انهم بعـــد وفاة المـــأمون بدأوا يعملون لحسابهم الخاص وجمعـــوا حـــولهم النقلة والبحاثة وخاصة حنين بن اسحاق الذى عاد يلازم بنى موسى (هم أنفسهم أبناء شاكر) بن شاكر رغبوا فى النقـــل اليونانى الى العربى وعرفـــوا على ذلك الجمـــل العظيمة(٧٩) .

وقـــد دخـــل فى خـــدمتهم أيضا حبيش بن الحسن وثابت بن قرة وغيرهما . وأولاد موسى هؤلاء كانوا مهندسين وفلكيين ولهم استنباطات لم يسبقهم اليهـــا احـــد وبرهنوا للمـــأمون أن محيط الأرض ٢٤٠٠٠ ميل برهانا محسوسا فضلا عن مهارتهم بالرصـــد وغيره(٨٠) .

يقول القلقشندى فى كتابه صبح الأعشى عند كلامه على خزائن الكتب الشـــهيرة فى الاسلام : « فقـــد كان للخلفاء والملوك فى القـــديم مزيد اهتمام وكمال اعتنـــاء حتى حصلوا على العـــدد الضخم ، وحصلوا على الخزائن الجليلة ويقال ان أعظم خزائن الكتب فى الاسلام ثلاث خزائن : احـــداها خزانة الخلفاء العباسيين فكان فيها من الكتب ما لا يحصى كثرة ولا يقوم عليه نفاســـة ، ولم يزل على ذلك الى أن دهمت بغـــداد من التتر وقتـــل ملكهم هـــولاكو المستعصم آخر خلفائهم ببغـــداد فذهبت خزائن الكتب فيما ذهب وذهبت معالمها وأعفيت آثارها »(٨١) .

---

(٧٧) د. زاهية قدوره : الشعوبية وأثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الاسلامية فى العصر العباسى ص ٢٣٧ .

(٧٨) ابن أبى أصيبعة : عيـــون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ٢ ص ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٧٩) المصـــدر نفســـه ص ١٧٣ .

(٨٠) جرجى زيدان : تاريخ التمـــدن الاسلامى جـ ٣ ، جـ ٥ ص ١٤٨ .

(٨١) القلقشندى : صـــبح الأعشى جـ ١ ص ٤٦٦ .

وواضح أن القلقشندى يعنى بخزانة الخلفاء العباسيين بيت الحكمة هـذه وقـد استمرت حركة النقل بعـد المـأمون نشيطة مدى قرن آخر من الزمان . وليس معنى هـذا أن بيت الحكمـة قـد اختفى أو اندثر ، فلقـد ظـل يغالب الأحـداث ، ويجاهـد فى سبيل البقاء ولكنه بقاء المكلوم الهزيل ، وفيما يلى نصوص ثلاثة عن حياته بعـد المـأمون : ذكر ابن أبى أصيبعة[٨٢] : أن يوحنا بن ماسـويه تقلـد ترجمة الكتب اليونانية فى بيت الحكمة وخـدم هارون والأمين والمـأمون وبقى على ذلك الى أيام المتوكل .

ذكر ابن النـديم فى كتابه الفهرست[٨٣] — أنه (فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى) نقل نمـوذجا لكل من الخط الحميرى والحبشى من هـذه الخزانة .

وذكر القلقشندى[٨٤] : ان هـذه الخزانة ظلت حتى دهم التتر بغـداد وقتـل ملكهم هـولاكو المستعصم آخر خلفاء العباسيين ، فذهبت خزانة الكتب فيما ذهب ، وذهبت معالمهـا ، وأعفيت آثارها . ان ما اشتهر به خلفاء بنى العبـاس من أمثال المنصور والرشيد والمـأمون والمتوكل من حيث جمعهم للمخطوطات الكبيرة التى خلفتها الحضارات الهندية والفارسية والسريانية واليونانية وحفظها فى مكتبة بيت الحكمة لهـو دليل على عظمتها واستمرارها لرحلة العلم وجـوانبه الفكرية رغم أنها كانت مصـدرا من مصادر الثقافة العربية الاسلامية فى الطب والفلسفة والفلك فتأثرت بذلك المدن الاسلامية الأخرى من أمثال البصرة والكوفة ودمشق[٨٥] ، وغيرها .

وبعـد انتهاء حكم المـأمون تزعزع مركز بيت الحكمة فى بغـداد لحـدوث بعض الاضطرابات السياسية التى استمرت حـوالى ستة عشر عاما الى أن بويع جعفر بن محمد (المتوكل على الله) والذى استمر حكمه أربعة عشر عاما (٢٣٢ هـ — ٢٤٧ هـ/٨٤٧ م — ٨٦١ م) فاتبع سياسة المـأمون من مساعدة العلماء وتشجيعهم على استئناف بحـوثهم وبذلك عادت الحركة العلمية الى ازدهارها وانقشعت سحابة الصيف لتكشف مرة أخرى عن غيوم لمعت وظهرت مواهبها فى مختلف ميادين العلم[٨٦] .

---

(٨٢) ابن أبى اصيبعة : عيـون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٧٥ .

(٨٣) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٢٨ ، ٢٩ .

(٨٤) للقلقشندى : صـبح الأعشى جـ ١ ص ٤٦٦ .

(٨٥) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العلمى والعربى الاسلامى ص ٢٧ .

(٨٦) د. امام ابراهيم احمد : (**تاريخ الفلك عند العرب**) . (الهيئة المصرية العامة للكتاب — القـاهرة ١٩٧٥ م) ص ٣٣ .

واذا كانت الدولة العباســــية فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجرى حيث عاش المسعودى ، وقــد تميزت بمظاهر الضــــعف والاضطرابات السياسية ، الا انها شهدت نهضة علمية ثقافية كبرى .. فهــذه الولايات الاسلامية وان كانت قــد استقلت عن الدولة العباسية اداريا وعسكريا وماليا الا انها ساهمت مساهمة كبيرة فى النهضة الثقافية(٨٧) والفكرية .

وبعــد ، فنقول ان هــذا الاضطراب السياسى والانقسام السياسى لم يؤثر فى الحضارة الاسلامية ذلك أن هــذا العصر الذى حفــل بالحروب والفواجـــع والكوارث والذى انقسمت فيه دار الخلافة الى عــدد كبير(٨٨) جــدا من الدويلات الهزيلة والذى سيطر فيه الأعاجم الجهلة وبعضهم كان لا يعرف كلمة واحــدة من العربية والذى حفــل بالمبادىء المنحرفة عن الاســلام كالباطنية الذين استشرى شرهم وعظم خطبهم وكانوا اشــد على المسلمين من أى عــدو لهم ، أقــول انه فى هــذا العصر وصلت الحضارة الاسلامية الى أوجها وذروة تطورها(٨٩) .

ونبغ العظماء فى كل حقل وفن ولسنا بصــدد تعليل هــذه الظاهرة ولكنـــا نريد أن نقول ان بذور النــواة الأولى غرسها الاسلام فى أرض خصبة وسقتها الرعاية والعناية بمزيد من الاهتمام والاحتياط ، ولذلك أنبتت هــذه البذور الطيبة ثمــارا يانعة على الرغم من كل ما حــدث من تمزق وانقسام . ولا تنس كذلك ظهور مشاعل اضاءت الطريق المظلم وأعنى بذلك الحكام المتنورين أمثال عضــد الدولة ونظــام الملك وغيرهما . كما أن تعــدد المراكز الحضــارية وتنافس الحكام على اجتــذاب العلماء والدارسين كل ذلك مــع غيره من العوامل أدى الى حــدوث هــذه الظاهرة بلوغ الحضارة الاسلامية أوجها فى عصر الاضطراب السياسى والضعف والتمــزق والفتن(٩٠) . هــذا كله يقودنا الى أن حيوية الاسلام وحضارته وتوجيهه نحــو النور أقوى بكثير من عوامل الهــدم والتجزئة والفرقة والحصام .

---

(٨٧) د. على حسنى الخربوطلى : (**المسعودى ، من نوابغ الفكر العربى**) . (دار المعــــارف بمصر ١٩٦٨ م) ص ١٧ .

(٨٨) د. محمد ماهر حماده : (**الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصور العباسية المتتابعة**) مؤسسة الرســالة - بيروت ط ١ ، ١٣٩٨ هـ/١٩٧٨ م ص ٢٠ .

(٨٩) المرجــع نفســه ص ٢١ .

(٩٠) المرجــع نفســه ص ٢١ .

ثانيا — عناية الخلفاء والوزراء ببيت الحكمة بعد المأمون :

كان الخلفاء العباسيون يعدون أنفسهم حماة للعلم ويرون ان تصورهم يجب أن تكون مركزا تشع منه الثقافة والعرفان ، ومثابة يلتقى فيها العلماء والادباء(91) .

ولا سيما العصر العباسى الأول — أدباء يتذوقون الادب الرفيع البعيد عن التكلف ويقيمون الندوات لتنافس الأدباء . ثم ان الدولة كانت مشغولة بأمور جسام لاتساع رقعتها وكثرة مناوئيها وسريان انتيار الحضارى والانشغال بعلوم كثيرة فى الثقافة الاسلامية وما ترجم عن الثقافة الفارسية والهندية واليونانية ، كل ذلك شغل الادباء شعراء وكتابا عن الجرى وراء الحرص على المحسنات اللفظية ، كما تعد هناك معاهد للعلم التى كانت ببغداد مجالس للمناظرات بين المعتزلة وأهل السنة والمناطقة(92) .

وشهد العراق فى مطلع القرن الرابع ونهاية القرن الخامس الهجريين نهضة علمية كبيرة نضجت فيها العلوم على اختلاف أنواعها ونمت وازدهرت وصارت بغداد عاصمة الخلافة العباسية قبلة العلم والمعرفة على الرغم من تدهور الحالة السياسية وضعف الخلافة وفقدان السيطرة على الأقاليم والولايات . واستبد الأمراء والولاة بالسلطة وانفصالهم عن الخلافة فى أغلب الأحيان . وظلت بغداد كعبة العلماء يقصدونها من كل حدب وصوب حتى سقوطها ٦٥٦ هـ على يد المغول(93) .

وقد زار المقدسى هذه البلاد وملخص ما قاله من الناحية العلمية : « ان اقليم العراق اقليم الظرفاء ، ومنبع العلماء ، ولطيف الماء ، عجيب الهواء ، مختار الخلفاء ، أخرج أبا حنيفة فقيه الفقهاء ، وسفيان سيد القراء ومنه كان أبو عبيدة الفراء ، وحمزة والكسائى وكل فقيه ومقرىء وسرى وأديب وحكيم ، وداع وزاهد ونجيب ، وظريف ولبيب ، أليس به البصرة التى قوبلت بالدنيا ، وبغداد الممدوحة فى الورى والكوفة الجليلة وسامراء »(94) .

---

(91) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور الخلفاء فى تقدمه ص ٥١ .

(92) د. سعد الدين الجيزاوى : دراسات فى الأدب العربى ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(93) د. محمد حسين الزبيدى : المراكز الثقافية فى العراق فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، مجلة المؤرخ العربى — بغداد — العراق عـ ١٥ ، ١٩٨٠ م ص ٢٠٢ .

(94) المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص ١١٣ .

وكان عهد المـأمون هـو أزهى عصور بيت الحكمة ، ولم يجـد هـذا المعهد بعـد المـأمون من يمنحه عناية المـأمون ورعايته ، وكان أول من قلل من شأنه ان يتولى المعتصم الخلافة بعـده (المـأمون) والمعتصم قليل المعرفة بالثقافة لا يجـد لـذة ولا يتـذوق لهـا حـلاوة فلم يرع بيت الحكمة كما كان يجب ــ وانمـا اتجـه الى جلب المماليك وتدريبهم والسرور ببطولتهم ، ثم هجر بسببهم بغـداد الى سامراء (المدينة الجـديدة) فأصيب بيت الحكمة بصدمة أخرى نتيجة انتقال الخلفاء من بغداد وعـدم رعايتهم لمـا فى العاصمة الأولى من منشآت ثم تزاحمت الأحـداث على بغـداد وما فيها من مؤسسات ، وكثرت الحروب والفتن وكلها تنتقص من هـذا المعهد وتقلل من شأنه ، وتخفت من صـوته(٩٥) .

ثم جاء الخليفة الواثق فاقتفى أثر المـأمون وسار على نهجه واستن سنته ، فكان الواثق يعطف على أهل بيته ، ويتفقـد أحـوال الرعية . أفرد فى قصره مكانا للمناظرة والجـدل ، ولذا أطلق عليه « المـأمون الأصغر » وشغف بالوقوف على آراء العلماء ، حتى أنه طلب من حنين بن اسحاق كتابا يذكر فيه الفرق بين الغـذاء والدواء ، فأتمه وسماه « كتاب المسائل الطبيعية » وعاش فى أيامه الشاعر أبو تمام صاحب ديوان الحماسة الذى أجزل الواثق لـه العطاء ولكثير غيره من الشـعراء الذين زخر بهم عصره ، فقـد كان الواثق نفسه شـاعرا يقـول الشعر ، ونبـغ فى عهده الكندى فيلسوف العرب وحنين بن اسحاق فى الطب واليعقوبى والبلاذرى وأبو حنيفة الدنيورى وهم من فطاحل المؤرخين(٩٦) .

وكان للخليفة المتوكل(٩٧) نشاط ملموس حيث جـدد مدرسة المترجمين ومكتبة فى بغـداد والقى عبء ادارتها على عاتق حنين بن اسحاق واختاره رئيسا لهـا ومهد الخليفة ورجال دولته لتلاميذ النصارى سبل البحث العلمى وقدموا لهم جميع التسهيلات للسفر والتنقيب عن المخطوطات اليونانية وحملها الى بغـداد لترجمتها واننا لنجـد (حنينا) يتحـدث عن كتاب الآن مفقود فى ذلك الزمن نادر ، فيقول : « اننى بحثت عنه بحثا دقيقا وجبت فى طلبه أرجاء العراق وسـوريا وفلسطين ومصر الى أن وصلت الى الاسكندرية لكنى لم أظفر الا بمـا يقرب من نصفه فى دمشق » .

---

(٩٥) ابن قتيبة : المعارف ص ١٠ .

(٩٦) د. على ابراهيم حسن : التاريخ الاسلامى العام ص ٤٢٣ .

(٩٧) توماس أرنولد وآخرون : تراث الاسلام ص ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

واستطاع المتوكل فى الحقيقة ان يعيد الحياة الى بيت الحكمة حينما اختار رئيسا لهما حنين بن اسحاق العبادى من قبيلة عباد بالحيرة وهو أحد مشاهير الأطباء الذين تلقوا العلم على يدى ابن ماسويه وكانت طريقته فى الترجمة : تحويل النص الاغريقى الى السريانية ثم يترك لمساعديه ترجمة هذه الى اللغة العربية . واخيرا يقارن هو بين النصوص الثلاثة كى يتأكد من دقة نقلها من لغة الى أخرى بل بلغ من حرصه وأمانته فى هذا العمل أن نقد ترجمات قام بها بنفسه فى مستهل حياته(٩٨) .

فالعراق من عهد المتوكل الى آخر الدولة البويهية لم تزل لها الصدارة فى العلم والادب والفلسفة ، ويدل ما ذكره الخطيب البغدادى من تراجم على ثروة واسعة فى العلم والعلماء ، من جميع الفروع كالتفسير والحديث والفقه والشعر والأدب . نعم ان المتوكل نصر أهل الحديث على المعتزلة واضطهدهم وكان فى هذا خسارة كبيرة على الحركة الفكرية ، ولكن مع ذلك ظل علم الكلام قويا(٩٩) . والعلم والأدب عادة فى أشد الحاجة الى هدوء بال ، وطمأنينة نفس وراحة فى الرزق ، فما لم توجد هذه الثلاثة لا يستوى لهما طريق ، ولا يؤمل لهما نجاح شأنهما شأن الزهرة الناعمة ، اذا عصفت بها العواصف ، ولم ترد فى أوقاتها ذبلت أوضعفت(١٠٠) .

وكان الخليفة العباسى المعتضد بالله يكثر من مجالسة العلماء وأصحاب المواهب والكفاءات ويشارك مشاركة فعلية فى حل مشكلاتهم وكان يسهر الليالى الطوال مستمعا الى مناقشاتهم حول ما يبتدعون من مستحدثات العلم ، وكان يقدم اليهم كثيرا من الهدايا والمنح ، فكان للعلماء فى عهد المعتضد بالله مكانة اجتماعية خاصة يتمتعون بها ، وكان المعتضد بالله يحترم ثابت بن قرة فيكنيه « بأبى الحسن » مع أنه ليس بين أبنائه من اسمه حسن(١٠١) كما كان عصر المستنجد(١٠٢) (٥٥٥ هـ ــ ٥٦٦ هـ/ ١١٦٠ م ــ ١١٧٠ م) عصر ازدهار الترجمة عن الفرس واليونان

---

(٩٨) د. امام ابراهيم احمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٣٤ .

(٩٩) أحمد امين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٢٢١ .

(١٠٠) المصدر نفسه ص ٢٦٤ .

(١٠١) د. على عبد الله الدفاع :موجز فى التراث العلمى العربى والاسلامى ص ١٠٢ .

(١٠٢) البلاذرى ، أحمد بن يحى بن جابر : (فتوح البلدان) نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد (مطبعة لجنة البيان العربى ــ القاهرة ١٣١٨ هـ) جـ ١ ص ٨ .

التى انعشت التراث الاسلامى كما يعتبر عصر التراث الذى انضج فى قصور المعتصم ومن جاء بعـده من خلفاء العصر العباسى الثانى .

وقد اخرج هـذا العصر كثيرا من الامراء والوزراء الذين شجعوا الحركة العلمية ، اما لرغبتهم العلمية ، واما لتزيين مجالسهم بالعلماء ، كما تزين بالتحف الطريفة ، ذلك أنهم فيما مضى من العصور العباسية كانت بغـداد وحـدها هى مقصد العلماء والشعراء والأدباء لأنها عاصمة المملكة الاسلامية كلها . فلم ينبغ وأحد منهم فى أى قطر ، ويحب أن يشتهر الا ويقصد بغـداد لينال الشهرة(١٠٣) .

وقد عملت عوامل عـديدة على ازدهار بغـداد علميا وأدبيا منها :

١ ـــ تشجيع الخلفاء والأمراء للعلم والعلماء .

٢ ـــ حاجة الوزراء الى اساطين البيان والشعراء لأنهم وجـدوا فيهم سبيلا الى ابلاغ الرغائب ولسانا به يتحـدثون .

٣ ـــ المجالس التى كان يعقدها العلماء فى بيوتهم .

حظيت الحركة العلمية والأدبية فى العهدين البويهى والسلجوقى بقـدر كبير من اهتمام المؤرخين ، فتضمنت كتب التاريخ والأدب والتراجم معلومات مفصلة ، بحيث أصبح لدينا صـورة واضحة كل الوضوح عن عناية الوزراء بالعلم والأدب عن طريق تشجيع العلماء والأدباء واغـداق الأموال عليهم لدفعهم إلى الانتاج ، حتى أصبحت مجالس بعض وزراء ما بين العهدين مقصدا فى ازدهار الحركة العلمية والأدبية وكانت مجالسهم تضم كبار العلماء والأدباء فيحيطونهم بالرعاية ممـا يشجعهم على تأليف الكتب ونظم الأشعار فى مدحهم والاشادة بفضلهم(١٠٤) .

كان عصر نفـوذ الأتراك الذى سبق العهد البويهى يسوده الاضطراب كمـا بلغت فيه الدولة حـدا كبيرا من الضعف والتفكك بسبب تسلط الأتراك وانشغال الناس بالمنازعات الطائفية والمذهبية ممـا ساعد على تقـدم الحركة العلمية ، فلما دخـل البويهيون بغـداد وقبضوا فى أول عهدهم على أزمة الأمور اندفع بعض أمراء البويهيين ووزرائهم فى تشجيع الأدب العربى مـع أنهم من اصل فارسى(١٠٥) .

---

(١٠٣) احمد امين : ظهر الاسلام جـ ٢ ص ٢٦٥ .

(١٠٤) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٢١٨ .

(١٠٥) د. محمد مسفر الزهرانى : (نظـــام الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى) . (مؤسسة الرسالة ـ بيروت ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م) ص ١٨٤ .

فنبغ فى عهدهم كثير من العلماء والأدباء والفلاسفة ، فكانت الرى وأصفهان من مراكز الثقافة والعلم فى مشرق الدولة الاسلامية وبخاصة فى عهد البويهيين ، وقد تقدمت الحركة العلمية(١٠٦) فى الرى بعد أن استقر فيها الوزير البويهى أبو الفضل العميد الذى تشبه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والأدباء والشعراء ، حتى انه كان يقضى جزءا من يومه مشغولا بهم(١٠٧) ، وكان هذا الوزير أديبا عالما يضرب به المثل فى البلاغة حتى قيل أن الكتابة بدئت بعبد الحميد وختمت بابن العميد(١٠٨) . وسمى (بالجاحظ الثانى) لمكانته الادبية الرفيعة ، وكان متبحرا فى علوم الهندسة ، والمنطق والفلسفة ومن مؤلفاته كتاب « المذهب فى البلاغات » وكتاب « يضم ديوان رسائله »(١٠٩) وبلغ من اهتمام أبى الفضل ابن العميد بالكتب انه أنشأ مكتبة عظيمة وعين احد العلماء خازنا لها وهو مسكويه(١١٠) .

عنى البويهيون بانشاء المكتبات العامة فى العراق ، وبذلوا لها المال مرتبوا لها المشرفين ، والمؤرخين والعمال لادارة شئونها وقد سميت هذه المكتبات « بدور العلم » ويدل مجرد اسم هذه المكتبات على الفرق بينها وبين دور الكتب القديمة . فكانت دار الكتب قديما تسمى خزانة الحكمة وهى خزانة كتب ليس غير . أما المكتبات الجديدة فتسمى « دار العلم » وخزانة الكتب جزء منه وعلى هذا فان دور العلم عبارة عن دار كتب عامة تقام فيها الندوات العلمية وتجمع طوائف عديدة من العلماء يجتمعون فيها للمناظرة والدرس ومن أشهر دور العلم : بيت الحكمة ، وقد ورث البويهيون هذه الدار عندما استولوا على بغداد وقد ذكر ابن النديم(١١١) وجود بيت الحكمة فى النصف الاخير من القرن السابع الهجرى بقوله انه (نقل نموذجا لكل من الخط الحميرى الحبشى من هذه الخزانة) وقد ظلت هذه المكتبة تؤدى رسالتها العلمية بكل همة ونشاط بفضل جهود الخلفاء والوزراء ولم تكن المكتبات فى شرق الدولة الاسلامية ومغربها مقصورة على أولى الأمر من الخلفاء والوزراء ،بل اهتم العلماء وطلاب العلم بالكتب وبتأسيس المكتبات اهتماما

---

(١٠٦) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٢١٩ .

(١٠٧) ابن مسكويه ، ابو على احمد بن محمد بن يعقوب : (**تجارب الأمم**) . (طبع مكتبة المثنى - بغداد العراق) ج ٢ ص ٢٧٨ ، ٢٨١ .

(١٠٨) الثعالبى : (**يتيمة الدهر**) . (القاهرة ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م) ج ٣ ص ٤ .

(١٠٩) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٥ ص ١٠٤ .

(١١٠) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى الشرق ص ٢١٩ .

(١١١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩ .

منقطع النظير ، وقد وقف كثير من العلماء كتبهم على طلاب العلم حتى أن الامام الحافظ أبا حاتم محمد بن حيان البستى سنة ٣٥٤ هـ وضع مؤلفاته الكثيرة فى دار خاصة فى بلدة (بست) وجعلها وقفا على أهل العلم[١١٢] .

ولم يقتصر النشاط العلمى واقتناء الكتب ، وانشاء المكتبات على الخلفاء والأمراء والوزراء والعلماء وطلاب العلم ، بل تعداهم الى غيرهم . اذ كانت حيازة نسخة من مؤلف بخط مصنفه أو نسخه من كتاب نادر مجالا كبيرا للتفاخر والاعتزاز[١١٣] .

فكان الفتح بن خاقان وزير المتوكل قد بنى مكتبة ضخمة وعين يحيى بن المنجم مشرفا على بيت الحكمة وكانت تلك المكتبة تعتبر فريدة من نوعها فى تلك الأيام . وكان محمد بن عبد الملك الزيات وزير الواثق[١١٤] يصرف عشرة آلاف روبية[١١٥] فى الشهر الواحد لترجمة واستنساخ الكتب وكان المؤرخ العربى[١١٦] (عمر الواقدى) (٣٣٦ م/٨١١ م) يملك فى مكتبته ما حمولته من الكتب تعادل حمولة ١٢٠ جملا ويملك فى مكتبته ٦٠٠ رف صفت عليها أنواع الكتب وقبل بضع سنين من وفاته باع جزءا من هذه الكتب بسعر الفى قطعة من الذهب .

وتعتبر (دار العلم) فى الموصل من المكتبات التى أسسها أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى[١١٧] . وكان متحمسا للمعرفة وحب العلم وكان ثمة حشد كبير من الشعراء والأساتذة فى بلاطه . وكان صفى الدين مولعا بالنشاطات ميالا لجمع الكتب لمكتبته وكذلك كان شأن أخيه ، وكلا الأخوين من الشعراء المجيدين فى ذلك العصر وعين أحد الأساتذة قيما على مكتبته[١١٨] .

---

(١١٢) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ٣ ص ١٢٥ .

(١١٣) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٥ .

(١١٤) محمد رستم ديوان : المكتبات فى العالمين العربى والاسلامى فى العصر الوسيط ص ٢٨٦ .

(١١٥) الروبية : عملة هندية أدخلها الانجليز عند احتلالهم شبه القارة الهندية ، والروبية تساوى ٧٥ فلسا ولا تزال هذه العملة قيد التداول فى كل من الهند وباكستان وبنغلاديش . عن مجلة المورد ، م ٩ ، عـ ٤ ، ص ٢٨٦ .

(١١٦) جى دبليو . تومسون : تاريخ المكتبات فى العصر الوسيط ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

(١١٧) أ. س. قاسمى : (المكتبات فى العالم الإسلامى) ، صحيفة جامعة بيشاور ـ الباكستان (يناير ١٩٥٨ م) .

(١١٨) سيد أمير على : روح الاسلام ص ٣٧٣ .

اما فى العراق فكان للوزراء أبى محمد المهلبى وأبى المنصور بن صالحان وأبى سوران وسابور بن أردشير أثر كبير فى النهوض بالحركة العلمية والأدبية فكانت مجالسهم تزخر بالعلماء والأدباء(١١٩) . وكان الوزير المهلبى(١٢٠) أديبا بارزا وشاعرا بليغـا ، ولـه ثلاثة مؤلفات تتضمن رسائله وتوقيعاته وديوان شـعره . وكتـاب عن البلاد والمسـالك والطرق والمسالك يسميه ياقـوت « كتاب العزيزى »(١٢١) . وكان هـذا الوزير محبا لرجال الأدب(١٢٢) . ومن الأدباء الذين حظوا بقـدر كبير من عطفه ورعايته أبو الفرج على بن الحسين الأصفهانى مؤلف كتاب الأغانى(١٢٣) ، ويصـف مسكويه دور هـذا الوزير فى انعاش الحركة العلمية والأدبية : « وتوفر مـع ذلك على اهـل الأدب والعلوم فاحيا ما كان درس ومات من ذكرهم ، ونوه بهم ، ورغب الناس بذلك فى معاودة ما اهمل منها »(١٢٤) . كذلك عنى أبو منصور بن صالحـان عناية كبيرة بالعلم والعلماء ، وكان له مجلس خاص يقصده أهـل العلم(١٢٥) . وقـد عرف بسخائه فى اغـداق الأموال على العلماء .

وكان الوزير الحسين بن أحمد بن سـعدان واسع الاطلاع ملمـا بكثير من العلوم والآداب ، وقـد ضم مجلسه عـددا كبيرا من أبرز رجال العلم والأدب فى أواخر القرن الرابع الهجرى مثل مسكويه (أبو حيان التوحيدى) الذى ألف له كتابا عن الصـداقة والأصـدقاء(١٢٦) . كما أن كتاب الامتاع والمؤانسة ما هـو الا تسجيل للمحاورات والمناقشات الأدبية والعلمية التى كانت تجرى فى مجلس ابن سـعدان بينه وبين أبى حيان التوحيدى(١٢٧) ولم يأل الوزير ابن سعدان جهداً فى أن يجعـل مجلسه حافلا بجلة العلماء والأدباء وكان يباهى مجلسه من أمثال أبى حيان وأبى زرعـه وابن مسكويه وأبى الوفاء ثم مجلس سيف الدولة(١٢٨) . الذى استطاع أن

---

(١١٩) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٥٥ .

(١٢٠) الثعالبى : يتيمة الدهر جـ ٢ ص ٥٨ .

(١٢١) ياقوت الحموى : معجم البلدان جـ ١ ص ١١ .

(١٢٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ١٢٤ .

(١٢٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ١٥٠ .

(١٢٤) ابن مسكويه : تجارب الأمم جـ ٢ ص ١٢٥ .

(١٢٥) ابن كثير ، أبو الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقى : (البداية والنهاية) (طبـع مكتبة المعارف - بيروت ومكتبة النصر الرياضى ١٩٦٦ م) جـ ١٢ ص ١٩ .

(١٢٦) أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة جـ ٢ ص ٢٦ .

(١٢٧) المصدر نفسه ، المقدمة .

(١٢٨) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه ص ٥٢ .

يجــذب نحــوه ذوى الرياسة من أدباء العصر وعلمائه ، فأحاطوا اسمه باطار من السمعة الخالدة ومجلس آخر كان يزدان بأمثال : البيرونى والعتبى والفردوسى . يقول العينى : وكان السلطان محمود الغزنوى يحب العلم والعلماء ويكرمهم يجالسهم ويحسن اليهم ، وكانت تعقد مناظرات طويلة بين يديه(١٢٩) .

وازاء هــذا الانحطاط السياسى كنت تجــد رقيا فى الحياة العقلية فكأن العلوم والفنون لا ترقى الا فى عصور الفوضى والاضطراب(١٣٠) . فقــد نتج عن تفكك الدولة العباسية أن عمــد أمراء الدول الصغيرة ســواء لأسباب سياسية أو بدافع حــب الظهور أو الابقاء على تقاليد بغــداد أبان مجــدها ، الى تشجيع العلماء وتقريب الفئة الممتازة من الادباء والشعراء والعطف عليهم(١٣١) .

وبعــد أن كان نصير العلم الخليفة ووزيره أو بعض عماله فى بلد واحــد ، اصبح نصراؤه فى هــذا العصر عــدة ملوك وأمراء ووزراء من اشــتهر فى العــالم الاسلامى(١٣٢) . فغــدا كل قطر من أقطار المملكة مركزا هاما من مراكز الثقــافة العربية واستمرت الحركة العلمية التى ظهرت زمن المــأمون فى سيرها المطرد . وعدت تلك القصور الجــديدة فى العواصم المتعــددة مراكز خصبة ، وكانت تلك القصور وما فيها من مجالس فى ذلك العهد فى مقام الجامعات والجمعيات العلمية اليــوم . ولم يأل الوزير عــون الدين يحيى بن هبيره جهدا فى نشر العلم والمعرفة ، وكان يقرب أهــل العلم ويحضر مجلسه الفقهاء والادباء ورجال الحــديث ويناقش كل عالم فى تخصصه(١٣٣) . تعميقا واذكاء لروح البحث والمناظرة كما عنى باقامة دور العــلم بجنبى مدرسة بغــداد ورتب لهــا المعلمين .

وهكذا كان للوزراء فى الدولة الاسلامية شغف بمجالس العلم ورعايتها ومن أشهرها مجلس الوزير ابن الفرات فى القرن الرابع الهجرى ، ومجلس عبد الله بن الحسين ولعلنا نتساءل بعــد كل هــذا هــل كان يمكن أن تكون هناك أرض أكثر

---

(١٢٩) العينى ، بدر الدين محمود بن أحمد : عقد الجمان ، القسم الأول ج ١٩ ص ١٥١ .

(١٣٠) د. طه حسين : تجديد ذكرى أبى العلاء المعرى ص ٤٥ .

(١٣١) د. ابراهيم الكيلانى . (أبو حيان التوحيدى) من نوابغ الفكر العربى عـ ٢١ (دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م) ص ٨ .

(١٣٢) جرجى زيدان : (تاريخ آداب اللغــة العربية) (طبع بمصر ١٩١٣ م) ج ٣ ص ٣٢٣ .

(١٣٣) ابن الدبيثى ، جمال الدين الواسطى : ذيل على ذيل تاريخ بغــداد مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٩٥٠ تاريخ . ج ١ ف ٢ رقم ١٤٥ .

ثالثا ـ الحركة العلمية ونشاطها فى بيت الحكمة بعد عهد المأمون :

لو أردنا تفصيل هذه الحركة العلمية المباركة وما قام به العرب والمسلمون ، لاحتاج الأمر الى بحث طويل . وان فى مؤلفات : ابن النديم والقفطى وابن جلجل ، وصاعد الأندلسى ، وابن أبى أصيبعة ، وحاجى خليفة ، تطلع المرء الى الجهود الكبيرة التى بذلوها فى ترجمة الكتب المختلفة ، واقبالهم الشديد على دراستها وتدبرها ، والتأليف بها . كان هذا بزمن لم تبلغه أمة غيرها فى عدة قرون ، فاجتمع فى خزائنهم ثقافة الشرق والغرب بأقل من قرنين . فكانت بغداد مركز العلم والأدب والفن[139] .

وكان أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى الفيلسوف العربى المتوفى (٢٦٠ هـ/٨٧٣ م) فى طليعة العلماء واحد الأقطاب فى هذه الحركة العلمية المباركة ، ويعد من الرعيل الأول بين العلماء الذين تناولوا مختلف العلوم وشتى المواضيع : فى الكيمياء والطب والموسيقى والفلك والمنطق والرياضيات والطبيعيات والالهيات ، وكان له اليد الطولى فى توجيه الثقافة ، وتذليل عويصها فى القرن الثالث للهجرة ـ التاسع الميلادى . ويمتاز الكندى باطلاعه الواسع على اللغات الأخرى التى ترجم عنها ، وتمكنه من ابداء المعنى بدقة وامعان . واتحف المكتبة العربية بكتب عديدة بين مترجم ومنقح ومهذب ومؤلف فهو من علماء العرب والمسلمين الذين مهدوا طرق العلم وحلوا ما اشكل منه[140] . وقد وصفه ابن جلجل بقوله : « انه ترجم من كتب الفلسفة الكثير وأوضح منها المشكل ، ولخص المستصعب ، وبسط العويص » وهكذا كان الكندى من مفكرى العرب الذين يسروا العلوم لمن أتى بعدهم[141] وكان الخلفاء ومحبو العلم يقبلون عليهم (التراجمة) يجزلون لهم العطاء ، ويرغبونهم بشتى الطرق لكى يستفيدوا منهم فى الترجمة ، وشرح الكتب العلمية التى يترجمونها ، ولم يكن اهتمام الخلفاء مقصورا على الحكمة والفلسفة والعلوم العقلية فقط ، بل كانوا يهتمون بالآداب والتاريخ والفقه والكلام وايام العرب وأخبارها وكانوا يعقدون المجالس العلمية ويشاركون فيما يدور بها من العلوم والآداب والمعارف . وقد شهدت كثير من قصور الخلفاء والوزراء مجالس علمية يشارك فيها أجل العلماء ويحضرها الخلفاء أنفسهم[142] .

---

(١٣٩) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٢١ .

(١٤٠) المرجع نفسه ص ٢٤ ، ٢٥ .

(١٤١) ابن جلجل : طبقات الأطباء ص ٧٣ ، ٧٤ .

(١٤٢) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٢٦ .

خصبا لاحتضان العلوم وازدهارها من مثل هـذا المجتمع الذى يحرص ولاة الأمر فيه كل هـذا الحرص على رعاية العلم والعلماء[١٣٤] .

كما أسهم وزراء هذين العهدين البويهى والسلجوقى بالحركة العلمية والأدبية ، فشجعوا العلماء والأدباء وعقدوا المجالس الأدبية والعلمية وانشأوا المكتبات وزودوها بالكتب وأسسوا المدارس والعاملين بها وأعدوا لهـا النفقات اللازمة ، هـذا فضلا عن كثير تقلدوا الوزارة فى تلك الاثناء كانوا من العلماء والأدباء الذين اسهموا بمصنفاتهم فى دفع عجلة التقدم العلمى والأدبى[١٣٥] ثم ان عضد الدولة خلا له الأمر وطابت له بغداد فقتل ابن عمه عز الدولة ونفذ الى الطائع وبذل له كل ما يريده وصالحه وأعاده الى دار الخلافة . واشتمل ملك عضد الدولة على فارس وكرمان وخوزستان والعراق وديار ربيعة والشام ويحمل اليه الخراج من الروم واجتمع على بابه من العلماء والشعراء والأدباء ما لم يجتمع على باب ملك قبـله[١٣٦] .

وكان عضد الدولة الى جانب ذلك كاتبا حاسبا مهندسا نحويا لغويا ، كريم الطباع ذا همة عالية ، مكرما للعلماء محبا لأهل التخصص حتى أنه كان يقدم مقل أبى على الفارسى ويحمل لـه السنية الى بيت المال بنفسه ومات رحمه الله سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة فى خلافة الطائع ، ودفن بتربة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضوان الله عليه بوصية منه[١٣٧] .

وكان للخليفة الناصر لدين الله سنة ٦٢٢ هـ/١٢٢٥ م مكتبة كبيرة جدا ، كما كان للخليفة المستعصم بالله سنة ٦٥٦ هـ مكتبة ضخمة فى داره فيها نفائس الكتب فى مختلف العلوم[١٣٨] . فلا عجب أن نرى الأمم العريقة تحفـو بعظمائها وتحرص على تراثها فبقيت بيت الحكمة تكابد الزمن فى زمن الخلفاء والوزراء ورجال العلم والأدب منارة لهم ولغيرهم يقوى نورها حينا ويخبو أحيانا وتلك هى حالها بعد المأمون رغم عناية الخلفاء والوزراء بها من بعده .

---

(١٣٤) د. مرسى محمد عرب : (التراث الطبى العربى بين الاصالة والتجديد) مجلة المؤرخ العربى – بغداد – العراق عـ ٩ (١٩٧٨ م) ص ٩٩ .

(١٣٥) د.محمد مسفر الزهرانى : نظام الوزارة فى الدولة العباسية ص ٨ .

(١٣٦) محمد بن على بن محمد المعروف بالعمرانى : (الأنباء فى تاريخ الخلفاء) تحقيق د. قاسم السامرائى (طبعة ليدن) ١٩٧٣ م ص ١٨١ .

(١٣٧) المصدر نفسه ص ١٨١ .

(١٣٨) د. محمد عجاج الخطيب : لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر ص ٣٩ .

وبيت الحكمة الذى اسسه العباسيون ببغـداد ، هـو اول بيت عرف عند المسلمين ، كما كان أعظمها شأنا ، لمـا يحتويه من الكتب النفيسة فى شتى العلوم والمعارف بمختلف اللغات . وكان حنين بن اسحاق وهو أحـد تلاميذ الخليل بن أحمد الفراهيدى على جانب من العلم اشتغل فى بيت الحكمة فترجم هـو ومن كان يعمل بين يديه كتبا عـديدة كانت على غاية الأهمية العلمية فى الطب والفلسفة والمنطـق وكانت دائرته التى يرأسها فى بيت الحكمة لا تقـل أهمية عن دائرة أبناء موسى الذين كانوا من أنشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمة بمـا أضافوه اليـه من الكتب كان هـذا زمن الخليفة المتوكل العباسى(١٤٣) فاجتمع فى بيت الحكمة نخبـة مختارة من العلماء ، والأطباء والفلكيين وأصحاب الصناعات والحيل ، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقـدم فى عهد المـأمون وواكبت نشاطها العلمى فى عهـد الخلفاء الذين جاءوا بعـده فكان يحـوى بيت الحكمة كل نادر وغريب يقصده المؤلفـون ويجـدون فيه خير معين لمـا يرغبون به من العلوم المختلفة(١٤٤) .

وممـا شجع على الحركة العلمية(١٤٥) ونشاطها فى بيت الحكمة أن الخلفـاء ذللوا للناس سبل المطالعة والدرس فيها ، الذى أنشىء لنشر العلوم والمعارف المنقولة من الأمم الأخرى ، والتى رغب الخلفاء فى تيسيرها للناس ، ليقفوا على حقائق الأمور ، وتراث الأمم التى تقـدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية ، ففتحوا الأبواب لكل قاصـد وشوقوا الناس الى التعليم والاقبال عليه ، ويسروا لهم المطالعة والدرس والاستنساخ ، كما كان الناس يحضرون المناظرات العلمية التى تجرى بين العلماء فى هـذه الدار ، وفى مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء وغير ذلك .

وممـا أذكى نشاط الحركة العلمية فى بيت الحكمة الحرية التامة والتسامح فلا نجـد أثرا للتعصب الذميم بل تجـد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة ، ويتكلم أهـل الملل والنحل بمـا يبدو لهم وبمـا يعتقدونه ويرونه أقرب الى العقل والمنطق(١٤٦) .

---

(١٤٣) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٤٧ ، ٥٧ .

(١٤٤) ابن النـديم : الفيرسـت ص ٣٢ .

(١٤٥) سعيد الديوه جى : بيت الحكمه ص ٣٨ .

(١٤٦) فيليب دى طرازى : حزائن الكتب القـديمة ج ١ ص ٥٤ .

ومما يؤيد لنا هذا : أنه كان بين الذين تولوا أمر بيت الحكمة واشرفوا على حركة الترجمة فيه هم من السريان واليهود والمجوس وغيرهم ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء يعمل برأيهم ويأخذ عنهم علماء المسلمين أقوالهم وآراءهم .

لم يكن لبيت الحكمة الذى أسسه العباسيون ببغداد صبغة مذهبية ولم يدعوا فيه لمناصرة مذهب على آخر ، ولا تجد فيه أثرا لتقييد الحرية الفكرية ، وتسوده روح العلم ، وأكثر كتبه كانت فى علوم الحكمة : من طب وفلسفة ومنطق وموسيقى ورياضيات وفلك ونجوم ، وتولاه علماء أعلام من الأطباء والفلاسفة والفلكيين وغيرهم من أصحاب العلوم العقلية ، وفيه من السريان والنصارى ومن الفرس والشعوبيين ، ومن الصابئة ومن اليهود والمجوس وغيرهم من أصحاب الملل والنحل المختلفة ، فالحرية الفكرية مطلقة ولكل منهم حق الكلام والمناظرة والتاليف بما يبدو له ، حتى ولو كان الامر ضد العرب والمسلمين(١٤٧) .

والعباسيون لم يقيدوا الأفكار ولم يفرضوا مذهبهم على الناس ، بل لكل دينه ومذهبه ورأيه ، وكان الخلفاء يشاركون فى المناظرات العلمية والدينية ويبدون آراءهم كأحد الحاضرين وتكون عرضة للنقد والرد عليها . هذه الصبغة السياسية لا نجدها فى بيت الحكمة ببغداد فهى مؤسسة ثقافية عالية ، تهدف الى نشر الحكمة والأدب(١٤٨) .

ولع الخلفاء الفاطميون بتشجيع المشتغلين فى دار الحكمة بنشر المذهب الشيعى حيث كانت المنافسة بينهم وبين العباسيين فى السياسة والعلم والأدب . وفى القرن الرابع الهجرى أسس الفاطميون دار الحكمة سنة ٣٩٥ هـ/١٠١٥ م أنشأ الحاكم بأمر الله جمعية علمية « أكاديمية » على مثال « الأكاديميات » الموجودة فى بغداد وغيرها من البلاد ، وأطلق عليها دار الحكمة(١٤٩) .

فالتحق بها عدد من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة واللغويين والاطباء والحق بدار الحكمة مكتبة أطلق عليها دار العلم ، حوت ما لم يجتمع مثله فى مكتبة من المكاتب . وأجرى هذا الخليفة ومن جاء بعده من الخلفاء على خدامها

---

(١٤٧) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥٠ .

(١٤٨) المرجع نفسه ص ٥١ ، ٥٣ .

(١٤٩) د. حسن ابراهيم حسن : (تاريخ الدولة الفاطمية) (مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٥٨ م ط ٢) ص ٤٣٥ .

ومن بها من الفقهاء الأرزاق السنية ، وجعل فيها ما يحتاج اليه المطالعون والنساخ من الحبر والأقــلام والمحابر والورق[150] . وكان الحاكم بأمر الله يشرف بنفسه على الحركة العلمية التى كانت فى دار الحكمة ، وتجـــرى بحضرته المناظرات والمجالس الدينية والعلمية .

يذكر السيد أمير على[151] : ان النفقة عليها (دار الحكمــة) بلغت ٤٣ مليـــون درهم سنويا .بينما يذكر المقريزى : النفقـــة السنوية عليها كانت ٢٥٧ دينارا فى السنة . ولعــل ما ذكره المقريزى هـــو ما كان يصرف عليها فى أواخر أيامها .

والسبب الذى حمل الخلفاء الفاطميين على أن يضاعفوا النفقة على دار الحكمة وان يصرفوا عليها بجـــود وسخاء ، أنهم اتخـــذوها مركزا ثقافيا لنشر دعـــوتهم ، ومبادىء مذهبهم الذى يؤيد حقهم فى الخلافة وخاصة أن النزاع بينهم وبين العباسيين كان قـــويا على الخلافة . فالحرية الفكرية مقيدة واهتمامهم بكتب الفقه ومجالس الدعوة أكثر من غيرها ، فكانت كتب الفقه فى دار الحكمة ممـــا يؤيد مذهبهم ، ويعزز خـــلافتهم ، والدار نفسها مركز دعـــوة واسعة للمذهب الاسماعيلى ، ولا تجـــد فى الدار الكتب التى تعارض مذهبهم أو تطعن بدعوتهم[152] .

وان المجالس التى كانت تلقى فيها مقيدة غاية التقييد ، فكان ينظمها فقهـــاء الدولة ، مـــع فقهاء دار الحكمة ، ويكون هـــذا تحت اشراف الداعى ، ثم الخليفـــة نفسه ، ثم بعـــد هـــذا التحفظ تذاع على السامعين . فالدار دار دعـــوة منظمـــة للمذهب الاسماعيلى ، تحت ستار من العلم ، ومناهـــج الدار تتبع السياسة العليـــا للدولة ، فهى دار دعـــوة ثم هى دار علم أو حكمة . وعلى هـــذا فان الدار مرت بأدوار مختلفة تتبين بذلك سياسة الخليفة التى يرمى الى تحقيقها . حيث قتل الحاكم بأمر الله أبا بكر الانطاكى وهكذا نجـــد أن الصبغة السياسية لدار الحكمـــة فوق كل اعتبار ، فهى مركز سياسى يدعـــو الى تثبيت دعائم المذهب الاسماعيلى ـــ المستعلية منهم ـــ ولكنها كانت تسير تحت ستار من العلم والحكمة[153] . وهـــذا عكس بيت الحكمة التى انشأها الخلفاء العباسيون .

---

(١٥٠) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٥٨ ، جـ ٢ ص ٣٤٢ .

(١٥١) سيد أمير على : مختصر تاريخ العرب ص ٥١٠ .

(١٥٢) المقريزى : (إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) تحقيق د. محمد حلمى أحمد (لجنـة احياء التراث الاسلامى ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ـ القـــاهرة ١٣٩٠ هـ/١٩٧١ م) جـ ٢ ص ٥١ .

ولا يعزب عن البـــال ، ولا يغيب عن الذهن ما اشتهرت به بغـــداد من عـــلو كعبها فى العلم ، فكانت القبلة التى توجـــه اليها رواد العلم من كل حـــدب وفى الدولة الاسلامية والتى تحـــدثت بذكرها الركبان واسمعت بشهرتها الأمم ، وطرقت أسماع القاصى والدانى الا وهى « بيت الحكمة » التى كانت تضم فى أركانها كل ما وصلت اليه الأمة الاسلامية من تفوق حضارى وتقـــدم علمى وازدهار ثقافى(١٥٤) .

وبهـــذا نشطت الحركة العلمية فى بيت الحكمة بتشجيع الخلفاء والوزراء بمـــا قاموا به من ترجمة الكتب الأجنبية وارسال الوفـــود الى الدول الأخرى لجلبها لبيت الحكمة كما كان الشعراء والأدباء والعلمـــاء يغصون ببيت الحكمة التى كانت أشـــبه بخلية نحـــل يعـــودون منها وهم يحمـــلون الشـــهد الذى يبرىء القـــلوب والعقـــول بالفـــكر والثقـــافة .

---

(١٥٤) د. محمود احمد القيسية : (الامام ابن الجـوزى وكتـــابه الموضوعات) (أبو ظبى – الامارات العربية المتحدة ط ١ ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م) ص ٥٠ .

الفصل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية وتعليمية على المدارس الإسلامية



١ ـ بيت الحكمة نموذج رائع للمدارس الاسلامية فى النواحى العلمية والتعليمية .

٢ ـ المدارس الاسلامية تتأثر بالعلوم التى تدرس فى بيت الحكمة مثل : الفلسفة والمنطق والطب والفلك والرياضيات .

٣ ـ موقف المدارس الاسلامية من بيت الحكمة ومدى تأثرها بها .

اولا ــ بيت الحكمة نموذج رائع للمدارس الاسلامية فى النواحى العلمية والتعليمية :

المساجد دين وخلق وهــدى ونور وصومعة الناسك ومدرسة الدارس ودين قــوة ودرك للعزة فى الأولى والفــوز العظيم فى الآخرة(١٥٥) لذا فان فكرة الدراسة للعلوم المختلفة فى خارج الجامع كانت من الأمور التى تراود أذهان الخلفاء العباسيين فى بغــداد فى زمن مبكر من تاريخ دولتهم ، فأوجــدوا من اجــل ذلك دور العــلم وبيوت الحكمة للدراسة وترجمة علوم الأقــدمين وكانت بغــداد فى عصر الازدهار العباسى كعبة العلماء والأطباء من كل الملل(١٥٦) ويعــد بيت الحكمة من اعظم المعاهد الثقافية حيث التعليم العالى فيها فكانت بيت الحكمة أول دار للدراسة العالية فى الاسلام فهو عــلاوة على كونه دار ترجمة كان معهــدا للعلم ، دار كتب عامة ، وله مرصــد ملحق به(١٥٧) .

ويقول د. خليل طوطح فى كتابه « التربية عند العرب » : قــد لا نكون مبالغين اذا قلنا أن بيت الحكمة كان من اقــدم الكليات الجامعية التى اسست فى التاريخ فيمكن اعطاء بيت الحكمة الأسبقية على ســائر كليات العلم وجامعاته ويضيف طوطح الى ذلك : اذ اصبحت تسمية بيت الحكمة بكلية أو جامعة كان له السبق على الأزهر ايضا ــ علما بأن الأزهر ــ كان أول جامعة لأنه أسس قبل جامعات أوروبا(١٥٨) .

بدأ بيت الحكم اول ما بدأ بوظيفــة مكتبة عامة فأصبح لهــذه المكتبة شــأن فى العالم الاسلامى(١٥٩) . ثم تطــور واصبح أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجــأ اليها الطلاب وكانت تجرى فيها الأبحاث والدراسات العليــا فأصبحت مؤسسة علمية للثقافة العالية كثر كتبه فى الفلسفة والمنطق والطــب والنجــوم والرياضيات وغيرها من الكتب العلمية المختلفة . ثم ارتقت دار الحكمة من مجرد مكتبة الى دار للترجمة والانتاج الفكرى وكثر المترجمون فى هــذه الدار فى عصر المــأمون ، وكانوا يقومون بواجبهم العلمى ويتبادلون وجــوه الرأى ، وكان

---

(١٥٥) د. سعاد ماهر : (الأثر الواردى فى الفن السلجوقى) مجــلة المؤرخ العربى ــ بغــداد ــ العراق عــ ١٠ (١٩٧٩ م) ص ٤٩ .

(١٥٦) د. رمزية محمد الاطرقجى : (بيت الحكمة البغــدادى وأثره فى الحركة العلمية) مجــلة المؤرخ العربى ــ بغــداد ــ العراق عــ ١٤ (١٩٨٠ م) ص ٣١٧ .

(١٥٨) د. خليل طوطح : التربية عند العرب ص ١٧ .

(١٥٨) د. خليل طوطح : التربية عند العرب ص ١٧ .

(١٥٩) د. عبد الله عبد الدايم : التربية عبر التاريخ ص ١٥٨ .

هـــذا تطورا هاما فى حيــــاة المكتبة ، وتحولت من « خزانة » الى مجمع أو أكاديمية للبحث العلمى تعمل على خــدمة العلم وترجمة ثمار المفكرين(١٦٠) . والحقيقة أن بيت الحكمة كان مدرسة عالية للبحث التجريبى المستند الى الملاحظة ، ومكتب ترجمة كانت تتم فيه عملية التعريب للكتب الأجنبية بلغاتها المختلفـــة الى العربية ولكن من دراسة النصوص التاريخية المتعلقة بهـــذه الحركة العلمية .

وقال (سيديو) : « ان أهم ما اتصفت به مدرسة بغـــداد فى البداءة هـــو روحها العلمية الصحيحة التى كانت سائدة لأعمالها ، وكان استخراج المجهـــول من المعلوم والتدقيق فى الحوادث تدقيقا مؤديا الى استنباط العلل من المعلولات ، وعـــدم التسليم بمـــا لا تثبته التجربة ، مبادىء قال بها أساتذة من العرب وهـــذه هى الأصول التى لقنها العلماء ، ولقـــد كان العرب فى القرن التاسع متمكنين من هـــذه الطريقة الخصبة التى صارت عند المحـــدثين أداة استعملوها للوصول بها الى أروع الاكتشافات »(١٦١) .

ان هـــذا البيت لم يكن مقتصرا على الترجمة وانما كانت هناك أعمـــال أخرى ، منها تجليد الكتب التى تتم عملية تعريبها أو عملية نسخها بأكثر من نسخة لتوزيعهـــا على المكتبات المعروفة آنذاك(١٦٢) خارج بغـــداد ، أو بيت الحكمة التونسى فى رقادة ، أو دار الحكمة بالقاهرة وغيرها . كما كانت الكتب المترجمة والمؤلفة يقتنيها الأغنيـــاء والمؤسسات العلمية الأخرى(١٦٣) . والاحتفاظ بالنسخة الأصلية فى بيت الحكمة .

وللوصول الى دقـــة الكتب المترجمة كانت تراجع الترجمات التى كان يقـــوم بها النقلة فى دار الحكمة من قبل خبراء ، وكان (ثابت بن قرة الحرانى) فى دولة المعتضد من الذين راجعوا أو صححوا الترجمات العربية فى المؤلفات الرياضـــية والفلكية والمنطق . وكان يجيد الاغريقية والسريانية والعربية(١٦٤) . كذلك فعـــل (اســـحق بن حنين) فقـــد جعـــل له المتوكل كتابا نحارير عالمين بالترجمـــة كانوا يترجمون ويراجع ويتصفح ما ترجموه(١٦٥) .

---

(١٦٠) احمد فريد رفاعى : عصر المأمون ج ١ ص ٣٧٧ .

(١٦١) ل . أ . سيديو : تاريخ العرب العـام ص ١١٣ ، ١١٤ .

(١٦٢) رشيد حميد الجميلى : أثر الترجمة فى الحضارة الاسلامية (اطروحة ماجستير) ص ٢٠ .

(١٦٣) د . ناجى معروف : اصالة الحضارة العربية ص ٤٢٩ .

(١٦٤) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ١١٥ .

(١٦٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٣ .

وهناك اشارات فى كتب التاريخ توضح أن عددا كبيرا من الأدباء والعلماء فى شتى التخصصات اجتمعوا فى بيت الحكمة ببغداد ، وكانت نتاجاتهم كثيرة وعالية ، ساعدت على تطوير عملية البحث العلمى وتنشيطها ، ومن ثم ازدهار الآداب والعلوم ، ومما يجدر الاشارة اليه أن بيت الحكمة ببغداد كان يضم العلماء المسلمين والمسيحيين والمجوس . وحتى من الشعوبيين المغالين فى بغض العرب من امثال علان الشعوبى الذى ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة وصنف كتاب الميدان فى المثالب الذى هتك فيه العرب وأظهر مثالبها(١٦٦) ابتداء من بنى هاشم قبيلة بعد قبيلة على الترتيب الى آخر قبائل اليمن على ترتيب كتاب ابن الكلبى .

وهذا أن دل انما يدل على انسانية العلم والتعليم فى بغداد حاضرة الخلافة العباسية مركز الاشعاع الفكرى الانسانى فى القرون الوسطى حيث تدفقت عليها الأموال ، ورعى خلفاؤها حرية العلم والفن والثقافة .

وقال وليم جيمس : يرتقى العلم بالأصالة ويعمق التفكير الفريد البعيد عن التقليد فترسخ قدمه ويزيد قدمه وأعنى بالأصالة هنا العبقرية التى تجلت فى التفكير العلمى العربى أو هى موهبة الادراك بطريقة غير مألوفة(١٦٧) . وهو القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) الذى ازدهر فيه العلم والمعرفة ازدهارا فى ظل عاصمة الدولة العربية الاسلامية بغداد عاصمة الخلافة العباسية فكان لبغداد الريادة فى العلم والمعرفة والثقافة(١٦٨) .

---

(١٦٦) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٥ ص ٦٦ .

(١٦٧) د. سينوت حليم درس : (الأصالة العربية فى التراث العربى) مجلة المؤرخ العربى ـ بغداد ـ العراق عـ ٢٢ (١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م) ص ٣١ .

(١٦٨) عبد الرحمن حسين العزاوى : (أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الصابى مؤرخا) مجلة المؤرخ العربى ـ بغداد ـ العراق عـ ٢٤ (١٩٨٤ م) ص ١٧٩ .

ثانيا ــ المدارس الاسلامية تتأثر بالعلوم التى تدرس فى بيت الحكمة :

يعتبر عهد الرشيد من عهد المــأمون العصر الذهبى فى التاريخ الاسلامى ، والواقع انه اجتمعت فى عصر الرشيد أشياء كثيرة جعلت عصره يبدو بهذه الصورة . فقــد أثمرت البــذور والغراس التى غرسها من اتى قبله وآتت أكلها آنذاك ، كما حفل عصره بعــدد من الشخصيات اللامعة العظيمة ــ سواء فى عالم السياسة أو عالم الأدب ، وخيم السلم على البلاد ــ باستثناء بعض الحركات البسيطة التى لم تعق التطور العام . وبدت الدولة العباسية اقــوى دول الأرض ولقــد كان لشخصية الرشيد وولده المــأمون أثر فى هــذا التطور والازدهار(١٦٩) .

ويفيدنا المؤرخون المسلمون أنه فى مقــدمة العلوم التى ركز عليها العرب فى صــدر الاسلام ثم فى عهد الدولة العباسية ، وفى عهد المــأمون خاصة علم الطب وبجانبه من علوم الفلسفة ، وعلم المنطق ، وعلم النجــوم والفلك ثم الرياضــيات وغيرها . وقــد اقتبسوا هــذه العلوم من اليونان بواسطة نقول متعــددة قام بها الناطقون بالسريانية خاصة ، ثم طــوروا هــذه العلوم ونهضوا بصرح الحضــارة الاســلامية خير نهــوض(١٧٠) .

ولعل أعمال حنين بن اسحاق فى الترجمة والتى استمرت حتى وفاته فضلا عن الترجمات التى قام بها هــو ومدرسته والتى كانت السبب فى تفجر الثقافة العربية ، فان لــه بضع مؤلفات فى الطب والفلك ومن بين هــذه الأخيرة كتاباته المد والجزر والشهب وقــوس قزح وغيرها . ولا يسعنا فى صــدد الكلام عن الترجمة الا أن نشير الى احــدى دعاماتها القــوية فى ذلك العهد وخاصة فى ناحية المراجع الرياضية والفلكية وهــذا العالم الكبير هــو أبو الحسن ثابت بن قــرة الحرانى ، نبــغ فى الطب والرياضة والفلك وكان أحــد الضالعين من رجال الترجمة من الاغريقيــة والسريانية الى العربية ، وتولى زعامة مدرسة المترجمين بعــد حنين بن اســحاق وضم اليه فى أعمالها الكثير من اقاربه ، ومن أهم أعماله فى تلك المدرسة اصــلاحه لترجمات كتاب المجسطى مع تغييرات لمــا تضمنه ذلك المرجع الفلكى(١٧١) .

---

(١٦٩) د. محمد ماهر حماده : الوثائق السياسية والادارية العائدة للعصر العباسى الأول ص ٤٦ .

(١٧٠) د. الأب يوسف حبى : يوحنا بن هيلان معلم الفارابى فى المنطق مجلة المؤرخ العربى ــ بغداد ــ العراق عــ ٣ ، ١٩٧٥ م ص ١٩٥ .

(١٧١) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٣٤ ، ٣٥ .

كان العصر العباسى هـو العصر الذهبى للطب العربى ، اذ نبغ فيه عـدد كبير من الأطباء كان من بينهم ابن بختيشوع الذى خـدم هارون الرشيد والامين والمـأمون والمعتصم والواثق وكان موثوقا به عالج الخلفاء وأولادهم وزوجاتهم . وكان ماهرا فى مهنته ، عالمـا فى فنـه ، خلف عـددا من الكتب الهـامة منها ، المسائل فى الطب للمتعلمين « علاج العين » — علاج اللثة « الأسنان » ، معرفة أوجاع المعـدة وعلاجها ، المولود دون الثمانية أشهر ، الأغـذية ، اللبن — فكانت فى جملتها موسوعة طبية هامة . والى جانب هـؤلاء نذكر « ابن ماسوبه » الذى كان يعـالج العقم أحيانا . وقـد أظهر فى كتابه « الملكى » تصحيحا لأخطاء كان قـد وقع فيها « أبو قراط » و « جالينوس » و « أبو عبد الله التميمى » وموسى أبو الحسن على بن رضـوان وأبو يعقوب اسحاق بن حنين وغيرهم . فكان للأطباء العرب دائمـا منزلتهم المرموقة فى الدولة . ومركزهم الاجتماعى والعلمى الملحوظ كان عـددهم يتزايد دائمـا بسبب اقبال الكثير على مهنـة الطب يتلقونها على أساتذتهم أما بالدروس والتنقيب فى الكتب او بالملاحظة والتجريب والمران فى المستشفيات على غرار ما هـو واقـع فى كليات الطب فى جامعاتنا فى العهد الحاضر(172) .

أما آل بختيشوع فكانوا فى عهود الدولة العباسية ، واشتهر منهم جبريل بن بختيشوع فانه تبحر فى جميع العلوم الداخلة فى علم الطب وكتب فى حياة الحيوان رسائل تدل على سعة اطلاعه ، فقربه الرشيد ، واتخـذه فى دور الخلافة ، وأخـذ الناس يرجعون اليه فى ما يشير به من العلم فحملهم على الابتعاد عن الدجالين(173) .

ومن أشهر علماء الرياضيات العرب محمد بن موسى الخوارزمى الذى ظهر فى عهد المـأمون فى أوائل القرن التاسع الميلادى ، ووضع كتبا هامة ترجمت الى اللاتينية فكانت مصـدرا هـاما للجامعات الأوروبية وغيرها من كتب بقية الرياضيين العرب ، وعنها أخـذوا المبادىء الأولى لعلم الجبر(174) .

وقـد تبين لعلماء العرب العلاقة القـوية بين علوم الرياضيات والفلك فدعاهم هـذا الى التوسع فى دراسـة الفلك التى كانت تستهويهم وتخلب ألبابهم وبدأت

---

(172) محمد ابراهيم الصيحى : (العلوم عند العرب) (مكتبة نهضة مصر — القاهرة — بدون) ص ٤٦ ، ٤٧ .

(173) جميل نخلة المدور : (حضارة الاسـلام فى دار السـلام) (مطبعـة الاعتماد — مصر ١٩٣٢ م) ص ٢٠٥ .

(174) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٥٦ .

دراساتهم الجدية المنظمة فى هذا العلم فى عهد المنصور العباسى بوجه خاص فى القرن الثامن الميلادى عندما ترجم محمد بن ابراهيم الفزارى كتاب « سند هند » وهو موسوعة هامة تبحث فى أمور الفلك واعتمد عليه الفلكيون العرب أول الأمر(١٧٥) . كما افادوا من كتاب المجستى لبطليموس الذى ترجم فى القرن التاسع الميلادى كما تمكن أبو الوفا العالم العربى الذى عاش فى بغداد فى النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى بفضل آلاته التى ابتكرها من مشاهدة انحراف الشمس بربع دائرة نصف قطرها ٢١ قدما . وقد كانت هذه المراصد العربية هى العون للفلكيين العرب فى دراساتهم وابحاثهم . فقد قام الخلفاء الذين كانوا يحتضنون هذه النهضة العلمية للمراصد فى كل مكان ، فى بغداد ، وفى دمشق وفى القاهرة وفى قرطبة وفى طليطلة كذلك فتحت(١٧٦) .

اما فيلسوف العرب والاسلام الكندى العربى الأصل المتوفى حوالى منتصف القرن الثالث فهو أبو يوسف يعقوب بن اسحاق يتصل نسبه لملوك العرب والأقدمين من كندة(١٧٧) . وقيل من ولد الأشعث بن قيس كان ابوه الصباح من ولاة الأعمال بالكوفة وغيرها ، فى أيام المهدى والرشيد ، ويقول ابن جلجل : ان جده ولى الولايات لبنى هاشم(١٧٨) انتقل يعقوب الى بغداد واشتغل بعلم الأدب ثم بعلوم الطب والنجوم والفلسفة والحساب والمنطق وله كتب عدة كثيرة ، وأنزله المأمون منزلته عظيمة .

وكانت دولة المعتصم تتجمل به وبمصنفاته(١٧٩) . وحاول الكندى فى مذهبه الفلسفى أن يجمع آراء أفلاطون وارسطو واعتبر الرياضيات والفيثاغوريسية أساس العلم كله . لقد كان أساتذة الفلسفة الاسلامية العظام يدركون جيدا أهمية التراث الفلسفى اليونانى . وكذلك راحوا يسعون منذ البداية أن يترجموا بكل حماس مؤلفات الفلاسفة اليونانيين فى كل وقت وكانوا يطلعون فيه على النصوص الأصلية لتلك المؤلفات . ان تاريخ هذا النشاط فى ميدان الترجمة لم يدون بعد(١٨٠) .

---

(١٧٥) المرجع نفسه ص ٦٩ .

(١٧٦) المرجع نفسه ص ٧١ .

(١٧٧) ابن جلجل : طبقات الأطباء ص ٧٣ .

(١٧٨) المصدر نفسه .

(١٧٩) ابن العبرى : تاريخ مختصر للدول ص ١٤٧ .

(١٨٠) سليم طه التكريتى (بيت الحكمة فى بغداد وازدهار حركة الترجمة فى العصر العباسى) مجلة المورد ـ بغداد ، العراق ع ٨ (١٩٧٩ م) ص ٤٥٩ .

أما مدرسة حران التى قامت فى عهد الخليفة المتوكل فقد كانت مركزا هاما للثقافة اليونانية فى المنطقة التى تكلم اهلها اللغة السريانية كما كانت مركزا للاتصال الثقافى وظلت تقوم بعملها مدة أربعين عاما حتى تركها علماؤها الى بغداد فى خلافة المعتضد . وأنجبت هذه المدرسة طبقات متعاقبة من أفذاذ العلماء والفلاسفة فى طليعتهم أولئك الذين جاءوا من حران امثال ثابت بن قرة الذى أوصله محمد بن موسى بن شاكر بالمعتضد(١٨١) وأدخله فى جملة المنجمين وسنان بن ثابت الذى كان طبيبا للمقتدر وبلغ من علو منزلته أن وكل اليه المقتدر أمر امتحان الأطباء وأجازتهم . وقد أظهر الحرانيون الأثر الاكبر فى الرياضيات وخاصة الهيئة ولعل ما فى ديانتهم من تعظيم للكواكب واقامة الهياكل لها كان باعثا على نبوغهم فى العلوم الرياضية والفلكية(١٨٢) . ولقد تفوق الحرانيون على الآخرين بمعرفتهم اللغة العربية ولذا كانت ترجماتهم اكثر دقة(١٨٣) .

فقد شاعت بينهم بعض الأفكار الأرسطية المشهورة فذكر الفهرست أبو روح الصابئى على أنه مترجم لكتاب الطبيعة كما لخص ثابت بن قرة كتاب التاسوعات وشرح جزءا من كتاب الطبيعة مع بعض التعليقات لفورفوريوس(١٨٤) ، فلم تكن بيت الحكمة بمعلوماتها المختلفة بمنأى عن التأثير فى المدارس الاسلامية الأخرى التى ظهرت فى تلك الفترة وما بعدها فنرى أنها قد اثرت وتأثرت بها .

يقول ناللنيو : « ان وحدة الدين استوجبت أيضا وحدة اللسان والحضارة والعمران ، فصار الفرس وأهل العراق والشام ومصر يدخلون علومهم القديمة فى التمدن الاسلامى »(١٨٥) . كما أن اختلاط المسلمين بالمسيحيين وتلقيهم العلم عنهم فى المدارس كان له عظيم الأثر ، ولم يكن ما يستفاد من مطالعة الكتب فى الشرق فى تلك الأيام بالشىء الكثير ، بل كان الناس يأخذون عن أساتذتهم شفاها أكثر مما يتعلمون من الكتب(١٨٦) .

---

(١٨١) ابن القفطى . اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٨١ .

(١٨٢) أحمد أمين . ضحى الاسلام ج ٢ ص ٢٥٩ .

(١٨٣) خدابخش : الحضارة الاسلامية ص ١٥٨ .

(١٨٤) J. Windrow Sweetman : Islam and Christian Theology. London 1945, vol. I, II, p. 85.

(١٨٥) ناللنيو : تاريخ علم الفلك عند العرب ص ١٤١ .

(١٨٦) دى دبور : (تاريخ الفلسفه فى الاسلام) ترجمة د. محمد عبد الهادى أبو ريده (لجنة التأليف والترجمة والنشر – القاهرة ١٩٣٨ م) ص ٤٨ ، ٤٩ .

كذلك شجع على الاشتغال بالترجمة ميل أفراد من الخلفاء فى العصر العباسى الى العلوم الفلسفية « والخلفاء عادة أقـدر على الترغيب فيما أحبوه ، والنـاس أسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم والولوع بما أولعوا به »(١٨٧) .

ويصف صاعـد الأندلسى ثابت بن قرة فيقول انه « فيلسوف متوسع فى العلوم متفنن فى ضروب الحكم متقلد لجوامع الفلسفة ، له تآليف حسنة فى المنطق ، والعدد والهندسة والنجوم وغير ذلك »(١٨٨) فظهر أثر مدرسة حران فى الرياضيات ، وقـد تميز الحرانيون بمعرفتهم اللغة العربية ولذلك جاءت ترجماتهم دقيقة . ولعـل ذلك يعود الى اهتمام الخلفاء بالعلوم ممـا دفع كثيرا من الناس الى التشبه بهم فوجـد العلماء والمترجمون من يرعاهم ويجزل لهم العطاء من أثرياء المسلمين وهـذا كـله يعود الى بيت الحكمة بما كانت تزخر به من العلوم الاسلامية كالفلسفة والمنطـق والطب والفلك والرياضيات .

---

(١٨٧) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان ج ١ ص ٤٩ .

(١٨٨) ابن صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٤١ .

ثالثا ــ موقف المدارس الاسلامية من بيت الحكمة ومدى تاثرها بها :

وفى القرن الثانى الهجرى اشتهرت مدينة بغــداد بالدراسات الفلسفية نتيجة تشجيع الخلفاء لهــذا النوع من الدراسات ورعايتهم للترجمة والمشتغلين بها كالرشيد والمــأمون . بينما اشتهرت جامعة الفسطاط فى ذلك العهد بالدراسات الفقهيــة الشافعية لاقامة الشافعى بها ووجــود تلاميذه فيها ، حتى أصبحت مقصــدا للطلاب الراغبين فى الفقه الشافعى . وكانت مصر فى منتصف القرن الثانى الهجرى تقريبا مركزا هاما من مراكز الفقه المــالكى لوجــود بعض اصحاب مالك بها مثل عثمان ابن الحكم ورشيد بن ســعد (ت ١٦٣ هـ) وكان طلاب هــذا المذهب يقصــدون مصر لتلقيه عن أساتذتها ، ومن هــؤلاء سحنون أمام أفريقيا فيما بعــد الذى تلقاه عن أبى القاسم من اصحاب مالك ونشره فى أفريقيا . واشتهرت جامعات المغرب بالعناية بالحــديث والفقه وتقصيرها فى العلوم النظرية من الفلسفة وفروعها(١٨٩) .

وهكذا لو تتبعنا بقية الجامعات الاسلامية القــديمة لوجــدنا أن درجــة تركيزها على مختلف العلوم تختلف من جامعات قطر الى آخر . وأحيانا من جامعة الى اخرى حتى فى القطر الواحــد . ولكن الذى لا مرية فيه ان جميع العلوم النافعة كان لهــا وجود فى الجامعات الاسلامية اذا اخــذت كــكل . وكانت هــذه الجامعات يكمل بعضها بعضا ، والطالب الذى لا يجــد علمــا فى احــداها يمكنه أن يذهب الى أخرى ليدرس فيها العلم الذى ينقصه . وكان ممــا يساعد على ذلك انفتاح أجزاء الوطن الاسلامى بعضها على بعض ، والاعتراف بالهجرة فى سبيل العلم والرحلات العلمية كوسيلتين رئيسيتين من وسائل طلب العلم وحصول المتعلم على المعــارف والخبرات التى لا توجــد فى بلاده فى الجامعات المجاورة له(١٩٠) .

وكان لطلاب العلم فى الوطن الاسلامى شغف كبير بطلب العلم يطلبــونه لنيــل رضا الله ولتوسيع مداركهم وزيادة اطلاعهم على الحقائق المتصلة بطبيعة الــكون والانسان والحياة التى حولهم وقــد أدى هــذا الشغف بالعلم ، واخلاص النيــة فى تحصيله واحتمال المشقات فى سبيله ، الى أن زخرت البلاد الاسلامية ما بين غانة وفرغانة الى ما بين الصين والهند والباكستان والمحيط الأطلسى بالعلوم الشرعية واللغوية والعقلية على اختلاف أنواعها وأقسامها(١٩١) .

---

(١٨٩) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ١٦١ ، ص ١٧٥ .

(١٩٠) د. عمر محمد التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٩٤ .

(١٩١) المرجع نفسه ص ٣٩٥ .

فأنشأ المسلمون علوما ، وأخـذوا عن غيرهم علوما ، نقـلوا الى لغـة القرآن لغـة العلم فى تلك العصور ، ثم تعمقوا فى درسها ، ونقـدوها ، وصـححوها وشرحوها ، وزادوا عليها ، وقرنوا العلم بالعمل ، فكشفوا ما كشفوا فى العـلوم الفلكية والرياضية وفى الكيمياء والطبيعة . ولا أحسب التاريخ يعى تعاون الامم على العلم والتعلم ، والتمحيص والتحقيق ، كما تعاونت الامم الذى جمعتها أخـوة الاسلام ، و لفت بينها عقائده وشرائعه وعـدالته ورحمته ودعـوته الى العـلم والعمل هـل يعرف التاريخ أمة أو أمما أودعته ما أودعته الأمة الاسلامية من بين العلماء والأدباء وتراجمهم التى تزخر بها كتب الطبقات : طبقات الفقهاء على اختلاف المذاهب ، وطبقات النحويين واللغويين والأدباء والأطباء والحكماء ؟ ، وهل يعرف التاريخ كتبا فى تاريخ البلدان تتضمن[192] من أعـداد العلماء ومناقبهم وسيرهم الحسنة ما نجـد فى تاريخ بغـداد للخطـب البغـدادى وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وفى الذخيرة لابن بسام والاحاطة فى أخبار غرناطـة للسان الدين ابن الخطيب ، ونفـح الطيب للمقرى ، وفى تواريخ أخرى للقاهرة ونيسابور وبيهق وأصفهان وغيرها من مدن الاسـلام .

وحسبنا أن نعلم أن تاريخ الخطيب البغـدادى ، حـوى زهاء ثمانية آلاف ترجمة للعلماء الذين عاشوا فى بغـداد أو وفـدوا اليها ، والخطيب من علماء القرن الرابع الهجرى، فمـا ظنك بعلماء بغـداد من بعـد القرن الرابع ؟ وما ظنك بعلماء المدن الأخرى فى أرجاء العالم الاسلامى على اختلاف الأجيال والقرون ؟

وقتصارى القـول : ان العـالم لم يشهد قبـل المسلمين أمة مثلهم أخلصت فى طلب العلم وجـدت فيه، وبذلت الجهد والوقت والمـال ، وبلغت فيه الغايات التى بلغـوها ، وكشفت الحقائق التى كشفوها »[193] ولقـد كان لهـذا التأثر فى العالم الاسلامى آثار طيبة كثيرة ، وكانت منبعا غنيا بالخير والنشاط الدائم ، وسبيلا نافعا الى تحقيق التبادل الثقافى والتعاون الفكرى بين جامعات الاسلام وبلدانه[194] وقـد بين العلامة المؤرخ ابن خلـدون مزاياها وفضلها على العلم والتعليم بقوله : « ان الرحلة فى طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال فى التعليم والسبب فى ذلك أن البشر يأخـذون معارفهم وأخلاقهم ، وما ينتحلون من المذاهب والفضائل ، تارة علمـا

(١٩٢) المرجع نفسـه ص ٣٩٥ .

(١٩٣) د. عبد الوهاب عزام : (الاسلام والعلم فى الاسلام : اليوم وغـدا) تأليف مجموعة من العلماء (دار احياء الكتب العربية لعيسى البابى الحلبى وشركاه - القاهرة - بدون) ص ١٣٩ . ١٥٩ .

(١٩٤) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ٢٠٨ ، ص ٢١٧ .

وتعليها والقاء وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة . الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشـد استحكاما وأقـوى رسوخا فعلى قـدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها .... (الى أن قال) : فالرحلة لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ، والله يهـدى من يشاء الى صراط مستقيم »(١٩٥) .

ونحن نقول انه لجـدير بالاعجاب والاكبار تلك الثمرات الباهرات العلميـة والعملية التى انتجها المسلمون فى العصور الذهبية الراقية ، وانفتاح الحـدود الفكرية لديهم لتقبل الحـق من أى مصـدر ظهر وللشغف بامتصاص العلوم والمعـارف من أى المنابع تدفقت . وللسعى الحثيث لاكتساب الكمالات الانسانية فى كل مجال من مجالات الحياة . وفى كل ميدان من ميادين العمل ، وهـو الأمر الذى أملته عليهم أسس الاسـلام الحضـارية .

ولو أن حـدودهم الفكرية كانت مغلقة ، وعقولهم كانت منطوية على نفسها لا تتقبل الحقـائق العلمية التى تأتيها من الأمم والشعوب الأخرى ، غابرة كانت أو حاضرة لمـا بلغـوا من مجـد عظيم ، فى أقصر حقبـة عرفهـا تاريخ الحضارات الانسانية . وكم حرمت أمم نفسها من التقـدم والارتقاء بدافع الانانية الذاتيـة ، والعصبية القومية المقيتة وبسبب عزوفها عن اقتباس معارف الآخرين وعلومهم الصـحيحة(١٩٦) .

ولقـد هيأ للمسلمين الأولين هـذا الانفتاح الفكرى لتلقف المعارف الحقـة واقتباسها واكتساب الكمالات الانسانية سبقا حضاريا فـذا ، لم يضارعه تقـدم حضارى لأية أمة من الامم(١٩٧) . ويدهش المؤرخ الفرنسى العلامة جوستاف لوبون فيقول : « ان حماسة المسلمين فى دراسة المدنية اليونانية واللاتينية مدهشة حقيقة .. والانسان يقضى العجب من الهمة التى أقـدموا بها على البحث ، واذا كانت هناك أمم قـد تساوت هى والعرب فى ذلك فانك لا تجـد أمة فاقت العرب على ما يحتمـل .. »(١٩٨) .

---

(١٩٥) عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة جـ ٤ ص ١٣٦٠ .

(١٩٦) عبد الرحمن حسن حبنكة الميدانى : (**أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها**) . (دار القلم - دمشق . بيروت ، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م) ص ١٢٤ .

(١٩٧) المرجع نفسه ص ١٢٥ .

(١٩٨) جوستاف لوبون : حضارة العرب ، ترجمة أكرم زعيتر ص ٥٠٥ ، ص ٥٠٧ .

الفصل الرابع : بيت الحكمة كجامعة إسلامية عظيمة



١ ـــ هـــل كانت بيت الحكمة جامعة يدرس فيها الطب أيضا ؟

٢ ـــ هـــل كانت جامعة بيت الحكمة دار اقامة للطلاب والأساتذة ؟

٣ ـــ هـــل كانت هناك علاقة بين الرصـــد المـــأمونى فى دمشق وفى بغـداد ؟

اولا ــ هــل كانت بيت الحكمة جامعة يدرس بها الطب ايضا ؟

لمــا جاء العصر العباسى كان المسلمون قــد أمعنوا فى التمــدن ورأوا ان حياة الحضارة ، لابد ان تستند الى العلم ، فمالية الدولة تحتاج الى حساب دقيق ، وعيشة الحضارة المركبة تحتاج الى أدوية مركبة وعــلاج مركب(١٩٩) . وكانت جنديسابور حتى ذلك الحين ما زالت مركزا للثقافة ومصــدرا للاشعاع العلمى ، كما كانت تمــوج بالعلماء ، وتزخر بالأطباء ، فأخــذت الأنظار تتجه اليهــا تسائلها العــون ، وتناشــدها المساعدة . وكان المنصور قــد أدركه ضعف فى معــدته وأصابه سوء استمراء ، وعجز معالجوه عن مداواته ، فجمع الأطبــاء وقال لهم : « أريد من الأطباء فى سائر المدن طبيبا ماهرا » ، فقالوا : « ما فى عصرنا أفضــل من جورجيس بن بختيشوع رئيس الأطباء بجنديسابور ، فانه ماهر فى الطب ، ولــه مصنفات جليلة ، فتقــدم المنصور باحضاره فأنفــذه العامل بجنديسابور الى حضرة الخلافة بعــد ما امتنع عن الخروج ... ولم يزل جورجيس يتلطف لــه فى تدبيره حتى برىء المنصور ، وعاد الى الصحة ، وفرح به فرحا شــديدا ، وأمر أن يجاب الى كل ما يسأل »(٢٠٠) .

وقــد ظــل جورجيس فى خــدمة المنصور حتى تقــدمت به السن(٢٠١) وبنى له مستشفى(٢٠٢) على طريقة آل بختيشوع بجنديسابور(٢٠٣) وعندما جاء المهــدى استقدم بختيشوع(٢٠٤) من جنديسابور ليعالج ابنه الهادى ، ولكن الخيزران عــز عليها أن يستدعيه المهــدى ، ولا يستطب أبا قريش طبيبها الذى كان يعرف بعيسى

---

(١٩٩) أحمد أمين : ضحى الاســلام جـ ٢ ص ٢٦٥ .

(٢٠٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٢٣ .

(٢٠١) كان جورجيوس من السريانيين الذين ينتمون الى طائفــة النساطرة . أنظر : اسرائيل ولفنسون : (**اللغــات السريانية**) ص ١٤٦ .

(٢٠٢) عيسى المعلوف : (**تاريخ الطب عند العرب**) (بيروت لبنان ، المطبعة الادبية ١٩٣٥ م) ص ١٨ .

(٢٠٣) آل بختيشوع أسرة نسطورية اسم جـدها هـذا سريانى بمعنى حظ يسوع ويروى أن لها بقية فى بغــداد وهم بنو غنيمة ، وفى الصالحية « آل الحكيم » وفى دمشق آل لطفى وآل منعم . عيسى المعلوف : (**الأسر العربيه المشتهرة بالطــب**) ص ٦ ــ يرى ابن أبى أصيبعة أن معنى بختيشوع د المسيح لأن اللغــة السريانية للبخت العبد ، وعنــده أن البخت لفظة فارسية معناها الحظ والسعد ، تعقيب ابن العبرى فى كتابه مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦ .

(٢٠٤) أنظر ترجمة بختيشوع عند القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٧١ .

الصيدلانى[٢٠٥] ، فكان ذلك سرا فى أن يعيده المهدى الى جنديسابور . وفى أيام الرشيد أصابه صداع شديد ، وعجز اطباؤه عن مداواته فاستخدم بختيشوع لذلك الأمر قال « بختيشوع يكون رئيس الأطباء كلهم وله يسمعون ويطيعون »[٢٠٦] .

وقد ذكر صاعد الأندلسى أن « بختيشوع له تآليف فى الطب معروفة ، منها كتاب التذكرة وقد علمه لابنه جبريل »[٢٠٧] . الذى قام بعلاج جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى كما برئت جارية للرشيد بحيلة[٢٠٨] ، لطيفة استعان بها ، كما شفى الرشيد على يديه من مرض ألم به مما دفعه الى أن يقربه منه ، ويرفع مكانته لديه . ولقد كان للنجاح الذى أحرزه هؤلاء الأطباء اثره فى المكانة التى وصلوا اليها ، ذلك لأن الخلفاء ورجال الدولة ، كانوا يعظمونهم لقدر علمهم لا لدينهم[٢٠٩] .

وقد ذكر القفطى أن « يحيى بن خالد البرمكى أحب جبريل عندما عالجه مثل نفسه ، وكان لا يصبر عنه ساعة ، ومعه يأكل ويشرب »[٢١٠] . كذلك ذكر بن أبى أصيبعة أن الرشيد عندما شفى قرب جبريل منه ورفع مكانته لديه حتى أنه قال لأصحابه : كل من كانت له الى حاجة فيخاطب بها جبريل لأنى افعل كل ما يسألنى فيه ويطلبه منى[٢١١] . وقد ظل جبريل على هذه المكانة العالية فى عهد المأمون ، فكان كل من تقلد عملا لا يخرج الى عمله الا بعد أن يلقى جبريل ويكرمه .

يقول حاجى خليفة : ان أول من عنى من العباسيين بالعلوم الخليفة الثانى أبو جعفر المنصور[٢١٢] . وكان ممن قدموا من جنديسابور يوحنا بن ماسويه[٢١٣] (ت ٢٤٣ هـ/٨٥٧ م) ومن هذا الوقت تقريبا بدأت مدرسة الطب فيها تفقد أهميتها لأن كبار الأطباء والأساتذة قد ذهبوا الى قصور الخلفاء فى بغداد أو سر من راى[٢١٤] .

---

(٢٠٥) راجع اخبار عيسى الصيدلانى : ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٠ .
(٢٠٦) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٢٦ ، ١٢٧ .
(٢٠٧) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٠ .
(٢٠٨) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٤ .
(٢٠٩) عيسى المعلوف : تاريخ الطب عند العرب ص ١٣ .
(٢١٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٩٣ .
(٢١١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٢٧ ، ١٢٩ .
(٢١٢) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ص ٣٤ .
(٢١٣) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٥ .
(٢١٤) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٥٦ .

وقــد عين يوحنا بن ماسويه رئيسا لمدرسة الطب فى بغــداد وكان من أطباء هارون الرشيد(٢١٥) . وكان الخليفة هارون الرشيد أول من انشأ مستشفى عاما فى العالم بأسره وقسمه الى قسمين قسم للعلاج — وقسم للتدريب ، وتخرج الأطباء وكانت أول كلية طب فى الدنيا بأسرها(٢١٦) تقام بجامعة بيت الحكمة ببغــداد .

وقــد أقام يوحنا بن ماسويه فى بغــداد مستشفى ، كذلك جعله الخليفــة المــأمون فى سنة ٢١٥ هـ/ ٣٨٠ م رئيسا لبيت الحكمة . وقــد ألف يوحنا كتبا كثيرة بلغت ثمانية وعشرين كتابا(٢١٧) منها كتاب البرهان وكتاب دغــل العين ، وعربية هــذا الكتاب ركيكة مــع استعمال اصطلاحات اغريقية وسريانية وفارسية(٢١٨) . وكان سنان بن ثابت بن قرة مقــدما كأبيه ، وقــد وكل اليه المقتدر امتحان أطبــاء بغــداد سنة ٣١٩ هـ .

ويقول ابن النــديم فى كتابه الفهرست : (وكان منكه الهندى طبيب الخليفة هارون الرشيد ، ونقل عــدة كتب تبحث فى الطب على مذهب أهــل الهند ، ونقــل ابن دهن الذى كان يشرف على بيمارستان البرامكة عــدة كتب فى الطب(٢١٩) .

واشتهر عــدد من الأطباء بترجمة كتب الطب ، وخــدموا المكتبة العربية أجل خــدمة بما ترجموه والفــوه من الكتب الطبية منهم : يوحنــا بن ماسويه ، وآل بختيشوع ، وعيسى بن الحكم ، وزكريا الطيفورى ، وحبيش بن الحسن الأعسم ، وصالح بن بهــلة الهندى(٢٢٠) وغيرهم .

حقا كان بيت الحكمة أول مكتبة عامة ذات شأن فى العالم الاسلامى ، بل انه كان أول جامعة اسلامية يدرس بهــا الطب فاجتمع فيها العلماء والباحثون الذين يمثلون ثقافــة مختلفة الاتجاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة وغيرها .

---

(٢١٥) محمد عبد الحميد البوشى : (**الاسلام والطب**) (دار القــلم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة — القاهرة ١٩٦٥ م) ص ١٥٢ .

(٢١٦) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٤١٥ .

(٢١٧) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٢١٨) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٦ .

(٢١٩) ابن النــديم : الفهرســت ص ٣٤٢ .

(٢٢٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ٣٣ .

ولعـــل الشواهد السابقة تدل على اهتمام الخلفاء بالطب والأطباء ســـواء بالمعالجة أو انشاء الكليات الطبية فان ذلك يجعلنا نقـــول بأن جامعة بيت الحكمة كان يدرس بها الطب بل وانها من اشهر الكليات الطبية حتى أن أهـــل جنديسابور احتجـــوا على ذلك لأن اكثر اطبـــائهم قـــد ذهبوا الى الخلفاء العباسيين سواء منهم الخليفة هارون الرشيد أو المـــأمون وعملوا تحت رعايتهم من أمثال جورجيس بن بختيشوع ويوحنـــا بن ماسويه .

ثانيا ـ هل كانت جامعة بيت الحكمة دار اقامة للطلاب والأساتذة ؟

وكان الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ هـ/١٩٣ هـ ـ ٧٨٦ م/٨٠٨ م) كثير الاهتمام بعلوم الحكمة ، فصار فى بيت الحكمة دوائر علمية منوعــة ، لكل منهــا علماؤها وتراجمتها ومشرفون يتولون أمورها المختلفة(٢٢١) .

كان يوحنا بن ماسويه يتولى الكتب التى أمر الرشيد بنقلها من عمورية وأنقرة عندما غزا بلاد الروم وجعله الرشيد أمينا على الترجمة ـ وأكثرها كانت من كتب الطب ، وعين لــه الرشيد كتابا حــذاقا يعملون بين يديه ، ويساعدونه فى عمله . وخــدم بعــده الأمين والمــأمون وبقى الى أيام المتوكل(٢٢٢) .

فنجــد ممــا تقــدم : أن يوحنا كان على جانب من العلوم المختلفة ، عالمــا بالعلوم التى يقــوم بترجمتها لذا عينه المــأمون رئيسا لبيت الحكمة كما كان يعقــد مجلسا للنظر ، ويعمر ذلك المجلس بعلم هــذا الشأن اتم عمارة ، ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القــديمة بأحسن عبارة واجتمع اهــل العلوم والآداب ، وكان يجتمع اليه تلاميذ كثيرون(٢٢٣) . وكان يحاضر بهــذه العلوم ، ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون يأخــذون عنه ويدرس عليه بعضهم ما يرغب به من العلوم فكان بيت الحكمة يحــوى كل نادر وغريب يقصــده المؤلفون ويجــدون فيه خير معين لمــا يرغبون به من العلوم المختلفة . أن نشاط بيت الحكمة وصل الى ذروته فى عهد المــأمون الذى كان واسع الثقافة ، حر الفكر له شغف بالعلوم والآداب ، ومن أجــل هــذا اولى بيت الحكمة عناية خاصة كان من نتائجها تطور الثقافة عند المسلمين ، ودخول العلوم الأجنبية اليهم واحتضانهم لهــذه العلوم ، ممــا أدى الى حفظ التراث ونقله الى الأجيال التالية ، وكان على وشك أن يضيع(٢٢٤) .

وقــد ضم بيت الحكمة كتبا فى الأصل بلغات مختلفة ، ومن أهمهــا الكتب اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية ، ومن أجــل هــذا كان المترجمون كثيرين ينقل بعضهم من اللغة اليونانية وينقل آخرون من الفارسية ، وينقل فريق

---

(٢٢١) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب القــديمة فى الخافقين ج ١ ص ٩٩ .

(٢٢٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٩ ، ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٧٥ .

(٢٢٣) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٧ .

(٢٢٤) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٢ .

ثالث من الهندية وهكذا . وكان بنو موسى بن شاكر من أنشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمة وهم ثلاثة أخـوة : محمد واحمد والحسن وعرف أبناؤهم فيما بعـد ببنى موسى المنجم . كما كان حنين بن اسحاق على جانب من العلم حيث اشتغل فى بيت الحكمة فترجم هـو ومن كان يعمل بين يديه كتبا عـديدة كانت على غاية الأهمية العلمية فى الطب والفلسفة والمنطق وكانت دائرته التى يراسها فى بيت الحكمة لا تقل أهمية عن دائرة أبناء موسى الذين تقـدم ذكرهم(٢٢٥) .

وهكذا اجتمع فى بيت الحكمة نخبة ممتازة من العلماء والأطباء والفلكيين وأصحاب الصناعات ، وترجموا مختلف الكتب التى تبحث فى شتى العلوم والفنون والمعـارف وبلغ بيت الحكمة منتهى التقـدم على عهد المـأمون(٢٢٦) .

وقـد صنفت الكتب والمؤلفـات التى أحضرت من مختلف الأقطـار بحسب موضوعاتها فى بيت الحكمة واختير لهـا المترجمون ممن لهم خبرة علمية بالموضوعات التى يترجمون منه ، بالاضافة الى سيطرتهم على اللغتين اليونانية والعربية ومن أشهر الذين اشتغلوا بترجمة هـذه الكتب يوحنا بن ماسويه ، وحنين بن اسحاق ، ومحمد بن موسى الخوارزمى وسعيد بن هارون وثابت بن قرة وعمر بن الفرخان . فلا غرو أن بيت الحكمة كان أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثـون والمترجمون فهى أكاديمية من الأكاديميات العلمية التى كانت تزخر بها بغداد آنذاك .

وكان التلاميذ يتلقون العلم بالمجان ، كما كانوا يحصلون على الطعام والعناية الطبية ويتناول كل منهم دينارا من الذهب كل شهر لمصروفاته الأخرى ، وكانت تشتمل على مستشفى وحمام ومكتبة مفتوحة للطلبة وهيئة التدريس على السواء(٢٢٧) .

وجامعة بيت الحكمة لجـأ اليها الطلاب فكانت بذلك أول مركز علمى يحقق للطلاب زادا علميا وفيرا ويخرج لهم من جهد القائمين عليه ثقافة مختلفة الاتجـاه تشمل علوم الطب والفلسفة والحكمة(٢٢٨) وغيرها . وحقا ان ما حظيت به جامعة بيت الحكمة فى عهدى الرشيد والمـأمون ممـا جعلها دار اقامة للطلاب والأسـاتذة وتوفير كل ما يلزم للباحثين والعلماء والمترجمين ، وهـذا ما أوضحناه فى حـديثنا السـابق .

---

(٢٢٥) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٤٧ ، ٥٧ .

(٢٢٦) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ص ١١٧ ، ١٢٠ .

(٢٢٧) ول ديورانت : قصة الحضارة جـ ٤ ص ٣١٩ .

(٢٢٨) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٤ .

ثالثا ــ هــل هناك علاقة بين الرصــد المــأموني فى دمشق وفى بغــداد ؟

- .كان قيام الدولة العباسية فاتحة عهد جــديد فى تاريخ الاسلام يختلف عن العهد الأموى فقــد نقلت العاصمة من دمشق الى بغــداد التى بناها ابو جعفر المنصور وصارت ولاية الشام تحتل مرتبـــة من الدرجة الثانية فى الدولة وكان هــذا الانتقال بذاته يعتبر تغييرا شــاملا فى سياسة الدولة الاســلامية . فقــد زاد اهتمامها بولاياتها الشرقية وقــل اهتمامها بالولايات الغربية ، وأولها الشام ومصر والمغرب والأندلس(٢٢٩) .

لا شك ان العرب لم يصلوا بعلم الفلك الى ما وصلوا اليه الا بفضل المراصد ، فقــد كانت هــذه نادرة جــدا قبل النهضة العباسية ، وقــد يكون اليونان أول من رصــد الكواكب بآلات وقــد يكون مرصــد الاسكندرية الذى أنشىء فى القرن الثالث عشر الميلادى ، هــو أول مرصــد كتب عنه ويقال ان الأمويين ابتنوا مرصدا فى دمشق(٢٣٠) . ولكن الثابت أن الخليفة المــأمون أول من أشار باستعمال الآلات فى الرصــد ، وقــد ابتنى مرصــدا على « جبـــل قاسيون »(٢٣١) فى دمشق وفى « الشماسية فى بغــداد » وبعــد وفاته أنشئت عــدة مراصــد فى أنحاء مختلفة من البلاد الاسلامية وقــد تبع اشتغال العرب فى أوج ازدهار حضارتهم والنهضـــة التى شملت البلاد العربية الاسلامية على تأسيس العــديد من المراصــد وتجهيزها بأحسن الأجهزة ، ممــا دفــع الخلفاء والحكام أنفسهم الى تمويل هذه المؤسسات ، وان كانت قــد جرت العــادة على أن الأعيان والأغنياء هم الذين يتبنون مثل هــذه المراصــد ، ينفقــون عليها من مالهم الخــاص ويقــدمونها هــدية لأصــدقائهم من العلماء(٢٣٢) . وتقول زيغريد هونكه فى كتابها : « شمس العرب تسطع على الغرب » : بنى العرب المراصــد الجوية وأشهرها مرصــد المــأمون فى بغــداد ودمشق(٢٣٣) .

اننا نرى أن النزعـــة العلمية فى الفلك قــد لازمت العرب منذ انتشار الاسلام ثم كانت تلك النزعة تقــوى مــع الأيام ولقــد أصاب جرداق حين قال : « والعرب

---

(٢٢٩) د. حسين مؤنس : (**تاريخ الدولة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى**) (الكـــويت ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م ط ٥) ص ١٩٦ .

(٢٣٠) رياض باشا : (**علم الفلك عند العرب**) مجلة المقتطف ــ بيروت ــ لبنان مجلــد ٣٩ (١٣٢٩ هـ/١٩١١ م) ص ١٤٦ .

(٢٣١) جبل مشرف على غوطة دمشق شمالا يقرب علوه على ١٢٠٠ م .

(٢٣٢) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٨٢ .

(٢٣٣) زيغريد هــونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٣١ .

المسلمون أول من قال بابطال التنجيم المبنى على الوهم ومالوا لعلم النجوم نحو الحقائق المبنية على الرصد والمشاهدة والاختبار »[٢٣٤] .

وقد انشأ المأمون مرصدا فى الشماسية ببغداد وكان أساس تقدم العرب فى النجوم يرجع الى المراصد التى أقاموها والأجهزة التى ابتكروها ، على أن معظم المعدات الفلكية التى استخدموها مثل الأسطرلاب[٢٣٥] كانت فى الغالب مبنية على النماذج اليونانية ، واجريت حسابات دقيقة فى الفلك ، وعلى فروض تفرض لتقليل ما يرى من الظواهر الفلكية[٢٣٦] .

كان سند بن على يهوديا واسلم على يد المأمون ، وهو منجم فاضل عالم بتسيير النجوم وعمل آلات الارصاد والأسطرلاب وندبه المأمون الى اصلاح آلات الرصد ، وأن يرصد بالشماسية ببغداد[٢٣٧] .

ومن النتائج أن العرب اخذوا يقرنون العلم بالعمل فقد عملوا آلات الرصد ، وانشأوا المراصد فى كثير من البلدان اقدمهما المرصدان اللذان امر المأمون بانشائهما ، كان احدهما فى الشماسية ببغداد والثانى على جبل قاسيون بدمشق وجهز المرصدان اللذان صنعها الفلكيون واخذوا يرصدون الكواكب ودونوا ملاحظاتهم ومشاهداتهم فكانت دقيقة الى حد ما[٢٣٨] .

واقام المأمون مرصدا لرصد الكواكب فى بغداد وعين نور الدين الطوسى مديرا للمرصد الذى يشرف على متابعة حركات الأقمار والكواكب وزوده بآلات الرصد التى يحتاج اليها ، وكان هذا أول اهتمام العرب بعلم الفلك وباقامة مرصد بغداد ، بدأ سير العرب فى الطريق الايجابى نحو نهضة علم الفلك ،

---

(٢٣٤) المرجع نفسه ص ١٩٥ .

(٢٣٥) الاسطرلاب : هى كلمة يونانية (الاسطرلابون) و « اسطر » هو النجم . و « لابون » هى المرآة ، ومن ذلك قيل لعلم النجوم « أسطرونوميا » ومنها (Astronomy) . واطلقت هذه الكلمة « اسطرلاب » على عدة آلات فلكية تنحصر فى ثلاثة انواع رئيسية : بحسب ما اذا كانت تمثل مسقط الكرة السماوية على سطح مستو أو مسقط هذا المسقط على خط مستقيم أو الكرة بذاتها بلا اى مسقط ما . (دائرة المعارف الاسلامية) محمد ثابت الفندى وزملاؤه ، الترجمة العربية ، مجلد ٢ سنة ١٣٥٢ هـ/١٩٣٣ م ، ص ١١٤ .

(٢٣٦) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم عند العرب ص ١٠٨ .

(٢٣٧) د. أحمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٤٨ .

(٢٣٨) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٦ .

فاجتمع فى ذلك المرصـــد حشد من كبار العلماء ، دأبوا على تسجيل أرصاد لمختلف الظواهر الفلكية بصفة مستمرة . وذلك لأول مرة فى تاريخ علم الفلك وكانت تلك الأرصاد تؤخـــذ بطريقة جماعية حتى أصبح من أشق الأمور علينا بالمقارنة بين هذا وذاك الا بالمؤلفات الخاصة لكل منهم أو بالمنصب الذى كان يتولاه . ومن بين فلكيى المـــأمون أبو الطيب سند بن على الذى اشرف على بناء المرصـــد ثم جعله الخليفة رئيسا للفلكيين الذين يقومون بارصادهم تحت ملاحظته . ولمـــا أمر المـــأمون بقياس محيط الأرض سار على رأس مجموعته الى صحراء سنجار بالعراق حيث عانوا مشاق السير على أقـــدامهم اكثر من ستين ميلا لتحقيق ذلك الغرض العلمى ، وينسب المؤرخون الى سند بن على الجـــداول الفلكية ، وان كان المرجح أنها من حساب نخبـــة الفلكيين فى ذلك المرصـــد(٢٣٩) .

وقـــد جمع الخليفة المـــأمون ببغـــداد علماء الفلك وعقـــد لهم مجالس علمية . وعمل فى دار الرصـــد للمـــأمون بالشماسية عـــدة فلكيين منهم : « سند بن على المنجم للمـــأمون » وقـــد امتحن مواقع الكواكب ، ولسند زيج مشهور ظل المنجمون يعملون به الى القرن السابع الهجرى . واشتغل أيضا به « العباس بن ســـعيد الجوهرى » منجم . وحقق مواضـــع بعض الكواكب السيارة . أما « يحيى ابن أبى المنصور المنجم » فقد عمل بالرصد واصلاح آلاته ، وله تصانيف كتاب «الزيج الممتحن» . كما عمل به « أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى » وله كتاب « المدخل الى علم هيئة الأفلاك وحركات النجـــوم » . ثم اشتغل أبناء موسى بن شـــاكر الثلاثة فى هـــذا المرصـــــــد(٢٤٠) .

وأبنـــاء موسى بن شاكر الذين عاشـوا فى القرن التاسع من الميلاد هم من علماء الفلك أيضا ، فقد عنوا بضبط لم يكن معروفا قبلهم هو مبادرة الاعتدالين ، ووضعوا التقاويم لأمكنة النجوم السيارة ، قاسوا عرض بغـــداد سنة ٩٥٩ م وقيدوه ٣٣ درجة و ٢٠ دقيقة اى برقم يصح بعشر(٢٤١) ، وفى « باب الطاق » على نهر دجلة فى بغـــداد أقيم مرصـــد مارس فيه أبناء موسى أعمالهم النافعة والكشف عن مكنونات العـــلوم .

كما اهتم الخليفة المـــأمون برعاية العلمـــاء فتعهد أبناء العالم موسى بن شاكر

---

(٢٣٩) د. امام ابراهيم احمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٨ .

(٢٤٠) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٢٨ ، ٢٣٠ .

(٢٤١) جوستاف لوبون : حضـــارة العرب ص ٤٥٧ .

وأولاده فكان موسى بن شاكر عالم الفلك العربى المبدع بدار السلام « بغـداد » فى عهد الخليفة العباسى المـأمون وكان فى قصره مقربا ومكرما وصـديقا حميما له ، بل ومن اقرب المقربين اليه ، ورغم مكوثه بقصر الخليفة ، وهـو الذى كان من احسن علماء الفلك آنذاك قـد أمضى حياته بالبحث والدرس وعندما حضرت وفاة موسى ابن شاكر ، كان قـد خلف من بعـده ثلاثة من أولاده(٢٤٢) .

ونشأ الأولاد الثلاثة فى بيت كله علم وجـو مشبع بالمناقشات الكثيرة بين العلماء ، وكان يحيى بن أبى منصور يدير « بيت الحكمـة » فى بغـداد ، وترعرع الأبناء الثلاثة فى هـذا الوسط العلمى ، فنبغوا نبوغا ملحوظا(٢٤٣) .

وقـد عظم شأن محمد بن موسى الذى ما كاد ينهى دراسته حتى أمره الخليفة أن يساهم فى قياس حجم الكرة الأرضية فتنقل فى شمال العراق ليقـوم بمـا كلف به ونجح فى مهمته واصبح اشهر رجال عصره فى دقـة أبحاثه الفلكية وقام بحساب شروق وغروب الكواكب حسب الأيام والسنين ، كما تعاون مع أخيه أحمد فى صناعة الآلات الفلكية التى استخدمها لقياس الأجرام السماوية فكانت الآلة التى ابتكرها عبارة عن كرة تتحرك بفعل ما ، ورسمت على الكرة الأجرام والكواكب ، واذا اختفى نجم من النجوم فى السماء يختفى فى الوقت نفسه النجم المرسوم على الكرة عن طريق خط يمثل الأفلاك وعندما يعود النجم فى السماء يظهر النجم على الكرة فـوق خط الأفـق المرسـوم(٢٤٤) .

ومع ذلك فان للبيرونى فضلا كبيرا فى بناء المراصـد العلمية فى بعض المـدن الاسلامية التى ساعدت على أن تكون المراصـد أمكنة للتحقيق العلمى والوصـول الى معلومات فلكية . كما عمل البيرونى على اعادة قياس خط العرض فى عـدة مدن من اقليم خـوارزم باستعمال أجهزة مختلفة الحجوم(٢٤٥) .

وقـد اعترف الأفرنج بأن العرب ، أتقنوا صنعة هـذه الآلات(٢٤٦) وجاء فى

---

(٢٤٢) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٩٥ .

(٢٤٣) د. عمر فروخ : (**تاريخ العلوم عند العرب**) . (دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ١٩٧٧ م) ص ٥٨ .

(٢٤٤) محمد الحسينى عبد العزيز : الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية ص ٥٨ ، ٦٠ .

(٢٤٥) د. حسين امين : (**البيرونى عالم ساهم فى تقدم العلوم**) مجلة المؤرخ العربى – بغداد – العراق عـ ١ (١٩٧٥ م) ص ١٥ .

(٢٤٦) ارنولد توماس وآخرون : تراث الاسلام ، ترجمة جرجيس فتح الله ص ٣٩٥ .

كتب العرب : « ابا اسحاق ابراهيم بن حبيب الفزارى » من فلكيى المنصور اول من عمل أسطرلابا وأول من الف فيه كتابا سماه « العمل بالأسطرلاب المسطح » ويقال ان « ما شاء الله » الف كتابا فى ذلك وفى ذات الحلق .

وجماع القول أن للعرب فضلا كبيرا على الفلك فهم : أولا : نقلوا العلوم الفلكية عند اليونان والفرس والكلدان والسريان وصححوا بعض اغلاطها وتوسعوا فيها ، وهذا عمل جليل جدا اذا عرفنا أن أصول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منها غير ترجماتها فى العربية . وهذا طبعا ما جعل الأوروبيين يأخذون هذا العلم عن العرب — أساتذة العلم فيه — . ثانيا : فى اضافاتهم الهامة واكتشافاتهم الجليلة التى تقدمت بالفلك شوطا بعيدا . ثالثا : فى جعلهم علم الفلك استقرائيا وفى عدم وقوفهم عند حد النظريات كما فعل اليونان . رابعا : فى تطهير علم الفلك من أدران التنجيم(٢٤٧) .

وقد أخذ خلفاء بنى العباس منذ اتخاذهم مدينة بغداد التى اقيمت سنة ٧٦٢ م عاصمة لدولتهم ، يحثون على دراسة علم الفلك والرياضيات وعلى ترجمة ما ألفه أقليدس وأرشميدس وبطليموس وترجمة كتب اليونان فى تلك العلوم ويستدعون العلماء الذين كانوا على شىء من الشهرة فى بلاطهم . وخاصة محبى العلم أن يجمعوا هذه الكتب فى أماكن خاصة سميت « بيت الحكمة » أو دار الحكمة أو خزانة الحكمة(٢٤٨) .

وادت مدرسة بغداد الفلكية فى زمن هارون الرشيد وفى زمن ابنه الخليفة المأمون على الخصوص أعمالا مهمة وأدمجت مجموعة الأرصاد التى اشتمل أمرها فى المراصد ببغداد فى كتاب « الزيج المصحح » الذى نأسف على ضياعه(٢٤٩) . وبقيت مدرسة بغداد الفلكية مزدهرة لمدة (سبعة قرون) كما ادت اعمالا جليلة مهمة وادمجت مجموعة الأرصاد التى تم أمرها فى المراصد ببغداد ودمشق فى كتاب « الزيج المصحح » وقد عين العرب فيه مدة السنة بالضبط .

ووضع فلكيو هذه المدرسة ، عددا من التقاويم لأمكنة الكواكب السيارة ،

---

(٢٤٧) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٣٨ .

(٢٤٨) د. نافع توفيق عبود : (**من تاريخ الترجمة عند العرب**) مجلة المؤرخ العربى عـ ١٠ (١٩٧٩ م) ص ٢٣ .

(٢٤٩) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٥٦ .

وتعيينهم بالضبط مبادرة الاعتدالين . فقاسوا (خط نصف النهار) الذى لم يوفق اليه الأوروبيون الا بعد « الف سنة » !! وهكذا ظلت هذه المدرسة منارة للدارسين ومنهلا عذبا للطالبين من بعد سنين ، وخلدت كتب التراث هذه المدرسة البغدادية . ويجب أن نذكر أن مدرسة القاهرة الفلكية قد نافست مدرسة بغداد من حيث العناية بالفلك ، وانشاء المراصد ، وقد عول العالم ابن يونس المصرى فى ارصاده على أرصاد (بنى موسى بن شاكر البغداديين)(٢٥٠) .

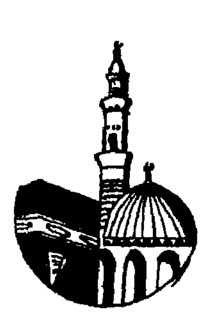
ومن هنا نجد ان العلاقة قوية بين الرصد المأمونى فى دمشق وفى بغداد ، حرص الخلفاء فى الدولة العباسية(٢٥١) بأن دولتهم دولة اسلامية مهمتها الأولى هى المحافظة على الاسلام والدعوة له والحرص الشديد على القضاء على كل حركة تمس العقيدة الاسلامية ويفتحون أبوابهم للمسلمين من كل جنس . فأضفى الازدهار العلمى على عهد الرشيد هالة من المجد حتى اعتبره الناس من ازهى العصور ، وتوج ابنه المأمون تشجيعه للفكر برعايته « دار الحكمة » كجامعة اسلامية عظيمة عمل فيها المترجمون على نقل ثمار الفكر الى العربية . وقد وصفت احد المؤرخين هذا الازدهار بقوله : « كانت أيام الرشيد كلها كأنها من حسنها أعراس » .

---

(٢٥٠) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٨٩ .

(٢٥١) د. حسين مؤنس : تاريخ الدولة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى ص ١١٧ ، ١٢٧ .

الباب الرابع



الفصل الأول : بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها .

الفصل الثانى : الحياة العلمية ونشاط الترجمة فى بيت الحكمة .

الفصل الثالث : العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة والعلماء الذين عملوا فيها .

الفصل الأول : بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها



أولا :

١ ــ العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة ، مثل :

ــ علم الكلام ٠

ــ علم الفلسفة ٠

ــ علم الطب ٠

ــ علم الكيمياء ٠

ــ علم المنطق ٠

ــ علم الرياضيات ٠

ــ علم الفلك والتنجيم ٠

أولا — العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة :

أولا — علم الكلام :

ومن العلوم التى ازدهرت فى بغداد فى العصر العباسى الأول علم الكلام وهو يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعين والمنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة . وأساس هذه العقائد الايمانية تكمن فى التوحيد ، ويقدم فى برهان عقلى[1] .

وكان أهل الحديث يرون أن مناقشات المتكلمين وآراءهم بدعة لأن الايمان عندهم هو الطاعة ، وقد غلا خصوم المتكلمين ، فرموهم بالزندقة ، وقالوا : علماء الكلام زنادقة ، والحق أن مناقشات المتكلمين أنعشت الحياة الثقافية فى بغداد ، ولكن ظهرت مشكلة كما سنرى — اثارت جدلا كثيرا بين المتكلمين واهل الحديث وهى مسألة القول بخلق القرآن ، هل هو مخلوق أم قديم ؟ ولذلك كانت أهمية المتكلمين فى الرد على أهل البدع والضلالات ، فدونوا الأدلة العقلية دفاعا عن الدين[2] .

لاقى المتكلمون — وقواهم المعتزلة — معارضة شديدة فى بغداد لأنهم آمنوا بسلطان العقل وتحكيمه فى كل الأمور ، وقد استخدموا ما توصلوا اليه من تقدم علمى خصوصا فى الفلسفة والمنطق فى آرائهم الدينية ، وهاجموا أهل السنة بشدة وضراوة — وأثاروا مسائل كثيرة فى الالهيات والطبيعيات والسياسيات ، وكان لهم مقدرة كبيرة على الجدل والاقناع والحوار بمهارة فائقة[3] .

واضعف من شأن المتكلمين فى العصر العباسى الأول فى بغداد معارضة الخلفاء العباسيين الأوائل للاعتزال ، فكان عمرو بن عبيد من أبرز المعتزلة فى عصر المنصور ، يتجنب المنصور ، لأنه يدرك مدى معارضته المعتزلة[4] .

كذلك كره الرشيد المعتزلة فلما أدرك أن الشاعر العتابى من المعتزلة عظم عليه ذلك وأنكره ، ولما أدرك أن الرشيد يعتزم التنكيل به غادر بغداد ، ولم

---

(١) NLCHOLSON : Alitrary History of Persia, p. 337.

(٢) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٦١ .

(٤) ابن قتيبة : عيون الأخبار ج ٢ ص ٢٣٧ .

يكن للمتكلمين الحرية فى عهـد الرشـيد فى ابداء آرائهم فقـد نهى عن الجـدال فى الدين وزج من خالف ذلك فى السجن(٥) .

واستمرت فكرة الاعتزال تلقى التأييد السياسى من الخلفـاء العباسيين وخاصة المـأمون ، فالمعتزلة قـد ارتفع شأنهم وانتعشوا فى عهده لأنه ايد المعتزلة واعتنق مبادئهم وسار المعتصم على نهجه كما أن الواثق كان يؤمن بآراء المعتزلة . ويجمـع المؤرخون على أن بشر بن المعتمر مؤسس الاعتزال فى بغـداد غضب الرشيد منه فقال : بلغنى أن بشرا يقول : القرآن مخلوق ، « والله ان أظفرنى الله به لأقتلنه » فقام بشر متواريا ايام الرشيد(٦) .

وقـد تتلمذ عليه كثيرون مثل ابى موسى المردار وثمامة بن الأشرس واحمد بن ابى داوود وكانت له صلات قـوية بالمـأمون(٧) . وأما أبو موسى فيرجع اليـه الفضل فى انتشار الاعتزال فى بغـداد ، ومن أشهر المتكلمين فى بغـداد أبو الهذيل العلاف ، يرجع اليه الفضل فى ادخال الفلسفة على مبادىء المتكلمين ، كان واسـع الاطلاع فصيح القـول قـوى البيان ، يستشهد بالشعر العربى فى مناظراته ، درس الفلسفة اليونانية واستفاد منها فى مناقشاته وابداء آرائه وقـد جادل الزنادقة والمجـوس وضعاف العقيدة وبلغ من قـوة اقناعه وتأثيره أن أسلم على يديه ثلاثة آلاف رجـل(٨) .

كما أن أحمد بن يحيى الراوندى ، كان من الفضلاء فى عصره ، وله عـدة كتب فى علم الكلام تزيد على المـائة ، وقـد انفرد بآراء نقلها عنه أهل الكلام فى كتبهم(٩) .

وكان النظام واسع الأفق ، متعـدد الثقافات قـوى الحجة ، مقنعا قـوى التأثير ، تتلمذ على أبى هـذيل العلاف الذى لعب دورا كبيرا فى مناهضة البـدع والخرافات التى تفشت بين الناس فى بغـداد ، اتبع الأسلوب العلمى فى اثبـات صحة آرائه ، ودافع عن الاسلام بالمنطق والبرهان القاطع وأظهر للملحدين والخارجين

---

(٥) الجهشيارى ، محمد بن عبدوس : (**الوزراء والكتاب**) . (مطبعة البابى الحلبى - مصر ١٩٣٨ م) ص ٢٩٠

(٦) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .

(٧) الخطيب البغـدادى : تاريخ بغـداد جـ ٧ ص ١٧٧ .

(٨) ديبـور : تاريخ الفلسفة فى الاسـلام ص ٥٧ .

(٩) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ١ ص ٧٨ .

على الدين خطــأ اتجاهاتهم بالأدلة المقنعة . فالنظام استاذ الجاحظ وقــد شابه استاذه فى اعتماده على النقل وسعة اطلاعــه ودراســته للفكر اليــونانى وســعة ثقــافته[10] .

وكان علم الكلام هــذا ارهاصا للفلسفة ، وأهم فرق بين علم الكلام والفلسفة ان المتكلم يؤمن أولا بدينه ثم يتلمس الدلائل والبراهين الفلسفية لتقويته والدفاع عنه ، والرد على مخالفيه ، اما الفيلسوف : فيدخل فى هــذه المسائل مجردا عن كل اعتبار وهــو طوع الدليل حيثما يكن ، وكان طبيعيا أيضا أن تكون الكراهية سائدة بين المتكلمين والفلاسفة كما فعل الجاحظ مع الكندى الفيلسوف[11] .

وكان المعتزلة من أشــد الطوائف الاسلامية دفاعا عن الدين وتحمسا لــه ، لذلك فانهم لــما وجــدوا اليهود والنصارى يدمجــون الدين والفلسفة ويتخــذون منها سلاحا قــويا للدفاع عن ديانتهم ووجــدوا أنهم لا يستطيعون مجاراتهم فى ذلك المضمار الا اذا تسلحوا بسلاحهم ، فأقبلوا على درس الفلسفة[12] وتعمقها حتى يتوفر لهم ذلك السلاح الذى يستطيعون به دعم آرائهم وتجلية افكارهم . يقــول المقريزى : ان المــأمون قــد بعث الى بلاد الروم من عرب لــه كتب الفلاســـفة فتلقاها المعتزلة واقبلوا على تصفحها والنظر فيها فاشتد ساعدهم بها[13] .

ومن هنا ايضا كان المعتزلة هم أول مدرسة فكرية فى الاسلام وضحت فى آرائهم ومناهج تفكيرهم الملامح الأصيلة للفلسفة اليونانية[14] . فقد جاء فى تاريخ بغــداد : أن بشر المريسى ، وهــو أحــد كبار المعتزلة الداعين الى القول بخلق القرآن كان أبوه يهوديا صباغا فى الكوفة[15] . ولكن لم يكد المــأمون يلى الخــلافة حتى كادوا « المعتزلة » يستأثرون دونه بالسلطان ، فلقــد أحبهم المــأمون حبا عميقا ووثق فى آرائهم ومبادئهم ثقــة جعلته يستن القوانين ضد من لا يؤمن بهــا فلقد أنشأ مجلسا قضائيا لكى يحصل على موافقة رجال الدين والقضاء وأئمــة القانون على القــول بخلق القرآن ومن كان يعارض ذلك يجلد ويهــدد بالسيف[16] .

---

(١٠) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(١١) أحمد امين : ظهر الاســلام ج ٢ ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(١٢) CIBB, H. (Muhammedanism) p. 29 (Oxford. 1949).

(١٣) المقريزى : الخطط ج ٤ ص ١٨٣ .

(١٤) د. عبد الحكيم بلبع : أدب المعتزلة فى القرن الرابع الهجرى ص ١٠٣ .

(١٥) الخطيب البغــدادى : تاريخ بغــداد ج ٧ ص ٦١ .

(١٦) NILCHOLSON : A litrary History of the Arabs.

لقد انتصر المأمون لآراء المعتزلة أيما انتصار ، وتشدد فى التمسك بها وحمل الناس عليهم الى حد التعسف والاضطهاد والتهديد بالسيف كما سبق . وقد أثبت الطبرى كتابا وجهه المأمون الى رئيس شرطته ببغداد يأمره بأن يمتحن الفقهاء ، وأهل الحديث فى خلق القرآن . وقد تضمن هذا الكتاب دفاع المأمون عن هذه القضية ، وأن الخليفة وحده له حق الاجتهاد فى اقامة دين الله وأن العامة والرعية أهل جهالة وعمى عن حقيقة الدين[17] .

ولقد كان المأمون محبا للحكمة شغوفا بالعلم والفلسفة فرعى دار الحكمة كمؤسسة علمية وحشد اليها الكثير من مختلف الكتب فى الفلسفة والمنطق والطب وغيرها[18] .

وشجع حركات الترجمة تشجيعا جعل عصره أزهى عصورها لذلك لم يكن غريبا أن يقبل المأمون على تعاليم المعتزلة ، وأن يروج لها ويدعو اليها وهو الذى شغف بالعلم ومجد حرية العقل[19] .

وعلى هذا النحو أصبح العقل العربى فى العصر العباسى الأول عقلا متفلسفا كما اصبح عقلا علميا . لا من حيث فهمه وفقهه علوم الأوائل بل أيضا من حيث اسهامه فيها باضافاته الجديدة حتى ليضيف علوما لأول مرة فى تاريخ الحضارة الانسانية على نحو ما أضاف الخوارزمى علم الجبر وكان هذا العقل قد أظهر نضجه العلمى وأحكامه لوضع العلوم منذ القرن الثانى للهجرة[20] ، ولعل علما لم يزدهر فى هذا العصر كعلم الكلام .

ويراد بالكلام الجدل الدينى فى الأصول العقيدية لا عند المسلمين وحدهم ، بل عند جميع الملل والنحل ، ومن أجل ذلك نرى الوصف بالمتكلم يضاف الى بعض الرافضة مثل هشام بن الحكم وشيطان الطاق[21] . بل نراهم يضيفونه الى أهل

---

(١٧) الطبرى ، ابو جعفر محمد بن جرير : (**تاريخ الرسل والملوك**) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م ، ١٩٦٣ م ، وطبعة الحسينية ـ القاهرة ١٣٢٦ هـ) جـ ١٠ ص ٢٨٢ .

(١٨) المقريزى : الخطط جـ ٤ ص ١٨٣ .

(١٩) د. عبد الحكيم بلبع : ادب المعتزلة ص ١٥٤ .

(٢٠) د. شوقى ضيف : العصر العباسى الأول ص ١٣٢ .

(٢١) ابن النديم : الفهرست ص ٢٠ .

الحجاج من المسلمين[٢٢] . بل لقــد اضافوه الى اهــل الجــدل من المنائية والثنوية والقائلين بالهى النور والظلمة الذين يحامون ويناضلون عن عقيدتهم الفاسدة[٢٣] .

وقــد مضى كل متكلم مدافــع عن عقيدة هــذا العصر يتسلح فى دفاعــه بالفلسفة اليونانية وما يتصل بها من منطق وغير منطق حتى ليقول الجاحظ « ولا يكون المتكلم جامعا لأفكار الكلام متمكنا فى الصناعة حتى يكون الذى يحسن من الكلام الدين فى وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة »[٢٤] .

وكانت هنــاك قضايا عــدة اختلفت فيها آراء علمــاء الكلام ، ومن أهم هــذه القضايا ، قــدم العالم وحــدوثه ، وذات الله وصفاته ، ورؤية الله يوم القيامة ، والجبر والقــدر ، وخلق القرآن ، وتعتبر قضية خلق القرآن من أعقــد القضــايا التى أثارت نقاشــا عنيفا بين علماء الكلام ، واضطهد بسببها عــدد من أهــل السنة من أمثال الامام « أحمد بن حنبل » الذى رفض أن يقــول بخلق القرآن[٢٥] ، ودخــل السجن بسبب ذلك .

وصفوة القــول : ان مدرسة المعتزلة تمثل فى الفكر الاسلامى الطبقة المثقفــة الواعية المدافعــة عن الاسلام ، فقــد كان منها علماء الكلام المتبحرون وأدباء نبهــاء وأئمــة فى النحو وأعلام فى التفسير ويهمنا هنــا بخاصة مفسرو المعتزلة الذين أسهموا فى خــدمة القرآن والذين تشير مؤلفاتهم الى الثروة الفكرية الضخمة الضــائعة على هــذا النشاط العقلى الذى أوتيته مدرســة الاعتزال فواصــل بن عطاء لــه من التصانيف معانى القرآن[٢٦] .

ولا شك أن حركة المعتزلة الفكرية أحــدثت أثرا كبيرا فى التفكير الاســلامى بخاصة وفى الفكر الانسانى بعامة لمــا أتت به من أفكار وآراء تستند الى العقــل وتفسر الحــوادث والظواهر والأفعال الانسانية بالروح العلمية وبالأسلوب المنطقى

---

(٢٢) الجاحظ : (ثلاث رسائل) وتسمى (رسائل الجاحظ) . (باعتناء فنكل ، القــاهرة ١٣٤٤ هـ) ص ٥٠ .

(٢٣) ابن النــديم : الفهرســت ص ٣٣٨ .

(٢٤) الجاحظ : الحيــوان ج ١ ص ١٣٤ .

(٢٥) د. عمر فروخ : (تاريخ الفكر العربى الى ايام ابن خلدون) . (المكتب التجارى ، بيروت ـ لبنان ط ٢ . ١٩٦٢ م) ص ٢٠٢ .

(٢٦) ياقــوت الحمــوى : معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٤٧ .

المعتمد على قوة الحجة والاقناع وكان ذلك عاملا مهما فى نشر الأفكار الحرة(٢٧) وعملت على ازدهار الحركة العلمية .

كما تعد حركة المعتزلة من أهم الحركات الدينية التى ظهرت فى العالم الاسلامى ، وقد ازدهرت هذه الحركة فى عصر المأمون العباسى الذى وافق المعتزلة فى القول بخلق القرآن ، واستخدم نفوذه فى اقرار هذه العقيدة فى أذهان الناس(٢٨) وهى مشكلة خلق القرآن ، تلك المشكلة التى شغلت المأمون أكثر مما شغلت المتكلمين وعنى بها المأمون نفسه كما عنى بها المسلمون ووقف يناصب العداء كل من خالفه ويسومه سوء العذاب(٢٩) .

وعلى الرغم من الفتن والثورات التى ملأت عهد المأمون فان عصره يعتبر من أزهى عصور الدولة العباسية من الناحية العلمية فقد اهتم بالمسائل العلمية والفلسفية ، وشجع النهضة الفكرية ونشر العلوم ، فزود دار الحكمة بمختلف أنواع الكتب من الهند وبلاد الروم والفرس حتى أصبحت بيت الحكمة أشبه بجامعة علمية تضم دارا للكتب يجتمع فيها شيوخ العصر للترجمة والتأليف والتحصيل ، كما خصص فيها مواضع للنساخين(٣٠) . فأصبحت بيت الحكمة مؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها تسير على قدم وساق ، كما كان علم الكلام احد العلوم الاسلامية فيها .

---

(٢٧) د. حسين أمين : (كتاب المستنصرية) مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق عـ ٤ (١٩٧٧ م) ص ١١ .

(٢٨) د. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسى جـ ٣ ص ٢١٣ .

(٢٩) الشيخ محمد الخضرى : تاريخ الأمم الاسلامية - الدولة العباسية : ص ٢١٠ ، ٢١٥ .

(٣٠) د. عبد العزيز سالم : (دراسات فى تاريخ العرب - العصر العباسى الأول) . (مؤسسة الشباب - جامعة الاسكندرية ، بدون) جـ ٣ ص ٩٠ .

ثانيا ــ علم المنطق :

المنطق مشتق من النطق ، وهــذه اللفظة تقال عند القــدماء على ثلاثة معان : أحــدها القــول الخارج للصوت والثانى القــول المركوز فى النفس والثالث القــوة النفسانية فى الانسان التى بها يميز التمييز الخاص بالانسان دون ســواه من الحيوان وهى التى بها يحصل للانسان بالمعتقدات[٣١] . وأن المنطق يعطى قوانين فى المنطق بأنواعــه الثلاثة المذكورة .

يقول ابن خلدون[٣٢] : العلوم الطبيعية لازمة للانسان من حيث أنه ذو فكر ، هــذه العلوم عند العرب علوم الفلسفة والحكمة وهى مشتملة على أربعة علوم : الأول علم المنطق ، وهــو علم يعصم الذهن عن الخطأ فى اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة بالمعلومات وفائدته تمييز الخطــأ من الصواب فيما يلتمسه الناظر فى الموجــودات ليقف على تحقيق الحــق فى الكائنــات بفكره الحر ، ثم النظــر بعــد ذلك اما فى المحسوسات من الأجسام العنصرية المكونة عنها من المعدن والنبات والحيوان والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية والنفس التى انبعثت عنها الحركات ويسمى هــذا الفن بالعلم الطبيعى ، والعــلم الالهى هــو علم ما وراء الطبيعة ، والعلم الرابع هــو الناظر فى المقابير ، ويشتمل على علم الهندسة وعلم الموسيقى وعلم الهيئــة .

وللرازى كتب اخرى فى المنطق والفلك والرياضيات نذكر بعضها من التى وردت فى كتاب طبقات الأطباء وغيره من كتب التاريخ . وكتاب المدخل فى المنطق[٣٣] . وهكذا انبثقت العلوم اليونانية ، ولا سيما منطق أرسطو وانتشرت فى بلدان الشرقين الأدنى والأوســط على يد السريان ســواء فى ديارهم أو حواضرهم ، فازدهرت انطاكية ومن بعــدها حران . وكانت حران حسب رأى مايرهوف « مركزا مهما للثقافة اليونانية فى المناطق التى يتكلم أهلهــا الارامية الشرقية . وكانت الى جانب هــذا نقطة مهمة للتبادل والاقتصاد ــ حتى أن آخر الخلفاء الأمويين مروان الثانى نقل الخلافة وأحيانا فى أثناء خــلافته الى هــذه المدينة »[٣٤] .

---

(٣١) أبو نصر الفارابى : (احصاء العلوم) تحقيق د. عثمان امين (القاهرة ١٩٤٩ م) ص ٦٢ .

(٣٢) ابن خلــدون : المقــدمة ص ٥٦٦ .

(٣٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٩٢ .

(٣٤) ماكس مايرهوف : (التراث اليــونانى فى الحضــارة الاسلامية) ترجمــة د. عبد الرحمن بدوى ، (مكتبة النهضة المصرية ــ القاهرة ١٩٤٠ م) ص ٧٠ .

وكان لمدرسة جنديسابور القريبة من البصرة أهمية كبيرة ، اذ كانت تدرس فيها الثقافة اليونانية الى جانب الثقافات الفارسية والسريانية والهندية . وقد استردت فى هذه الحقبة شهرتها القديمة بفضل نشاط أسرة بختيشوع[٣٥] .

وفى أوائل القرن الثالث — عندما انتقل الجاحظ من البصرة الى بغداد — نرى يوحنا بن ماسويه يهاجر من جنديسابور الى بغداد ، حيث جعله المأمون رئيسا لبيت الحكمة وقد تتلمذ عليه حنين بن اسحاق[٣٦] .

ونستطيع أن نتصور قليلا كيف وصلت العلوم اليونانية ، ولا سيما المنطق منها الى الأوساط الاسلامية فى أواخر العصر الأموى وأوائل العصر العباسى أى الفترة التى نشأ فيها علم الكلام بمعناه الدقيق على يد المعتزلة . فكان هناك طريقان : الطريق الرئيسى يمر بجنوب فارس وأما الثانى الذى يمر بدمشق والكوفة وربما بالبصرة أيضا فلا نعرف عنه الا اشارات طفيفة[٣٧] .

وفى العصر العباسى رأينا مظهرا آخر — رأينا العلوم الدينية تفيض فيضا فى المملكة الاسلامية فتترجم الفلسفة اليونانية بجميع فروعها من طب ومنطق وطبيعة وكيمياء ونجوم ورياضة ، وتترجم الرياضة الهندية ، والتنجيم الهندى ، ويترجم تاريخ الأمم من فرس ورومان ويونان وغيرهم[٣٨] .

فتحولت الدعوة الدينية الى علم الكلام ، وتأثر تفسير القرآن وتفسير الحديث والتشريع بهذا الأثر الفلسفى ، ورأينا العلماء يجتهدون فى شرح كل ما يعرض لهم من ذلك بعلل عقلية وعبارات منطقية ، واذا كان هذا فى العلوم الدينية فالأمر فى العلوم الأخرى أشد وضوحا ، فالطب والرياضة والهيئة وغيرها اعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال العلماء وبراهين المنطق وهذه على العموم ظاهرة جديدة فى العصر العباسى وان كانت النتيجة طبيعية لحياة الناس وسيرهم العقلى . فقد ميزت العلوم فى هذا العصر وجمعت مسائل كل علم على حدة ، بل وضعت المسائل المتشابهة تحت باب واحد[٣٩] .

---

(٣٥) الأب فكتور شلحت اليسوعى : (**النزعة الكلامية فى أسلوب الجاحظ**) (دار المعارف بمصر ١٩٦٤ م) ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٣٦) المرجع نفسه ص ٥٧ .

(٣٧) اميرهوف : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٦١ .

(٣٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام : ج ٢ ص ٨ .

(٣٩) المصدر نفسه ص ٩ .

اهتم المـأمون بالأدب والفلسفة والعلوم وحقا ما قيـل من ،ن كل الحركات العقلية التى قامت فى الامصار الاسلامية يمكن أن ننسبها الى عصر المـأمون . ولمـا كانت أم المـأمون فارسية ، فقـد كان المـأمون ميالا بالطبع الى الثقافـة والحضارة الفارسية وظهر هـذا الميل بوضـوح خـلال اقامتـه فى مرو فى الفترة الأولى من خلافته(٤٠) . فقد عمل على حفظ تراث الثقافة والحضارة الفارسية .

وقـد أدت الاكتشافات العلمية والآراء الفلسفية الى حرية الرأى والفكر الى جانب تشجيع الخلفاء ، ولكن هـذه الآراء الفلسفية جعلت علماء الدين من أجـل ان يسايروا حاجات العصر يصقلون أسلحتهم ، فيحـدثنا ابن خلـدون أن الغزالى وفخر الدين الرازى كانا أول من استخدم المنطق فى المناقشات الدينية . ورغم أنه درس كتب ابن سينا الا أن شهرته فاقت شهرة أستاذه ويعتبر كتاب (احياء علوم الدين) أعظم كتبه قيمة ، وهـو يشبه ديكارت فى منهج الدراسة(٤١) .

ولا شـك أن المـأمون بفضل همته الشريفة وقـوة نفسه الفاضلة وايمـانه بحرية الفكر ، وميله الى مذهب المعتزلة كان وراء ترجمة الفلسفة والمنطق وهـذا راجـع الى اجلاله للحكماء ورغبته فى الاطلاع على آثارهم وقـد سلك الأثرياء مسلك المـأمون ، فاقبلوا على طلب الكتب وترجمتها ومن هؤلاء بنو موسى بن شاكر(٤٢) .

يقول ابن صاعـد : ان أول علم اعتنى به من علوم الفلسفة : المنطق والنجوم فأما المنطـق فأول من اشتهر به عبـد الله بن المقفع الخطيب الفـارسى فانه ترجم كتب أرسطوطاليس المنطقية الثلاثة التى فى صورة المنطق ، وهى كتاب فاطاغورياس وكتاب « بارى أرمنياس » وكتاب « تولوطيقا » وذكر أنه لم يترجم منه الى وقتـه الا الكتاب الأول وترجم ذلك المدخل الى كتاب المنطـق المعروف « بايساغـوجى » «لفرفوريوس الصورى » . وتميز عمـا ترجم من ذلك بعبارة سهلة قريبة المـأخـذ وترجم مـع ذلك الكتـاب الهندى المعروف « كليلة ودمنة » وهـو أول ما ترجم من الفارسية الى العربية(٤٣) .

---

(٤٠) المسعودى : مروج الذهب جـ ٨ ص ٣٠٠ ، ٣٠١ .

(٤١) صلاح الدين خودابخش : حضارة الاسلام ص ١٣٧ .

(٤٢) د. التسحات السيد زغلول : (**الاتجاهات الفكرية فى التفسير**) (الهيئـة المصرية العـامة للكتاب ـ فرع الاسكندرية ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥ م) ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٤٣) ابن صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٥١ .

ان حركة النقـل والترجمة هى تلك الحركة التى حببت الى المـأمون الفلسفة ووجهت عنايته الى المنطق وبعثت فى نفسه حب أرسطاطاليس حتى أصبح موضـع تفكيره فى يقظته ونومه(٤٤) . وهكذا كان المنطق من العلوم الاسلامية التى كان لهـا مكانتها فى بيت الحكمة .

(٤٤) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المـأمون ص ٣٩٨ .

ثالثا ــ علم الفلسفة :

لم تكن الثورة العباسية ثورة سياسية غيرت مفاهيم الحكم ووسائله فحسب بل كانت ثورة اجتماعية وفكرية أيضا لما أعقبها من تغيرات جذرية فى المفاهيم الاجتماعية ونشاط حركة الترجمة والتأليف والابداع الفكرى فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى . ومن نتائج حركة النشاط العقلى هذه تبلورت المذاهب الفكرية الفلسفية السياسية وغير السياسية . فكان هناك من الصف الأول أهل السنة وأصحاب الحديث والشيعة العلوية والخوارج ، ومن الصف الثانى المعتزلة والمرجئة والشعوبية والدهرية والزنادقة وغيرهم . فكانت حلقات المناظرة والمجالس الكلامية والمناقشات فى المسجد والبيت والحلقة هى الظواهر البارزة فى تلك الفترة التى ولع بها العامة من الناس قبل الخاصة وجدوا الى الاستمتاع بما يدور فيها من حوار عقلى وأدبى[٤٥] .

لقد ساد العصر العباسى عقلية جديدة متفتحة جعلته من أخصب العصور الفكرية فى تاريخ الحضارة الانسانية ولعل مرجع هذه الحياة العقلية النشيطة يعود الى حقيقة كون الدولة الجديدة العباسية نتاج اقليمين من أخصب أقاليم الدولة العباسية حضارة هما خراسان والعراق حيث التقت حضارات قديمة وحديثة مختلفة وتفاعلت فأنتجت صراعا فكريا حادا كان له أكبر الأثر فى تكوين العقلية الحضارية المرنة[٤٦] .

وكان للفلسفة شأن عظيم فى العصر العباسى ، فاشتغل بها أكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولا سيما الأطباء منهم . وكان الفلاسفة فى هذا العصر متهمين بالالحاد والتعطيل فكان الانتساب الى الفلسفة مرادفا للانتساب الى الكفر ، وشاعت النقمة على الخليفة المأمون ، لأنه كان السبب فى نقل الفلسفة الى اللغة العربية ، حتى قال فيه ابن تيمية : « ما أظن الله بغافل عن المأمون ، ولابد ان يعاقبه على ما أدخله على هذه الأمة » .

ان الثورة العباسية التى جاءت بهذه التغييرات الجذرية كانت قبل كل شىء نصرا للاسلام والداعين الى الاصلاح الدينى . ومن هنا نشأت العلوم الاسلامية فى هذه الفترة جنبا الى جنب مع العلوم الأجنبية . فالعلماء العباسيون هم الذين

---

(٤٥) د. فاروق عمر : العباسيون الأوائل جـ ٢ ص ١٣٣ .

(٤٦) المرجع نفسه ص ١٣٣ .

وضعوا المصادر الأساسية والمؤلفات الممتازة فى الدراسات القرآنية والفقه وعلم الكلام وقواعد اللغة والمعاجم والبلاغة والأدب من جهة ، وفى الفلسفة والعلوم والطب والجغرافيا ، وعلم الفلك والموسيقى من جهة أخرى(٤٧) . فكان لانفتاح أبواب العلم الاسلامى على الفلسفة وقع بعيد المدى على حياته الفكرية والثقافية فى القرن الثالث الهجرى فهو أولا قد ولد حافزا الى تأنيس المفاهيم الاسلامية والعربية للانسان ، وعلاقته بالخالق والكون عن طريق التوفيق بين مفاهيم الخير والشر فى الاسلام .

فالحياة الثقافية وليدة وعى ويقظة ، وثمرة انطلاق وحرية ، ان الاسلام بعث فى العالم العربى وعيا يقظا خلاقا وأسبغ عليه نعمة شاملة وحرية كاملة ، فتفجرت فيه عبقريات واستطاعت أن تقيم حضارة لها شأنها بين الحضارات الانسانية الكبرى ، يتنافس العرب والمسلمون جميعا فى ميدان الثقافة ، فأنجزوا وانتجوا نواحى شتى فى الأدب والفن ، وفى العمران والحضارة ، وفى العلم والفلسفة واسترعى انتاجهم الأنظار وبهروا أوربا فى العصور الوسطى واخذت تنهل من حياضه ومجاليه . ولم يبق اليوم شك فى ان العلم والفلسفة لدى اللاتين مدينان للعلم والفلسفة عند العرب(٤٨) .

وكان يميز الحياة الفكرية فى القرن الرابع الهجرى الذى عاش فيه المتنبى شيوع الفلسفة وازدهارها ، فاتبعت الفلسفة وأكثر العلوم العقلية منذ هذا العصر منهجا علميا وصار لها اسلوب مذهبى خاص وقد مشى معها علم الكلام ، وأقبل عليها المتأدبون(٤٩) .

ونحن نعلم أن فلسفة المسلمين انما نبعت من فلسفة الاغريق وخاصة المنطق بما نقل الى العربية منذ عصر المأمون من آثار اليونان ، فتفهم علماء الاسلام هذه الفلسفة حتى عرفوها واتقنوها فأخذوا يعلقون عليها ويحققون فيها وينشئون لهم فلسفة خاصة تتفق مع المنقول الاسلامى من آثار السلف وأعمال الخلف بما يساير المعقول الجديد(٥٠) .

---

(٤٧) جون س. بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة ص ٣٨ ، ٦٩ .

(٤٨) المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(٤٩) د. زكى المحاسنى : (**المتنبى ، من نوابغ الفكر العربى**) (دار المعارف بمصر ١٩٧١ م) ط ٤ ص ١٧ .

(٥٠) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٣ ص ١٦٠ .

وان تأثر الاعتزال بالفلسفة اليونانية كان أظهر فى مدرسة بغــداد من مدرسة البصرة لقــوة حركة الترجمة فى بغــداد ، لأن بلاط الخلفاء كان ملتقى رؤســاء المسلمين برؤساء المفكرين من أهــل الديانات الأخرى فنرى ثمامة بن الأشرس يقرر ان العالم نشأ عن طبيعة الله وقــد كانت الحياة العلمية فى هــذا العصر العباسى الثانى مزدهرة نامية اذ كانت الامارات الاسلامية تتبارى فى تجميل مواطنها بالعلمــاء والأدباء وتتفاخر بهم(٥١) .

فكان العقليــون يعظون فى المساجد ويحاضرون فى الكليات والمدارس ويقومون على تربية الشباب وتهــذيبه كما كانوا أكبر مستشارى الخلفاء ولا ينكر أنهم نصحوا بحكمة وعملوا على رفــع شأن الأمة العربية بوصفهم أساتذة ووعاظا وعلماء وأطباء ووزراء وولاة(٥٢) .

ففى عهد المــأمون بدأ أبو يوسف يعقوب الكندى ، فيلسوف العرب نشاطه الفكرى ولم يقف عند التعريف بالفلسفة الأرسطوطاليسية والأفلاطــونية عن طريق الترجمة والاقتباس ، بل عــدا ذلك الى دراسات فى التاريخ الطبيعى وعلم الظواهر الجــــوية(٥٣) .

وذاع صيته فى عهد المــأمون والمعتصم ، لتعــدد مواهبه وسعة علمه ، اذ الف فى الفلسفة والرياضيات والفلك والطب والسياسة والموسيقى ... الخ وكان ملمــا بلغة اليونان والفرس والهنود متبحرا فى العلوم والفلسفة واختاره المــأمون لترجمة كتب أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان(٥٤) .

فالكندى أول من احتذى حــذو « أرسطوطاليس » كان ملمــا بحكمة الهنود فسر كثيرا من كتب الفلسفة ووضــع بعض النظريات الفلسفية فى قالب مفهوم ، حتى أن كتبه فى المنطق وغيره لقيت اقبالا عظيما . « ولــه رسائل ومؤلفات فى علوم شتى نفقت عند الناس نفاقا عجبا ، وأقبلوا عليها اقبالا مدهشا »(٥٥) .

---

(٥١) أحمد أمين : ظهر الاسـلام جـ ٢ ص ٢ .

(٥٢) سيد أمير على : روح الاسـلام جـ ٢ ص ٣١ .

(٥٣) ابن قتيبة : المعــارف ص ١٠ .

(٥٤) سيد أمير على : روح الاسلام جـ ٢ ص ٣١٣ .

(٥٥) أبو حيان التوحيدى : (المقابسات) ، تحقيق ونشر حسن السندوبى ، من مقــدمة ، (القاهرة – المكتبة التجارية ١٩٢٩ م) ص ٥٨ .

واشتغل الكندى فى « الفلسفة » ولـــه فيها تصانيف ومؤلفـــات جعـــلته من المقـــدمين ويعتبرها المؤرخون نقطة تحـــول فى تاريخ العرب العلمى والفلسفى ، اذ كانت فى عهده وقفا على غير المســـلمين والعرب ويعـــترف الأقـــدمون بأثره فى الفلسفة وفضـــله عليها(٥٦) .

وقـــد حاول الكندى التوفيق بين الفلسفة والدين ، وقال ان الفلسفة علم الحق والدين ، وفى رأيه أن الذى يتنكر للفلسفة انمـــا يتنكر للحقيقة وهـــو من ثم كافر . ورأيه فى حدوث العالم يختلف عن رأى أرسطو وهو فى ذلك يتبع تعاليم الدين الاسلامى ويجارى آراء المتكلمين فى عصره ، وبرهان الكندى قـــائم على معنى الزمان والحركة فهو يثبت أن كل ما فى العالم متحرك والحركة هى تبدل الأحوال .

وان كان الكندى قـــد أثر تأثيرا كبيرا فى الحيـــاة العقلية الاسلامية ، فقـــد كان هـــذا العالم معلما ومؤلفا بلغ من الشهرة حـــدا بعيدا .وكان تأثيره الكبير عن طريق مؤلفاته القيمة فى علوم الرياضيات وأحكام النجوم والجغرافيا والطب . وكان من أنبغ طلابه بن محمد الطيب السرخسى (ت ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م) وقـــد نبغ السرخسى فى الكيمياء واجتهد فى حكمة الخالق وقـــدرته فى عجائب مخلوقاته واشتغل بدراسة التاريخ والجغرافيا(٥٧) .

والكندى عقـــل من العقليات الاسلامية الفـــذة التى عملت على تحفيز المسلمين للأخـــذ بعـــلوم الأوائل والتعرف على أفكارهم وآرائهم وقـــد قام بتقـــديم آرائه وأفكاره الفلسفية التى بنـــاها على أساس علمى ومنطقى وخلف تراثا حيـــا تفخر به المكتبة العربية كما تظهر بوضوح نضوج العقلية العربية والاسلامية(٥٨) .

ويتضح هـــذا بمقارنة العصر العباسى الأول بالثانى ففى الأول كان الفـــكر نشيطا يوم كانت الحرية مكفولة ، وفى الثـــانى مال الى الركود بعـــد أن اشـــتدت السلفية على أهـــل العلم ومنعوا من الاشتغال بالعلوم العقلية والفلسفة(٥٩) .

---

(٥٦) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الفلك والرياضيات ص ١٩٧٠ .

(٥٧) د. حسين أمين : الفلاسفة المسلمون الأوائل وأثرهم فى التراث الفكرى مجلة المؤرخ العربى – بغـداد – العراق عـ ٩ ص ١٤ .

(٥٨) د. محمد الهاشمى : (**الفكر العربى وجـذوره وثماره**) . (مكتبة الفـــلاح – الكويت – ١٩٧٨ م) ص ١٣٩ .

(٥٩) المرجـع نفســه ص ١٣٩ .

وهنا يعلل الأستاذ المؤلف لماذا توفرت الحرية فى العصر العباسى الأول ولم تتوفر فى العصر العباسى الثانى منه ؟ ويعلل ذلك بأن المجتمع العربى آنذاك كان يعتمل فى داخله تياران رئيسيان متباينان أو كما سماهما الدكتور محمد الهاشمى فى كتابه « الفكر العربى جذوره وثماره » فريقين « فريق انحدر من بيئة صحراوية قاسية تميزت بشح الموارد وصعوبة العيش الى حد يعجز معه الفرد مهما بذل من جهد فى تأمين حاجاته الضرورية »(٦٠) . وبذلك استولى عليه اليأس وفقد ثقته بنفسه واستسلم للقضاء والقدر ، وعاش عيشة راكدة ، محافظا « يأبى التطور والتحرر ، ويرى فيها بدعة وضلالة » وفريق آخر له جذور عريقة فى الحضارة عاش فى بيئة غنية بالموارد فعمل وأنتج وأفاد من عمله وانتاجه .. وبذلك نشأ نشأة مستقلة يعتمد على ذاته ويثق بقدراته وعقله الخلاق ويرى فيهما مادة الحياة والوسيلة المؤدية الى التغيير والتطوير .. ، هذان الفريقان اللذان كانا القوة الدافعة فى ذلك العصر كانا فى صراع دائم(٦١) .

يقول الفارابى الفيلسوف : « ان أخص الخبرات بالانسان هو عقل الانسان ، اذ بالعقل صار الانسان انسانا(٦٢) . كما يحثنا على التعرف بوعى على تراثنا المجيد فان « المعرفة » هى أثمن شىء يملكه الانسان فى هذه الحياة »(٦٣) .

وكان من أشهر المشتغلين بالفلسفة فى بغداد يحيى بن عدى النصرانى ، وكان رئيس المناطقة فى زمانه أخذ العلم عن بشر بن متى وعن الفارابى ، وكان كثير الانتاج بما ينقل من السريانية الى العربية وبما يؤلف وبما ينسخ ، وقد عمر احدى وثمانين سنة كان فيها حركة دائبة ألف مقالات كثيرة فى المنطق وفى الالهيات ومات ببغداد سنة ٣٦٤ هـ . ومن اشتهر بالفلسفة أيضا أبو على بن زرعه النصرانى اشتهر بالمنطق وعلوم الفلسفة والنقل الى العربية ، اختصر كتاب أرسطو فى المعمور من الأرض ، وألف كتاب أغراض كتب أرسطو المنطقية ، ومقالة فى العقل ... الخ . مات ببغداد سنة ٣٩٨ هـ . وقد فضله أبو حيان على يحيى بن عدى فقال : « وانه كان حسن الترجمة صحيح النقل كثير الرجوع الى الكتب محمود النقل الى العربية »(٦٤) .

---

(٦٠) المرجع نفسه ص ٣٦٠ .

(٦١) المرجع نفسه ص ١٣٩ .

(٦٢) الفارابى : (**التنبيه على سبيل السعادة**) (طبعة الهند ١٣٤٦ هـ) ص ٢٢ .

(٦٣) د. محمد الهاشمى : الفكر العربى جذوره وثماره ص ١٠ .

(٦٤) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٣١ ، ٢٣٢ .

كما كان على راس الفلاسفة ابو بكر محمد بن زكريا الرازى (نسبة الى الرى) مولده ومنشأه بالرى وكذلك عددناه منها وان تنقل فى بلاد كثيرة . وهو من اكبر فلاسفة المسلمين ومتفوقيهم فى الطب النظرى والعملى والالهيات فى الكيمياء والأخلاق . وقد الف فى كل ذلك كتبا كثيرة أوصلها بعضهم الى ما يقرب من مائتين(٦٥) .

كما اشتهر من الفلاسفة فى هذه البلاد أبو الخير الحسن بن موار المعروف بابن الخمار كان نصرانيا — وقد نقل كتبا كثيرة من السريانية الى العربية واشتهر بالطب ، كما الف فى المنطق والطب والالهيات . ثم الفيلسوف الأديب أبو الفرج على ابن الحسين بن هندو ، كان من تلاميذ ابن الخمار الف فى الطب والف المدخل فى علم الفلسفة . ووصل الينا من كتبه « الكلم الروحانية » وهى مجموعة لطيفة من الحكم اليونانية كما كان شاعرا معدودا من رجال البلاغة المتازين(٦٦) .

ولقد كان المأمون محبا للحكمة شغوفا بالعلم والفلسفة فى بيت الحكمة — وحشد اليها الكثير من مختلف الكتب فى الفلسفة(٦٧) والمنطق والطب وغيرها . وشجع حركات الترجمة تشجيعا جعل عصره ازهى عصورها ، لذلك لم يكن غريبا أن يقبل المأمون على تعاليم المعتزلة ، وأن يروج لها ويدعو اليها وهو الذى شغف بالعلم ومجد حرية العقل فنالت الفلسفة حظوة عنده(٦٨) .

---

(٦٥) أحمد أمين : ظهر الاسلام جـ ١ ص ٢٥٠ .

(٦٦) المرجع نفسه ص ٢٥١ .

(٦٧) المقريزى : الخطط جـ ٤ ص ٨٣ .

(٦٨) N.cholson : L.tarary History of the Arabs p. 308.

رابعا ــ علم الرياضيات :

وقد برع العرب فى العلوم الرياضية ، وأجادوا فيها وأضافوا اليها اضافات هامة أثارت الاعجاب والدهشة لدى علماء الغرب ، فاعترفوا بفضل العرب وأثرهم الكبير فى تقدم العلم والعمران . لقد اطلع العرب على حساب الهنود ، فأخذوا عنهم نظام الترقيم ، اذ رأوا أنه من النظام الشائع بينهم(٦٩) . كما أن العلوم التى تفوق فيها الهنود وكانت لهم فيها قدم راسخة ومعرفة واسعة كالرياضة والتنجيم والفلك والطب والحساب ، وقد أخذ المسلمون من هذه العلوم وأفادوا منها قبل أن يتصلوا بالعلم اليونانى(٧٠) .

وربما كانت الرياضة والفلك هى المادة الأولى التى سبق التأثير الهندى فيها التأثير اليونانى ، وان كان من المحتمل أن يكون الهنود قد نقلوا هذه المادة ابتداء عن أصول(٧١) يونانية ، الا أن المصادر تشير أن تأثر المسلمين بهذه العلوم قد جاء عن الهند بطريقة مباشرة ، فيقر « بروكلمان » أن الطب الهندى والطب اليونانى قد التقيا فى بغداد على صعيد واحد . وان هارون الرشيد قد استدعى الى بغداد طبيبا هنديا اسمه « منكه » وأن البرامكة كانوا قد أمروا بنقل بعض كتب الطب الهندى الى العربية(٧٢) .

وقد قرر « ديبور » أن كتاب « السند هند » الذى ترجمه الفزارى الى اللغة العربية قد عرف قبل أن يعرف كتاب الماجيستى لبطليموس(٧٣) وقد سجل البيرونى فى كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة » أن العلم الهندى وبخاصة الطب والرياضة والفلك ، كان له الفضل فى توجيه المسلمين الى هذه المجالات .

وعندما رعى الخليفة المأمون « بيت الحكمة » عين محمد بن موسى الخوارزمى رئيسا لها وكتابه عن الجبر عنوانه « الجبر والمقابلة » (الحساب بالرموز) ومن الكلمة الأولى فى هذا العنوان جاءت كلمة ALGEBRA (علم الجبر) ، ومن تصحيف اسم المؤلف الخوارزمى جاءت كلمة « لوغاريتم » وقد كتب جيرارد الكريمو

---

(٦٩) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٤٧ .

(٧٠) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٣ ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٧١) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٣٦ .

(٧٢) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية ج ٢ ص ٣٩ .

(٧٣) ديبور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ١٤ .

فى ترجمة لهـذا الكتاب : « بعـد ان ظـل حجر الزاوية فى التعليم الرياضى الـذى بنـاه العرب الذين جاءوا بعـده . نبه معاصريهم من الغربيين الأوائل الى روعـة الحسابات الجبرية وفى نفس الوقت نبههم الى حساب الكسور العشرية »(٧٤) . ويقول الدكتور حسن الباشا : أبرز شخصية عربيـة فى تاريخ الرياضيات محمد بن موسى الخوارزمى ـــ ١٦٣ هـ/٢٣٥ هـ ـــ ٧٨٠ م/٨٥٠ م وقـد استخدم الخـوارزمى فى مؤلفاته الأرقام الهندية ـــ العربية وبفضل هـذه المؤلفات اخـذ الأوروبيون نظـام الأرقام التى يستعملونها الان حيث سميت باسمه فى أول الأمر (Alcorisms) وكان الأوروبيون يستعملون قبل ذلك الأرقام اللاتينية التى لا تساعد على اجراء العمليات الحسابية المعقـدة ومن ثم لم يتح لهم التقـدم فى الرياضيات الا بعـد استخدامهم للأرقام التى يسميها العرب بالأرقام الهندية اعتقادا بأنهم نقلوها عن الهنـــود(٧٥) .

امتازت خلافة المـأمون بالتقـدم فى الرياضة ، ولعل أبقى وأهم ما أسهم به العرب فى العلم الغربى كان ادخال الأرقام والأعـداد الأفرنجية الشائعة الآن ، فحتى القرن الثالث عشر الميلادى ، كان علماء الرياضيات فى أوروبا ما يزالون يستخدمون الأرقام الرومانية القـديمة المعقدة ، ولكن بمجرد ادخال الأرقام الأفرنجية حـدث التقـدم فى العلم الرياضى(٧٦) .

وأول من أطلق لفظـة جبر على العـلم المعروف الآن بهـذا الاسـم وعنهم اخـذ الأفرنج هـذه اللفظة ALGEBRA وكذلك اول من الف فيه بصورة علمية منظمة ، وأول من الف فيه محمد بن موسى الخوارزمى فى زمن المـأمون فلقـد كان كتاب الخوارزمى « فى الجبر والمقابلة » منهلا نهل منه علماء العرب وأوروبا على السواء واعتمدوا عليه فى بحـوثهم واخـذوا عنه كثيرا من النظريات ـــ وقـد أحـدث أكبر الأثر فى تقـدم علم الجبر كما أحـدث كتابه فى الحساب بحيث يصـح القـول بأن الخوارزمى وضع علم الجبر وعلمه ـــ وعلم الحساب للناس أجمعين(٧٧)

---

(٧٤) حيدر بامات : (**اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية**) (دار المعرفة الجامعية ـ الأزاريطة ـ الاسكندرية ـ بدون) ص ١٠٤ ، ترجمة د. ماهر عبد القادر محمد على ، وعبد القادر البحراوى .

(٧٥) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٧٦) انتـونى ناتنج : (**العرب انتصاراتهم وأمجاد الاسلام**) ترجمة د. راشد البراوى (القاهرة ـ ١٩٤٧ م) ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

(٧٧) الخوارزمى ، محمد بن موسى : (**مقدمة كتاب الجبر والمقابلة**) مخطوط قدمه وعلق عليه الأستاذان مشرفه ومحمد مرسى (القاهرة ١٩٣٧ م) .

ولقد كان من حسن نهضتنا العلمية الحديثة أن قيض الله الأستاذ د. على مصطفى مشرفة و د. محمد مرسى احمد فنشرا سنة ١٩٣٧ م كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى عن مخطوط فى مكتبة بودلين باكسفورد ، وهذا المخطوط كتب فى القاهرة بعد موت الخوارزمى بنحو ٥٠٠ سنة . وقد عكفا عليه وأوضحا ما استغلق من بحوثه وموضوعاته ، ولقد نشر الدكتوران الأصل العربى لكتاب الجبر والمقابلة لأول مرة مشروحا معلقا عليه فى اللغة العربية فأسديا بذلك خدمة جليلة للتراث العربى وتاريخ العلم .

ومهما يكن من شىء فان العمليات الحسابية لم تتطور تطورا كبيرا الا بعد استخدام العرب لهذه الأرقام ومن المعروف أن لفظة زيرو (Zero) فى اللغة الانجليزية . ولفظة (Cipher) التى عرفت عند الانجليز قبلها بمائتى عام هى تحريف للفظة « صفر العربية » ، وكان استخدام الصفر فى الأرقام العربية مساعدا على التقدم فى علوم الحساب والرياضيات . ومن أشهر أعمال الخوارزمى :

١ — الزيج المشهور الذى سبقت الارشارة اليه .

٢ — كتاب فى الحساب ويعتبر من أقدم الكتب فى علم الحساب ، ولم يصلنا الا نسخة مترجمة .

٣ — حساب الجبر والمقابلة وهو أقدم كتاب فى الجبر ولا يزال الأصل العربى مفقودا . وقد نقل الى اللاتينية فى القرن السادس الهجرى وظل الكتاب المعتمد فى الجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر الميلادى وبواسطته عرفت أوروبا علم الجبر وكذلك اللفظة نفسها(٧٨) .

يقول المستشرق الألمانى جورج يعقوب : « هبة أخرى من هبات العقل الشرقى لا تقل أهمية عن اختراع الأبجدية وصلت أوروبا فى العصور الوسطى وهى (نظام العدد العربى) الذى هو عبارة عن آخر بقايا الكتابة الفكرية فى كتاباتنا الحالية . فالثابت أن الغرب لم يعرف الصفر قبل القرن الثانى عشر الميلادى ، بينما تحدثنا المصادر العربية أن المسلمين كانوا يعرفونه وكانوا يرسمونه حلقة والتعبير عن الصفر موجود فى مصادر اخرى كثيرة منها كتاب النقط « لأبى عمرو عثمان بن سعيد الدانى »(٧٩) .

---

(٧٨) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٧٩) جورج يعقوب : (**أثر الشرق فى الغرب**) ترجمة فؤاد حسنين على (القاهرة ١٩٤٦ م) ص ٢٠ ، ٢١ .

وقد حاول نفر من العلماء ارجاع هذه الأعداد الى اصل غربى الا أن التوفيق خان أولئك الباحثين كما خان تلك الفئة التى عارضت الأبجدية(٨٠) وهنا نشير الى ما اثبته المستشرق « نو » نقلا عن مخطوط باريس السريانى رقم ٣٤٦ لمؤلفه « ساوير اساخت » فى قوله : « ان العرب لم ينقلوا الأرقام الهندية من بلادها رأسا وانما اخذوها عن السريان كما توصلوا الى علوم اليونان بواسطتهم » (٨١) أيضا :

وبلغ من اهتمام العرب بعلم الجبر أن الخليفة المأمون قد كلف محمد بن موسى الخوارزمى بوضع كتاب فى هذا العلم وهذا الكتاب الذى نقله الى اللاتينية « روبرت الشيستري » سنة ١١٤٥ م ــ و بذلك قدم العرب علما جديدا الى أوروبا ــ وظل هذا الكتاب مستعملا فى المدارس والجامعات الأوروبية حتى القرن السادس عشر(٨٢) .

وهذا العلم اخترعه العرب فىعصر الخلافة العباسية واستعمله بعض الأفرنج بلفظه ذكروا أن الخوارزمى أول من وضعه بشكل علمى ، وأول من ألف فيه آخر عصر العباسيين وبعده أبو كامل شجاع بن أسلم ، ثم جاء الناس على أثره وكتبوا فيه ، وكتابه فى مسائله الست من أحسن الكتب الموضوعة(٨٣) فيه .

ومن حق الخوارزمى أن يوصف بأنه أبو علم الجبر ، اذ أن العلماء الرياضيين الذين سبقوه لم تكن لديهم فكرة عن الجبر وكانت كل محاولاتهم منصرفة الى علم الأعداد وحده . ولهذا يحق القول بأن الخوارزمى وضع علم الجبر على أسسه الصحيحة ، ولعل خير دليل على أهمية التراث العلمى الرياضى عند المسلمين هو ابتداء الخوارزمى بمؤلفه المشهور حساب الجبر والمقابلة ، فقد امتاز عنوان كتابه بأشهر عمليتين من عمليات الجبر فى حل المعادلات هما الجبر والمقابلة(٨٤) .

ومن القرن الثانى الهجرى حتى القرن السابع الهجرى (الثامن الميلادى حتى السادس عشر الميلادى) كانت بلاد المسلمين مركزا للنشاط العلمى .. وفى ذلك

---

(٨٠) حسنى احمد حماد : (الحضارة العربية نشأتها تطورها آثارها) (وزارة الثقافة ـ مؤسسة التأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٦٧ م) ص ٦٤ .

(٨١) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٤٧٠ .

(٨٢) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : (فضل العرب على الحضارة الأوروبية) مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٥ م ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٨٣) عبد الله بن العباس الجرارى : تقدم العرب فى العلوم والصناعات وأستاذيتهم لأوروبا ص ٥٠ .

(٨٤) المرجع نفسه ص ٦٥ .

الوقت كانت أهم وجـوه النشاط العلمى فى العالم تجرى فى « بيت الحكمة » الـذى رعاه الخليفة المـأمون فى بغـداد .. وفى بيت الحكمة هـذه كان تأثير الخوارزمى على الفكر الرياضى أكبر من تأثير اى رياضى فى العصور الوسطى ، اذ أنه اكتشف سنة ٢١٠ هـ الموافق ٨٢٥ م طرقا هندسية وجبرية لحـل معادلات الدرجة الأولى والثانية ما كان منها ذا مجهول أو مجهولين[٨٥] ».

ومن علمـاء العرب ايضا الذين لهم فضل على الغرب فى علم الجبر « أبو بكر محمد بن حسن الكرخى » وقـد ألف كتابين « الفخرى فى الجبر والمقـابلة » وكتاب « الكافى فى الحساب » أما فى الهندسة وعلم المثلثات فقـد ترجم العرب كتاب أقليدس فى الهندسة ، هـذه الترجمة العربية هى التى نقلها الأوروبيون الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر كما أن العرب هم الذين ادخلوا المماس الى علم حساب المثلثات[٨٦] . كذلك أقام العرب الجيوب مقام الأوتار وحلوا المعـادلات المكعبة ، وتعمقوا فى أبحاث المخروطات . كذلك اهتم العرب بعلم الميكانيكا حتى اننا نجـد الطـوسى المتوفى سنة ١٢٧١ م يترجم « الـكرة » المتحركة « لأوطالوقلس » وقـد تعمـق العرب فى هذه المعـلومات حتى يرى بعض العـلماء الأوربيين أنهم اخترعوا رقاص السـاعة واستعملوا البندول فى قياس الوقت[٨٧] .

وكان نصر الدين الطوسى أول من شـك فى قياس هندسة أقليدس ويجب ان يعتبر الرائد القديم للوبتشفسكى دريمان فى الهندسة اللااقليمية[٨٨] . ويعترف ابن القفطى بفضـل ابن الهيثم فى الهندسـة » فيقول : « انه صاحب التصانيف والتآليف فى علم الهندسـة كان عالمـا بهـذا الشأن ، متقنا لـه ، متقننا فيه قيما بغـوامضه ومعانيه ، مشاركا فى علوم الأوائل أخـذ عنه الناس واستفادوا »[٨٩] .

ومن علماء العرب من وضـع مصنفات فى الرياضيات ولا سيما فى الهندسـة تدل على استقلال فى التفكير على أنهم سلكوا طرقا لم يسلكها المتقـدمون فقـد وضع « ابن الهيثم » كتاب الجامع فى أصول الحساب ويقول عنه بلفظه : « واستخرجت أصوله بجميع انواع الحساب من أوضاع « أقليدس » فى اصول الهندسة والعـدد ،

---

(٨٥) المرجع نفسه ص ٦٣ .

(٨٦) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : فضل العرب على الحضارة الأوروبية ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٨٧) المرجع نفسه ص ٣٦ ، ٣٨ .

(٨٨) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٥ .

(٨٩) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٤ .

وجعلت السلوك فى استخراج المسائل الحسابية بجهتى التحليل الهندسى والتقدير العددى ، وعدلت فيه عن أوضاع الجبريين والفاظهم »(٩٠) .

وألف محمد البغدادى رسالة موضوعها تقسيم المستقيم الى اجزاء متناسبة مع اعداد مفروضة برسم مستقيم ، وهى اثنتان وعشرون قضية سبع فى المثلث ، وتسع فى المربع ، وست فى المخمس . ولقد طبق العرب الهندسة على المنطق ، وألف و « أبو لونيوس » ، ونوعت فيه الأطوال وقسمتها وبرهنت عليها ببراهين نظمتها من الأمور التعليمية والمنطقية(٩١) .

وعلى وجه العموم يمكننا فى شىء من الاطمئنان أن نعزو تقدم العلوم الرياضية فى العصر العباسى للأسباب التالية :

١ ـ انتشار المذهب الشيعى الذى احتضنه الايرانيون لكى تبرز الشخصية الايرانية على مسرح الحضارة الاسلامية ، بفضل قوة تقاليدها التى تتصف بصفة الاستمرار والاتصال بكبرياء الماضى حيث عصر الأكمينين ثم عصر الساسانيين ، ثم جاء الفردوسى الشاعر العظيم فأحيا فى الشاهنامة أمجاد ايران الغابرة ، مما مهد للحركة الشعوبية المناهضة للعرب وكان من أنصارها ابن المقفع .

٢ ـ ظهور دويلات حربية يقودها عسكريون أميون من أصل تركى قبلى فى الأطراف الشمالية الشرقية من ايران والزم ما يلزم لهؤلاء الأمراء فى الفلك والرياضيات والتنجيم وحكماء فى الطب يستعينون بهم فى فتوحاتهم تماما مثل ما فى حملة الماريشال مونتجمرى عند الهجوم على العلمين فى الحرب العالمية الثانية حيث استعان بأكبر علماء الرياضة الانجليز لكى يحسبوا له خطوات الاحتمالات المختلفة(٩٢) .

وقد تمكن المسلمون من تطوير معارف كثيرة خاصة بهم فى حقل الرياضيات وغيرها . وكانت لهم فتوحات علمية رفعت العلوم الى مستوى يعلو بكثير عن المستوى الذى رفعها اليه الاغريق .. فكان هذا على وجهه الخصوص فى علمى الجبر

---

(٩٠) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٨٩ .

(٩١) ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ٩٣ .

(٩٢) أبو الريحان البيرونى : (استخراج الأوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى فيها) مخطوط ، تحقيق احمد سعيد الدمرداش (الدار المصرية للتاليف والترجمة ـ القاهرة ١٩٦٥ م) ص ١٥ ، ١٦ .

وحساب المثلثات اللذين كانا من ابتكارهم ولم تقتصر مآثر المسلمين على الرياضيات بل تجاوزتها الى غيرها مثل الطب والجغرافيـــا والكيمياء والفيزياء والصـــيدلة والزراعـــــة(٩٣) .

ولا ادل على أثر العرب فى الرياضيات من أن البابا كانَ يحسب بالعربية حيث تقول المستشرقة الألمانية زغريد هونكه : « عندما ارتقى جربرت كرسى البابوية ليصبح البابا سلفستروس الثانى ، كسب ذلك الرجل ـــ دون معاصريه ـــ عن العرب شيئا مهما ، لقـــد كان جربرت يحسب الأرقام التسعة التى تعلمها عن العرب على الحدود الأسبانية . فكان بذلك اول رجل فى الغرب تعلم تلك الأرقام واستخدمها»(٩٤) .

وتقول هـــونكه أيضا : « ان علم الجبر لا يزال حتى اليوم يحتفظ بطابع عربى ، ويعتبر العرب المؤسسين الحقيقيين لعلم المثلثات وهـــذا ميدان لم يخضـــه الاغريق البتة ، ولم يعرفوا عنه شيئا ، ولقـــد تابع الأوروبيون تطـــويرهم لهـــذا العلم على أساس ما ورثوه عن العرب أكثر ممـــا ورثوه عن ديكارت ذاته . كذلك فان الغرب أخـــذ عن العرب فن الحساب فى السدس وأعشاره وتقسيم الدائرة الى ســـــتين جـــــزءا »(٩٥) .

والحقيقة التى لا مرية فيهـــا أن العرب قبـــل غيرهم من العلمـــاء بمئات السنين وعلى وجـــه التحـــديد بسبعمائة ســـنة ، وقبـــل أن يوجـــد انجليزى أو المـــانى حسابهما الغربى ، قـــد وفقوا الى القيام بسلسلة من التحقيقات الكبيرة الهـــامة فى العلوم والرياضيات . وانه ليس من المستبعد جـــدا أن تكون نظرية الفارابى ونظرية ابن سينا فى الأحجام المتناهية الصغيرة هى التى أمدت العـــلماء الغربيين فيها بعـــد وعبر القرون بنظرياتهم فى الـــذرة(٩٦) .

كما ان العالم مدين بعلم الجبر للمـــأمون فى مقـــدمة « كتاب الجبر والمقـــابلة » للخـــــوارزمى .

ان المـــأمون هـــو الذى اقترح عليه ايجاد وسيلة يسيرة يستعين بها التجار

---

(٩٣) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٢١

(٩٤) زغريد هـــونكه : أثر الحضارة العربية فى أوروبا ص ٨١ .

(٩٥) المرجـــع نفســـه ص ١٥٩ ، ١٦١ .

(٩٦) المرجـــع نفســـه ص ١٦٣ .

على اعـــداد قـــوائم بضـــائعهم واستخراج اثمانها وأرباحها . ويبدو أن الخوارزمى لمـــا فعل ما اقترحة المـــأمون عليه . وجـــد أن يبسط الطريقة المنطقية التى وصل بها الى الوسيلة العملية لخـــدمة التجار . وفضل المـــأمون فى حث الخـــوارزمى على وضـــع كتابه الجبر والمقابلة(٩٧) .

قال فيليب حتى : « كان الخوارزمى من أفضل العقول العلمية من المسلمين ، وهـــو بلا شك الرجـــل الذى أثر أبلغ التأثير فى الفـــكر الرياضى طيـــلة العصـــور الوسطى »(٩٨) . فان المسلمين لم يقتصروا على ابتداع الجبر ، وهـــو الأداة الأساسية للتحليل العلمى بل وضعوا كذلك قواعـــد للطرق المطبقة والأبحاث التجريبية الحـــديثة باستخدام نماذج رياضية .. وكما كان أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمى مؤسسا لمدرسة الرياضيات فى بغـــداد فان بحوث الرياضيات العربية وبحوث العصـــور الوسطى المبكرة اعتمدت الى حـــد كبير على رسالته فى علم الجبر(٩٩) .

ومن ابرز علماء الرياضة فى بغـــداد أبناء موسى بن شاكر ، وقـــد شـــجعهم المـــأمون وقربهم اليه ، ولهم ابحاث فى الميكانيكا ، كما الفوا فى مراكز النقـــل وكتبوا فى الآلات(١٠٠) .

يقول د. حسن الأشمونى فى كتابه : (أثر الترجمة فى حضارة العرب) ما يلى : « نشأ بفضل العلوم المنقولة طائفة من الأطباء والفلكيين والرياضيين استغلوا بحوثهم فوصلوا الى مرتبة النبوغ فى علوم شتى منهم بنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن أشهر رياضيى هـــذا العصر ، وأول من الف فى علم الحيل والآلات والميكانيـــكا من المســـــلمين »(١٠١) .

أما الأخ الثالث الحسن ، كما روى أحـــدهم ، فقـــد كان بارعا فى علم الهندسة موهـــوبا تربع دهره ، يشهد بذلك جميع الذين عرفوه ، فلمسوا فيه نبـــوغا خارقا ، والفـــوا عنده ذاكرة نادرة ومخيلة قـــوية كانت تمكنه دوما من حـــل المســـــائل

(٩٧) د. عمر فروخ : المأمون ومكانته فى السياسة والفكر والعلم - مجلة الباحث بيروت - لبنان - عـ ٢٢ ، ١٩٨٢ م ص ٢٠ .

(٩٨) فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٤٦٣ .

(٩٩) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٦٨ .

(١٠٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٤ ص ٢٤٨ .

(١٠١) زغريد هونكه : أثر الحضارة العربية فى أوروبا « شمس العرب تسطع فى الغرب » ص ١٨٧ .

المستعصية التى لم يتمكن من حلها القدامى ، لقد وصف نفسه قائلا : « وكلما كنت اغوص باحثا عن حل لمعضلة تشغل بالى كنت احس كأن العالم فى وجهى واصابنى شعور بالاغماء ، أو كأنى مستغرق فى حلم »(١٠٢) .

ومن الأعمال التى حققها الحسن بنفسه ، دون الاشتراك مع اخويه كتاب فى تطلع المستديرات وهو ايضا موحد الشكل البيضوى « الاهليلجى » فى هندسة الحدائق(١٠٣) . فقد كان ثابت بن قرة من الذين تعددت نواحى عبقريتهم ، فنبغ فى الطب والرياضيات والفلك والفلسفة ووضع فى هذه كلها وغيرها مؤلفات جليلة ودرس العلم للعلم ، وشعر باللذة العقلية ، فراح يطلبها فى الرياضيات والفلك فقطع فيها شوطا بعيدا واضاف اليها ، ومهد الى ايجاد فرع من فروع الرياضيات « التكامل والتفاضل »(١٠٤) lcaluculs واشتهر ثابت بن قرة كأستاذ للفلسفة والرياضيات ونجح فى تطبيق النظريات الجبرية للهندسة . ولذا سمى أبا الهندسة التحليلية كما اعتبر مؤسسها وأعظم عالم هندسى فى القرون الوسطى ، كما توصل ثابت بن قرة الى حجم الجسم المكافىء ومن هنا يعده كثير من الرياضيين مبتكر علم التفاضل والتكامل(١٠٥) .

كتب البروفيسير ديفيد سميث فى كتابه « تاريخ الرياضيات » المجلد الثانى « ان ثابت بن قرة صاحب الفضل فى اكتشاف علم التفاضل والتكامل حيث أوجد حجم الجسم المكافىء وذلك فى عام ٢٥٦ هـ/ ٨٧٠ م — » ومن المعروف أن علم التفاضل والتكامل اعان على حل عدد كبير من المسائل الصعبة والعمليات الملتوية — كما أضاف الأستاذ « موسى بول » فى كتابه « ملخص تاريخ الرياضيات » : « فى تقديرى ان ثابت بن قرة مناط العبقرية فلم يترك علما من العلوم الا ترجمه — وكتب كتبا عديدة ، ولكنها للأسف فقدت كلها ما عدا جزءا من الجبر ناقش فيه معادلات الدرجة الثالثة(١٠٦) .

وهكذا توارث آل قرة العلم عن ثابت وكان منهم ابنه : أبو سعيد بن سنان ، وكان منهم حفدته : ابراهيم بن ثابت وأبو الحسن بن ثابت بن اسحاق ابو الفرج وهؤلاء

---

(١٠٢) المرجع نفسه ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

(١٠٣) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

(١٠٤) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٩٥ .

(١٠٥) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٦٤ .

(١٠٦) المرجع نفسه ص ٦٥ .

نبغـوا فى الرياضيات والفلك والطب ، فقـد كان منهم الطبيب والعالم والفيلسوف والمهندس ــ سلك مسلك جـده فى الطب والهندسة وجميع الصناعات الرياضـية للقـدماء ــ وله تصانيف فى التاريخ(١٠٧) .

كما كان ابو يعقوب بن اسحاق الكندى قـد نبغ فى المرتبة الأولى فى الرياضيات والفلسفة والطبيعية ويرى أن الانسـان لا يكون فيلسوفا الا اذا درس الرياضيات المركبـة وللكندى نظريات فلسفية تتعلق بالله والنفس والعقل والعالم . فيرى أن كل ما يقـع فى الكون يرتبط بعضه ببعض ارتباط علة بمعلول والى العقل مرد كل شىء والمـادة تتخـذ الصورة التى يشاء العقل أفاضتها عليها(١٠٨) ولقـد كان للكنـدى الكثير من التلاميذ الذين استفادوا من مصـنفاته فى الرياضـيات وأحكام النجـوم والجغرافيـا والطـب .

وهناك فى القرن الثالث الهجرى ولـد « الدينورى » هـو أحمد ابو حنيفة بن داوود من أهـل الدينـور(١٠٩) وقـد توفى حـوالى سـنة ٢٨٢ هـ/٨٩٥ م كان الدينـورى من النابغـين الذين اشتهروا فى الهندسة والحساب والأدب والفـلك والنبات . أما ابو عبد الله البتانى فهـو من علماء القرن العاشر للميلاد وأحـد الذين اشتغلوا بالفـلك والرياضيات ، وقـد أسـدى أجـل الخـدمات ، ويعدم الكثيرون من عباقرة العالم من الذين وضعوا نظريات هامة ، وأضافوا بحـوثا مبتكرة فى الفلك والجبر والمثلثات ، ونظرة الى مؤلفاته وأزياجـه تبين خصب القريحة ، وترسم لك صورة عن عقليته الجبارة(١١٠) .

وسماه بعض الباحثين « بطليموس العرب » وقال عنه « سارطون » : « انه من أعظم علماء عصره ، وانبغ علماء العرب فى الفلك والرياضيات » وهـو الذى اهتدى الى فكرة من اسـتبدال أوتار الأقـواس التى استخدمها اليونانيـون فى حسـاباتت مثلثاتهم ، بنصف وتر ضعف القـوس أى بجيب الزاوية . ويقول م. تشارلس : « أن البتانى كان أول من استخدم فى مؤلفاته جيب « وجيب تمـام » واستعمله فى حسابات المزولة وأسماه « الظـل الممتد » وهـو ما نسميه فى حساب المثلثات الحـديث « بالظـل »(١١١) .

---

(١٠٧) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ١ ص ١٠١ .

(١٠٨) دى ديور : تاريخ الفلسفة فى الاسـلام ص ١٤٣ .

(١٠٩) ابن النـديم : الفهرسـت ص ١١٦ .

(١١٠) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٤١ .

(١١١) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٥ .

وكان البوزجانى من علماء القرن العاشر للميلاد ومن أعظم علماء الرياضة عند العرب ومن الذين لهم فضل كبير فى تقدم العلوم الرياضية وهو محمد بن محمد ابن يحيى بن اسماعيل بن العباس أبو الوفا البوزجانى (الحاسب) . ولد فى « بوزجان » وهى بلدة صغيرة واقعة بين « هراة » و « نيسابور »[١١٢] . وقرأ على عمه المعروف بأبى عمر المغازلى وخاله المعروف بأبى عبد الله محمد بن عبده ، وقرأ أبو عمرو الهندسة على « أبى يحيى الماوردى » وأبى العلاء ابن كرنيب[١١٣] . ولما بلغ من العمر العشرين انتقل الى بغداد حيث فاضت قريحته ولمع اسمه ، وظهر للناس انتاجه فى كتبه ورسائله ، وشروحه لمؤلفات « أقليدس » و « ديوفنطس » والخوارزمى .

ويذكر القفطى[١١٤] : « انه لم يزل مقيما فى بغداد حتى توفى سنة ٣٨٨ هـ فكان ابو الوفا احد الأئمة المعدودين فى علمى الفلك والرياضيات وله فيهما مؤلفات قيمة ، وقد اعترف علماء الغرب بأنه من أشهر الذين برعوا فى الهندسة ، وله فيه — أى فى علم الهندسة — استخراجات غريبة لم يسبق اليها ، وكذلك استخراج الأوتار تصنيف جيد نافع » أما أبو القاسم على بن أحمد المجتبى الأنطاكى من مشاهير مهندسى القرن الرابع للهجرة ورياضييهم فقد ولد فى أنطاكية وتوطن بغداد[١١٥] كان من المقدمين لدى عضد الدولة بن بويه اشتهر بفصاحة اللسان وعذوبة البيان واذا سئل أبان وأتى بالمعانى الحسان[١١٦] ، هذا الى توقد ذهن وحضور بديهة ، مما جعل الرؤساء والحكماء يجلونه ويكثرون دعوتهم اياه الى مجالسهم الخاصة .

وهناك ابو النصر الكلوازى هو « محمد بن عبد الله » من « كلواذ » قرب « مدينة السلام » ويسمى « بالبغدادى » لأنه عاش أكثر حياته فى بغداد من رياضيى القرن الرابع للهجرة ومشاهير محاسبيه . وكان أبو الرشيد الرازى هو معشر بن أحمد بن على بن أحمد بن عمرو أبو الرشيد الحاسب الملقب بالبرهان رازى الأصل بغدادى المولد والدار ، اشتغل بالرياضيات وبرع فيها . ولا سيما فى الحساب ، وخواص الاعداد والجبر والمقابلة ، وقسمة التركات ، عدا المامه بسائر فروع

(١١٢) ياقوت الحموى : (**معجم البلدان**) (مطبعة السعادة — القاهرة ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦ م) جـ ١ ص ٣٠٢ .

(١١٣) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٤ .

(١١٤) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٨٩ .

(١١٥) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٥ .

(١١٦) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٥٧ .

المعرفة . قرأ عليه كثيرون وأخذوا عنه . وتميز فى أيام الخليفة الناصر لدين الله أبو العباس أحمد » وقرب منه واعتمد فى اختيار الكتب التى وصفها فانه أدخله الى خزائن الكتب بالدار الخليفية(١١٧) وتوفى سنة ٥٨٩ هـ/١١٩٣ م .

وكان كمال الدين بن يونس متبحرا فى الرياضيات والفقه عالما بأجزاء الحكمة الأخرى قد استغرق حب الكيمياء عقله ووقته . يقول ابن أبى أصيبعه : « كان كمال الدين علامة زمانه وأوحد أوانه وقدوة العلماء وسيد الحكماء ، وقد أتقن الحكمة وتميز فى سائر زمانه »(١١٨) .

برع فى الحساب ونظرية الاعداد والجبر والكيمياء والصرف والمنطق وله مؤلفات فى علم الهيئة والأسطرلاب ورسائل نفيسة فى الحكمة والمنطق والطبيعيات . ويمكن القول انه كان لبحوث كمال الدين قيمة كبرى عند علماء عصره وأثره فى تقدم العلوم .

ومن المؤسف انه لم يصلنا من نتاج كمال الدين الا القليل ، فقد ضاع أكثره أثناء الانقلابات والفتن التى حدثت فى العراق . ومن هذه المؤلفات التى تتعلق بالفقه والمنطق والنجوم وهى : « كتاب كشف المشكلات وايضاح المعضلات فى القرآن » وشرح كتاب التنبيه فى الفقه بمجلدين . كتاب مفردات ألفاظ القانون . كتاب فى الأصول ، كتاب عيون المنطق — كتاب لغز فى الحكمة . كتاب الأسرار السلطانية فى النجوم . وخلف كمال الدين أولادا أتقنوا الفقه وسائر العلوم وهم من سادات المدرسين وأفاضل المصنفين(١١٩) .

لقد اعترف له الأقدمون من العلماء والباحثين بالفضل والنبوغ فى فنون الرياضة وانواع الحساب والجبر والمقابلة والمساحة معرفة لا يشاركه فيها غيره(١٢٠) .

(١١٧) المصدر نفسه ص ١٧٧ .
(١١٨) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الاطباء جـ١ ص ٣٠٦ .
(١١٩) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٣٩٩ .
(١٢٠) المرجع نفسه ص ٣٩٦ .

خامسا – علـم الطـب :

اعتمد العباسيون على أطباء جنديسابور فى العـلاج ، فلما مرض الخليفـة المنصور ، بعث فى طلب جورجيس بن جبرائيل ، وله خبرة فى الطب ، ومعرفة بأنواع العلاج ،وقـد قـدره المنصور لأنه أحسن علاجه ، ووجـد راحة عظيمة فى جسمه ، وتخلص من الأمراض ، وجـدير بالذكر أن جورجيس نهى المنصـور عن الاسراف بالطعام ، وطلب منه تخفيف الغـذاء ، وترجم هـذا الطبيب للمنصور بعض الكتب الطبية ، واعتمد على أطباء غيره من السريان[١٢١] .

ونبغ فى بغـداد أطباء من أصـل سريانى نخص بالذكر منهم يوحنا بن ماسويه ، ولاه الرشيد ترجمة الكتب الطبية القـديمة ، ولـه تصانيف قيمة ، وكان يجتمـع اليـه تلاميذ كثيرون[١٢٢] . ومن أطبـاء بغـداد سـهل بن سـابور وجبرائيل الكحـال[١٢٣] .

وحيث دخل الطب العربى مرحلة جـديدة من التقـدم فى عهد الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور فقـد أخـذ أطباء جنديسابور ورعاهم رعاية مكنتهم من ادخال الترجمة اليونانية الأمر الذى جعل من بغـداد قبلة أنظار أساتذة الطب من جنديسابور وغيرها . وكان أول هؤلاء الطبيب جورجيس رئيس أطباء جنديسابور الذى استقدمه المنصور لمعالجته[١٢٤] . حيث أنزله منزلة كبيرة وأكرمه وأمر بأن يجاب الى كل ما طلب وما يطلب ، وبفضل ذلك استطاع جورجيس أن يشكل مع الوافـدين من الأطباء الى بغـداد نواة علم الطب العربى حيث انتقل العلم من جنديسابور الى بغـداد . وعندما تولى الهادى الحكم جلب جورجيس ابنه جبرائيل بن بختيشوع[١٢٥] .

على أن أسرة بختيشوع قـد نبغ أفرادها فى علم الطب ، واعتمدت عليهم بغـداداعتمادا كبيرا لسعة ثقافتهم فلما مرض الخليفة الهادى أرسل الى جنديسابور باستدعاء بختيشوع ، لكن الهادى توفى قبل مقـدم هـذا الطبيب ، على انه عالج

---

(١٢١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ٢ ص ١٢٤ .

(١٢٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٦ .

(١٢٣) المصدر نفسه ص ٢٤٣ .

(١٢٤) هاشم الرازى : (**تاريخ الطب فى العراق**) ، مجلة المؤرخ العـربى – بغـداد – العراق عـ ٦ (١٩٨ م) ص ٣٧ .

(١٢٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ١٣٣ .

الرشيد ولاحظ دقته وبراعته ، وخلع عليه خلعة حسنة جليلة ، ووهب لــه مالا وافرا وعين بختيشوع رئيسا للأطباء ، وله كتب منها « التذكرة »[١٣٦] . اما جبرائيل ابن بختيشوع فكان مشهورا بالفضل جيد المــداواة ، عالى الهمة حظيا لدى الخلفاء حصل من الخلفاء من الأموال ما لم يحصله غيره من الأطباء وجعله الرشيد رئيســا للأطبــاء فى بغــداد .

وبلغ من تقــديره له أن قال : كل من كانت لــه حاجة فليخاطب بها جبرائيل لأنى افعل كل ما يشاء ، وكان رجال الدولة يقصــدونه فى كل أمورهم[١٣٧] . لأنه احسن علاج الرشيد ووزرائه وخاصته ، وكان الأمين لا يأكل ولا يشرب الا باذنه ، واجزل لــه علاجه ، ولمــا سمح لجبرائيل بعلاج المــأمون شخص مرضه ، ووصف له دواء شفى به ورد اليه الأموال التى صادرها منه ، وبالغ فى اكرامه ، ولمــا مرض جبرائيل طلب منه المــأمون أن ينفــذ اليه ابنه بختيشوع لعلاجه ، ولمــا قــدم على المــأمون والتمس فيه سعة العلم بالغ فى اكرامه ورفع منزلته[١٣٨] .

والخلاصة أن آل جورجيس من الأطباء أجــل أهــل زمانهم بمــا خصهم الله من ترف النفوس ونبــل الهمم ومن البر والمعروف والأفضــال والصــدقات وتفقــد المرضى من الفقراء والمساكين والأخــذ بيد المنكوبين .

ومن أبرز المهن التى عمل بهــا أهــل الذمة فى بغــداد ــ لا سيما النصارى ــ مهنة الطب ، فقــد برعوا فى تشخيص الأمراض ووصف العلاج الناجع لهــا ونقلوا الكتب الطبية من اللغة اليونانية الى العربية ، وانكبوا على دراستها واضافة الجديد لهــا مما يتمشى مــع خلاصة تجاربهم وقراءاتهم ، ومن أشــهرهم جورجيس بن بختيشــــوع[١٢٩] .

ودخل ابنــه جبرائيل فى خدمة البرامكة ، ومما يجــدر ذكره أن جبرائل هذا عالج الأمين والمــأمون ، وكانت رواتبه سبعمائة الف واربعة وثلاثين درهما ســنويا واخص ما ربحــه من الرشيد فكان ثلاثمائة الف وثمانين مليونا من الدراهم[١٣٠] .

---

(١٢٦) المصــدر نفســه جـ ٢ ص ١٢٤ .
(١٢٧) المصــدر نفسـه جـ ٢ ص ١٢٦ .
(١٢٨) المصــدر نفســه جـ ٢ ص ٢١٣ .
(١٢٩) Hitti : History of the Arabs, p. 360.
(١٣٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٦ .

مما ادى الى تنافس بعض الأطباء على الامتيازات والتقرب من رجال الحكم واستأثرت أسرة بختيشوع بخيرات الخلفاء . وكان منهم يوحنا بن ماسويه الذى ترعرع فى كنف الرشيد ونبغ فى الترجمة حيث ولاه الخليفة أمانة الترجمة(١٣١) . وامتدت خدماته الى خلافة الأمين والمأمون وكانت الامتيازات التى حصل عليها سببا فى افساد ذمته فأخذ يتدخل فى الأمور السياسية الى حد أن تواطأ مع المعتصم(١٣٢) .

ومن اساتذة الطب فى عهد الرشيد يوحنا بن ماسويه النصرانى السريانى ، كان موضع تقدير الناس فى بغداد ، وله مصنفات قيمة ، وكان يعقد مجالس علمية يتناول فيها خلاصة معرفته ، وقد وفد اليه طلاب العلم للاستفادة من علمه والاستزادة من معرفته(١٣٣) . كما عالج بختيشوع بن جبرائيل المأمون والمعتصم والواثق(١٣٤) ، وجالسهم ونادمهم ونال منهم العطايا السنية وصنف كتبا فى الطب . ومن أبرز الأطباء النصارى فى بغداد سهل بن سابور ، ومن أطباء المأمون جبريل الكحال ، فكان يتقاضى مرتبا شهريا قدره الفا درهم . وكان أول من يدخل اليه فى كل يوم(١٣٥) ، وكان سلمويه عالما بصناعة الطب وعالج المعتصم فى مرضه .

أما خلفاء العباسيين فقد كرموا أطباء أسرة بختيشوع الفارسية الأصل ، كما اشتهر منهم أيضا كثير من الأطباء غير المسلمين : أمثال حنين بن اسحاق ، ويوحنا ابن ماسويه ، وقد عرف العرب نظاما للمؤتمرات الطبية حيث كانت تعقد الاجتماعات فى بيت الحكمة ببغداد وهى التى رعاها المأمون أو دار الحكمة فى القاهرة التى انشأها الحاكم بأمر الله وكان على الطلبة والعلماء أن يحضروا الى تلك الدور من شتى بقاع الأرض لحضور تلك الاجتماعات فى مجال التأليف العلمى والتزم أغلب الأطباء العرب منهجية فى كتاباتهم بالحرص على ذكر مصادر من سبقوهم(١٣٦) .

---

(١٣١) د. خالد ناجى : (**الطب عند الرازى**) مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق عـ ٦ (١٩٨١ م) ص ٣٨ .

(١٣٢) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٢ .

(١٣٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٧١ ، ٧٢ .

(١٣٤) المصدر نفسه ص ٩٩ ، ١٠٠ .

(١٣٥) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٣٩ .

(١٣٦) د. مرسى محمد عرب : (**التراث الطبى العربى بين الأصالة والتجديد**) مجلة المؤرخ العربى - بغداد - العراق عـ ٩ (١٩٧٨ م) ص ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ .

اقام يوحنا بن ماسويه مستشفى فى بغـــداد كذلك جعله الخليفـــة المـــأمون رئيسا لبيت الحكمة(١٣٧) ، وقـــد تمكن من تحقيق مآربه عندما أصيب المـــأمون فى رقبته وهـــو فى طرطوس فقـــد أمر يوحنا تلامذته أن يفتح الخراج فى رقبته قبـــل نضوجها ، ورغم تمنع التلميذ قال لـــه : امض وافتحها كما أقـــول ولا تراجعنى وهكذا أدت العملية بهـــذا الشكل الى وفاة المـــأمون(١٣٨) .

ان المـــال والحظوة مسخا ابن ماسويه وجعلا منه انسانا عـــديم الدين فقـــد خان الأمانة ولم يدانيه بذلك عاقل أو يركن اليـــه حازم . حتى أن الناس أخـــذت تقـــول أن هؤلاء القوم من جنديسابور أخـــذوا يعتقدون أنهم وحـــدهم أهل لهـــذا العلم ، ويعملون على أن لا يتسرب الى غير أبنـــائهم وذويهم وقـــد تعصبوا كثيرا لأبناء جنســـــــهم(١٣٩) .

حتى أنه عندما قـــدم حنين بن اسحاق من الحيرة لدراسة الطب فى بغـــداد ، سعى يوحنا الى مضايقته واغلاق أبواب التحصيل بوجهه وحـــدث أن ســـأل حنين يوحنا عن بعض ما يقرأ وكان حنين شـــديد الانتباه كثير المطالعة فشعر يوحنا ببعض الاحراج فأمر باخراجه ومنعه من حضور مجلسه وهـــو يقول : « ما لأهـــل الحيرة من دراية بأمور الطب وصناعته فخرج حنين مكروبا ورحـــل بعـــدها الى بلاد الروم لطلب العـــلم »(١٤٠) .

ان صيرورة الطب عند حنين بن اسحاق الذى ولـــد فى الحيرة من قبيلة عبـــاد العربية النصرانية ، اشتهر بنقـــل الكتب اليـــونانية الى السريانية والعربيـــة ومن مؤلفـــاته : « المدخـــل فى الطب » وغيره ممـــا ترجمه عن أفلاطون وأرسطو وأبو قراط وجالينـــــوس .

لكن الطب اذا ما أصـــبح نوعا من التجارة وخضع للأهـــواء السياسية ، فقـــد اثار بلبلة واسعة فى هـــذا الوسط حيث تصـــدى للمعالجة والتحصيل والترجمـــة أشخاص ليسوا مؤهلـــين وهم أقرب الى الاحتراف منهم الى العلم ولم تكن للطب

---

(١٣٧) د. النمحات زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٨٦ .

(١٣٨) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٨٢ .

(١٤٩) المصـــدر نفســـه ص ١٥٨ ، ١٩١ .

(١٤٠) براون ، ادوارد جـورج : (**الطب العربى**) ترجمة د. داوود سلیمان على (مطبعة العانى - بغـداد - العراق ١٩٦٤ م) ص ٣٨ .

قواعــد معينة تحكم تحصيله وممارسته ولم يكن هنــاك امتحان للأطبــاء يجيز لهم ممارســة المهنة زمن الخليفة المقتدر(١٤١) .

لذلك عمل الخليفة المــأمون الذى أراد أن يجعــل الطب عربيا أصيلا على أن يكون من بين العرب مترجمون ينقلون الطب والعلم والفلسفة من اليونانية الى العربية مباشرة . وكان على رأس هؤلاء جميعا شيخ تراجمة العصر العباسى بل ومترجم العرب الأكبر حنين بن اسحاق الذى قام مع غيره من التراجمة كثابت بن قرة وابنــه سنان بترجمة كتب الطب اليونانية الى اللغة العربية ترجمة متقنة دقيقة(١٤٢) .

هــذا . وقــد كان لحنين مؤلفات طبية أشهرها عشر مقالات فى طب العيــون ـ كما كتب غيره من أولئك التراجمة كتبا طبية أخرى ، غير أنهم جميعا قلمــا أتوا بجــديد فى الكتابات اذ أنهم قــد اقتبسوا عن اليونان أكثر ما كتبوا فيها . وفيــه استقر علم الطب فى أذهان العرب وازدهر ازدهارا بالغا ونبغ فيه الكثيرون(١٤٣) .

ووجــد الخليفة المــأمون مدرسة للحكماء فى بغــداد حيث ظلت ترجمة الآثار اليــونانية ودراستها متواصلة باشــد ما يمكن من النشاط والعزم ولعب الطبيب النسطورى حنين بن اسحاق العبادى فى ميدان الترجمة دورا هاما وأسرته ، ولم يشتغل فى بغــداد وحــدها بل سار الى ســوريا وفلسطين وهــو فى طريقه الى الاسكندرية ليقف على كل وعى العالم القــديم من الطب ويوسع معارفه العلميــة باللغــة اليــونانية(١٤٤) .

ويقول كارل بروكلمان : « وفى بغــداد التقى الطب اليونانى بالطب الهنــدى على صعيد واحــد ، فقد سبق لهارون الرشيد نفسه أن استدعى الطبيب الهندى « منكه » الى بغــداد ، كما سبق للبرامكة أن أمروا بنقــل بعض كتب الطب الهندية الى اللغــة العربيــة(١٤٥) .

---

(١٤١) اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن واضح : (**كتــاب البلــدان**) . تحقيق دى غـوية (لندن ، بريل ١٨٩٢ م) . ص ٤٦ .

(١٤٢) د. حسن أحمد ابراهيم : (**العرب واثراء الدراسات الطبية**) . مجلة المؤرخ العربى ـ بغــداد ـ العراق (١٩٨١ م) ص ١٤٥ .

(١٤٣)المرجــع نفسه ص ١٤٦ .

(١٤٤) أرنولد ، سيرتوماس وآخرون : تراث الاسلام جـ ٣ ص ٣٦٥ .

(١٤٥) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الاسلامية جـ ٢ ص ٣٩ .

ويقول القفطى فى اخبار الحكماء : « والهند هم الأمة الأولى كثيرة العــدد فخمة الممالك قــد اعترف لهــا بالحكمة واقر بالتبريز فى فنون المعرفة ــ كل الملل السالفة ــ وكان الصين يسمون ملك الهند ملك الحكمة لفرط عنايتهم بالعلوم ـــ فكان الهند عند جميع الأمم معــدن الحكمة وينبوع العــدل والسياسة(١٤٦) .

لم يكن الدور الذى قامت به الثقــافة الهندية فى تغــذية العقلية العربية وبناء الفكر الاسلامى بأقــل خطرا من الدور الذى قامت به الثقافة الفارسية ، فقــد كان للهنود من قــديم الزمان علم وحكمة وفلسفة ومعرفة واسعة بالحساب والرياضــة والفلك والتنجيم والطب كما كان لهم آداب وقصص وفنون مختلفة وحرف كثيرة ؛ وقــد عرف المؤرخون فى الشرق والغرب هـــذه الثقافة الواسعة التى اشتهر بهــا الهنود فأشادوا وتحــدثوا عنها ، فيقول « دييــور » : « الهند تعــد بلاد الحكمــة على الحقيقة ـــ وكثيرا ما يقول العرب فى كتبهم أنها مهد الفلسفة »(١٤٧) .

نخلص من ذلك الى أن بغــداد أصبح لدى علمائها مادة غزيرة فى الطب ، وقــد شجع الخلفاء العباسيون الأطبــاء على تأدية رسالتهم الانسانية فمنحوهم الرواتب الكثيرة وكافأوهم احسن مكافأة كمــا شجعوهم على الترجمــة والتصنيف وأسسوا المدارس الطبية والبيمارستانات من بينها بيمارستان لعلاج مكفوفى البصر ، ومصحة للمصابين بأمراض عقلية وكان بيت الحكمة مزودا بالكتب الطبية القيمة(١٤٨) .

كما جمعت المخطوطات الكثيرة التى خلفتها الحضــارات الهندية والفارســية والسريانية واليــونانية وحفظت فى مكتبة بيت الحكمــة كمؤسسة علمية وجامعــة اســـلامية(١٤٩) .

قام العرب أيضا بانشاء المستوصفات المتنقلة المحمولة بين القرى والى جانبهــا مستوصفات خاصة بالسجون ، وفى عام ٩٢٣ م أقام الوزير ابن الفرات فى بغــداد عيادة جامعة على نفقته الخاصة وخصصها للموظفين العاملين تحت امرته ، ولم يكن تأسيس المستشفيات وقفا على الخلفاء والسلاطين أو الرجال الأغنياء ، وانما دأب

---

(١٤٦) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء : ص ٢٦٦ .

(١٤٧) دييور : تاريخ الفلسفة فى الاســلام ص ١٢ .

(١٤٨) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩١ .

(١٤٩) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٢٧ .

ايضا على تأسيسها الأطباء أمثال سنان بن ثابت وثابت بن سنان بن ثابت بن قرة وحفيــده[١٥٠] .

ومـــا يذكر ان المستشفيات عند العرب كانت من نوعين أحــدهما : خاص ببعض الأمراض المعــدية وهــو النوع المتنقل حسب ظروف الأمراض والأوبئـــة وانتشارها . وثانيهما : المستشفى العام لجميع الأمراض وكلا النوعين مقسم الى قسمين رئيسيين : وأحــد للرجال والآخر للنساء[١٥١] .

لقــد برع أطباء العرب المسلمين فى علم الطب حتى ظلت مؤلفاتهم تستعمل فى جامعات العالم قرونا عــديدة ، وتقــدموا على من سبقهم من الأمم فى كل علم من علم الجراحة وطب الأطفال وانشأوا المستشفيات وقننوا نظمها .

تقول زغريد هــونكه فى كتابها « شمس العرب تسطع على الغرب » قبــل ٦٠٠ عام كان لكلية الطب الفارسية أصغر مكتبة فى العالم فلا تحتوى الا على مؤلف واحــد ، وهــذا المؤلف كان لعربى كبير (أبى بكر الرازى) وكان هــذا الأثر العظيم ذا قيمة كبيرة بدليل ان ملك المسيحية لويس الحادى عشر اضطر الى دفــع اثنى عشر ماركا من الفضة ومائة تالر من الذهب الخالص لقــاء استعارة هــذا الكنز الغالى رغبة منه فى أن ينسخ له اطباؤه نسخة منه يرجعون اليها اذا ما هــدد مرض أو دواء صــحته وصــحة عائلتــه »[١٥٢] .

يقول ف. بارثولد : « كان للمسلمين طريق آخر غير بيزنطة لتلقى العـــلوم اليونانية ، وهــو مدرســة الطب التى بجنديسابور والتى بقيت قرونا عــدة بعــد فتــح المســلمين »[١٥٣] .

ويقول خودابخش : « رغم سقوط الدولة الفارسية ، فقد استمرت الاكاديمية فى نشاطها طــوال ثلاثة قرون انقضت على نهــاية الساسانيين[١٥٤] . ولم يكــن

---

(١٥٠) هل ، يوسف : (**الحضارة العربية**) ترجمة د. ابراهيم أحمد العدوى (مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٥٦ م) ص ٩٨ .

(١٥١) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٢٨ .

(١٥٢) زغريد هــونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٢٥٧ .

(١٥٣) ف. بارثولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ٥٣ ترجمة حمزة طاهر .

(١٥٤) خــودابخش : الحضارة الاســلامية ص ١٥٧ .

الخليفة الواثق أقل اهتماما من أسلافه بعلم الطب ــ بل كان يكرم أهل العلم عموما ، وكان يعقد مجالس مناظراته فى فروع العلم المختلفة ومن بينها الطب . ومن مناظراته لأطبائه يتضح لنا ان الأطباء فى بغداد كانوا يعتمدون على التجربة[155] .

كذلك حذق الأطباء فى بغداد فى طب الأسنان . فقسموا الأسنان الى ٣٢ سنا منها فى اللحى الأعلى ستة عشر سنا وفى اللحى الاسفل كذلك . وتوجد قواطع أربع فى كل واحد من اللحيين عراض محددة الأطراف . ومن جنبى هذه الأربع فى كل واحد من اللحيين سنان رءوسها حادة واصولها عريضة وهى الأنياب ، وبها كسر كل ما يحتاج الى تكسيره من الأشياء الصلبة مما يؤكل . وعن جانبى النابين فى كل واحد من اللحيين خمس أسنان ، وهى الأضراس ، وتسمى الطواحين لأنها تطحن كل ما يؤكل . وكان فى بغداد أطباء للعيون[156] نذكر منهم : على بن عيسى ولد فى القرن الخامس الهجرى وهو أشهر أطباء العيون وله ٣٢ كتابا فى علم الرمد أفضلها تذكرة الكحالين وقد وصف فيها ١٣٠ مرضا من أمراض العيون ، ونقلت الى العبرية مرة والى اللاتينية مرتين[157] .

كذلك برع أهل بغداد فى علم الصيدلة ، ومن أبرز علماء الصيدلة كوهين العطار اليهودى الذى وضع كثيرا من المؤلفات منها كتاب الصيدلة ، شرح فيه العقاقير شرحا وافيا واوضح طريقة عمل المشروبات والجرعات والمساحيق والحبوب وغيرها[158] .

ومن أعظم أطباء العرب محمد بن زكريا الرازى (٢٥١ هـ/٣١٠ هـ ــ ٨٦٥ م/ ٩٢٥ م) وينسب الى مسقط رأسه[159] فهو كطبيب معالج يتمتع بخصائص ممتازة أظهرها استقاؤه أعراض المرض ، فهو يغضب غضبا شديداً عندما يخطىء ويكون خطأه راجعا الى نقص فى سؤال المريض ، كما كانت له عناية خاصة بالتشخيص

---

(١٥٥) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩٤ .

(١٥٦) المسعودى : مروج الذهب : ج ٢ ص ٣٨٦ .

(١٥٧) د. حسن الشيال : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٣ .

(١٥٨) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩٥ .

(١٥٩) ولد فى الرى من أعمال فارس جنوبى طهران ، توفى ٣١٠ هـ/٩٢٥ م قدرى حافظ طوقان . تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢١٦ .

المقارن . ولــه قول جيد فى أمراض الجهاز البولى . وهـــو أول من فرق بين الحصبة والجـــــدرى[١٦٠] .

وللطبيب الرازى العربى الرائد كلمات مأثورة فى العلاج أضاءت ولا تزال تضىء الطريق أمام الأطباء فى مشارق الأرض ومغاربها فحكمته الخالدة تقول : « مهما قدرت أن تعالج بالأغـــذية فلا تعالج بالأدوية ، ومهما قـــدرت أن تعالج بدواء منفرد فلا تعالج بدواء مركب » وحكمة أخرى أطلقها ذلك العالم الجليل : « اذا كان الطبيب عالمـــا والمريض مطيعا فما أقـــل لبث العلة » . ومن مآثره أيضا : « ينبغى للطبيب أن يوهم المريض ابدا بالصحة ويوحيه بها وان كان غير واثق بذلك فمزاج الأخـــلاق النفسى » . وقـــوله الخلاق : « ينبغى للطبيب أن لا يدع مسألة المريض عن كل ما يمكن أن تتولد عنه علته » واخيرا : « وأن من العلل ما تجتمع فى الأيام وتبرأ[١٦١] .

وأختتم الكلام عن الرازى بالقول الشائع المعروف : « كان الطب معروفا فأحياه جالينوس ، وكان الطب متفرقا فجمعه « الرازى » والرازى فى الواقع لم يقف عند الجمع بل أضاف اضافات مهمة دفعت بالبحوث الطبية والكيميائية خطوات الى الأمام ولـــه مؤلفات غير التى ذكرت فى الطب والكيمياء والصيدلة[١٦٢] .

ومن أطباء بغـــداد أيضا ابن جزله الذى اعتنق الاسلام سنة ١٠٧٤ م وتوفى ١١٠٠ م وله « تقـــويم الأبدان فى تدبير الانسان » رتبت فيه أسماء الأمراض بجداول . و « منهج البيان فيما يستعمله الانسان من العقاقير »[١٦٣] . ونقـــل الى اللاتينية فى ستراسبورغ سنة ١٩٣٢ م .

أما قسطا بن لوقا البعلبكى توفى حوالى سنة ٩١٢ م : اشتهر بصناعة الطب وبرع فى علوم أخرى ، كالفلسفة والهندسة والأعـــداد والموسيقى ، عـــدا اجادته اللغـــة اليونانية ، وقـــد ترجم منها كثيرا[١٦٤] .

---

(١٦٠) حسن احمد ابراهيم : العرب واثراء الدراسات الطبية مجلة المؤرخ العربى – بغـداد – العراق عـ ١٧ ص ١٤٥ .

(١٦١) المرجـع نفســه ص ١٥٢ .

(١٦٢) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٢١ .

(١٦٣) زغريد هـونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٧ .

(١٦٤) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٤١١ .

وابن التلميذ : عميد الأطباء فى بغـداد أهم كتبه كتاب « الأقرباذين الكبير » استعمل فى العالم العربى لعـدة قرون كـكتاب للتعليم . أما كتـابه « الأقرباذين الصغير » فقـد استخدم فى المستشفيات ، وله ١٨ مؤلفا آخر كما اهتم بالشـعر والأدب(١٦٥) .

أما سنان بن ثابت فكان طبيبا للمقتدر وقـد بلغ من عـلو منزلته أن وكل اليه المقتدر أمر امتحان الأطباء واجازاتهم ولقـد أشار سنان بفتح البيمارستان المقتدرى ، وأنفق عليه من ماله ، كما فتح بيمارستان السيدة دربت المتطببين به ، ولقـد « نقـل الى العربى نواميس هرمس والصلوات التى يصلى بها الصابئين ومن تصانيفه(١٦٦) . رسالة فى تاريخ ملوك السريان ورسالة فى شرح مذهب الصابئين .

كما كان هلال بن ابراهيم طبيبا حاذقا تقـدم عند أجـلاء بغـداد وخالطهم بصناعته ، وكذلك ثابت بن ابراهيم فكان كذلك طبيبا حاذقا ببغـداد(١٦٧) . وهناك على بن العباس الذى نذكر من تآليفه الكتاب الملكى الذى وضعه لعضد الدولة(١٦٨) .

أما ابن بطلان هـو الحكيم : أبو الحسن الطبيب البغـدادى المعروف بابن بطلان طبيب منطقى نصرانى من أهـل بغـداد وفضل فى علم الأوائل يرتزق بصناعة الطب وخرج عن بغـداد الى الجزيرة والموصل ودخـل حلب وأقام بها لكنه سـئم الأسفار وانقطع للعبـادة ، الى أن توفى سنة ٤٤٤ هـ ، ومن مؤلفـاته (دعـوة الأطبـاء)(١٦٩) .

(١٦٥) زغريد هـونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٨ .
(١٦٦) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ١٣٣ .
(١٦٧) المصـدر نفسـه ص ٧٨ .
(١٦٨) د. حسن الشيال : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٣ .
(١٦٩) زغريد هـونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٨ .

سادسا ـ علم الفلك والتنجيم :

مما لا شك فيه أن علم الفلك تقدم تقدما كبيرا فى العصر العباسى كغيره من فروع المعرفة ، وكانت بعض مسائله مما يطالب المسلم بمعرفتها ، كأوقات الصلاة التى تختلف بحسب المواقع من يوم الى يوم ، ولا يخفى أن حسابها يقتضى معرفة عرض الموقع الجغرافى وحركة الشمس فى البروج ، وأحوال الشفق الأساسية ، وفوق ذلك : فاتجاه المسلمين الى الكعبة فى صلواتهم يستلزم معرفتهم تجاه القبلة أى حل مسألة من مسائل علم الهيئة الكبرى ، مبنية على حساب المثلثات(١٧٠) .

وهناك صلاة الكسوف أو الخسوف التى تقتضى معرفتها ، معرفة حساب النيرين واستعمال الازياج الدقيقة . وهناك أيضا هلال رمضان ، واحكام الشريعة والصوم ، حملت الفلكيين على البحث عن المسائل العويصة المتصلة بشروط رؤية الهلال ، وأحوال الشفق ، فبرزوا فى ذلك واخترعوا حسابات وطرقا بديعة ، لم يسبقهم اليها أحد من الهنود والفرس(١٧١) .

أضف الى هذا كله شغف الناس بالتنجيم ، كل هذه العوامل ساعدت على الاهتمام بالفلك والتعمق فيه تعمقا أدى الى الجمع بين مذاهب اليونان والكلدان والهنود والسريان والفرس والى اضافات لولاها لما أصبح علم الفلك على ما عليه الآن .

قد يستغرب القارىء اذا علم أن أول كتاب فى الفلك والنجوم ترجم عن اليونانية الى العربية لم يكن فى العهد العباسى ، بل فى زمن الأمويين قبل انقراض دولتهم فى دمشق بسبع سنين . ويرجح الباحثون أن الكتاب هو ترجمة « كتاب عرض مفتاح النجوم » الى « هرمس الحكيم » والكتاب المذكور : موضوع على تحليل سنى العالم وما فيها من الأحكام النجومية(١٧٢) .

فعلم الفلك هو علم ينظر فى حركات الكواكب الثابتة أو المتحركة ويستدل من تلك الحركات على اشكال وأوضاع للأفلاك لزمت عنها الحركات المحسوسة بطرق هندسية ، وكان اليونانيون يعنون بالرصد كثيرا ، ويتخذون له الآلات التى توضع

---

(١٧٠) نالينو (كرلو) : علم الفلك وتاريخه عند العرب فى القرون الوسطى ص ٢٣٠ .

(١٧١) المرجع نفسه ص ٢٣١ .

(١٧٢) المرجع نفسه ص ٢٤١ .

ليرصــــد بها حركة الكواكب المعينة ، بقصـــد معرفة عملها والبرهنة على مطابقــة حركتها بحركة الفلك[١٧٣] .

يقول الجاحظ : « اشتهر الهند بالحساب وعلم النجوم ، والأسرار والتصــاوير والصناعات الكثيرة العجيبة »[١٧٤] . ويقول الأصفهانى : « ان الهند لهم معرفة بالحساب والخط الهندى وأسرار الطب وعلاج فاحش الأدواء والرقى وعلم الأوهام وخرط التماثيل ونحت الصــور وطبع السيوف والشطرنج »[١٧٥] . فالمسعودى فى « مروج الذهب » والبيرونى فى « تحقيق ما للهند من مقولة » ونالينو فى كتابه « علم الفـــلك » يتحـــدثان عن مدى ثقـــافة الهند وحكمتهم وفلسفتهم واحاطتهم بعـــلوم الفلك والطب والتنجيم[١٧٦] .

وقـــد اتصل العرب بهـــذه الثقافات وأفادوا منذ أن كانت لهم صلة بالهند ، أيام السلم عن طريق التجارة أو أيام الحرب فى عهد الفتوحات[١٧٧] وقـــد فتح العرب السند وكابل وكشمير[١٧٨] .

أصبحت هـــذه البلاد خاضعة للدولة الاسلامية ، فأتاح ذلك للعرب أن يتصلوا بالهنود ، وللهنود أن يندمجـــوا فى الحياة الاسلامية ، ويتنقلوا فى ربوعها من بلد الى آخر — وحينئذ تم اللقاح الثقافى بين العرب والهند . وقـــد كان بين الهنود الذين أسرو افى الحرب من برز فى العلم والأدب والشعر كابن الأعرابى وأبى معشر نجيح السندى وأبى عطاء السندى[١٧٩] ، وغيرهم .

اذن لقـــد كان للثقافة الهندية فى مختلف مناحيها دور هام فى ايضاح الفكر الاسلامى ويقرر ديبور أن كتاب « السند هند » الذى ترجمه الفزارى الى اللغة العربية قـــد عرف قبل أن يعرف كتاب المـــاجستى لبطليموس[١٨٠] .

---

(١٧٣) المسعودى : مروج الذهب جـ ٢ ص ٥٥٤ .
(١٧٤) الجاحظ : رسـائل الجاحظ ص ٧٣ .
(١٧٥) الأصفهانى ، حسين : محاضرات الأدباء جـ ١ ص ٩٣ .
(١٧٦) أحمد أمين : ضحى الاسـلام جـ ١ ص ٢٤٤ .
(١٧٧) ديبـور : تاريخ الفلسفة فى الاسـلام ص ١٢ .
(١٧٨) ابن خرداذبة ، عبيد الله : (**المسالك والممالك**) . (طبعة ليدن — ١٨٨٩ م) ص ٦٢ .
(١٧٩) د. عبد الحكيم بلبع : ادب المعتزلة ص ١٨٩ .
(١٨٠) ديبـور : تاريخ الفلسفة فى الاسـلام ص ١٤ .

يحكى نالينو : « أن وفـدا من الهند وفـد على ابى جعفر المنصور سـنة ١٥٤ هـ وفيهم رجـل ماهر فى معرفة حركات الكواكب وحسابها ، وسـائر أعمـال الفلك على مذهب علماء أمته . وخصوصا على مذهب كتاب باللغة السنسكريتية اسمه « براهمسبهطسد هانت » ألفـه سنة ٦٣٨ م أو ٧٠٦ م الفلكى الرياضى « برهمكبت » فكلف المنصور ذلك الهندى باملاء مختصر الكتاب ثم أمر بترجمته الى اللغة العربية ، وباستخراج كتاب منه تتخـذه العرب اصلا فى حساب حركات الكواكب وما يتعلق به من الاعمال فتولى ذلك الفزارى وعمل منه زيجا اشتهر به بين علماء العرب ، حتى انهم لم يعمـلوا الا به الى أيام المـأمون حيث ابتـداء مذهب بطليمـوس فى الحساب والجـداول الفلكية »[181] . هـذا الكتـاب الذى ألفـه « برهمكبت » هـو الذى اشتهر بين المسلمين بعـد اختصاره باسم « السند هند » .

ثم يقول نالينو : « ... فاتضح ممـا بينته أن تأثير علماء الهنـد والفرس فى نشأة ميل العرب الى ذلك العلم الجليل سبق تأثير اليونان ولو بزمن قليل »[182] . يؤخـذ من هـذا كله ومن التقارير الكثيرة التى سجلها البيرونى فى كتـابه « تحقيق ما للهند من مقولة » ان العلم الهندى وبخاصة الطب والرياضة والفلك كان له الفضل فى توجيه المسلمين الى هـذه المجالات .

فعلم الفـلك هـو أول ما أعتنى العرب به فى بغـداد ، حيث كانت بغـداد مركزا مهما لمباحث علم الفلك ، ولكنها لم تكن المركز الوحيد لهـذه المباحث ، فالمراصد كانت قائمـة فى البلاد الممتدة من آسيا الوسطى الى سـواحل المحيط الأطلسى ولا سيما فى دمشق وسمرقند والقاهرة وفاس وطليطلة وقرطبة[183] . وقـد اشتهر عند العرب فى علم الفلك كتاب المجستى وهـو تأليف العالم بطليموس الذى عاش فى القرن الثانى بعـد الميلاد ونقـل العرب كتابه فى عصر الترجمة وقـد أخـذت أوروبا اللاتينية اسم الكتاب عن العربية ممـا يدل على ارتفاع شـأن العرب فى الحضارة[184] . والفلك من أحب الدراسات الى العرب بعـد الرياضيات ذلك لأن النجوم منذ الأيام القـديمة كانت هى هادى العرب فى الصحراء ، وقـد عرف العرب أن ضـوء القمر مستمد من الشمس ولكن أخطأوا فى أن الأرض مركز الكون ،

(١٨١) نالينو : علم الفلك وتاريخه عند العرب فى العصور الوسطى ص ١٤٩ ، ١٥٠ .

(١٨٢) المرجع نفسه ص ٢١٤ .

(١٨٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٤٨١ .

(١٨٤) د. أحمد فؤاد الأهوانى : (**الفلسفة الاسلامية**) . (دار القلم بمصر - القـاهرة ١٩٦٥ م) ص ٤٤ ، ٤٥ .

وكان معلم أوروبا فى هـــذا الميدان اثنين من اقـــدم الفلكيين المسلمين وهما (الفرغانى والبتانى) اللذين تمتعا بشهرة ذائعة تحت اسمى الفراجانوس والبايتجنيوس[185] .

ممـــا يدل على أن الغرب مدين لمـــا قام به المسلمون من دراسات فلكية فى العصور الوسطى تلك المصطلحات الفلكية العـــديدة ذات الأصـــل العربى مثل سمت الرأس وسمت السماوات وسمت العـــدم وغير ذلك[186] . عنى العباسيون[187] فى بغـــداد برصـــد الكواكب ، والخليفة المنصور أول خليفة قرب المنجمين ، وعمـــل بأحكام النجوم وبلغ من شغفه بالمشتغلين بالفلك درجـــة جعلته يصطحب معه دائما من منجميه نوبخت الذى أسلم على يديه ، وابراهيم الفزارى صاحب القصـــيدة فى النجوم نقتطف منها الجزء المتعلق بحساب الوقت :

فـــان أردت ما مضى وما بقى   من النهار بالحساب الاوفـــــق

فاعمـــل هـــداك الله بالترفـــق

عـــودا وقـــدرة لحسن القـــدر   ستار وستار استعن بالصـــبر

وطـــوله قـــدرا كقـــدر الشبر

فانصـــبه نصـــبا فى مكان مستو   ثم انظر الظـــل الى ما ينتهى

فقـــدره بالعـــود (هنا نقص فى الأصـــل)[188]

كما كان هناك من علماء الفلك على بن عيسى الأسطرلابى المنجم وبلغ من شغف المنصور بعلم الفلك أن عهد الى علماء الفلك بترجمة أعمال الاغريق والسريان والفرس والهنود ، فترجم له كتاب « السند هند الكبير » وظل هـــذا الكتاب فى بغـــداد اهم مرجـــع فى هـــذا العلم حتى عهد المـــأمون ، فاختصره الخوارزمى وأضاف اليه اضافات من مراجع فارسية ويونانية ، وضم اليه أبوابا مفيدة ، واعتمد العرب على زيجه[189] وأخـــذوا منه فى وضع أزياجهم ، وألف فى الفلك[190] ، كما نقـــل يحيى بن البطريق فى عهد المنصور كتاب الأربع مقالات لبطليموس فى أحكام النجوم[191] .

---

(١٨٥) حسنى أحمد حماد : الحضارة العربية نشأتها وتطورها ص ٥٨ .

(١٨٦) هـل ، يوسـف : الحضارة العربية ص ١١٠ .

(١٨٧) المسعودى : مروج الذهب ج ٢ ص ٥٥٥ .

(١٨٨) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٧٠ ، ٧١ .

(١٨٩) زيج : جـدول فلـكى .

(١٩٠) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٢٠ .

(١٩١) المصـدر نفسـه ص ٢٣٣ .

كان اهتمام المهدى بالنجوم لا يقل عن اهتمام أبيه المنصور فكان تيوفل ابن توما رئيس منجميه عالما بالنجوم ، وصنف فيها كتبا ، وترجم كتابا فى الفلك من اليونانية الى السريانية وفى عهده تم تصحيح بعض اخطاء كتاب المجستى لبطليموس(١٩٢) .

وفى عصر الخليفة هارون الرشيد وابنه المأمون صاغ العرب كل أسماء النجوم والكواكب لدى ترجمتهم لأعمال الفلكى الأكبر أبرخس HIPPARCH ودليله المنقح بقلم بطليموس PTOLEMAIS مع عدم اغفال أسمائها القديمة التقليدية الأمر الذى جعل لمعظم أسماء الكواكب الثابتة فيما بعد ، أسماء ذات مصدر عربى كالغول ALGOL والكور ALKOR والطير ALLTALR والذنب DENALS وفم الحوت FAMALHOUT وغيرها . ولم ينحصر الأمر بأسماء النجوم فحسب بل تعداها الى الرموز الفلكية ASTRONC MISCHE واشكالها التى يعرفها الكل ، كالسمت ZENITH وسموت الشمس AZIMUT والنظير NADIR والمقنطرات ALMUQNTARAT والعضاده ALHIDADE والبتودوليت THEODOLIT وبتشجيع من علم الفلك الهندى فى كتاب « سند هند » SIDHANTA لبراهما غويتا BRAHMAGOPLA وعلم الفلك فى كتاب المجستى ALMAGEST لبطليموس . وانصرف العرب الى الاهتمام بهذا العلم وأصبحوا فى قصور خلفاء المنصور والرشيد والمأمون خاصة يراقبون السماء وما دار فى فلكها من نجوم مراقبة دقيقة علمية منطلقين به من مفهومه البدوى المحدود الى آفاق واسعة جعلت من ذلك العلم القائد فى العالم نقرون عديدة(١٩٣) .

كما كان الفضل بن سهل وزير المأمون حجة فى علم الفلك ويقال أن النجوم دلته على أن الأمر سيصير للمأمون لذلك تقرب اليه ، واخلص له ، ولما ولى المأمون الخلافة قدر جهود الحسن بن سهل فى بلوغه الخلافة فاستوزره ، وكان الحسن بن سهل أيضا على علم بالنجوم ، وقد علم بمؤامرة لاغتيال أخيه الفضل فى خلال بالنجوم . ولا يمكن قبول الروايات التى ترددت عن أن النجوم أنبأت المسلمين بها عن الحوادث المستقبلة ، ولكن الناس كانوا فى ذلك العصر شغوفين باستطلاع الأخبار عن طريق النجوم(١٩٤) .

---

(١٩٢) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(١٩٣) زغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١١٤ ، ١١٥ .

(١٩٤) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٨٥ .

مهما يكن من أمر فقد انتقلت علوم الاغريق فى النجوم الى العرب وخاصة ما كتبه بطليموس عن طريق الأرض والكواكب والشمس ، وقد نقلوا ــ كما قلنا كتاب المجستى[١٩٥] ــ وزادوا عليه ، ووافقوه فى بعض آرائه . وخالفوه فى بعضها ، قالوا : ان الأرض مركز للكون وأنها قائمة فى الفضاء ، وقالوا بدوران الشمس والقمر والنجوم حول الأرض ، وأن القمر أقرب الأجرام السماوية الى الأرض ويليه الكواكب الأخرى ، وأنها جميعا تدور حول الأرض دورة كاملة كل يوم ، كما قاسوا أجرام الشمس والقمر والنجوم بطرق هندسية حسابية بما يقرب من الحقيقة . وقاسوا أبعادها عن الأرض ، وقد أنشأ المأمون مرصدا فى الشماسية فى بغداد وكان أساس تقدم العرب فى النجوم يرجع الى المراصد التى أقاموها ، والأجهزة التى ابتكروها . على أن معظم المعدات الفلكية التى استخدموها مثل الأسطرلاب كانت فى الغالب مبنية على النماذج اليونانية وأجريت حسابات دقيقة فى الفلك ، وعلى غروض تفرض لتعليل ما يرى من الظواهر الفلكية[١٩٦] .

وجدير بالذكر أن المراصد تضمنت آلات الأسطرلاب الذى يقيس ارتفاعات الكواكب من الأفق ، وتعيين الزمن ، وحل كثير من المسائل الفلكية كما وضعوا الأزياج ، وهى جداول فلكية تتضمن قوانين رياضية فيما يختص بكل كوكب عن طريق حركته مثل زيج البلخى وزيج الخوارزمى[١٩٧] كذلك اهتم جابر بن حيان بدراسة علم الفلك ، وتوصل الى أن الكواكب السبعة تختلف فى مقدار الحرارة التى تستمدها من الشمس باختلاف قربها منها أو بعدها عنها فالشمس هى التى تمد الكواكب كلها بالحرارة والنور ، والشمس وسط بين الكواكب فتصل حرارتها الى الكواكب كلها . وعلى قدر القرب أو البعد من الشمس تكون حرارة الكواكب ، ودرس كوكبا من حيث ظواهره الطبيعية وخصائصه كما درس خصائص البروج[١٩٨] .

---

(١٩٥) لا شك أن المجستى من أهم ما نقل من التراث اليونانى الى العربية ، ومن أكثر المؤلفات التى ساعدت على تقدم الفلك عند العرب ، وقد وصفه « بطليموس العلوذى » ويقول عنه القفطى : « امام فى الرياضة كامل فاضل من علماء اليونان . كان فى أيام آندرياسيوس وفى أيام نظميوس من ملوك الروم وبعد « ابرخس » بمائتين وثمانين سنة .. والى بطليموس هذا انتهى علم حركات النجوم ومعرفة أسرار الفلك وعنده اجتمع متفرقا من هذه الصناعة بأيدى اليونانيين والروم وغيرهم من ساكنى الشق الغربى من الأرض وبه انتظم شتيها وتجلى غامضها : ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار احكماء ص ٦٧ ، ٦٩ .

(١٩٦) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم عند العرب ص ١٠٨ .

(١٩٧) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية ص ٢٨٩ .

(١٩٨) المرجع نفسه ص ٢٨٨ .

من أبرز من تصـــدى لعلم الفلك فى بغـــداد جعفر بن محمد بن محمد بن عمر البلخى فكان امام وقته فى فنـــه وله التصانيف المفيدة فى علم الفـــلك . ولم يكن الخوارزمى عالمـــا فى الرياضيات فقط بل كان من المهتمين بعلم الفلك وكان احـــد منجمى المـــأمون ولعله اشترك فى حساب ميل الشمس فى عهـــده ، وجرى على العكوف فى مكتبة المـــأمون للاطلاع وكان من المنجمين الذين استدعاهم الواثق فى مرضـــه الأخير لينبئوه بما يكون من أمره ، وقـــد انصرف الى دراسة الجغرافيـــا والتاريخ بالاضـــافة الى الفـــلك ، والف كتاب التاريخ الذى اعتمد عليـــه المسعودى فى دراساته ، أما المصادر اليونانية فكانت تأتى فى المرتبة الثانية من مصادرة وقـــد الف كتابين فى الأسطرلاب ، وتناول فيـــه مسائل فى التنجيم من الناحية العلمية وأعـــد مجموعة من صور السماوات والعالم نزولا على طلب المـــأمون(١٩٩) . ومن هـــذه الصـــور كتاب « صـــورة الأرض » .

ان الانسان ليصل عن طريق علم النجوم الى برهان وحـــدة الله ومعرفة عظمته الهائلة ، وحكمته السامية ، وقوته الكبرى ، وكمال خلقه(٢٠٠) . قال البتانى ايضا « وهـــو أحـــد كبار فلكيى العرب » فان : « علم النجوم هـــو علم يتوجب على كل امرىء أن يعلمه ، كما يجب على المؤمن أن يلم بأمور الدين وقـــوانينه لأن علم الفلك يوصل الى برهان وحـــدة الله ومعرفتـــه وعظمته وحكمته وكمال خلقه(٢٠١) ولـــد البتانى(٢٠٢) فى بتان من نواحى حران ، وجاء فى دائرة المعارف لفريد وجـــدى أن البتانى ولد سنة ٢٤٠ هـ ويقول بول فى كتـــابه « مختصر تاريخ الرياضيات » أنه ولد سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٧ م .

بينما المصادر العربية كالفهرست وبعض المصادر الأفرنجية لا تذكر بهـــذا الشأن ، أما كتاب آثار باقية فيقول « ان تاريخ ولادة البتانى غير معروف الا ان هناك ما يجعلنا أنه ولد بعـــد عام ٢٣٥ هـ وكانت وفاته سنة ٣٢٧ هـ فى طريقه « بقصر الجص » عند رجـــوعه من بغـــداد حيث كان مـــع بنى الزيات من أهـــل الرقـــة

---

(١٩٩) HITTI : History of the Arabs, p. 379.

(٢٠٠) زغريد هـونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١١١ .

(٢٠١) المرجـع نفسـه ص ١٣٠ .

(٢٠٢) تقول المصادر ان البتانى ابتدأ الرصـد سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٧ م يفكون « بول » قـد خلط بين تاريخ الولادة وابتداء الرصـد : طـوقان : تراث العرب العلمى ص ٢٤٢ .

فى ظـــلامات لهم[٢٠٣] . وقصر الجص هـــو قصر عظيم بنـــاه المعتصم قرب « ســـامراء »[٢٠٤] .

البتانى[٢٠٥] معروف عند الأفرنج باسم (البتانى ALBATEG) . وعنـد آخرين باسم (الباتانمانيوس ALBATAGNIEIS) . وقـد اشتهر برصـد الكواكب ويقال انه ابتدأ الرصـد سنة ٢٦٤ هـ والى ٣٠٦ هـ . وأمضى ذلك العهد فى الرقـة على الفرات وفى انطاكية بسوريا . وكان البتانى أوحـد عصره فى فنـه وأعماله تدل على غزارة فضله وسـعة علمه[٢٠٦] .

رأى البتانى أن شروط التقـدم فى علم الفلك ، والتبحر فى نظرياته ونقـدها ، والمثابرة على الأرصاد والعمل على اتقانها ذلك : « لأن الحركات السماوية لا يحـاط بها معرفة مستقاة حقيقة الا بتمادى العصور أو التدقيق فى الرصد »[٢٠٧] جاء فى زيجـه : « وان الذى يكون فيها من تقصير الانسان فى طبيعته عن بلوغ حقـائق الأشياء كما يبلغها فى القـوة ، يكون يسيرا غير محسوس عند الاجتهاد والتحرز ، ولا سيما فى المـدد الطوال . وقـد يعين الطبع وتسعد الهمة وصـدق النظر وأعمال الفكر والصبر على الأشياء ، وان عسر ادراكها وقـد يعـوق عن كثير من ذلك قلة الصبر ، ومحبـة الفخر والحظـوة ، عند ملـوك النـاس ، بادراك ما لا يمـكن ادراكـه على الحقيقـة فى سرعـة أو ادراك ما ليس فى طبيعتـه ان يدركه الناس[٢٠٨] . أما عالم الفلك موسى بن شـاكر وأولاده الثلاثة ، فكان فى قصر الخليفة المـأمون العظيم رجـل يدعى موسى بن شاكر صرف معظم سنى عمره فيه ، فأصاب مكانة عجز عن نيلها أحـد من علماء الفلك والرياضيات . ولا عجب فى ذلك . فقـد كان صـديق الخليفة الحميم وأقرب المقربين اليه وعلى الرغم من هـذا ، فقـد كان هـذا الرجل وهـو موثوق بقيود القصر الذهبية ورغم مكانتـه الخاصـة فى قلب أمير المؤمنين . وكانوا بنـو موسى بن شـاكر ، من أنشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمـة وهم ثلاثة اخـوة محمد وأحمد والحسن ، وعرف أبناؤهم فيمـا بعـد ـ ببنى موسى المنجم[٢٠٩] .

---

(٢٠٣) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٩٠ .

(٢٠٤) ياقـوت الحمـوى : معجم البلـدان جـ ٧ ص ١٠٠ .

(٢٠٥) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٨٩ .

(٢٠٦) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ٢ ص ٨٠ .

(٢٠٧) ناللنيو : علم الفلك وتاريخه عند العرب فى العصور الوسطى ص ٢١٤ .

(٢٠٨) قـدرى حافظ طوقان : تاريخ العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٤٢ .

(٢٠٩) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٧٨ ، ٣٧٩ .

كان أبوهم قد خدم المأمون ، وتوفى وهم صغار ، فأوصى المأمون بهم اسحاق بن ابراهيم المصعبى ، أن يثبتهم مع يحيى بن ابى منصور المنجم ، فى بيت الحكمة ، فلازموا التعلم بها ، فشبوا مولعين بعلوم الحكمة والهندسة والفلك ، والحيل والحركات الفلسفية ، ولما علا شأنهم أثبتوا فى بيت الحكمة مع العلماء والمترجمين ، فكانوا يتولون دائرة العلوم الرياضية والهيئة والهندسة والنجوم والحيل والموسيقى ، واشتهر أكبرهم أبو جعفر محمد بن موسى « المتوفى سنة ٢٥٩ هـ/٨٧٢ م » فكان يشرف على ما يترجم من كتب الجبر والمقابلة لبيت الحكمة ، وله كتاب يعملون بين يديه ، وتراجمة يترجمون الكتب التى يختارها وكان ممن يساعده فى عمله هذا يحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم وكان أحد خزنة بيت الحكمة وأحد الرصاد[٢١٠] .

من هؤلاء الذين ألفوا فى الفلك وعملوا أرصادا وأزياجا جليلة أدت الى تقدم علم الفلك أمثال :

أحمد بن عبد الله حبش الحاسب المروزى ، ظهر فى عصر المأمون ولم تكتب عنه المصادر شيئا جديرا بالاعتبار ويقول ابن النديم :انه جاوز سنه المائة[٢١١] . قضى معظم أوقاته فى المطالعة والبحث فى كتب الأقدمين فى مختلف الفرون وهو من الذين كتبوا كثيرا فى الفلك وآلات الرصد[٢١٢] . ويقال : انه عمل أول جدول للظل ، ويوجد هذا الجدول فى احدى المخطوطات فى برلين[٢١٣] . ويظهر أن « حبشا الحاسب » استعمل القاطع أيضا . وله عدة تآليف منها : ثلاثة أزياج أولها : المؤلف على مذهب « السند هند » خالف فيه الفزارى والخوارزمى فى عامة الأفعال واستعماله الحركة واقبال البروج وادباره على رأى « ثادن الاسكندرى » واتضح له بها مواضع الكواكب فى الطول[٢١٤] . ثانيها : الزيج المتحن وهو أشهر ما لـه ألفه بعد أن رجع الى معاناة الرصد ، وضمنه حركات الكواكب على ما يوجبه الامتحان فى زمانه[٢١٥] .

ومما يدل على منزلة هذا الزيج ونضل مؤلفه « كون أبو الريحان البيروتى »

---

(٢١٠) ابن القفطى : اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ٢٨٧ .

(٢١١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٤ .

(٢١٢) سميث : (**تاريخ الرياضيات**) مجلد ١ ص ١٧٤ .

(٢١٣) المرجع نفسه مجلد ٢ ص ٦٢ .

(٢١٤) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٨٦ .

(٢١٥) المصدر نفسه ص ٨٦ .

دافع عن الزيج الممتحن فى كتابين من كتبه[٢١٦] . ولقد لقب « حبش الكاتب الحاسب » بالحكيم حبش وفى كتاب « الآثار الباقية عن القرون الخالية »[٢١٧] . وثالثها : الزيج الصغير المعروف بالشاه وله أيضا كتاب الأبعاد والأجرام « كتاب عمل الأسطرلاب ، كتاب الرخائم والمقاييس ، كتاب الدوائر الثلاث المماسة »[٢١٨] . وكيفية الأوصال بكتاب عمل السطوح المبسوطة والقائمة والمائلة والمنحرفة . وقد لاحظت أن حبش له أيضا زيجين آخرين غير الثلاثة المذكورة ، الزيج الدمشقى ، والزيج المأمونى وهذان الزيجان مذكوران فى تاريخ الحكماء والفهرست .

سند ابى على أبو الطيب « ظهر حوالى ٨٥٠ م » كان سند يهوديا وقد أسلم على يد المأمون وكان من جملة منجميه ، وعمل فى جملة المراصدين ، بل كان على الأرصاد كلها[٢١٩] . اشتهر بعمل آلات الرصد والأسطرلاب ، وقد ندبه المأمون الى اصلاح آلات الرصد « بالشماسية » فى بغداد ،وقد امتحن موضع الكواكب وله زيج مشهور عمل به المنجمون فى زمانه[٢٢٠] ، وفيما بعد ، له مؤلفات فى العلوم الرياضية منها كتاب المنفصلات والمتوسطات ، كتاب القواطع ، كتاب الحساب الهندى ، كتاب الجمع والتفريق ، كتاب الجبر والمقابلة[٢٢١] ويقال انه كتب فى المثلثات .

أما العباس بن سعيد الجوهرى فقد ظهر حوالى ٨٣٠ م كان من أوائل الذين رصدوا فى الاسلام ، خبيرا بصناعة التيسير وحساب الفلك ومن الذين ندبهم المأمون للرصد « بالشماسية فى بغداد ، وكذلك اجرى بعض الأرصاد » فى دمشق . ألف فى مواضع بعض الكواكب السيارة والنيرين زيجا مشهورا[٢٢٢] . كما كان هناك أيضا أبو حامد بن محمد الصاغانى[٢٢٣] . اشتهر « الصاغانى » فى صناعة الأسطرلاب والآلات الرصدية وابتنائها كما اشتهر فى الهندسة وعلم الهيئة وهو من الذين عهد اليهم فى الرصد وتوفى فى بغداد حوالى سنة ٩٨٩ م .

---

(٢١٦) صالح زكى : (**آثار باقية**) . (اسطنبول ١٣٢٩ م مجلد ١) ص ١٥٧ .

(٢١٧) البيرونى : محمد بن أحمد الخوارزمى : (**الآثار الباقية عن القرون الخالية**) . (لا يبزج ١٩٢٣ م) ص ١٩٨ .

(٢١٨) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٨٦ .

(٢١٩) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٣ .

(٢٢٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٤٠ ، ١٤١ .

(٢٢١) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٤ .

(٢٢٢) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢١٣ .

(٢٢٣) المرجع نفسه ص ٢٦١ .

وأبو اسحاق ابراهيم بن سنان ثابت بن قرة ولد سنة ٩٠٨ م وتوفى ٩٤٦ م هو حفيد ثابت بن قرة ، اشتهر بالذكاء والعلم واشتغل بالهندسة والفلك وأنواع الحكمة ، وله فى ذلك مؤلفات وقد عمل فى الهندسة ثلاثة عشر مقالا ، منها أحد عشر فى الدوائر المتماسة بين فيها على أى وجه تتماس الدوائر والخطوط التى تجوز على النقط(٢٢٤) وغير ذلك .

وقد انتشرت المراصد فى البلاد العربية فبنى المأمون مرصدا فى الشماسية فى بغداد وآخر فى جبل قاسيون فى دمشق . وبنى الحاكم بأمر الله الفاطمى على جبل المقطم بالقاهرة ، فكان هناك مرصد للدينورى فى أصفهان ، ومرصد الرقة ومرصد انطاكية اللذان عمل فيهما البتانى ومرصد ابن الشاطر فى الشام ومرصد مراغة الذى اشرف على بنائه نصر الدين الطوسى ومرصد أولغ بك فى سمرقند(٢٢٥) .

وكان من أساطين علم الفلك فى أيام المأمون أبو العباس أحمد بن محمد ابن كثير الفرغانى ــ الذى ذاع صيته لتعدد الدراسات الفلكية التى قام بها والمؤلفات التى وضعها فى هذا الشأن والتى على رأسها كتاب الحركات السماوية ، وجوامع علم النجوم ، وهو مخطوط قيم ترجم مرتين الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر الميلادى . ثم طبعت هذه الترجمات فى أوروبا فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر(٢٢٦) . ثم صار أحد المراجع الهامة التى اعتمدت عليها دراسات الفلك فى أوروبا فى ذلك الوقت وقام الفرغانى بحساب أبعاد الكواكب وأحجامها كما أن له مؤلفات أخرى فى علم الفلك مثل « ملخص الهيئة » وكتاب عن المزاول ــ وفى أواخر حياته رحل الى مصر حيث أشرف على اقامة مقياس النيل عند الفسطاط .

أما العباس بن سعيد الجوهرى : فقد اشترك فى أرصاد بغداد مع سند بن على ويحيى بن أبى منصور وفى دمشق مع سند بن على ، وعلى بن عيسى الأسطرلابى المنجم وكان الخليفة المنصور قد أمر بنقل كتاب النجوم مع تعليل معموله على كردجات (أى حساب جيوب القسى واثباتها فى الجداول) محسوبة لنصف درجة مع ضروب من أعمال الفلك من الكوفيين ومطالع البروج وغير ذلك .

---

(٢٢٤) المرجع نفسه ص ٢٥٣ .

(٢٢٥) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٥٥ ، ٥٦ .

(٢٢٦) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٩ ، ٣٠ .

وهـذا الكتاب عرضه عليه رجـل قـدم سنة ١٥٦ هـ من الهند قيم فى حسـاب السند هنتا . وقـد كلف المنصور محمد بن ابراهيم الفزارى ترجمته وعمل كتابا فى العربية يتخـذه العرب أصـلا فى حركات الكواكب ، وقـد سماه المنجمون كتاب السند هند وبقى الى أيام المـأمون(٢٢٧) . وقـد اختصره « الخوارزمى » وصنع منه زيجـه الذى اشتهر فى كل البلاد الاسلامية(٢٢٨) وعـول فيه على أوسط السند هند وخالفه فى التعاديل والميل ، فجعل تعاديله على مذهب الفرس ، وميل الشمس فيه على مذهب « بطليموس » واخترع فيه من أنواع التقريب أبوابا حسنة ، استحسنه أهـل ذلك الزمان وطاروا به فى الآفاق »(٢٢٩) .

وأبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخى شـهرته مدوية فى الشرق والغرب على السواء سمع عنها كل من لـه صلة بالتنجيم . ولا يفـوتنا أن نذكر العـالم الجليل أبا عبد الله محمد بن موسى الخوارزمى الذى يعتبر من أنبغ علماء العرب وهـو وان كان معروفا بكتاباته الرياضية الا أننا نضعه فى مصاف الفلكيين لاشتراكه معهم فى بعض أعمالهم من جهة وللعلاقة الوثيقة بين الرياضة والفلك من جهة أخرى(٢٣٠) .

وابن أعلم الشريف البغدادى قال عنه البيهقى : « هو بغدادى المنشأ والمولـد صنف الزيج المنسوب اليه ، وكان عالـما بالهندسة وأجزائهـا عارفا بالقـانون الفيثاغـورى من الموسـيقى »(٢٣١) .

وقال القفطى(٢٣٢) : « هـو على بن الحسن ابو القاسم العلوى صاحب الزيج ، رجـل شريف عالم بعلم الهيئة وصناعة التيسير ، مذكور مشهور فى وقته ، وكان قـد تقـدم عند عضـد الدولة يقف الملك عند اشاراته فى اختبارات ويرجع الى قـوله فى أنواع التيسيرات وعمل زيجه المشهور الذى عمل به أهـل زمانه فى وقته وبعـد زمانه الى أواننا وتوفى سنة ٣٧٥ هـ » .

---

(٢٢٧) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ١٧٧ .

(٢٢٨) رياض بانسا : (**علم الفـلك عند العرب**) مجلة المقتطف ـ بيروت ـ لبنان مجلـد ٣٩ (١٣٢٩ هـ/١٩١١ م) ص ١٤٦ .

(٢٢٩) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ١٧٨ .

(٢٣٠) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٣٢ .

(٢٣١) البيهقى : (**تاريخ حكماء الاسـلام**) . (مطبعة الترقى ـ دمشق) ومطبوع تتمة صوان الحكمة تحقيق محمد شفيع لاهـور ١٣٥٠ هـ ص ٩٠ .

(٢٣٢) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ١٥٧ .

أما البديع الأسطرلابى : فهـو أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسـف الأسطرلابى المعروف بالبديع الأسطرلابى ، انه من الحكماء الفضلاء والأدباء النبلاء طبيب عالم وفيلسوف متكلم غلبت عليه الحكمة وعلم الكلام الرياضى . وكان متقنـا لعلم النجوم والرصـد ...(٢٣٣) . عرف العرب علم الفلك معرفة عملية لم تتجـاوز سـد الحاجة الى الاهتداء بالنجوم ليلا ، والعلم بعـدد السنين والشهور ، فعرفوا عـددا من الكواكب الثابتة مع مواضع مطالعها ومغاربها ، ولكنهم ذهبوا فى جعلها اشكالا وصـورا مذهبا يختلف عن غيرهم من الأمم الأخرى ، وعرفوا كذلك منـازل القمر وانفردوا عن سائر الشعوب فى استعمال تلك المنـازل واخـذوا انواءها . ولم يتوصلوا الى تعيين السنين بحساب دقيق لجهلهم بعلم الهيئة واقتصارهم على المعرفة العلميـة بالنجـوم(٢٣٤) .

ويرجع العهد بمدرسة بغـداد للفلك الى عصر المنصور ثانى الخلفاء العباسيين الذى كان هـو نفسه فلكيا ، وقـد صـدر عن هـذه المدرسة فى عهد خلفـائه هارون الرشيد والمـأمون بعض المؤلفات الهامة فروجعت النظريات القـديمة وصوب العديد من اخطاء بطليموس وصححت جـداول اليونان . والى مدرسة بغـداد يرجع الفضـل فى اكتشاف حركة نقطة الأوج فى مدار الشمس وتقـدير انحراف المـدار البيضاوى ونقصانه المتوالى والدراسة التفصيلية لتقـدير مدة السنة(٢٣٥) . وقـد لاحظ علماء بغـداد عـدم انتظام أقصى ارتفاع للقمر واكتشفوا التباين القمرى الثالث ويعرف باسم « التغيير » وراقبوا الكلف « البقـع » الشمسى ودرسـوا الكسوف والخسوف ، وظهور المذنبات وغيرها من الظواهر الفلكية وشـكوا فى ثبات الأرض فكانوا السباقين الأوائل لكبرنيقوس وكبلر(٢٣٦) .

كما سجلت نتائج هـذه المراقبات التى قامت بها مدرسة بغـداد ، فى الجداول ومن أشهر علماء هـذه المدرسة البتانى الذى يعتبره لالاند واحـدا من أشهر عشرين فلكيا فى العالم وأبو الوفا الذى يرتبط اسمه بأحـد أساسيات علم الفلك وهـو التباين القمرى الثالث(٢٣٧) .

---

(٢٣٣) خير الدين الزركلى : (الأعلام) . (ط ٤ بيروت - لبنان - دار العلم للمـلايين ١٩٧٩ م) ج ٩ ص ٥٨ .

(٢٣٤) د. أحمد فـؤاد الأهـوانى - الكندى فيلسوف العرب ص ١٨٩ .

(٢٣٥) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ٩٩ .

(٢٣٦) المرجـع نفسـه ص ١٠٠ .

(٢٣٧) المرجـع نفسـه ص ١٠٠ .

أما التنجيم : فهــو ضرب من التخمينات على غير أساس مقنع ، فكان من أبرز رجاله أبو معشر جعفر بن محمد البلخى المتوفى سنة ٣٧٢ هـ/٨٨٦ م اذ كان من اوفر المنجمين الأوائل حظا من الاحترام واقــواهم تأثيرا على معرفة واسعة بالتراث القــديم وقــد وضع نظرية تقول : « بأن الصور النجمية تتراءى فى السماء مــع حلول العشور اى عقــود الشهور الست والثلاثين التى يشكل كل منها ثلث برج فى الأبراج الاثنى عشر ... »(٢٣٨) . كان مولد البلخى فى بلخ وأقام فى بغــداد وأثبتته المراجع الأوروبية فى العصور الوسطى حجة وصور كقــديس أو نبى ونقــل أربعة من كتبه الى اللاتينية فى القرن الثانى عشر الميلادى . وقــد اكتشف حقائق علميــة تتعلق بنظم المــد والجزر وعلاقتهما بطلوع القمر وغيابه(٢٣٩) .

قال صلى الله عليه وسلم : « تعلم السحر ولا تعمل به » وعلى هــذا فان دراسة علم التنجيم صارت حاجة ضرورية بعــد الاسلام لأن الله تعالى هــو الذى أوصى الأنام بتأمل السماء . فباسمه درست حركات النجوم والأفلاك وباسمه أيضا كانت فاتحة المخطوطات العلمية جميعا وهــذا لعمرى ما تمتع به العربى دون غيره .

قال تعالى فى سورة يس : « **والشمس تجرى لمستقر لهـــا ، ذلك تقــدير العزيز العليم ، والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القــديم ، لا الشمس ينبغى لهــا ان تدرك القمر ولا الليل ســابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون** »(٢٤٠) .

جاء فى سورة يونس : « **هــو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا ، وقــدره منازل لتعلموا عــدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحــق يفصل الآيات لقــوم يعلمون . ان فى اختلاف الليل والنهار وما خلق الله فى السموات والأرض لآيات لقــوم يتقــون** »(٢٤١) .

وقــد كانت ثقافتهم العلمية الوافرة سببا من الأسباب التى حفظتهم من الوقوع فى مستنقع الشعوذات الباطلة لهــذا كله فانه لم يكن لعلم التنجيم ASTROLOGIIE عند العربى الواقعى النزعة أى معنى سحرى خطير ، كما ان هــذا العلم ما كان ليمنح العرب قــوى سحرية خارقة على حــد زعم الأوروبيين الذين كانوا ينسبون

---

(٢٣٨) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٥٤ ، ٥٥ .

(٢٣٩) د. حسن الشيال : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٦ .

(٣٤٠) سورة يس ، الآيات ٣٦ ــ ٣٨ .

(٢٤١) سورة يونس ، الآيتان ٥ ، ٦ .

ــ خطــأ ــ الى مخطوطاتهم ما ليس فيها . وقــد ركبهم الذعر ، واعتصم الخوف فى قــلوبهم .

والواقــع ان علم التنجيم العربى هــو فى حــد ذاته ــ واكثر من اى ميدان آخر من ميادين الثقافة الاسلامية ــ علم فارسى صرف ، أدخــل الى العالم الاسلامى من اعطاء النجوم معانى ورموزا وتصويرا لظواهر الطبيعة الخارقة ، على لأنها قوى شر أو خير تسعى الى مكافأة الانسان والى انزال العقاب به(٢٤٢) .

كان أستاذ ابناء موسى « يحيى بن أبى منصور » وهــو فارسى الأصــل أيضا منجما بارعا فى هــذا العلم ، كغيره من مواطنيه ، وقــد كان أحرى بتلاميذه ــ ابناء موسى الثلاثة ــ ان يأخــذوا عنه هــذه الهواية وان يبرعوا فيها كأستاذهم بيــد أنهم لم يعقلوا شيئا من هــذا ، لأنهم كانوا رجال علم صحيح ورواة حقائق مندفعين فى ســبيلها كل الاندفاع(٢٤٣) .

وفى عام ٧٦٠ م توجه المنجم الفارسى الشهير « نوبخت » NAUBAGHT المتوفى عام ٨٧٧ م تقريبا الى قصر الخليفة العربى المنصور يحمل معه تراث الأجيال المتعلقة بالتنجيم والتنبؤات ، وكان ميزان القوى قــد مال لصالح العباسيين الذين قضوا على ســلالة بنى أمية ونقلوا العاصمة من دمشق الى الشرق حيث الوفرة والغنى . وهناك على ضفاف دجلة نهضت عاصمة الامبراطورية وقلبها النابض لمدة من الزمن « بغــداد » ولكن قبل أن يشرع الخليفة فى بنــاء المدينة طلب اليه نوبخت أن يأذن له فى درس موضع النجوم ، حتى يحول دون التأثيرات الشريرة ، ويحسب الوقت ليعرف أنسب ساعة للشروع فى البناء ، وانصرف نوبخت للاشتراك مــع يهودى فارسى كان قــد دخل الاسلام وحمل اسم ما شاء الله(٢٤٤) . الى استنطاق النجوم أسرارها وسؤالها عن موعــد الولادة المناسبة ، ومعرفة الوقت الصحيح للقيام بالقياسات ومسح الأراضى وتخطيطها . فكان أن أخرجت الى الوجود مدينة المدن ، آنذاك ، فسميت « بغــداد » أى مدينة السلام . وقــد أصــبح نوبخت الفــارسى المنجم للقصر وغــدا ذا نفــوذ قــوى وتأثير كبير ، وترأس جماعة من زملائه عرفوا كيف يحافظون على أهميتهم ومراكزهم كمستشارين لا غنى للخلفاء عنهم . ونشط

---

(٢٤٢) زغريد هــونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٦٧ ؛

(٢٤٣) المرجــع نفســه ص ١٦٧ .

(٢٤٤) المرجــع نفســه ص ١٦٨ .

الفرس فى جميع المصادر المختلفة المتعلقة بعلم التنجيم القـديم ، من هندية وبابلية للعالم تيوكروس TEUKROS وبـاشـان BETHAN أو كلدانية ونقلوها الى القصور العربية . الا أن ما شاء الله كان أكثر هؤلاء زعامة ، وقـد وجـدت آراؤه فى بلاد الغرب فيما بعـد آذانا صـاغية كما كان لـه أيضـا تلامذة بررة ومريدون كثيرون(٢٤٥) ».

لا جرم — ان علم التنجيم قـد وصل — بفضل التفات العرب اليه الى عصره الذهبى فى وقت كان فيه علم الفلك يحبو كالطفل على الأرض أو يخطـو خطـواته الأولى . كما كانت الحال فى علم الفلك ، كذلك كانت الحال أيضا فى علم التنجيم . فالفرس واليهود انصرفوا كليـا الى رعاية هـذا العلم والدعـوة لـه فى أوروبا فنالوا ثناءها وتقديرها(٢٤٦) ومن هؤلاء العاملين : « أبو بكر بن الخصيب AL - CHASIB وعبـد العزيز القـابسى (AL - KABIS المعروفان فى أوروبا باسـم (AL - CABITIUS — ABU BAHER) ومن هؤلاء أيضا سهل بن بشر اليهودى المعروف فى الغرب باسم (ZAHEL) وتلميذ العلامة « ما شاء الله » أبو هالة (AL BOHALY) وغيره من السابقين ، ومن هؤلاء كذلك اليهودى الفارسى أبو معشر ABU MASCHER والذى عرفه الغربيون باسم (AL BUMASSER) كأعظم علماء العرب فى التنجيم لم يقم أحـد من هـؤلاء باتباع أية طريقة منظمة فى البحث أو بصوغ أية معلومات بشكل ترتيبى نظـامى (SYSTEMALISCH) الى أن جاء أبو معشر فقـذف فى وعاء واحـد بكل ما وصلت اليـه يداه من معلومات وجعـل منها كتـلة من المزيج العجيب(٢٤٧) .

وكان سند بن على منجما للمـأمون ودخل فى الاسلام وهـو فى جملة الراصدين ثم أهلته كفاءته الى أن أصبح على الأرصـاد كلها(٢٤٨) . وقـد حفزهم الى ذلك اهتمام الناس عامة والخليفة خاصـة بالتنجيم ، فضـلا عن انتشار الدين الاسلامى فى مناطق مترامية الأطراف ، وحاجـة الناس فى كل مكان الى تحـديد اتجاه مكة ، وكذلك الحاجة الى حساب النتيجة القمرية لتحـديد المواسم والأعيـاد ، وتعيين مواقيت الصـلاة ، ولعـل القارىء يلمس مدى ذلك الاهتمام من قـول أبى الدرداء : « ان شئتم لأقسمن لكم أن أحب عباد الله الى الله الذين يرعـون الشمس والقمـر

---

(٢٤٥) المرجع نفسه ص ١٦٩ .
(٢٤٦) المرجع السابق ص ١٧٠ .
(٢٤٧) المرجع السابق ص ١٧٠ .
(٢٤٨) ابن النديم : الفهرست ص ١٨٥ .

والنجـــوم والأظلة لذكر الله » . ويقصـــد بذلك الذين يستخدمونها لتحـــديد اوقات الصـــلاة والعبـــادة[٢٤٩] .

وكانت رغبـــة العرب وتصميمهم على بدء دراسات علمية واسعة النطـــاق ، فجاء وفـــد الى بغـــداد سنة ٧٦٧ م ومن بين اعضائه عالم فلكي يدعى (كازكاه) يحمل معه مرجعا هاما فى علم الفلك اسمه (الدهانت) حرفه العرب فيما بعـــد (الى السند هند) الذى أصبح بعـــد أن تمت ترجمته نبراسا على هـــداية علماء الفـــلك العرب مدى نصف قرن او اكثر[٢٥٠] .

ومن أوائل من قام بترجمة السند هند الى العربية يعقوب بن طارق المتوفى سنة ٧٩٦ م وابراهيم الفزارى المتوفى سنة ٧٧٧ م ، ومن مؤلفات يعقوب بن طارق الأخرى جـــداول وضعها على أساس السند هند وكتاب يبحث فى تعيين الوقت ـــ وتمتـــاز كتاباته عن كتابات زميله باحتوائها على مزيد من الآراء الهندية ممـــا يشير الى تأليفها بعـــد أن ازداد معرفة واطلاعا على مختلف المراجع الهندية فى علم الفلك[٢٥١] .

---

(٢٤٩) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٠ .

(٢٥٠) المرجـع نفسـه ص ٢١ .

(٢٥١) المرجـع نفسـه ص ٢٢ .

سابعا ـ علم الكيمياء :

ظهر جابر بن حيان (٨٣ هـ/١٤٨ هـ ـ ٧٠٢ م/٨٦٥ م) ، واشتهر[٢٥٢] باشتغاله بالعلوم ولا سيما الكيمياء ، ولـه مصنفات ذكرها ابن النديم بالفهرست[٢٥٣] . وقـد اعتبر أبا الكيمياء[٢٥٤] الحديثة وقيل عنه أنه بلغ فى الكيمياء ما بلغه أرسطوطاليس فى علم المنطق . ومن خلال ادخال الأساطير والخرافات التى نشأت حول شخصيته وعلمه ، نستطيع أن نتبين عقـلا علميا رأى أهمية التجارب العلمية بصورة أوضح ممـا رآها أى من قـدماء الكيميويين ، ودون آراء جـد صـائبة فى أساليب البحث الكيميوى وتأثير جابر واضح فى ذلك سباق فى تاريخ الكيمياء فى أوروبا[٢٥٥] .

فجابر بن حيان الكوفى كان متقـدما فى العلوم الطبيعية بارعا فى صناعة الكيمياء ولـه فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة . وكان مـع هـذا مشرفا على كثير من علوم الفلسفة ومتقلـدا للعلم المعروف بعلم الباطن ، وهـو مذهب المتصوفين من اهـل الاسلام كالحارث بن أسد المحاسبى وسـهل بن عبد الله التسترى ونظرائهم ، وذكر محمد بن سعيد السرقسطى المعروف بابن المشاط والأسطرلابى الأندلسى أنه رأى لجابر بن حيان بمدينة مصر تأليفـا فى علم الأسطرلاب يتضمن ألف مسألة لا نظير لـه . ولجابر بن حيان تآليف عـديدة منها « كتاب السبعين » ، « كتاب الخواص » ، « كتاب السموم » وكتب أخرى كثيرة[٢٥٦] .

وانى لنا ان نعلم الناس ونحن فى حاجة لمن يعلمنا « ان فاقد الشىء لا يعطيه » . ولعل من أهم عـوامل انتصارات العرب هـو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم حتى أن الملك الفـارسى كيروس بنفسـه قال : « ان هـؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخـربين »[٢٥٧] .

كان جابر تلميذا لجعفر الصـادق أمام الشيعة على ما رواه بعض الثقات وقيل

---

(٢٥٢) قدرى حافظ طوقان : (**العلوم عند العرب**) . (سلسلة الألف كتاب ـ رقم ٤ ـ مكتبة مصر ـ شارع كامل صدقى بالفجالة ، سنة ١٩٥٦ م) ص ٩٨ .

(٢٥٣) ابن النـديم : **الفهرست** ص ٥١٢ ، ٥١٧ .

(٢٥٤) د. التيجانى الماحى : (**تاريخ الطب عند العرب**) . (الخرطوم ١٩٦٠) ص ٣٠ .

(٢٥٥) نجلاء عز الدين : (**العالم العربى**) ترجمة محمد عوض ابراهيم (القاهرة ـ بدون) ص ١٢ .

(٢٥٦) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٤٩ .

(٢٥٧) المرجـع نفسـه ص ٣٥٣ ، ٥٥٤ .

انه كان تلميذا لخالد بن يزيد بن معاوية الذى عرف بانه اول من تكلم فى الكيمياء وشرح صنعة الأكسير ، ونقل عنه جابر هـذه الصنعة التى اشتهر بها ، والف فيها نحـو خمسمائة كتاب وكان بعض الناس فى زمانه يعـدون هـذه الصناعة أمرا مرهوبا ، اذ كيف يتسنى للعقل استخراج الذهب من طبخ مواد نباتية ومعـدنية ، وقـد جرب بعضهم ما ذكر جابر مدة طويلة ، فذهب تعبه سدى وكتب على مصنفاته :

هـذا الـذى بمقـاله غـر الأوائـل والأواخـر
ما أنـت الا سـاحر كذب الذى سـماك جابر(٢٥٨)

لكن جابر على الرغم من ذلك كشف باختباراته العلمية أمورا مهمة فى فن الكيمياء وترجمت كتبه الى اللغات الأوروبية ، واشتغل الأوروبيون وقتا طـويلا بكيمياء جابر وانتفعـوا بها . فيذكر حاجى خليفة جابرا مصحوبا بعبـارة « تلميـذ جعفر الصـادق »(٢٥٩) ويقول كاردى فـو وهـو يتحـدث عن جابر : « ومعلماه هما : خالد بن يزيد بن معاوية وجعفر الصـادق »(٢٦٠) .

أما اولهما : فهـو أول من تكلم فى علم الكيمياء ، ووضـع فيها الكتب ونظر فى كتب الفلاسفة من أهـل الاسلام(٢٦١) ، وقـد أخـذ جابر عن خالد بن يزيد بن معاوية العلم(٢٦٢) . وأما جعفر الصادق : الذى كثيرا ما يرى اسمه فى كتابات جابر مشارا اليه بقوله « سـيدى » فهنالك من يزعم أنه جعفر بن يحيى البرمكى ، لكن الشيعة(٢٦٣) تقول : وهـو القـول الراجح الصـدق ــ أنه انمـا عنى به جعفر

---

(٢٥٨) حاجى خليفـة : كشف الظنـون ص ٣٤٣ .

(٢٥٩) المصدر نفسه ص ٣٤٣ .

(٢٦٠) د. زكى نجيب محمود : (**جابر بن حيـان**) . (أعـلام العرب عـ ٣ ـ وزارة الثقـافة ـ مكتبة مصر ـ القـاهرة ١٩٦١ م) ص ١٨ .

(٢٦١) حاجى خليفة : كشف الظنـون ص ٢٤٤ .

(٢٦٢) بمقارنة التواريخ التى ذكرناها نرى أن جابرا أخـذ العلم عن خالد فى كتبه لا باللقـاء المباشر لان وفاة خالـد سبقت ولادة جابر .

(٢٦٣) كانت مسالة الخلافـة قـد قسمت المسلمين فرقتين : أهـل السنة والشيعة وكان لأهـل البيت فريق يعترف سرا بحقوقهم ،حتى فى عهـد الخلفاء الثلاثة الأولين ، ولكن هـذا الفريق لم يجاهر بالخصام ، وبعـد عصر الخلفاء صـار يعارض كل من حكم من غير أبنـاء على ، وكانت هـذه المعارضـة موجهة اول الأمر الى الأمويين ، ثم الى من بعـدهم ممن لم تتوافر فيهم الشروط التى يوجبها الشيعة فى الامام .

=

الصادق ونقول انه مرجح الصدق لان جابرا شيعى ، فلا غرابة أن يعترف بالسيادة لامام شيعى[٢٦٤] . وهـذا الى وفرة المصادر التى لا تتردد فى أن جعفرا اشـار اليه فى حياة جابر ونشأته وهـو جعفر الصـادق .

وبدون شـك فان أعظم كيمياوى[٢٦٥] عربى كان ابو يوسف جعفر الـكوفى (جابر بن حيان) الذى عاش فى النصـف الثانى من القرن الثامن الميلادى وتعـد مؤلفاته دائرة معارف علمية وتعطينا ملخصا لعـلم الكيمياء فى عمره وقـد ترجم الكثير من مؤلفاته الى اللاتينية ، وأهمها هـو « مجموع الكحال » الذى ترجم الى الفرنسية سنة ١٦٧٢ م . كذلك نشط أهـل بغـداد فى دراسة علم الكيمياء وأخرجوا فيـه ابحاثا قيمة ومن أشهر علماء الكيمياء جابر بن حيـان الذى درس الكيمياء على يد أستاذه جعفر الصادق ، وأقام فى بغـداد واتصل بالبرامكة ، ونال حظوة عندهم وغادر بغداد بعد نكبة البرامكة ، ويعتبر جابر بحق واضـع علم الكيمياء اعتمد على التجربة فى وضع نظرياته وتحقيق ما كتب وألف كتبا فى الرياضة والفـلك والفلسفة بالاضافة الى ذلك[٢٦٦] .

=

والامام – عند الشيعة – هـو رئيس المسلمين ومعلمهم بفضل ما وهبـه الله من الصفات . وبحكم وراثته للنبى عليه السلام ، وهـو يحكم ويعلم متلقيا ذلك عن الله ... ويزعم الشيعة أن وراثة الامامة تنقلت من آدم حتى انتهت الى عبد المطلب جـد النبى عليه السلام ، وجـد على رضى الله عنـه ، ومن عبد المطلب انقسم النور الى قسمين : أحدهما انتقل الى عبد الله والـد النبى ، والآخر الى أخيه أبو طالب والـد على ، ثم سار النور من على الى ذريته ، وهـذا النـور الذى فى روح الامام يجعله امام عصره ويجعل لـه قـوى روحانية تجاوز حـدود المقـدرة الانسانية . (عن جـولد زيهر فى كتابه الذى ترجم الى الانكليزية بعنوان : « **محمـد والاسـلام** ») ص ٣٣٣ .

(٢٦٤) جعفر بن محمد ، ويلقب أيضـا بالصادق . سادس الأئمـة الاثنا عشرية ، ولـد عام ٨٠ هـ أو ٨٣ هـ/٦٩٩ م – ٧٠٠ م أو ٧٠٢ م – ٧٠٣ م ، وخلف فى الامامة أباه محمد الباقر ، ولم يكون لـه شـان فى عالم السياسة . ولكنه عرف بدرايته الواسـعة بالحـديث ، ويقال أيضا أنه اشتغل بالتنجيم والكيمياء وغيرهمـا من العلوم الخفية ، أما المؤلفات التى تحمل اسمه فقـد دست عليه فيما بعـد ، توفى بالمدينة عام ١٤٨ هـ/٧٦٥ م . والامامية متفقون على تسلسل الأئمـة حتى جعفر ولكنهم مختلفـون فى تعيين الامام الشرعى الذى خلفـه ، لأن جعفرا أعقب أبنـاء عـدة ادعى الامامة منهم مالا يقـل عن أربعـة هم : محمـد وعبد الله وموسى واسماعيل ، على أن غالب الامامية يعترفـون بأن موسى الـكاظم هـو الامام السابع (دائرة المعـارف الاسـلامية) .

(٢٦٥) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٨ .

(٢٦٦) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم عند العرب ص ١٦٢ .

لقــد توصل من خلال ابحـــاثه الى تكوين الزئبق والكبريت ولـــه أبحـــاث فى التفاعلات الكيمياوية والمعادلات فمثلا حـــدد العناصر التى تكون الذهب وكان جابر ينصح تلاميذه دائمـــا بالتجربة وعـــدم الاعتماد فى الأبحاث العلمية الا عليها مـــع التدقيق فى الملاحظة والاحتياط والتأنى فى الاستنتاج ، لأن التجربة طريق المعرفة ولقـــد عرف جابر الكثير من النظريات الكيمياوية كالتبخر والتقطير والترشيح والتبلور والتصعيد والاذابة ، وحضر كثيرا من المواد الكيماوية . وعرف خواصها مثل نترات الفضة وحامض الأزوتيك وهـــو اول من لاحظ أن محلول نترات الفضة يكون مـــع محلول ملح الطعام راسبا ابيض وأن النحاس يكسب اللهب لونا أخضر ولقـــد ميز بين التقطير والترشيح[٢٦٧] ويقول هوليارد : انه بواسطة جابر نقلت كتب عـــديدة من الاستانة الى بغـــداد بقصـــد الترجمة كما حـــدث ذلك من قبل فى عهد خالد بن يزيد قبل ثلاثة ارباع القرن[٢٦٨] :. **وهكذا** استقبل جابر فى **بلاط هارون** الرشيد بحفاوة زائدة ، وكانت صلته مـــع البرامكة قـــوية أيضا وخاصة مـــع يحيى بن خالد البرمكى الذى تجـــد ذكره فى رســـائله .

ومنذ حكم العباسيين[٢٦٩] بدأ تطـــور شـــامل فى نهضـــة العرب العلمية .. وكانت تفزات سريعة حملتهم الى القمة فى سرعة مذهلة وظـــل العرب متربعين على عرش العلوم حتى أواخر القرن الحادى عشر . قال الشـــاعر :

يانفس خوضى بحار العلم او غوصى   فالناس من بين مغموم ومخصوص

لا شىء فى هـــذه الدنيا يحاط به   الا احاطة منقـــوص بمنقوص[٢٧٠]

والحق أن جابرا كيميائى العرب الأول ـــ فهو أول من بحث فى علم الكيمياء ولقد اصاب من ارتفاع المكانة وفخامة الثراء ، وبعـــد الصيت ما جعله موضع التقدير . وقال عنه القفطى[٢٧١] : « كان متقـــدما فى العلوم الطبيعية بارعا منها فى صـــناعة الكيمياء ولـــه فيها تآليف كثيرة ومصنفات مشهورة ـــ وكان لا يقبل تعليم أحـــــد الكيمياء الا اذا أطمأن اليه اطمئنانا كاملا على مقـــدرته العلمية وحسن استعداده » .

---

(٢٦٧) HITTI : History of the Arabs, pp. 380-301.

(٢٦٨) هـوليارد : (**الكيمياء حتى عصر دالتـون**) . (طبعة باريس ١٩٢٨ م) ص ١٥ .

(٢٦٩) د. امام ابراهيم احمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ١٩ .

(٢٧٠) د. محمد يحيى الهاشمى : (**الكيمياء فى التفكير الاســـلامى**) . (دار الفكر العربى ـ القـاهرة ١٩٥٨ م) ص ٣٠ .

(٢٧١) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٢٢٠ .

كان ابن حيان يرى أن العالم فى استطاعته ان يجاوز الطبيعة الى ما وراءها بالبحث العلمى المجرد ، وهـذا ييسر لـه استخراج كوامن الطبيعة . ففى وسع الباحث العلمى أن يلتمس طريقه الى تحقيق غايته فى الوصول الى الحقيقة العلمية(٢٧٢) .

والواقـع أن جابر بن حيـان ينفرد أو يسبق غيره فى المنهـج العلمى . فهـو حريص على أن يقصر نفسه على مشاهداته المستندة الى التجربة التى تثبت صحتها وكان لا يعتمد على أقـوال الغير ما لم تؤيدها التجربة التى يجريها هـو . ولا يعتمد على ما توصـل اليـه غيره من نتـائج الا اذا كانوا ثقـات مشـهودا لهم بأمانتهم العلميـة(٢٧٣) .

أما مذهب ابن حيان العلمى فيسير فى ثلاث خطوات ، الاولى : ان يفترض العالم فرضا ليفسر الظاهرة المراد تفسيرها . والثانية : أن يستنبط من هـذا الفرض نتائج تترتب عليه . والثالثة : أن يطابق هـذه النتائج على الواقـع فان صـدقت تحول الفرض الى قانون علمى(٢٧٤) . يرى ابن حيان أن العالم يجب أن يكون مثابرا فى جهوده العلمية التى تهـدف الى الكشف عن الحقيقة مهما كلفـه هـذا البحث من عنـاء وجهد . ويؤكد ابن حيـان أنه لا نجاح فى عمـل علمى الا اذا كان مسبوقا بعلم يتبعه التجربة ثم التطبيق(٢٧٥) .

يقول الرواة ان يحيى البرمكى كانت له جارية فاتنة ، وقـد أصابها مرض عضـال أعيا الأطباء شفاؤه فعرض يحيى أمرها على جابر . ويقال أنه فحص عن حالها فوصـف لهـا دواء لمـا تناولته كتب الله لهـا الشفاء . وحينما علم يحيى بذلك تعجب غاية العجب ، وبالغ فى اكرام جابر . وبذلك توافرت لـه الأسباب التى عاونته على التعمق فى دراسة الكيمياء والطب(٢٧٦) .

غير انه لمـا وقعت الكارثة الكبرى التى ألمت بالبرامكة ونكبهم الرشـيد نكبة يختلف المؤرخـون فى تصويرها وشرح أسبابها ، فر جابر من بغـداد خـوفا على

---

(٢٧٢) د. زكى نجيب محمود : جابر بن حيان ص ٢٥ وما بعدها .

(٢٧٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٩٨ .

(٢٧٤) زكى نجيب محمود : جابر بن حيان : ص ٦٤ .

(٢٧٥) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٢٣ .

(٢٧٦) محمد عطية الأبراشى والتوانسى : (**أعلام الثقافة العربية ونوابغ الفكر الاسلامى**) . (مكتبة نهضة مصر . القاهرة - بدون) ص ٢٨ .

نفسه من ان يفتك به الرشيد لقوة صلته بالبرامكة ثم اقام فى الكوفة وظل بها زمنا حتى ادرك عصر المأمون وفى هذه الفترة من حياته سطع نجمه ، وملأت شهرته الخافقين ، فقد كان عصر المأمون عصرا مخصبا تم فيه نقل جميع الثقافات الأجنبية الى اللغة العربية فأقبل جابر على كتب الكيمياء الاغريقية والهندية يستوعب ما فيها وسرعان ما انتقل من دور التحصيل والاستيعاب الى دور التأليف والاضافة والابتكارات ، حتى أطلق عليه بحق أبو الكيمياء وتوفى جابر على ما رواه خير الدين الزركلى فى الاعلام فى سنة ١٦١ هـ(٢٧٧) .

يقول د. فيليب حتى(٢٧٨) : « تتلو مآثر العرب العلمية فى الطب والفلك والرياضيات مآثرهم فى الكيمياء ، ففى دراسة الكيمياء وسواها من العلوم الطبيعية أدخل العرب فكرة التجربة العلمية » غير أنه ينسب كل ما فى هذا العلم من الابتكارات فى العصر العربى « لجابر بن حيان » حتى قال فيه : « لجابر بن حيان فى علم الكيمياء ما لأرسطوطاليس من قبله فى علم المنطق »(٢٧٩) .

يقول كرد على « كان جابر اشهر من الف فى العربية فى علم الكيمياء واسمه يقترن من حيث الشهرة ومن حيث الأثر النافع بأسماء العظماء ورواد الحضارة والعمران(٢٨٠) .

كان لنقل كتب جابر بن حيان والرازى وغيرهم الى اللغات الأوروبية أن تلقى الأوروبيون عن العرب تقسيم المواد الكيمياوية الى نباتية وحيوانية ومعدنية(٢٨١) .

وقد أسدى العرب للحضارة خدمة جليلة فى علم الكيمياء بالتوصل الى تركيب المواد المعروفة ، والمواد المفرقعة لم تغير مجرى الحرب فحسب بل استخدمت أيضا فى السلم ، فقد عاونت على القيام بالكثير من الأعمال والمشاريع العمرانية العظيمة كشق الطرق بين الجبال والفكرة القديمة التى كانت سائدة هى أن اليونان

---

(٢٧٧) المرجع نفسه ص ٢٩ .

(٢٧٨) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطول جـ ٢ ص ٤٦٤ .

(٢٧٩) كرد على : (**الاسلام والحضارة العربية**) . (مطبعة لجنة التاليف والنشر - القاهرة - ط ٢ . ١٩٥٠ م) ٢١٦ .

(٢٨٠) المرجع نفسه ص ٢١٦ .

(٢٨١) عباس العقاد : (**أثر العرب فى الحضارة الأوروبية**) . (دار المعارف بمصر - القاهرة ١٩٦٣ م) ص ٤٣ ، ٤٤ .

والرومان هم الذين توصلوا الى اختراع هــذا المسحوق وهــذه فكرة خاطئـــة اذ الواقـــع أن سائر المواد الملتهبة التى استخدمت فى الحروب قــديما ومن بينها النــار الاغريقية لا علاقة لهـــا البتة بالمواد المفرقعة وما هى الا مواد متصلة بالنفط .

يقول فى هــذا المستشرق الألمــانى جورج يعقوب : « أما سبب الاضطراب الذى وقع فيه الكثيرون من العلماء حول المواد المفرقعة ومخترعها فهــذه الوثيقــة التى تشتمل على مسحوق ملح البارود(٢٨٢) والكبريت والفحم ، والتى يقال ان صاحبها هـــو « مرقس جويكرس » الذى يظــن أنه عاش فى القرن التاســـع الميلادى ولكن اثبت العلماء أن مرقس هــذا كان من أبناء القرن الثالث عشر ، وأنه اهتدى الى هــذا المركب حــوالى ١٢٥٠ م وتحت التأثير العربى » .

ولعـــل اكبر دليل على تحقيقات العرب العظيمة فى علم الكيمياء ما نراه اليـــوم من كلمات عربية ما تزال على لسان كل عالم كيمياوى بل ولسان كل ربة بيت منها : بنزين ، عطار ، الأكسير ، قطرون ، الصودا الكاوية ، الحنظل ، الكحول ، انيسلين ، عرق ، وغير ذلك . وكلها لم يتغير معناها فى القواميس الأجنبية . ويدين الطب لعلم الكيمياء العربى بسلسلة من أشكال العقاقير كالشراب الحلو المستخرج من الكرنب مع السكر الذى فعـــل دورا هاما فى تاريخ الطب(٢٨٣) .

كما نبغ الرازى فى علم الكيمياء والطب وأدخل حقل تجاربها الكثير من الأدوات وقــد بلغ ما الفـــه فى الكيمياء تسعة عشر كتابا . وكان أهم ما وضـــعه فى الكيمياء « كتاب الأسرار » الذى نقله الى اللاتينية جيرارد الكرمونى فأصبح مصـــدرا رئيسيا للكيمياء الى أن خلفته تآليف جابر بن حيان(٢٨٤) .

حاول الرازى كشف الأكسير الذى يهب الحياة ويعيد الشباب(٢٨٥) كما كان أبو بكر الرازى فى كتابه « الحاوى » أول من وصـــف تحضير حمض الكبريتيك والكحول الذى كان يحضر من نقطير النشويات والسكريات المخمرة(٢٨٦) .

لقـــد سلك أبو بكر الرازى فى تجاربه كما يتجلى فى كتبه مسلكا عمليا خالصا ،

---

(٢٨٢) جـورج يعقوب : أثر الشرق فى الغرب ص ٣١ .
(٢٨٣) زغريد هـونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٢٦ ، ٣٢٨ .
(٢٨٤) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطـول ج ٢ ص ٤٤٧ .
(٢٨٥) كرد على : الاســلام والحضارة العربية ص ٢١٦ .
(٢٨٦) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٨ .

وهـــذا ما جعـــل لبحوثه فى الكيمياء قيمة دفعت بعض الباحثين الى القـــول : « ان الرازى مؤسس الكيمياء الحـــديثة فى الشرق والغرب معا » . كما مجـــد العقل ومدحه وقـــد أورد فصلا خاصا بذلك فى كتابه « الطب الروحى » فهو يعتبر العقـــل أعظم نعم الله وانفـــع الأشياء وأجـــداها ، وبه ادراكنا ما حولنا ، واستطاع الانســـان بالعقل ان يسخر الطبيعة لمصلحته ومنافعـــه ، والعقل هـــو الذى ميز الانسان على الحيوان . وقـــد رفـــع الرازى شأن العقل وأدرك محله وخطره وجـــلاله فطالب : « بأن لا يجعله وهـــو الحاكم محكوما عليه ولا هـــو الزمام مزموما ولا هـــو المتبوع تابعـــا ، بل يرجـــع فى الأمور اليه ويعتبرها به ، ويعتمد فيها عليه فتمحصها على مضائه ، وتوقفها على ايقافه ولا يسلط عليه الهوى الذى هـــو آفته ومكدره ، والحائد به عن سننه ومحجته وقصـــده واستقامته . بل نرفضه ونذلله ، ونحمله ونجبره على الوقـــوف عند أمره ونهيه »(٢٨٧) .

ويتجلى فضل الرازى على الكيمياء بصورة واضحة فى تقسيمه المواد الكيمياوية المعروفة فى زمانه الى أربعـــة اقسام رئيسية وهى المواد المعـــدنية والمواد النباتية والمواد الحيوانية والمواد المشتقة ، ثم قسم المعدنيات لكثرتها واختلاف خواصها الى ست طـــوائف ولا يخفى ما فى هـــذا التقسيم من بحث وتجربة وهـــو ما يدل على المـــام تام بخواص هـــذه المواد وتفاعلاتها بعضها مع بعض(٢٨٨) .

والرازى يعظم صناعة الطب ومما يتصل بها من دراسات ولعل هـــذا من عوامل اهتمامه بالكيمياء . ومن مؤلفات الرازى فى الكيمياء : كتاب الأسرار فى الكيمياء ترجمه كريمـــونا فى أواخر القرن الثانى عشر للميلاد وكان المعتمـــد فى مدارس أوروبا مدة طـــويلة ، وقـــد رجع اليه « باكون » واستشهد بمحتوياته(٢٨٩) . ولا تزال الطرق التى اتبعهـــا فى ذلك مستعملة حتى الآن . والرازى أول من اتى على ذكر حامض الكبريتيك وقـــد سماه « زيت الزاج والزاج الأخضر » ونقله عن كتبه « البير الكبير » وسماه « كبريت الفلاســـفة » . واستخرج الكحول باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة ، وكان يستعمله فى الصيدليات لاستخراج الأدوية والعلاجات حينما كان يدرس ويطبب فى مدارس « بغـــداد » و « الرى »(٢٩٠) .

وهكذا كان جابر بن حيان وأبو بكر الرازى من أعظم العلماء العرب وأشهرهم فى المشرق والمغرب فى الكيمياء .

---

(٢٨٧) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢١٧ .

(٢٨٨) المرجـع نفسـه ص ٢١٨ .

(٢٨٩) المرجـع نفسـه ص ٢٢٠ .

(٢٩٠) المرجـع نفسـه ص ٢١٩ .

جـدول المتخصصين فى العلوم الاسـلامية فى بيت الحكمة

علم الكلام	علم المنطق	علم الفلسفة	علم الكيمياء
ابو الهذيل العلاف	عبد الله بن المقفع	ابو يوسف يعقوب الكندى	جابر بن حيان
أحمد بن يحيى بن اسحاق الراوندى	ثمامة بن الأشرس	أبو نصر الفارابى	أبو بكر الرازى
أحمد بن ابى داوود	يحيى بن المبارك	أبو حامد الغزالى	أبو يوسف يعقوب الكندى
ثمامة بن الاشرس	أبو نصر الفارابى	أبو بكر محمد بن زكريا الرازى	
	ابو على بن زرعة	يحيى بن عدى النصرانى	
	يحيى بن عدى النصرانى	ابو على بن زرعة النصرانى	
	أبو بشر متى بن يونس	أبو الحسن على بن هارون الزنجانى	
		ابو الخير الحسن بن موار المعروف (ابن الخمار)	
		أبو الفرج على بن الحسين بن هندو	

(تابع) جـدول المتخصصين فى العلوم الاسـلامية فى بيت الحكمة

علم الرياضيات	علم الطب	علم الفلك والتنجيم
محمد بن موسى الخوارزمى	آل بختيشوع (جرجس ، جبرائيل)	أبو عبد الله محمد بن جابر البتانى
أبو يوسف يعقوب الكندى	يوحنا بن ماسويه	موسى بن شاكر وأولاده الثلاثة
أولاد موسى بن شاكر (احمد ، محمد والحسن)	حنين بن اسحاق	أبو سهل الفضل بن نوبخت
ثابت بن قرة	الطبيب الهندى (منكه)	محمد بن ابراهيم الفزارى
أبو بكر محمد بن حسن الكرخى	يعقوب الكندى	يحيى بن أبى منصور
محمد بن جابر بن سنان	قسطا بن لوقا البعلبكى	محمد بن موسى الخوارزمى
أبو عبد الله البتانى	ابو بكر الرازى	سند بن على
الحسن بن الهيثم	على بن العباس المجوسى	على بن عيسى الأسطرلابى
البوزجانى الحاسب « محمد بن محمد بن يحيى بن اسماعيل بن العباس أبو الوفا البوزجانى »	ابن بطلان الحكيم	ما شاء الله
أبو القاسم على بن احمد	ابن جزلة البغدادى	أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى
المحتسبى الأنطاكى	على بن عيسى الكحال	العباس بن سعيد الجوهرى
أبو النصر الكلوازى	ابن التلميذ البغدادى	أحمد بن محمد النهاوندى
أبو الرشيد الرازى البرهانى	موفق الدين عبد اللطيف البغدادى	يحيى بن البطريق
أبو حنيفة بن داود الدينورى	ابو البركات بن على ملكا	أبو حامد بن محمد الصاغانى
ابن زهدون (ابو اسحاق ابراهيم بن هلال الحرانى)	ابن هبل البغدادى	سهل بن بشار
كمال الدين بن يونس	ثابت بن ابراهيم	عبد العزيز القابسى
قسطا بن لوقا البعلبكى		ابن أعلم الشريف البغدادى
نصر الدين الطوسى		أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن يوسف الأسطرلابى المعروف (بالبديع الأسطرلابى)
		أبو اسحاق ابراهيم بن سنان بن قرة
		محمد بن عيسى أبو عبد الله الماهانى
		أبو الحسن على بن اسماعيل الجوهرى
		أبو جعفر بن أحمد الكوهنى
		على بن زياد التميمى

الفصل الثانى : الحياة العلمية ونشاط الترجمة فى بيت الحكمة



١ ــ المترجمون الذين يعملون فى بيت الحكمة ، مثل : حنين بن اسحاق ، يوحنا ابن ماسويه ، الفضل بن نوبخت ، الكندى ٠

٢ ــ حركة النقل والترجمة على أيدي الموالى ، مثل علان الشعوبى ، الفضل ابن سهل ، سهل بن هارون ٠

٣ ــ دور المترجمين فى تنشيط حركة التأليف والترجمة ، مثل : أولاد شاكر : أحمد ومحمد وحسن ، ثابت بن قرة ٠

٤ ــ ترجمة التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية على يد حنين بن اسحاق ، وأولاد شاكر ، والكندى ٠

اولا — المترجمون الذين يعملون فى بيت الحكمة :

(أ) حنين بن اسحاق العبادى :

ولد سنة ١٩٤ هـ/٢٦٠ هـ — ٨١٣ م/٨٧٣ م وكان أبوه نصرانيا من العباديين بالحيرة وكان يشتغل بالصيدلة ، فلما نشأ حنين احب العلم ودرس الطب فى مدرسة جنديسابور وحضر مجالس يوحنا بن ماسويه فى بغداد(٢٩١) .

كان حنين بن اسحاق بحق شيخ المترجمين ، وكان من نساطرة العرب ، ويقال انه كان أعلم أهل عصره فى الطب . اهتم بدراسة اللغة اليونانية وعمل مع جبريل ابن بختيشوع طبيب المأمون ثم عهد اليه ببيت الحكمة ، وأمره المأمون ان يترجم ما يمكنه من الكتب اليونانية ، وكان يعمل معه ابنه اسحاق وابن أخته حبيش ابن الحسن . ومن الترجمات التى تنسب اليه شرح أرسطو وكتب لجالينوس وابقراط وديقوريدس ومجموعها حوالى خمسين كتابا ، وكتاب السياسة لأفلاطون والمقولات والخلقيات والطبيعيات لأرسطو . ويقال ان المأمون كان يعطى زنة ما يترجمه ذهبا ، وان بنى شاكر كانوا من المهتمين بالترجمة يدفعون له ولزملائه نحو خمسمائة دينار فى الشهر ثمن ما يقومون بترجمته(٢٩٢) .

كان حنين مترجما موثوقا دقيق التمحيص ، يجول فى العديد من البلدان ليجمع كل ما يقع تحت يديه من مخطوطات النص الواحد حتى اذا نجحت المحاولة قام بترجمة النص الموثوق فى أمانة دون أن يوغل فى الحرفية ، موصيا طلابه ومساعديه باتباع هذا النهج ، وهكذا استطاع حنين ومساعدوه فى مدرسة الترجمة خلال العقود الخمسة من حياته أن ينقلوا الى العربية جميع ما توفر من البحوث اليونانية الهامة فى العلوم الصحية من ذلك أشهر ما ضمنته مجموعة أبقراط ، وكتابات أرسطو وجالينوس ، وكذلك الشروح والتنقيحات التى تلت ذلك من بحوث أورينانيوس الى كتابات بادلوس(٢٩٣) .

لكن حنين بن اسحاق صمم على تعلم اللغة العربية لأنه رأى فيها خير مساعد له على ارواء غلته من الثقافة الطبية ، وقد اندفع بقوة فى هذا الاتجاه

---

(٢٩١) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٣ .

(٢٩٢) د. حسن التسيال : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٨٨ ، ٨٩ .

(٢٩٣) جون س. بادو وآخرون : عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضة ص ١٧٦ .

حتى أنه برىء من دين النصرانية أن رضى أن يتعلم الطب حتى يحكم اللسان اليونانى احكاما لا يكون فى دهره من يحكمه احكامه(٢٩٤) . فسافر الى بلاد الروم(٢٩٥) وهناك أحكمّ اللغة اليونانية وتوصل فى تحصيل كتب الحكمة غاية امكانه(٢٩٦) .

كما تعلم حنين اللغة اليونانية باحساس من الحاجة اليها ، وكذلك نجد أنه وهو أحد أبناء الحيرة اضطر الى تعلم العربية فى وقت متأخر من حياته ، كانت الطبقات الدنيا فى الحيرة تتكلم السريانية(٢٩٧) فقصد البصرة وكانت فى ذلك العهد أكبر معهد لعلوم اللغة العربية وملتقى أقطابها يقصدها الطلاب من كل بلد ليحذقوا ويفهموا(٢٩٨) . وهنا لزم الخليل بن أحمد حتى برع فى اللسان العربى وبذلك أصبح حنين يجيد لغات أربع : هى(٢٩٩) : الفارسية واليونانية والعربية والسريانية التى هى لغته الأصلية ، ولقد اعانه ذلك على أن ينقل الكتب الى السريانى والى الاوروبى .

ولقد بلغ من سرور جبريل بحنين واعجابه بروعته فى ترجماته ، أنه قدمه لأبناء موسى الثلاثة ، وقد كانوا من رعاة العلم الأثرياء ، يقول القفطى فيهم : « وممن عنى باخراج الكتب من بلاد الروم ، محمد واحمد والحسن بنو موسى بن شاكر المنجم ، وقد بذلوا فى سبيل ذلك من الرغائب ، وأحضروا الغرائب منها فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والارثماطيقى والطب وغيرها »(٣٠٠) . فاحتضنه هؤلاء وكانوا أصحاب الفضل فى اظهار مواهبه كما كانوا يجزلون له العطاء وقدموه(٣٠١) بدورهم الى الخليفة المأمون ، فعينه عميدا لبيت الحكمة(٣٠٢) .

يذكر ابن أبى أصيبعة : « ان المأمون احضره وكان فتى وأمره بنقل ما يقدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العربى واصلاح ما ينقله غيره فامتثل أمره . وقام بما أسند اليه خير قيام وظل يوالى النقل بهمة واقتدار حتى أيام المتوكل »(٣٠٣) .

---

(٢٩٤) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٥ .
(٢٩٥) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٩ .
(٢٩٦) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٠ .
(٢٩٧) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٩٩ .
(٢٩٨) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ١٥ .
(٢٩٩) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٤٠ .
(٣٠٠) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤ .
(٣٠١) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٩ .
(٣٠٢) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ١٥ .
(٣٠٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٩ .

ويقول ابن العبرى : « ولم يزل أمره (حنين) يقوى وعلمه يتزايد وعجائبه تظهر فى النقل والتفاسير حتى صار ينبوعا للعلم ، ومعدنا للفضائل واتصل خبره بالخليفة المتوكل فأمر باحضاره »[٣٠٤] واختاره للترجمة وائتمنه عليها وجعل له كتابا تحارير عالمين بالترجمة كانوا يترجمون ويتصفح ما ترجموا[٣٠٥] .

كذلك ذكر أنه كان يؤلف الكتب بالسريانية أو يترجمها الى العلماء النصارى وأطبائهم . بينما كان يؤلف الكتب العربية ويترجمها الى العلماء المسلمين[٣٠٦] . ويذكر سويتمان[٣٠٧] : « ان حنينا كان يترجم الى السريانية ، ثم ينقل ابنه اسحاق ما يترجمه الى اللغة العربية » . ويقرر أوليرى[٣٠٨] : « ان بعض ترجمات حنين قد نقحها فيما بعد كتاب متأخرون » .

والواقع أن هذا المسلك قد يثير الشك فى معرفة حنين باللغة العربية « يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى » : كان يغلب عليه أن يترجم من اليونانية الى السريانية ثم يدع لتلاميذه مهمة الترجمة من السريانية الى العربية ، وهذا أمر غريب حقا لأن حنين بن اسحاق كان يتقن العربية اتقانا مدهشا ، فماذا يدعوه اذن الى اتخاذ هذا الطريق الملتوى الغريب »[٣٠٩] . الموقف يتضح اذا ما عدنا الى قول أوليرى : « ان حنينا اضطر الى تعلم العربية فى وقت متأخر من حياته »[٣١٠] . فكان أن قصد البصرة ولازم الخليل بن أحمد حتى برع فى اللسان العربى .

فلا غرابة اذن أن يدع حنين مهمة الترجمة من السريانية الى العربية لتلاميذه ، وأن يتناول الكتاب المتأخرون بعض ترجماته بالتنقيح والتهذيب ذلك لأنه ظل شطرا من حياته يحس بحاجته الى اتقان العربية هذا فضلا عن أنه هو نفسه قد أعاد

---

(٣٠٤) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥١ .

(٣٠٥) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٨ .

(٣٠٦) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ٣٧ .

(٣٠٧) SWEETMAN : Islam and Christion Theology V. L., p. 88.

(٣٠٨) أوليرى : (علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب) تحقيق د. وهيب كامل (مكتبة النهضة المصرية – القاهرة ١٩٦٢ م) ص ٢٢٨ .

(٣٠٩) د. عبد الرحمن بدوى : (فن الشعر لأرسطوطاليس) . (مطبعة مصر – بدون التصدير ص ٥٣ .

(٣١٠) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٩٩ .

ترجمة الكتب التى كان قد ترجمها فى صدر حياته الى العربية عندما أحس تفوقه فيهـا(٣١١) .

لم يشأ حنين أن يقف عند حد النقل والتعريب فقد أحس قدرته على التأليف فى هذه الموضوعات التى طالما اشتغل بالترجمة فيها . فقد أورد القفطى قائمة(٣١٢) كاملة لمؤلفاته وقد كانت باللغتين السريانية والعربية وكانت كتبه الطبية صورة منعكسة لكتب أطباء اليونان التى استنفذ فى ترجمتها أهم قسط من نشاطه فى حياته العلمية . وقد ذكر ماكس مايرهوف أن أهم كتبه(٣١٣) « تفسير كتاب الصناعة الصغيرة لجالينوس » وقد ترجم الى اللغة اللاتينية ، و « المسائل فى الطب » وهو مقدمة للطب العام على هيئة أسئلة واجوبة ، ثم كتاب العشر مقالات فى العين وكتاب المسائل فى العين . ثم نجد ابن أبى اصيبعة قد عقد فى كتابه عيون الأنباء بابا للنقلة الذين نقلوا كتب الطب وغيره من اللسان اليونانى الى اللسان العربى وعند تحليلنا لقائمة الأسماء التى أوردها فى هذا الباب ، وجدنا أنه صنف المترجمين الى درجات ومستويات متباينة بحسب اتقانهم للترجمة فقد اعتبر حنينا بن اسحاق من المجودين فى النقل وقال عنه : « كان عالما باللغات الأربع عربيها ومستعملها : العربية والسريانية واليونانية والفارسية ونقله فى غاية الجودة »(٣١٤) .

كما كان ابنه اسحاق ابن حنين عالما باللغات التى يعرفها أبوه ، وهو يلحق به فى النقل ومثلهما كان حبيش الأعسم ناقلا مجودا(٣١٥) كما كان هناك عيسى بن يحيى بن ابراهيم تلميذ حنين ابن اسحاق وقد أثنى عليه حنين ورضى نقله وقلده فيه وكان اصطفن بن بسيل يقارب حنينا فى النقل الا أن عبارة حنين أفصح واجلى(٣١٦) .

ومن بين المترجمين الآخرين من كان متوسط الحال فى الترجمة فمثلا كان ايوب المعروف بالأبرش قليل النقل متوسطه وما نقله فى آخر عمره يضاهى نقل حنين ،

---

(٣١١) د. النبحات السيد زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٩٣ ، ١٩٤ .

(٣١٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٩ ، ١٢٠ .

(٣١٣) حنين بن اسحاق : مقدمة العشر مقالات فى العين ص ٢٣ ، ٣٩ .

(٣١٤) ابن أبى أصيبعة ، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٧٩ .

(٣١٥) المصدر نفسه ص ٢٧٩ .

(٣١٦) المصدر نفسه ص ٢٧٩ .

ومثله كان ابن شـــهدى الكرخى الذى نقل من السريانى الى العربى(٣١٧) . والحجاج ابن يوسف بن مطر الذى نقـــل للمـــأمون كتاب أقليدس وكذلك سرجس الراس (من اهـــل مدينة رأس العين)(٣١٨) الذى كان متوسطا فى النقل .

والى جانب هـــؤلاء المترجمين المذكورين كان هناك تراجمة آخرون لم يتقنـــوا فى راى ابن أبى اصيبعة نذكر منهم على سبيل المثال : فثيون الترجمان الذى كان « كثير اللحن ولم يكن يعرف علم العربية أصلا »(٣١٩) وابو سارى بن أيوب الذى لم يكن يعتد بنقله وحيرون بن رابطة الذى ليس له شهرة بجودة النقل(٣٢٠) .

اذ نستنتج من قائمة ابن أبى اصيبعة أيضـا أن بعض النقلة تتلمذوا على بعض التراجمة المشهورين ، فقـــد تتلمـــذ حبيش وعيسى بن يحيى على حنين بن اسحاق ، والى جانب ذلك نجـــد أن بعض النقلة المشهورين اتخـــذوا لهم أعـــوانا ممن عرفوا بجـــودة النقل لمساعدتهم فى الترجمة مثال ذلك أن حنين بن اســـحاق استعان بقسطا الرهاوى ، عندما كثرت عليه الكتب وضاق عليه الوقت ثم يصلحها(٣٢١) .

بعـــد ذلك الوقت بثلاثين سنة أسس حنين بن اســـحاق الذى عرف لدى الغرب باسم (يوحنا نيوس) مدرسة للمترجمين فى العراق(٣٢٢) ، ظلت تواصل عملها على يد كل من ابنه اســـحاق بن حنين وابن اخته حبيش بن الحسن ، وكان السريان والنساطرة هم الذين استخدموا الترجمات السريانية القـــديمة لفلاسفة اليـــونان ، بمثابة نصوص يونانية للمؤلفات الفلسفية التى كان عليهم أن ينقلوها الى اللغـــة العـــربية .

(ب) يوحنـــا بن ماســـويه(٣٢٣) :

توفى « ٢٤٣ هـ/٨٥٧ م » وكان ممن قـــدموا من جنديسابور من هـــذا الوقت

---

(٣١٧) المصـدر نفسـه ص ٢٨٠ .

(٣١٨) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ٣ ص ١٤ .

(٣١٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء ج ١ ص ٢٨٠ .

(٣٢٠) المصـدر نفسـه ص ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٣٢١) المصـدر نفسـه ج ١ ص ٢٨٢ .

(٣٢٢) سليم طـه التكريتى : (**شيخ المترجمين حنين بن اسحاق**) مجـــلة العربى ـ الكويت (١٩٦٨ م) عـ ١٠٧ ص ١٠٢ ، ١٠٨ .

(٣٢٣) راجـع ترجمة ابن النـديم : الفهرســت ص ٤٢٥ ، ٤٢٦ .

تقريبا بدأت مدرسة الطب فيها تفقد أهميتها لأن كبار الأطباء والأساتذة قد ذهبوا الى قصور الخلفاء ببغداد[٣٢٤] . كان يوحنا سريانيا نسطوريا ، وقد ولاه هارون الرشيد ترجمة الكتب الطبية القديمة التى وجدت بأنقره وعمورية وسائر بلاد الروم حين افتتحها المسلمون وسبوا ما فيها ، ووضعه أمينا على الترجمة ورتب له كتابا حذاقا يكتبون بين يديه[٣٢٥] . وقد أقام يوحنا مستشفى فى بغداد ، كذلك جعله الخليفة المأمون فى سنة ٢١٥ هـ/ ٣٨٠ م رئيسا لبيت الحكمة وقد الف يوحنا كتبا كثيرة بلغت ثمانية وعشرين كتابا[٣٢٦] منها كتاب البرهان ، وكتاب دغل العين ، وعربية هذا الكتاب ركيكة مع استعمال اصطلاحات اغريقية وسريانية وفارسية[٣٢٧] وكان يوحنا يعقد مجلسا للنظر ويجرى فيه من كل نوع من العلوم القديمة بأحسن عبارة ، وكان يدرس ويجتمع اليه تلاميذ كثيرون وقد تتلمذ عليه حنين بن اسحاق فترة من الزمن[٣٢٨] .

على أن الترجمة لم تلبث أن اخذت فى العصر العباسى وصفا رسميا يدخل فى سياسة الدولة ، وتعتمد على رصيد سخى من الخزانة العامة ، وقد استوعبت الحركة فى عصر الرشيد وولده ذخائر التراث الفكرى والعلمى فى الفلسفة والرياضيات والطبيعة لليونان والفرس والهند ومصر . ثم ما لبثت العقلية الاسلامية أن هضمت ذلك التراث وتمثلته فأعطته روحا جديدة على نحو ما فعلت مدرسة الاسكندرية بالفكر اليونانى حين هاجر[٣٢٩] اليها . وترجمتها الى اللغة العربية وشتان بين غزو من أجل استعباد الشعوب وسلب الناس حرياتهم وحقوقهم الطبيعية فى الحياة والهدار آدميتهم ، والحط من كرامتهم ، وفى عصر الرشيد اشتهر يوحنا بن ماسويه باعتباره شيخ المترجمين ، وقد كان للرشيد ثقة كبيرة فيه ، فنقرأ فى تاريخ عصر هارون الرشيد أنه الف هيئة علمية باشراف « ابن ماسويه » مهمتها تقدير التعويضات التى تدفعها الدول المهزومة من ذخائر كتبها[٣٣٠] . وهو الذى نصح هارون الرشيد بانشاء دار كبيرة للكتب ، تلك الدار التى اتسعت واشتهرت فيما بعد وأصبحت

---

(٣٢٤) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٥٦ .

(٣٢٥) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٣٢٦) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٣ .

(٣٢٧) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤٦ .

(٣٢٨) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٢٧ .

(٣٢٩) د. عائشة عبد الرحمن : (لغتنا والحياة) . (دار المعارف بمصر – القاهرة ١٩٧١ م) ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٣٣٠) المرجع نفسه ص ٧٤ .

تدعى « دار الحكمة » فى عصر المأمون . وقد تميز هذا العصر بأنه كان عصر تهذيب للترجمات السابقة ذلك التهذيب الذى ترتب عليه التحصيل الواعى والهضم الدقيق لجميع الثقافات الأجنبية ثم عصر الابتكار وبناء الثقافة العربية الاسلامية ووضع أصولها ومناهجها(٣٣١) .

(جـ) ابوسهل الفضل بن نوبخت :

وهو من ائمة المتكلمين ومشاهير المترجمين ، كان متضلعا باللغتين الفارسية والعربية وكان يشتغل فى بيت الحكمة فيترجم من الفارسية الى العربية ، ومعوله فى عمله على كتب الفرس ، وله عدة مؤلفات بعلوم مختلفة ، ولذا فان هارون الرشيد عهد اليه بترجمة كتب الحكمة الفارسية الى العربية(٣٣٢) . يقول ابن النديم عنه(٣٣٣) : « أنه كان فى خزانة الحكمة لهارون الرشيد وله نقل من الفارسى الى العربى » .

ومن الممكن أن نقرر دون تردد أن هذا الصنف من العلماء الباحثين عاشوا فى بحبوحة من العيش ونعموا بمستوى مالى مرموق اذ أضفى عليهم الخلفاء والعظماء كثيرا من عنايتهم وأمدوهم بهبات متجددة وافضال لا تنقطع . فقد حكى عن المأمون أن منحه لحنين بن اسحاق كانت متصلة وهباته اليه لا تتوقف(٣٣٤) .

فكانت النهضة العلمية التى احتضنها المسلمون ورعوها تعتمد جل الاعتماد على الدراسات التى قام بها غير العرب من الشعوب الأخرى ، ومن أجل هذا كان المترجمون حلقة الاتصال بين العرب وهذه العلوم وبمساعدة هؤلاء المترجمين وعن طريقهم نقلت علوم اليونان والسريان والقبط والفرس والهنود الى اللغة العربية . ولكننا نتحدث قصيرا عن نماذج لطائفة واحدة من المترجمين تشمل هؤلاء الذين كانوا يقومون بعملهم فى بيت الحكمة(٣٣٥) .

ومنهم النساطرة واليعاقبة والصابئة والمجوس والبيزنطيون والبراهمة ، وترجموا من اليونانية والفارسية والسريانية والهندية والقبطية الى اللغة العربية ،

---

(٣٣١) أبو الفتوح التوانسى : من أعلام الطب العربى ص ٢٢ .
(٣٣٢) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٦ .
(٣٣٣) المصدر نفسه ص ٣٨٢ .
(٣٣٤) KHUDA BUKHSH : Islamic Civilzation, p. 277.
(٣٣٥) ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٧٥ .

وأقبل الناس على هذه الكتب والبحث فيها أيما اقبال . وترتب على حركة الترجمة وذيوع الكتب المنقولة الى اللغة العربية أن اتيح للمسلمين تصحيح أغلاط القدماء فى كثير من المواضع ، كما أضافوا من عندهم اضافات وابتكارات قيمة ولا سيما فى الطب والفلك والكيمياء والرياضيات(٣٣٦) .

(د) أبو يعقوب بن اسحاق الكندى :

من قبيلة كندة ، عربى النسب ، عاش ما بين سنة ١٨٥ هـ/٢٥٢ هـ — ٨٠١ م/ ٨٦٧ م وولد فى الكوفة ودرس فى البصرة على أشهر علمائها حتى برز فى علم الفلسفة ولذلك لقب بفيلسوف العرب ، تمييزا له عن أقرانه من المتوافرين على دراسة الحكمة العقلية من غير العرب ، كما كان أبوه أميرا على الكوفة فى القرن الثانى الهجرى . وحصل الكندى بعض علومه فى البصرة ثم فى بغداد واولع بدراسة ثقافة الفرس وحكمة اليونان ، وكان يخدم فى قصور الخلافة ويشتغل بترجمة كتب اليونان وتهذيب ما يترجمه غيرمنها كما كان واسع الاطلاع على جميع العلوم ، وقد تمثل منها كل ما كان فى عصره وله آراء خاصة فى الجغرافيا وتاريخ التمدن والطب والفلسفة والكيمياء وآراؤه الكلامية فيها نزعة المعتزلة قاوم نظرية شائعة فى عصره قيل أنها تنسب للبراهمة وهى أن العقل وحده مصدر المعارف ، وكان يدافع عن النبوة ، ولكنه كان يميل الى التوفيق بينها وبين العقل كما اخذ بمذهب ارسطو(٣٣٧) .

عاش الكندى فى الزمن الذى يعرف بعصر الترجمة ، ونبغ فى خلافة المأمون صاحب بيت الحكمة ، وعاصر كبار النقلة المشهورين مثل حنين بن اسحاق وابنه اسحاق ، وخاض غمار هذه الحركة ، وشارك فيها حتى قال صاعد الأندلسى نقلا عن أبى معشر فى كتاب المذكرات « ان حذاق الترجمة فى الاسلام أربعة : حنين بن اسحاق ويعقوب الكندى وثابت بن قرة الحرانى ، وعمر بن الفرخان الطبرى(٣٣٨) .

وكان الكندى فى الأغلب لا يترجم بنفسه ، بل يترجم له ترجمة حرفية ناقل آخر ، ثم يتناول هو هذه الترجمة بالصقل والتهذيب ، ويضعها فى قالب عربى رشيق

---

(٣٣٦) د. محمد مصطفى زيادة وآخرون : (**تاريخ العالم العربى وحضارته**) . (مكتبة نهضة مصر بالفجالة — القاهرة — بدون) ص ٣٦١ .

(٣٣٧) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٩٦ .

(٣٣٨) د. أحمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٥٩ .

بمقدار ما نسمح به الموضوعات الفلسفية العميقة . ومن المعروف أن الذى كان ينقل له هو « اسطاث » . وقد روى هذا الخبر صاحب الفهرست عند كلامه عن كتب أرسطو فقال عنه فى ترجمة كتاب الميتافيزيقيا : « انه يسمى كتاب الحروف ويعرف بالالهيات ، نقلها اسحاق ، ونقل حرف الميم أبو زكريا يحيى بن عدى . وهذه الحروف نقلها اسطاث للكندى(٣٣٩) وكان اسطاث من النقلة المتوسطين كما ذكر ابن ابى اصيبعة صفوة القول : لم يكن الكندى يعرف فى الاغلب اليونانية(٣٤٠) .

نستطيع أن نجزم أنه كان ينقلها ولكنه أيضا لم يكن يترجم عنها بنفسه ، بل كان يعالج ترجمة النقلة ويصلحها . ولا يتسنى هذا الاصلاح بغير رجوع الى الأصل مع معرفة وثيقة للسان الذى ينقل عنه(٣٤١) .

كما كان يمارس نشاطه العلمى فى عهد الخليفة المأمون فيما بين سنتى (١٩٨ هـ/٢١٨ هـ — ٨١٣ م/٨٣٣ م) واهتم الخليفة بالكندى ومؤلفاته وشجعه فى انتاجه العلمى وخاصة فى الفلسفة ويقول العالم الأوروبى « بيكون » : « ان الكندى والحكم ابن الهيثم هما فى الصف الاول مع بطليموس » . واضاف البروفيسير برنارد لويس فى كتابه تاريخ العرب : « ان المسلمين فى عهد المأمون اهتموا بالترجمة ، فترجم الكندى فلسفة أرسطو طاليس » .

كما أن الخليفة المأمون انتخبه « الكندى » ليكون احد الذين يعهد اليه فى ترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من حكماء اليونان(٣٤٢) . وجدير بالذكر ان الكندى هو المؤسس الأول للمدرسة التى تخصصت فى تعليم الفلسفة وخاصة فلسفة ارسطو وشارك الكندى فى شرح المجستى والتعليق عليه باللغة العربية . كما كان واسع الأفق فى علم المنطق وعلم الفلسفة .

يقول جيرارد ترمونه : « ان الكندى خصب القريحة وأنه كان واحد عصره فى الالمام بالعلوم بأسرها ، وان احاطته بكل أنواع المعارف تدل على سعة مداركه

---

(٣٣٩) ابن النديم : الفهرست ص ٣٥٧ ، ٣٦٥ .

(٣٤٠) يقرر الدكتور ماكس مايرهوف : ان الكندى كان يعرف للغة اليونانية وينقل عنها . انظر التراث اليونانى والحضارة الاسلامية ص ٥٩ ترجمة عبد الرحمن بدوى .

(٣٤١) د. أحمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٦٣ .

(٣٤٢) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٦٧ .

وقــوة عقله وعظم جهوده » . كما نال اعجاب ابن نباته الذى قال عنه : « وانتقــل الكندى الى بغــداد فاشتغل بعلم الأدب ، ثم بعلوم الفلسفة جميعها فأتقنها ، وحــل مشكلات كتب الأوائل وصنف الكتب الجــديدة ، وكانت دولة المعتصم تتجمل بالكندى ومصنفاته وهى كثيرة جــدا وافتخر العرب فى المــاضى والحاضر بالكندى وانتاجــه الفكـــرى(٣٤٣) .

ويصف هـ. ج. ويلز هــذه الحركة العلمية بقوله : « كان مثلها كمثل نور فى مصباح يحجب النور دون العالم كافة ، وقــد يكون شعلة وهاجــة تخطف الأبصار ، ولكنها مــع ذلك مستورة لا تراها الأنظار »(٣٤٤) ومدح أبو العلاء المعرى بغــداد بكثرة ما فيها من علم اذ يقول فى احــدى رسائله : « وجــدت العلم ببغــداد اكثر من الحصى عند جمرة العقبة »(٣٤٥) .

---

(٣٤٣) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى ص ١٠١ .

(٣٤٤) هـ. ج. ويلز : (**موجز تاريخ العالم**) ترجمة عبد العزيز جاويد (مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٦٧ م) ص ١١٩ .

(٣٤٥) د. شوقى ضيف : (**الفن ومذاهبه فى النثر العربى**) . (دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م) ص ٢٦٦ .

ثانيا — حركة النقل والترجمة على أيدى الموالى :

شكل أهل الذمة فى بغداد فى العصر العباسى الأول عنصرا هاما من عناصر المجتمع ، والواقع كانت معاملة الخلفاء ورجال الدولة لهم تنم عن عدل وتسامح وكرم ، واطلق الخلفاء لرؤسائهم الروحيين مباشرة أمور وشئون أبناء ملتهم ، وكان رئيس النصارى فى بغداد يسمى « الجاثليق » ويعينه الخليفة بعد استشارة كبار الأساقفة ويتم تعيينه بعد اصدار منشور يتضمن الحقوق والامتيازات التى تمنحها الدولة له — أى الجاثليق — وتمنحه الحق فى مراجعة حكومة بغداد فى الأمور التى تتعلق بالمسيحيين الرعايا(٣٤٦) .

كان الجاثليق الجديد اذا تم تعيينه ، يسير بحفاوة الى قصر الخلافة ، وهناك يمنحه الخليفة عهد توليته ، ويتضمن حقوقه فى مباشرة سلطانه ثم تلقى عليه الخلع الثمينة — وبعد ذلك يتوجه الى المدائن وتصحبه فرقة من الجنود وجماعة من المطارنة والأساقفة وكبار رجال الدولة حيث يزور ضريح مارى فى ديره وفقا للتقاليد المتبعة فى ذلك ثم يعود الى بغداد ويقيم فى كنيسة دار الروم — مقره الرسمى —(٣٤٧) .

يقول د. حتى : « ساهم أهل الذمة فى بغداد فى ازدهار الحركة العلمية فى العصر العباسى الأول ونشر المعرفة فأسسوا المدارس وقاموا بالتدريس لأبناء كبار رجال بغداد ، وترجموا الكتب من اللغات الأجنبية الى اللغة العربية ، ذلك ان الخلفاء العباسيين الأول عنوا بترجمة الكتب العلمية واستعانوا بأهل الذمة فى حركة الترجمة هذه ، وقدر الخلفاء جهودهم ومنحوهم الرواتب الجزيلة ، وكان الخلفاء يرسلون العلماء الموثوق بهم من أهل الذمة الى الدولة البيزنطية لابتياع طرائف الكتب وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب ويعهدون الى التراجمة من أهل الذمة بنقل هذه الكتب الى العربية »(٣٤٨) .

أما مراحل الترجمة فيقول د. أحمد فريد رفاعى(٣٤٩) : اتفقت كلمة الباحثين على

---

(٣٤٦) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٤٧ .

(٣٤٧) رفائيل بابو اسحاق : (تاريخ نصارى العراق) . (مطبعة المنصور — بغداد — العراق ١٩٤٨ م) ص ٦٧ .

(٣٤٨) HITTI : History of the Arabs, p. 327.

(٣٤٩) د. أحمد فريد رفاعى : عصر المأمون : ج ١ ص ٣٧٩ ، ٣٨١ .

أن الترجمة فى هــذا العصر مرت بثلاث مراحل متميزة ، تختلف كل منها عن الأخرى فى لغتها ومدى الاهتمام بها والاقبال عليها .

المرحلة الأولى ـــ وتبدأ من عصر المنصور سنة ١٣٦ هـ الى نهاية حـــكم الرشـــيد ســـنة ١٩٣ هـ :

والترجمة فى هــذه الفترة كادت تكون حرفية لا تتجاوز العبارة الأعجمية وان بدت فى ثوب عربى . ولهــذا أعيد ترجمة بعضها فيما بعـد بلغــة افصح وتعبير أحكم واوضح .. وأشهر النقلة فى هــذه المرحة يوحنـــا بن البطريق الذى ترجم للمنصور كتاب المجستى لبطليموس . ومحمد الفزارى الذى ترجم عن الهندية كتاب « السند هند » فى الفـــلك والتنجيم ، وعبد الله بن المقفـــع الذى ترجم عن الفهلوية ـــ كليلة ودمنة ـــ كما ذكر ابن حيان عن صاعـــد الأندلسى فى كتابه طبقات الأمم ـــ أنه ترجم كتب ارســـطوطاليس المنطقية الثلاثة وهى : كتاب قاصاغوريوس ومعنـــاه المقولات ويبحث فى الأجناس العالية ، وكتاب انالوطيقيا ومعناه تحليل القياس ويبحث فى أشكال القيـــاس المنطقى(٣٥٠) . وكتاب بارى أرميناس وهـــو كتاب العبـــارة الذى يبحث فى القضـــايا التصـــديقية(٣٥١) ، كما ترجم كتاب المدخـــل المعروف بايساغوجى لفرفوريوس الصورى الذى ألفـــه ليكون مدخلا لكتب ارســـطو فى المنطق . ومن أشهرهم أيضا جورجيس بن جبرائيل ، ويوحنا بن ماســـويه الطبيبان النصرانيان وصالح بن بهلة صاحب الرشيد ، ومنكه طبيبه الهندى وابن دهنه مدير بيمارستان البرامكة ، وسلامة الأبرش وباسيل المطران . كما كان البرامكة ـــ فضـــــلا عن الخلفـــاء ـــ يشجعون هـــذه الحركة ويبذلون فى سبيلها المـــال الوفير وكانوا كلما وقعت فى أيديهم مدينة رومية يأمرون بترجمة ما يعثرون عليه فيها من الكتب(٣٥٢) .

المرحلة الثانية ـــ وتبدأ من عهـــد المـــأمون سنة ١٩٨ هـ الى نهاية القرن الثالث الهجـــرى :

وفيها بلغت الترجمة أسمى درجات النمو والازدهار وأنها لمدينة من غير شك

---

(٣٥٠) د. محمد نبيه حجاب : (**مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى**) (نهضـــة مصر بالفجالة ـ القـــاهرة ط ١ . ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م) ص ٥١٧ .

(٣٥١) د. محمد البهى : (**الجانب الالهى من التفكير الاسلامى**) (بيروت لبنان ط ٥ ، ١٣٨١ هـ/ ١٩٧٢ م) جـ ١ ص ٢٧٦ .

(٣٥٢) د. محمد نبيه حجاب : **مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى**) ص ٥١٨ .

للمـــأمون الذى نفخ فيها من روحـــه ووجه اليها عناية ليست بعـــدها عناية حتى اصبح عصره بحـــق العصر الذهبى[٣٥٣] .

المرحلة الثالثة ــ وهى التى كانت بعـــد القرن الثالث الهجرى :

واشهر المترجمين فيها أبو بشر متى بن يونس ، وسنان بن ثابت ، ويحيى بن عـــدى وابو زرعـــة وهلال الحمصى وعيسى بن صهرنجت . وكانت عنايته متجهة الى الكتب المنطقية الطبيعية لأرسطو ، وكذلك التفاسير التى نشأت حولها[٣٥٤] .

هـــذه هى المرحل الثلاث التى مرت بها الترجمة فى العصر العباسى والتى كان من نتائجها هـــذا التراث الضخم المنقول عن اليونانية والفارسية والهندية وغيرها . واستمرت حركة الترجمة فى العصر العباسى حيث ازدهرت ازدهارا كبيرا ، ولا سيما فى عهـــد المـــأمون واستمرت فى تقـــدم واطراد حتى أواسط القرن الثالث الهجرى ، وكان من مظاهر العناية بالترجمة تشجيع المترجمين واجزال العطاء لهم ، والبحث عن المخطوطات القـــديمة وبذل الكثير من المـــال فى سبيل الحصول عليها ، وارســـال الوفـــود والسفارات لجلبها من البـــلاد التى يعتقد وجـــودها فيها مثل بيزنطة . بل كان احيانا ما يشترط الولادة فى معاهـــداتهم مع بلاد اجنبية أن يقـــدموا لهم كتبـــا معينة من المخطوطات[٣٥٥] . المحفوظة لديهم .

هكذا أخـــذ العالم الاســـلامى يترجم الى العربية كتبا فارســـية وسريانية وعبرية ويونانية ، وكانت السيادة للثقـــافة اليونانية فى مجال الترجمة فى الفلسفة والطب والرياضيات فى حين كان للثقافة الاسلامية والشرقية بعامة دور واضـــح فى مجال الآداب[٣٥٦] . ومن أشهر من ساهم فى حركة النقـــل والترجمة بنصيب موفـــور من المـــوالى هم :

(أ) عـــلان الشـــعوبى :

هـــو علان أو غيلان ــ بن الحسن الوراق[٣٥٧] المعروف بالشعوبى لعصبيته الشديدة على العرب وبغضه لهم كل البغض ــ وتفضيل قـــومه الفرس عليهم .

---

(٣٥٣) د. محمد البهى : الجانب الالهى من التفكير الاسلامى ج ١ ص ٢٧٦ .

(٣٥٤) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٢٠ .

(٣٥٥) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٨٧ .

(٣٥٦) المرجع نفســه ص ٨٨ .

(٣٥٧) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٣ ص ٤٦٦ .

اتصل بالبرامكة(٣٥٨) ايام هارون الرشيد وهم **اصحاب النفوذ فى** البلاط اذ ذاك ، فأفسحوا له المجال وألحقوه « ببيت الحكمة » ومن ذلك الحين أخذ ينسخ للرشيد ثم للمأمون(٣٥٩) .

ذكر ياقوت : انه كان علامة بالانساب والمثالب(٣٦٠) والمنافرات « المفاخرات » . ولا شك انه كان لحرفة الوراقة التى كان يزاولها منذ حداثته أثر كبير فى نضج عقله وتفتق ذهنه ، وسعة معرفته وانطلاق لسانه ، ويبدو من اقوال الرواة أنه كان معتزا بعلمه تياها بصناعته كما يبدو أيضا انه كان شرس الأخلاق نابى الألفاظ مما جعله فاجرا فى خصومته للعرب . مجاهرا بعداوته لهم حتى قرن اسمه بالشعوبية كما أسلفنا ، يتجلى ذلك فى موقفه من أحمد(٣٦١) بن أبى خالد وزير المأمون الذى سمع بعلمه وفصاحته فاستقدمه ليكتب له . وذات يوم دخل عليه الوزير فقام اليه جميع الحاضرين سواه فقال : ما أسوأ أدب هذا الوراق ، وسمعه علان فقال : كيف أنسب أنا الى سوء الأدب ، ومتى تتعلم الآداب وأنا معدنها ؟ ولماذا أردت منى القيام لك ولم آتك مستسمحا لك ولا راغبا ولا طالبا منك ، وانما رغبت الى أن آتيك فأكتب عندك فجئتك لحاجتى الى ما آخذه من الأجر ، وقد كنت بغير هذا منك أولى(٣٦٢) .

يقول الألوسى : « ثم نشأ غيلان الشعوبى وكان زنديقا ثنويا فعمل لطاهر ابن الحسين كتابا خارجا عن الاسلام ، بدأ فيه بمثالب بنى هاشم وذكر مناكحهم وأمهاتهم . ثم بطون قريش ثم سائر العرب ونسب اليهم كل زور ووضع عليهم كل افك وبهتان »(٣٦٣) هكذا كان الموالى فى هذا العصر ، عصر التأليف والتدوين يضعون على العرب ما يشاءون من القصص والسير والأخبار ، وينسبون اليهم

---

(٣٥٨) د. بديع شريف (محمد) : (**الصراع بين العرب والموالى**) (طبعة القاهرة ١٩٥٤ م) ص ٤٤ .

(٣٥٩) ابن النديم : الفهرست ص ١٠٥ .

(٣٦٠) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ٢ ص ١٩١ .

(٣٦١) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ١٢ ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

(٣٦٢) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر للشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٦٣ ، ٥٦٤ .

(٣٦٣) الألوسى ، محمود شكرى البغدادى : (**بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب**) . شرح وتصحيح محمد بهجت الأثرى . (المطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٤ م) ج ١ ص ١٦١ .

ما ينسبون من المثالب والمعايب وقد ساعدهم على ذلك ان الدولة دولتهم وأنهم أصحاب النفوذ فيها بيدهم مقاليد الأمور ، وبيدهم زمام العلم والأدب[٣٦٤] .

ونعود فنقول : أين ذهبت هذه الكتب ، كتب المثالب والمعايب التى أفردتها الشعوبية للنيل من العرب ؟ لقد اندثرت وبادت ولم يبق منها سوى أسمائها فى كتب الطبقات كمعجم الأدباء والفهرست ووفيات الأعيان . كما لم يبق منها الانتف قليلة مفرقة فى كتب الأدب كالبيان والتبيين ، والبخلاء ، والعقد الفريد ، وكتاب العرب لابن قتيبة .

(ب) الفضل بن سهل :

فيما يروى الجهشيارى عن الفضل بن سهل ما يدل على أنهم — الى حد ما — كانوا أكاسرة فى قلب الدولة العباسية استمع اليه يقول : « كان الفضل بن سهل ابن زاد انفروح — ذو الرياستين — يجلس على كرسى مجنح ، ويحمل فيه اذا أراد الدخول على المأمون ، فلا يزال يحمل حتى تقع عين المأمون عليه . فاذا وقعت وضع الكرسى ونزل عنه فمشى وحمل الكرسى حتى يوضع بين يدى المأمون . ثم يسلم ذو الرياستين ويعود فيقعد عليه . وانما ذهب ذو الرياستين فى ذلك مذهب الأكاسرة »[٣٦٥] . وما سمى الفضل بن سهل بذى الرياستين الا لجمعه بين رئاستى السيف والقلم[٣٦٦] . هكذا نال الفضل بن سهل منزلة عالية لدى المأمون وكان من المقربين لدى الخلفاء .

وكان من الذين قاموا بالترجمة من الفارسية الى العربية الفضل بن سهل صبغة البرامكة . وقد ترجم ليحيى كتابا من الفارسية لم يعرف عنه شىء غير أن يحيى أعجب بترجمته وجودة عبارته ، وأهل هذا الكتاب الفضل أن يكون من رجالهم المقربين ، وظل ملازما للفضل بن جعفر حتى نكبتهم ، ثم لزم المأمون فكان البرامكة يعلقون عليه آمالا كبيرة[٣٦٧] .

---

(٣٦٤) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٦٩ .
(٣٦٥) الجهشيارى : الوزراء والكتاب ص ٣١٦ .
(٣٦٦) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٣٦٨ .
(٣٦٧) د. محمد محمود الدش : (**أبو العتاهية**) . (دار المعارف بمصر – القاهرة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م)ص ٧١ .

ومن هـؤلاء التراجمة ــ صنائع البرامكة أبان بن عبد الحميد اللاحقى وقـد وثق به البرامكة الى درجـة أنهم وكلوا اليه امتحان الشعراء وقصائدهم التى كانوا يقصـدون عنايتهم بهـا وقـد ترجم ابان جملة ممتازة من كتب الفرس مثل تاريخ مزدك أردشير وكتابا عن بوذا وغير ذلك ، كما ترجم كتاب كليلة ودمنة ونظمه شـعرا ليسهل حفظه عى جعفر بن يحيى البرمكى . وعرف ابان بأنه كان ماجنـا زنديقـا مانويا[٣٦٨] . ويروى أنه أشير عليه بأن يؤلف كتابا فى العبادات ، وقـد فعل ووضعه نظمـا .

ويرتبط أول آثار الترجمة لعبد الله بن المقفـع ، أحـد الموالى الفرس وكان زرادشتيا فى الأصـل غير أنه أعلن اسلامه امام أحـد أخـوة محمد بن على والـد السفاح ، وأصبح كاتبا لـه ، ولقـد تجرأ عبد الله ، اثناء حماية مولاه لـه ــ على التفـوه بملاحظات هازئة وقحـة على الموظفين العرب الكبار خصوصا على سـفيان ابن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبى صفرة والى البصرة .

ويبـدو أن الرجال ذوى الأصول العربية كانوا يحتلون مراكز سياسية فى أوائل حكم العباسيين كما كانوا يتقبلون الاهانات التى تصـدر من الموظفين السابقين[٣٦٩] .

وفى خلافة المنصور وبنـاء على أوامره ، ترجمت كثير من الكتب اليـونانية والسريانية والفارسية الى العربية ، وكانت الكتب السريانية والفارسية مترجمـة بدورها عن اليونانية والسنسكريتية . وأشهر أثر لابن المقفع هـو ترجمة كليلة ودمنة أو خرافات بيـدبا من الفارسية القـديمة التى كانت مترجمة بدورها من السنسكريتية وترجمة ابن المقفع الى العربية تعتبر بشكل عام مثالا يحتذى فى النثر العربى . أما الأصـل الفارسى مفقود . غير أن ترجمة سريانية عنها للمبشر النسطورى بودح يعـود تاريخها حـوالى سـنة ٥٧٠ م ، لا تزال موجـودة وقـد نشرها BICKELAND BENFEY سنة ١٨٧٦ م . ثم عاش ابن المقفع فى عهـد المنصـور ، ويذكر أنه فى تلك الفترة[٣٧٠] تمت كثير من الترجمات العـديدة من كتب أرسـطو

---

(٣٦٨) د. بديع شريف : الصراع بين العرب والموالى ص ٤٧ ، ٤٨ .

(٣٦٩) أوليرى : (**الفكر العربى ومكانه فى التاريخ**) ترجمة د. تمـام حسان (دار الفكر العربى ــ القـاهرة ١٩٦١ م) ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٣٧٠) المسعودى : مروج الذهب جـ ٨ ص ١٩١ ، ١٩٢ .

ولكتاب المجستى لبطليموس وكتاب أقليدس ومؤلفات أخرى عن اليونانية لجورجيس .

فقد ارسل ليرافق جعفر البرمكى سنة ١٧٥ م وكان أثيرا لدى هارون الرشيد وقد كتب مقدمة فى المنطق ورسالة للمأمون فى الأغذية والأشربة وكتابا فى الطب استند فيه على ديقورس وجالينوس وبولس الأجنبى ثم خلاصات طبية أخرى ، ورسالة فى العطور وكتب أخرى(٣٧١) .

(جـ) سهل بن هارون :

أبو عمرو سهل بن هارون بن رهبون فارسى الأصل(٣٧٢) شعوبى المذهب شديد العصبية على العرب . فهو الدستميسانى(٣٧٣) مولدا ، انتقل الى البصرة فى منتصف القرن الثانى للهجرة وهى اذ ذاك كعبة العلم والعلماء ، ومنتدى الأدب والأدباء تزخر بالثقافة كما تزخر بثقافة الفرس والهند والروم ... استقر به المقام أخيرا فى بغداد بعد أن طوف فى آفاق العراق والشام فى رحلاته العديدة انتى عاد منها كامل العقل تام النضج واذ قد نشأ فى أزهى عصور الدولة وأخصب بقاع الأدب والثقافة ، فقد كان ثمرة ناضجة من ثمار هذه البيئة العلمية التى أحاطت به .. فضلا عما ورثه عن آبائه الفرس من حكمة وسياسة .

كان البرامكة يعتمدون على الفرس فى سياستهم أمور الدولة ، وقد جرهم ذلك الى احتضان الكتاب اللامعين منهم ، وكان من أبرزهم « أبو عمر سهل بن هارون » ومن هنا كان وثيق الصلة بهم شديد الميل اليهم فلما حلت بهم المأساة خشى على نفسه أن تضمه القافية — كما يقول الأستاذ كرد على —(٣٧٤) . الا أن الرشيد لحاجته اليه قد آمنه على نفسه وجعله على دواوين الخلافة بدل يحيى(٣٧٥) .

---

(٣٧١) أوليرى : الفكر العربى ومكانه فى التاريخ ص ٩٧ .

(٣٧٢) ابن نباته : سرح العيون ص ١٦٥ .

(٣٧٣) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٦ .

(٣٧٤) محمد كرد على : (**أمراء البيان**) . (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة ١٩٥٠ م) ج ١ ص ١٦٩ .

(٣٧٥) ابن عبد ربه : (**العقد الفريد**) تحقيق أحمد أمين وآخرون ، (لجنة التأليف والترجمة والنشر ط ٢ القاهرة ١٩٤٨ م) ص ١٧٠ .

واذا كان من صنائع البرامكة فطبيعى الا ترى له ذكرا فى ايام الأمين وطبيعى أيضا أن نراه نابه الذكر ساطع النجم فى عهد المأمون فكان من المختصين بخدمته فجعله أمينا على كتب الحكمة(٣٧٦) .

ولما كان مثل هذا العمل فى حاجة الى جهابذة العلماء والأدباء والمترجمين فقد حشد له القوى وجعل عليه سهل بن هارون(٣٧٧) ومن ثم فقد عاش هذا الكاتب فى هذا الجو العلمى الخالص الذى جعل منه عالما ضليعا وكاتبا بليغا . ومؤلفا بارعا ، أطراه الجاحظ وأشاد بعبقريته العلمية ومواهبه الادبية . جمع سهل بين الخطابة والكتابة والشعر الا أن بلاغة العلم عنده كانت أسمى من بلاغة اللسان وان أفصح كل منهما عن حصافة عقله ، وسداد رأيه وسلامة منطقه(٣٧٨) .

يقول الجاحظ(٣٧٩) : « ومن الخطباء الشعراء الذين جمعوا الشعر والخطب والرسائل الطوال والقصار والكتب الكبار المجلدة والسير الحسان المولدة والأخبار المدونة ، سهل بن هارون بن رهبون الكاتب صاحب كتاب « ثعلة وعفراء » فى معارضة كليلة ودمنة وكتاب الأخوان وكتاب الرسائل وغير ذلك من الكتب » . كما كان سهل بن هارون علوى المذهب ميالا الى الاعتزال كغيره من شيعة العراق فى عصره ، وكان أيضا فارسى النزعة متعصبا(٣٨٠) على العرب ، على الرغم من محاولة الأستاذ كرد على على تبرئته من هذه النزعة الشعوبية .

فابن النديم يقول عنه : « كان حكيما فارسى الأصل شعوبى المذهب شديد العصبية على العرب »(٣٨١) .

ويقول ياقوت الحموى فى معجمه عنه : « كان حكيما شعوبيا يتعصب للعجم على العرب شديدا فى ذلك »(٣٨٢) .

---

(٣٧٦) ابن النديم : الفهرست ص ٤١٧ .

(٣٧٧) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٦ .

(٣٧٨) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٤١٧ .

(٣٧٩) الجاحظ : البيان والتبيين ج ١ ص ٥٢ .

(٣٨٠) محمد فريد وجدى : (دائرة معارف القرن العشرين) (بغداد مكتبة دار البيان ط ٤٠١ ، ١٩٦٧ م) ج ١ ص ٥٠٥ .

(٣٨١) ابن النديم : الفهرست ص ١٢٠ .

(٣٨٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٦ .

أما صاحب فوات الوفيات فيقول : « سهل بن هارون فارسى الأصل شعوبى المذهب شديد التعصب على العرب »[٣٨٣] .

على أن هذه العصبية قد تجلت فى أدبه شعرا ونثرا . فمن شعره فى الفخر بقومه والتطاول بهم على العرب :

يا أهل « ميسان » السلام عليكم طيبون الفرع والجذم
أما الوجوه ففضة مزجت ذهبا أيد سحه هضم
أتريد (كلب) أن أناسبها قد قل من كليب العلم
أجهلت بيتا فوق رابية فرع النجوم كأنه نجم
كم بيت شعر وسط مجهلة بفنائه الجعلان والبهم[٣٨٤]

لكن دلائل كثيرة تدل على أنه كان مثقفا ثقافة ممتازة يجمع معارف عصره وأنه كان أحد النقلة من لسانه الفارسى الى العربية[٣٨٥] . فأهميته لا ترجع الى ما ترجم بل ترجع الى ما صنف وألف . ومن أهل ذلك كان يختلف عن ابن المقفع ، فابن المقفع أهميته الأولى فى تاريخ الفكر العربى ، انما ترجع الى أنه كان مترجما وأنه مرن أساليب اللغة العربية على حمل الثقافات الأجنبية ، أما سهل فكان أديبا تبدو شخصيته فيما يؤلف ويدبج ويحبر ، ومن بديع تشبيهه قوله : « القلم لسان الضمير اذا رعف أعلن أسراره وأبان آثاره » وقوله : « العقل رائد الروح ، والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم »[٣٨٦] .

وهكذا فان من أسباب تقدم الحياة الثقافية فى بغداد جعل حركة النقل والترجمة على أيدى الموالى الذين حظوا برعاية الخلفاء العباسيين وقدروا ذوى المواهب منهم ، وبذلك أتيحت لهم الفرص لابراز مقدرتهم العلمية ، وكان لمعرفتهم باللغات الأجنبية خصوصا اليونانية والسريانية سببا فى اعتماد الخلفاء العباسيين عليهم فى حركة الترجمة الى اللغة العربية[٣٨٧] .

---

(٣٨٣) ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات ج ١ ص ٣٦٨ .

(٣٨٤) الحصرى : (**زهر الآداب وثمر الألباب**) تحقيق د. زكى مبارك (المكتبة التجارية - القاهرة ١٩٢٥ م) ج ٢ ص ٢٨٢ .

(٣٨٥) الجاحظ : البيان والتبيين ج ٣ ص ٢٩ .

(٣٨٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٨ .

(٣٨٧) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٤٠ .

ثالثا — دور المترجمين فى تنشيط حركة التأليف والترجمة :

لم يكن الخلفاء وحـــدهم يباشرون حركة الترجمة والتاليف ، وينفقون عليهـا بل جاراهم فى ذلك كبار رجال الدولة مثل البرامكة وبنـــو ســـهل ومن أبرز من عنى بالترجمـــة فى بغـــداد :

(أ) أولاد شـــاكر « أحمـــد ومحمـــد والحسن » :

كانت لهم همم عالية فى تحصيل العلوم القـــديمة وكتب الأوائل ، وأفنوا أنفسهم فى شأنها وأنفـــذوا الى بلاد الروم من اشتراها لهم واحضروا النقلة من الأصـــقاع الشاسعة والأماكن البعيدة بالبذل السنى فأظهروا عجائب الحكمة واهم العلوم التى عنـــوا بترجمتها الهندسة والموسيقى والنجوم والفلسفة[٣٨٨] .

وكان فرع الطب أهم العلوم التى عنى المترجمون بترجمته ، واكثر ما عنوا به بعـــد الطب الحكمة ، اى القصص الجميلة ذات المغزى الخلقى والنوادر أو الأقـــوال الحكيمة ، وكان يترجم هـــؤلاء العلماء ما يعجبنا نحن ، اذ كانوا يعجبون بهـــذه الأقـــوال ويجمعونها لمـــا تحـــويه من حكمة أو لجمال أسلوبها وحسن غرضها[٣٨٩] .

كما كان بنـــو موسى بن شاكر من أنشط العناصر التى كانت فى بيت الحكمة فلازموا التعلم بها ، فشبوا مولعين بعلوم الحكمة والهندسة والفلك ، والحيل والحركات الفلسفية ، ولمـــا علا شأنهم أثبتوا فى بيت الحكمة مـــع العلماء والمترجمين ، فكانوا يتولون دائرة العلوم الرياضية والهيئة والهندسة والنجوم والحيـــل والموسيقى ، واشتهر أكبرهم أبو جعفر محمد بن موسى المتوفى سنة ٢٥٩ هـ/٨٧٢ م فكان يشرف على ما يترجم من كتب الجبر والمقابلة لبيت الحكمة ، وله كتاب يعملون بين يديه وتراجمة يترجمون الكتب التى يختارها ، وممن يساعده فى عمله هذا يحيى بن أبى منصور الموصلى المنجم ، وكان أحد خزنة بيت الحكمة وأحد الرصاد[٣٩٠] وجدير بالذكر أن أبناء موسى

---

(٣٨٨) ابن خلكان : وفيـــات الاعيـــان ج ٤ ص ٢٤٧ .

(٣٨٩) ديبـــور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٣١ .

(٣٩٠) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٣٨٣ .

ابن شاكر الثلاثة كانوا يرزقون جماعة من النقلة منهم حنين بن اسحاق وحبيش بن الحسن وثابت بن قرة خمسمائة دينار للنقل والملازمة(٣٩١) .

ذكر ياقوت الحموى فى معجمه : « أنه كان لحنين بن اسحاق الطبيب المسيحى نساخ ذكر منهم محمد بن الحسن بن دينار قائلا أنه كان وراقا يورق لحنين المتطبب فى منقولاته لعلوم الأوائل »(٣٩٢) ويذكر ابن أبى أصيبعة(٣٩٣) : **أنه كان لحنين** كاتب يعرف بالأزرق ، واضاف ابن أبى أصيبعة قوله : وقد رأيت أشياء كثيرة من كتب جالينوس وغيره بخطه .

واشتهرت بعض المكتبات الخاصة بالحرص على النقل والترجمة ، ومن هذه مكتبة بنى شاكر وأولاده كان لهم مترجمون لا يفتأون ينقلون لهم ويلازمون العمل فى مكتبتهم ومنهم حبيش بن الحسن وثابت بن قرة(٣٩٤) .

وقد أولع أهل ذلك العصر بما أولع به الخلفاء ، فعمل ذلك على تنشيط حركة النقل والترجمة والتأليف ، وممن عنى باخراج الكتب محمد وأحمد والحسن بنو موسى بن شاكر ، وهؤلاء القوم ممن تناهى فى طلب العلوم القديمة ، وبذل فيها الرغائب وأتعبوا فيها نفوسهم ، وأنفذوا الى بلاد الروم من أخرجها اليهم ، فأحضروا المخطوطات الفلسفية والفلكية والرياضية والطبية القديمة . ولم يتوانوا عن دفع المبالغ الطائلة لشراء الآثار اليونانية وحملها الى بيوتهم قرب باب التاج . وفى الدار التى قدمها لهم المتوكل على مقربة من قصره فى سامراء كان يعمل دون وسطاء فريق كبير من المترجمين من أنحاء البلاد تماما . كما كان يفعل المأمون بالذات الذى كان يوفد الرسل أيضا بحثا عن المخطوطات القديمة للمترجمين والنقلة من كبار العلماء الذين ساهموا عند بنى موسى فى دفع عجلة الحكمة الى الأمام(٣٩٥) .

كذلك انقطع محمد بن موسى الخوارزمى الى خزانة الحكمة للمأمون وهو

---

(٣٩١) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٧ .
(٣٩٢) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٧ ص ٤٨٢ .
(٣٩٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ١٨٧ .
(٣٩٤) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٠ ، ٣١ .
(٣٩٥) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٤ .

من أصحاب علوم الهيئة(٣٩٦) . ووجـــه الواثق عناية كبيرة للمترجمين الذين نقـلوا الذخائر الأجنبية للسان العربى وكان ابن ماسويه يده اليمنى فى ذلك ، فأغـدق عليه الواثق نعما متوالية وخيرا وفيرا ، وفى احـدى المرات أعطـــاه دراهم تساوى(٣٩٧) ٣٠٠,٠٠٠ روبية . وكان عطاء محمد بن عبد الملك الزيات للنقلة(٣٩٨) والنساخ فى كل شـــهر ٢٠٠٠ دينـــار .

توقف نشاط الترجمة بعـــد الواثق ولم يعـــد من السهل أن يجـد الباحث ذكرا للمترجمين فى المكتبات العامة أو الخاصة ، ولعل السبب فى ذلك أن النشاط الكبير الذى حظيت به الترجمة من قبل قـــد نقلـل الى اللغـــة العربية أمهات الكتب فى الفنون الجميلة أو أن المسلمين بعـــد أن اطلعوا على ما ترجم فى بيت الحكمة وما عاصرها من مكتبات استطاعوا أن ينتجـــوا بلغتهم ثقافة وعلما وفلسفة كانت مجالا لنشاطهم العلمى فى العهود التالية(٣٩٩) .

ويبـــدو أن البعثة التى كانت تتكون من طـــوائف ثلاث بعثت الكتب الفلسفية يرأسها يوحنا بن البطريق ، وكان فيلسوفا أكثر منه طبيبا(٤٠٠) وقـــد تولى ترجمة كتب أرسطو خاصة . فأخرج ترجمة قصـــة طيماوس لأفلاطـــون وأنه ترجم أيضـــا كتاب الحيوان وأجزاء مأخـــوذة من كتاب النفس وترجم كتابه فى العالم(٤٠١) .

وهناك طائفة الكتب الفلكية والرياضية ويرأسها الحجاج بن مطر وكان مختصا فى هـــذا الفرع وهـــو الذى نقل المجستى وأقليدس ، وطائفة من الكتب الطبية برئاسة يوحنا بن ماسويه(٤٠٢) وبهـــذا عادت هـــذه البعثة محملة بكتب تشمل علوما مختلفة .

أما قسطا بن لوقا البعلبكى توفى حوالى ٣٠٠هـ/٩١٢م ، مسيحى النحلة ، من أصـــل يونانى . ولذا يعـــد(٤٠٣) من فلاسفة اليونانيين المتأخرين ، وكان لـــه ولـــع

---

(٣٩٦) ابن النديم : الفهرست ص ٣٩٧ .

(٣٩٧) Khuda Bukhsh : Islamic Civilization, p. 269.

(٣٩٨) ابن ابى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٦ .

(٣٩٩) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٦٣ .

(٤٠٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٧٩ .

(٤٠١) د. عصام الدين عبد الرؤوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٣٧٦ .

(٤٠٢) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٨٠ .

(٤٠٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٣٠ .

بالعــدد والهندسة والنجوم والمنطق والعلوم الطبيعية ، كما كان ماهرا فى الطب . وقــد ذكر ابن العبرى أنه « دخــل الى بلاد الروم ، وحصل من تصــانيفهم الكثير وعاد الى الشــام »(٤٠٤) .

كما ذكر ابن القفطى أنه : « استدعى الى العراق ليترجم كتبا ويستخرجها من لسان يونانى الى لسان العرب »(٤٠٥) . كما أسند اليه الاشراف على ترجمة المراجــع الاغريقية فى بغــداد(٤٠٦) كان قسطا جيد النقل لأنه كان فصيحا باللغــة اليونانية جيد العبارة العربية(٤٠٧) ويشير ماكس مايرهوف الى ما نقله فيقول : « انه ترجم كثيرا من المؤلفات الطبية والرياضية والفلكية ، كما ترجم الى جانبها مؤلفات فلسفية صحيحة أو منحــولة »(٤٠٨) .

وقــد أصلح قسطا نقولا كثيرة(٤٠٩) كما الف « رسالة قصــيرة فى الفرق بين النفس والروح ترجمت الى اليونانية ، وبقيت الى أيامنا وقــد ذكرها الباحثــون وانتفعوا بها »(٤١٠) ولم تؤثر الثقافة اليــونانية فى العرب الا عن طريق الرياضيات والطبيعيات والفلسفة وقــد عرفوا شيئا عن أطــوار الفلسفة اليونانية ، ولــكن هــذه المعرفة كانت مشوبة بأساطير كثيرة .

وكان لاقــدام المــأمون كخليفة على ترجمة كتب الفلسفة أثر فى نفوس الأثرياء من رعيته ، فاحتذى بعضهم حــذوه فى طلب كتبها والاغــداق على مترجميها ، ومن هــذا البعض بنــو موسى بن شــاكر فى القرن الثالث الهجرى ويروى : « أن عيسى ابن يحيى قــد ترجم لأحمد بن شاكر كتاب الأخلاق لأبو قراط »(٤١١) .

وهناك أيضا عمر بن الفرخان الطبرى(٤١٢) أحــد رؤساء الترجمة والمحققين

---

(٤٠٤) ابن العبرى : تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٩ .

(٤٠٥) ابن القفطى : أخبــار العلماء بأخبــار الحكماء ص ١٧٣ .

(٤٠٦) د. ابراهيم العــدوى : (**الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم**) (القــاهرة ١٩٥٨ م) ص ١٧٠ .

(٤٠٧) ابن النــديم : الفهرســت ص ٤٢٤ .

(٤٠٨) ماكس مايرهــوف : من الاسكندرية الى بغــداد ص ٥٩ .

(٤٠٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقــات الأطباء ج ١ ص ٢٤٤ .

(٤١٠) ديبــور : تاريخ الفلسفة فى الاســلام ص ٢٤ ، ٣١ .

(٤١١) قــدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٩٧ .

بعلم حركات النجوم وأحكامها استدعاه الفضل بن سهل — وزير المـأمون — ووصله بالخليفة المـأمون ، فترجم لـه كتبا كثيرة وألف كتبا كثيرة فى النجوم وغيرها من فنون الفلسفة . ومن ذلك انه فسر كتب الأربعة لبطليموس ونقلها لـه البطريق أبو يحيى ابن البطريق وله من الكتب : كتاب المحاسن وكتاب اتفاق الفلاسفة واختلافهم خطوط الكواكب . فكان بيت الحكمة يحوى كل نادر وغريب ، يقصـده المؤلفون ويجـدون فيه خير معين لمـا يرغبون به من العلوم المختلفة .

كان حنين بن اسحاق العبادى من الذين خـدموا فى بيت الحكمة فقـد كان يعمل بين يديه عـدة تراجمة ، تولاه فى زمن المتوكل فسعى فى توسيعه وترجم هـو ومن يشتغل بين يديه كتبا عـديدة فى الطب والفلسفة والمنطق ، وكانت دائرته التى يرأسها فى بيت الحكمة لا تقـل أهمية عن دائرة بنى موسى بن شـاكر السـالف ذكرهم[413] والى جانب هـؤلاء المترجمين تفتحت فى بيت بنى موسى عبقرية خـلاقة احتلت فيما بعـد مركزا مرموقا بين العلماء العرب ونعنى به الفتى ثابت بن قـرة احـد اتبـاع الصابئة وهـو ممن اكتشفهم محمد وكان ذلك فى سفرة قام بهـا الى بلاد اليونان وآسيا الصغرى ، بحثا عن المخطوطات القـديمة وفى أيامه مر « بحران » والتقى صـدفة « كفرتوما » صبيا بارعا ذكيا ، وكان هـذا الصبى بارعا فى علم الحساب متضلعا فى الترجمة ، فاصطحبه محمد معـه الى بغـداد وأدخله داره ليطلب العلم ، ثم تعرف الخليفة المعتضـد على النابغة الصابئى فقربه منه وفضله على غيره من العلـمـاء[414] .

وترجم ثابت بن قرة لبنى موسى عـددا كبيرا من الأعمال الفلكية والرياضـية لأبو لونيـوس (APOLLONIUS) وأرخميـدس (ARCHIMEDES) واقليـدس EUKLIDS وتيود وسيوس (HTEODOSIUS) وأرسطوطاليس (ARISTOTELAS) وأفلاطـون (PLATON) وجالينـوس (GALENO) وأبو قراط (HIPOKRATES) وبطليمـوس POTALEMOUS) ، كما انه صحح ترجمات حنين بن اسـحاق وولده ثم شرع فى وضع مؤلفات ضخمة فوضـع مائة وخمسين مؤلفا عربيا وعشرة مؤلفات باللغـة السنسكريتية فى الفلك والرياضيات والطب فتبوأ المحل الأول بين العلمـاء المسلمين ليس فى زمانه بل فى مختلف الأزمان[415] .

(٤١٢) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٧٨ .

(٤١٣) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٤٧ ، ٥٧ ، ١٠٢ ، ١١٧ .

(٤١٤) زغريد هـونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٢٥ .

(٤١٥) المرجـع نفسـه ص ١٢٦ .

وقام ثابت بن قرة بترجمة المجستى لبطليموس الذى طـــور الجبر وكان أول من ادرك انطباقه على الهندسة وكان حساب المثلثات هـــو فرع من الرياضيات التى اهتم بها العرب أشـــد الاهتمام(٤١٦) .

ومن هؤلاء ثابت بن قرة ولـــد سنة ٢٢١ هـ بحران(٤١٧) وتوفى سنة ٢٨٨ هـ ، كان من الصابئين(٤١٨) من اهـــل حران ، وقـــد تناهت اليه زعامتهم ويقول كوير يونج أنه كان « زعيم طائفة عبدة النجـــوم التى ازدهرت فى حران »(٤١٩) . وقـــد عمل فى مبدأ أمره صرافا بسوق حران ثم انتقل الى بغـــداد للخلاف بينه وبين أبنـــــاء دينـــه(٤٢٠) . ثم اشتغل بعلوم الأوائل فمهر فيها وبرع(٤٢١) ، وفى كفرتوما التقى بمحمد ابن موسى الخوارزمى لدى رجـــوعه من بلاد الروم فأعجب هـــذا بفصاحته وذكائه ، فاصطحبه معه الى بغداد ووصله بالخليفة المعتضد فأدخله فى جملة المنجمين(٤٢٢) .

وقـــد اشتغل ثابت بن قرة بعلوم الأوائل فمهر فيها ، وأعانته على ذلك خبرته بلغات ثلاث هى الاغريقية والسريانية والعربية ، وغلب عليه الاتجـــــاه الفلسفى والرياضى ، ولعل ذلك يرجع الى ما اشتهر به الصابئة عامة فى هذه العلوم .

يقول صاعد الأندلسى(٤٢٣) عنه : « أنه فيلسوف متوسع فى العـــلم متفنن فى ضروب الحكم ، متقلـــد لجوامع الفلسفة لـــه تآليف حسنة فى المنطق والعـــــدد والهندسة والنجـــوم وغير ذلك » .

---

(٤١٦) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

(٤١٧) حران : بلـــده بالجزيرة بين دجـــلة والفرات .

(٤١٨) البيهقى : **تاريخ حكماء الاسلام** ، مخطوطة بدار الكتب المصرية ص ١٩ رقم ٣٦٦ تاريخ . ومطبوع بعنوان تتمة صوان الحكمة ، تحقيق الأستاذ محمد شفيع ، طبعة لاهـــور ١٣٥٠ هـ .

(٤١٩) د. محمد خلف الله : (**أثر الاسلام الثقافى فى المسيحية**) ، القاهرة من كتاب « الثقافة الاسلامية والحياة المعاصرة » ص ٢٥٢ .

(٤٢٠) ماكس مايرهـــوف : من الاســـــكندرية الى بغـــداد ص ٧٢ اقرأ ذلك يقـــول القفطى : اصطحبه محمد بن موسى بن شاكر لـــــا انصرف من بلاد الروم لانه رآه فصـــيحا . بأخبـــار العلمـــاء بأخبـــار الحكمـــاء ص ٨١ .

(٤٢١) ابن خلكان : وفيـــات الأعيـــان ج ١ ص ١٠٠ .

(٤٢٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٦٥ .

(٤٢٣) صاعـــد الأندلسى : طبقـــات الأمم ص ٤١ .

وقـد بلغت تآليفـه مقـدار عشرين[٤٢٤] تآليفا ومن الكتب التى الفها بالسريانية كتابه فى السكون بين حركتى الشريان[٤٢٥] . وقـد نقله الى العربية عيسى بن اسيد واصـلح ثابت العربى .

كان المعتضد يقول : أنه كان يحترم العلماء وأصحاب المواهب والكفاءات ويجلهم ويغـدق عليهم العطايا . فقـد روى أنه لمـا تقلـد الخلافة أقطع ثابتا وغـيره الضياع الجليلة ، وممـا يدل على تقـديره مواهب ثابت وفضله أنه كان يجلس بحضرته فى كل وقـت ويحـادثه ويضاحكه[٤٢٦] ، وكان الغالب عليه الرياضـيات والفلسفة وهـو الذى ادخـل رياسة الصابئة فى العراق .

كان ثابت من ألمع علماء عصره ، ومن الذين تركوا مآثر ترجمة فى بعض العـلوم وكان يحسن السريانية واليونانية والعربية ، جيد النقل للعربية[٤٢٧] ، كما كان من أعظم المترجمين وأعظم من عرف فى مدرسة حران فى العالم العربى ، وقـد ترجم كتبا كثيرة من علوم الاقـدمين فى الرياضيات والمنطق والطب[٤٢٨] .

ويعـد البيهقى من تصانيفه كتاب الذخيرة[٤٢٩] وهـو كتاب نادر فى الطب وهو عربى جيد . ويستدل ممـا أورده القفطى[٤٣٠] من كتب ثابت أنه كان على قـدر كبير من النشاط اذ أنه لم يترك ناحية من نواحى معارف عصره الا والف فيها كتبا أو أصلح فيها ترجمة أو نقـل فيها شيئا رآه جـديرا بالنقل .

لقـد ذكر ماكس مايرهوف[٤٣١] ان ثابت بن قرة قـد أصلح عـددا كبيرا من ترجمات اسحاق بن حنين الفلسفية والرياضـية ويوجـد حتى اليوم عـدد من المخطوطات العربية وعليها التعليقات الخاصة بها تصحيحا لهـا . ومن الترجمات التى أصلحها النسخة التى نقلها اسحاق بن حنين من المجستى بطليموس الى العربى

---

(٤٢٤) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ١ ص ١٢٥ .

(٤٢٥) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء جـ ١ ص ٢١٨ .

(٤٢٦) د. أحمد فؤاد الأهوانى : فيلسوف العرب الكندى ص ٦١ .

(٤٢٧) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ١٦٧ .

(٤٢٨) المرجـع نفسـه ص ١٩٧ .

(٤٢٩) البيهقى : تاريخ حكماء الاسـلام ص ٢١ .

(٤٣٠) ابن القفطى : أخبـار العلماء بأخبـار الحكماء ص ٨١ ، ٨٤ .

(٤٣١) ماكس مايرهـوف : من الاسكندرية الى بغـداد ص ٥٩ .

ثم انه نقــل هــذا الكتاب نقــلا جيدا . وأصلحه وأوضحه . كما أنه اختصر جزءا كبيرا منــه .

وثمــة ثلاثة كتب علمية لأبو لوقوس (APPOLONIUS) أنقــذها ثابت بن قره الطبيب وعالم الرياضيات الكبير الذى عمل مــع ولــد حنين بن اسحاق وابنــه وابنة أخيه المبرز النبيــه فى مدارسة الأستاذين تلاميذه ولم يمت حنين الا وقــد اتم ترجمة اغلب اعمال الكلاسيكيين(٤٣٢) وبهــذا حمل المترجمون العرب آثار القــدماء من الضياع والزوال . فكثير من المخطوطات لولا العرب ما عرفنا اليوم عنها شيئا ككتاب جالينوس فى التشريح ومخطوطات HERON وفيــلون PHILO وميثلاس فى الميكانيكا والرياضيات وبطليموس (POTALEMOUS) فى البصريات ومخطوطة لأقليــدس فى علم التوازن ، ومخطوطة فى « ساعة المــاء » وقانون العوم لأرخميدس(٤٣٣) .

ودفعت ثمنا للكتب — كل عام — ملايين وملايين فلقــد خصصت مكتبــة النظامية وهى المدرسة العليا الشهيرة ببغداد سنويا ما يعادل مليونا ونصف مليون من الفرنكات لشراء الكتب والمخطوطات . وفتحت اللهفــة على اقتناء الكتب الباب أمام مئات الألوف من البشر لكسب عيشــهم ، فأصبح النساخ والخطاطــون فنانين مهرة فى فنهم . ووظفت كل مكتبة أو متجر للكتب عــددا من هــؤلاء فكان أغلبهم من الطلبة ، وانصاف المتعلمين أرادوا عن هــــذا الطريق كسب رزقهم . فالعلوم والآداب كانت هــواياتهم ، كما يعشق الناس اليوم لعب الكرة ، وكان ينظر لمن يساهم فى تلك النهضة نظرة فيها الكثير من الازدراء(٤٣٤) .

ان انتشار المعارف العلمية على نطاق واسع قــد أدى الى وضع تعليقــات، ومؤلفات مهمة لكبار العلماء والنقلة فأصلح ثابت عــددا كبيرا من ترجمات حنين بن اسحاق فى الفلسفة والرياضيات كما يوجــد عــدد من المخطوطات العربية عليهــا تعليقــاته وتصحيحــاته(٤٣٥) .

ومع هــذا فان معظم من ذكرنا أسماءهم نقــلة ، كما كان لهم فى الوقت نفســه

---

(٤٣٢) زغريد هــونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٨٤ .
(٤٣٣) المرجع نفســه ص ٣٨٤ .
(٤٣٤) زيغريد هــونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٨٩ ، ٣٩٢ .
(٤٣٥) د. عبد الرحمن بدوى : التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٤٣٧ ، ٤٣٨ .

تفكيرهم المستقل ورأيهم الخاص ، فلم يكن حنين أو ابنه اسحاق أو ثابت بن قرة[٤٣٦] أو قسطا بن لوقا مجرد مترجمين ، بل كانوا يلخصون أو يضيفون من عندهم تفسيرا جديدا ، او يخطون خطوة جديدة تضاف الى العلم ، وكذلك كان الكندى فهو ان عد فى جملة المترجمين ، فقد كان يصقل الترجمات ويلخصها ويبرزها فى ثوب جديد . فيصبح لها بعد أن يتمثلها طابع كندى متميز[٤٣٧] .

نستطيع أن نقول ان عصر الترجمة هو تنشيط لحركة التأليف بل هو عصر انتاج وابتكار أثبت العرب فيه أنهم لم يكتفوا باقتباس تراث فارس القديم وتراث اليونان المدرسى وهضمه ، بل حولوا التراثين لحاجتهم الخاصة وطرق تفكيرهم ، واضافوا اليهما ما استطاعوا أن يستنبطوه . وقد ظهرت مآثرهم فى الطب والفلسفة لكنها تجلت بنوع خاص فى الكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافيا . بل لقد تفردوا عربا ومسلمين بمذهب فى البحث والابتكار فى ميادين الشريعة وعلوم الدين وفقه اللغة وعلومها . فان حركة النقل فى تاريخ الثقافة لا تقل أهمية عن حركة الابتكار نفسها . فلو أن ابحاث أرسطو وجالينوس وبطليموس فقدت لكان العالم فى افتقاره اليها بالوضع نفسه كما لو كانت غير موجودة[٤٣٨] .

---

(٤٣٦) انه الف بالعربية حوالى ١٥٠ بحثا فى المنطق والرياضيات والفلك والطب . وكتب بالسريانية ١٥ بحثا آخر : أوليرى ، مسالك الثقافة الاغريقية ص ٣٦٠ .

(٤٣٧) د. احمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٦٢ .

(٤٣٨) حسنى أحمد حماد : الحضارة العربية نشأتها وتطورها وآثارها ص ٤٦ .

رابعا — ترجمة التراث والفكر العالمى الى اللغة العربية :

فى وسعنا بعد هذا التتبع لأولئك الذين اضطلعوا بالنصيب الوافر على حركة الترجمة أن نتبين أن النقل كان يحدث أما من السريانية الى العربية مباشرة ، وأما من اليونانية الى السريانية ومنها الى العربية(٤٣٩) .

ومما يستحق الملاحظة أن ترجمات سريانية أحسن وأحدث كانت تعد فى الوقت الذى كانت تبدأ فيه الترجمات العربية . وقد دامت الترجمة الى السريانية طالما بقيت مدرسة جنديسابور(٤٤٠) . أى أن عمل الترجمة كان من شقين ، فقد كانت توضع الترجمات فى العربية وفى السريانية على السواء ، وهذه الترجمات السريانية كان الغرض من وضعها أن تغنى عن الترجمات السريانية المعيبة المتداولة بين الناس . ويذهب ماكس مايرهوف الى أن « الترجمة فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) كانت غالبا الى السريانية وفى النصف الثانى ازدادت حركة الترجمة الى العربية شيئا فشيئا ، وقام المترجمون أيضا باصلاح التراجم القديمة(٤٤١) .

وقد كان معظم النقلة كما رأينا سريانا ، يقول ديبور(٤٤٢) : « والذين اشتغلوا بنقل كتب اليونان الى العربية فيما بين القرنين الثامن والعاشر الميلادى يكادون يكونون جميعا من السريان » .

يقول ماكس مايرهوف(٤٤٣) : « وكان هؤلاء جميعا من النصارى الذين يتكلمون باللغة السريانية » . ويقول فيليب حتى(٤٤٤) « كان معظم المترجمين ممن يتكلمون الآرامية » .

هكذا كان السريان هم حلقة الاتصال بين الفلسفة الاغريقية والعلوم الاغريقية والاسلام ، وبذلك تحتم على الثقافة اليونانية أن تعبر عقولهم ، وتمر بأقلامهم قبل

(٤٣٩) د. أحمد عيسى : (**التهذيب فى أصول التعريب**) . (مطبعة مصر — القاهرة ١٩٢٣ م) ص ٧٢ .

(٤٤٠) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٤١ .

(٤٤١) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٥٨ .

(٤٤٢) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٢٨ .

(٤٤٣) ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ص ٥٧ .

(٤٤٤) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطول ج ٢ ص ٨٦ .

ان تصـل الى العقل العربى ، وقـد نقلت الكتب الطبية أولا عن طريق الترجمـات السريانية ، وكذلك كان الأمر فى بعض الكتب الرياضية والفلكية على الأقـل ، ولكن الرجـوع الى الأصول اليونانية رأسا كان أسبق فى هـذين النوعين ، والسبب فى ذلك غير بعيد ، وهـو ان الدقـة الشديدة فى المصطلحات الرياضية على غـاية من الأهميـة(٤٤٥) .

وكان للتراجمة فى النقل طريقان أحـدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما ، وهـو أن ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى ، فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينقـل الى الأخرى كذلك حتى يـتى على ما يريد تعريبـه . وهـذه الطريقة رديئة لوجهين أحـدهما أنه لا يوجـد فى الكلمات العربية كلمات تقـابل جميع الكلمات اليونانية ، ولهـذا وقـع فى خلال هـذا التعريب كثير من الألفـاظ اليونانية على حالها . والثانى أن خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغـة أخرى دائما . وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات . الطريق الثانى فى التعريب طريق حنين بن اسـحاق والجوهرى(٤٤٦) وغيرهما وهـو أن يأتى الى الجملة فيحصل معناها فى ذهنـه ، ويعبر عنها من اللغـة الأخرى بجملة تطـابقها ، سـواء سـاوت الألفـاظ أم خالفتها وهـذه الطريق أجـــود(٤٤٧) .

يقول فيليب حتى « لمـا كانت تعترض المترجمين قطع صعبة فى الأصـل فانهم كانوا يعمـدون الى الترجمة الحرفية ، فاذا لم يجـدوا مرادفا عربيا كانوا يعمـدون الى نقـل اللفظ اليونانى بحروفه مـع ادخال شىء من التحوير »(٤٤٨) . ومن ثم نجـد كلمات مثل قاطيغورياس أى المقولات ، بارى ارمانياس أى العبارة ، أنالوطيقا أى تحليل القياس ، ريطـوريقا أى الخطابة ، بوطيقا أى الشـعر ، أرثماطيقى أى الحسـاب(٤٤٩) .

وكانت الترجمة الحرفية تغلب فى المصطلحات ذلك لأن اللغـة العربية كانت

---

(٤٤٥) أوليرى : علوم اليونان وسبل نقلها الى العرب ص ٢٢٠ .

(٤٤٦) توفى حوالى سنة ٨٣٣ م — أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب ص ٢٣٨ .

(٤٤٧) د. أحمد عيسى : التهـذيب فى أصول التعريب ص ١١٣ .

(٤٤٨) د. فيليب حتى : تاريخ العرب المطول جـ ٢ ص ٣٨٦ .

(٤٤٩) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٦١ ، ٣٨٠ .

تفتقر الى المصطلحات الفنية التى يصطنعها علماء اليونان ، فكانت المصطلحات اليونانية تكتب أحيانا كما هى بحروف عربية ، ولكن هـذه المصطلحات تدل فى أحيان كثيرة على انها مرت فى وسط آرامى « سريانى » فى طريقها الى العرب ، وهـذه الظاهرة أكثر وضوحا فى الكتب الطبية منها فى الكتب الرياضية الفلكية(٤٥٠) .

يقول براجستراسر « ان حنينا وحبيشا أفضل تلاميذه تجشما عناء كبيرا فى التعبير عن معنى أصول الكتب اليونانية بقـدر ما يستطاع من الوضـوح ، وكانا يترجمان ترجمة حرفية حتى ولو ضحيا فى ذلك بجمال اللغة وتنسيق ديباجتها . لكن تراجم حنين أفضل ودقتها أعظم ، ومع ذلك فان الانسان يخيل اليه انها ليست نتيجة مجهود صادق ، ولكن نتيجة تمكن وثيق من اللغـة — وحسن تصرف فى مذاهبها — ويتجلى هـذا فى سلاسة التوفيق بين اليونانية والعربية والدقـة المتناهية فى التعبير مـع الايجاز ، تلك هى مميزات فصاحة حنين التى اشتهر بها »(٤٥١) .

لقـد بذل السريان اقصى جهدهم فى الاحاطة بالتراث اليونانى ، فكانوا يجوبون الأقطار سعيا وراء استعمال الكتب التى وقعت تحت أيديهم . يقول حنين بن اسحاق عن كتاب « فى البرهان لجالينـوس » الذى كان نادر الوجـود فى القرن الثالث الهجرى . « اننى بحثت عنه بحثا دقيقا ، وجبت فى طلبه أرجاء العراق وسـوريا وفلسطين ومصر الى أن وصلت الى الاسكندرية لكنى لم أحظ الا بمـا يقرب من نصفه فى دمشـق »(٤٥٢) .

ولكن على الرغم من ذلك فلم يكن عمل السريان للثقافة اليونانية صحيحا كله ، كذلك لم يحل اتقان النقلة اليونانية والسريانية والعربية دون ظهور بعض المـآخذ على ما ترجموه ، ولا يخفى علينا أنه الى جانب اولئك المترجمين الذين أشرنا اليهم . كان هناك فئات أخرى ممن ليست لديهم درجة من الكفاية تعينهم على القيام بالترجمـة الصحيحة المؤدية لحقائق الأصـل ومراميه .

يقول القفطى(٤٥٣) وهـو يتحـدث عن كتاب « الكون والفساد » لأرسـطو :

---

(٤٥٠) أوليرى : مسالك الثقافة الاغريقيه الى العرب ص ٢٢٠ .

(٤٥١) حنين بن اسحاق : العشر مقالات فى العين « المقدمة » ص ٣٠ ترجمة ماكس مايرهوف .

(٤٥٢) المصدر نفسـه ص ٢٩ .

(٤٥٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣٠ ، وليحيى النحوى فى الكون والفساد سرح تام والعربى دون السريانى فى الجـودة ، الفهرست ص ٣٦٥ .

وقال أهــل العلم بالسريانى أنه فوق العربى فى الجــوده ، ولا شك فى أن ناقله الى العربى قصر فى الترجمــة .

وعندما تقــدمت حركة الترجمة أحس المترجمون بمــا كانوا قــد وقعوا فيــه من أخطاء ، فأخــذوا يعيدون النظر فيما نقــل ، ويتناولونه بالترجمة من جــديد او يصلحون ما لمسوه فيه من أخطاء .

يقول أوليرى : « وقــد أدى الحرص على معلومات علمية دقيقة الى وضــع ترجمات أكثر دقــة أوالى تنقيح الترجمات الموجودة فعلا »(٤٥٤) لعل ذلك يتضح فى قــول حنين بن اسحاق فى رسالة لــه الى على بن يحيى عن كتاب فى الفرق لجالينوس « ترجمته وأنا شاب من نسخة خطية يونانية مشوهة ، ثم لمــا بلغت الاربعين من عمرى طلب الى تلميذى حبيش أن أصلحها بعــد اذ كنت قــد جمعت قــدرا من المخطوطات اليونانية ، عند ذلك رتبت هــذه بحيث نسقت منها نسخة صــحيحة قارنتهــا بالنص السريانى ثم صــــححتها ، وتلك عادتى التى اتبعتهــا فى كل ما ترجمتــــه(٤٥٥) .

كذلك يقول اسحاق « نقلت هــذا الكتاب » كتاب النفس لأرســطو « الى العربى من نسخة رديئــة ، فلما كان بعــد ثلاثين سنة وجــدت نسخة فى نهــاية الجــودة فقابلت بها النقل الأول وهــو شرح ثامسطيوس »(٤٥٦) .

وبديهى أن يكون هناك تفاوت بين النقلة مرده الى تفاوتهم فى المعرفة باللغات المترجم منها واليها ، والى تمكنهم من المــادة العلمية التى تعالجها من موضــوعات الكتب التى يترجمــونها .

يقــول ابن ابى أصيبعة : « وجــدت بعض الكتب الست عشرة لجالينوس ، وقــد نقلها من الرومية الى السريانية سرجس المتطبب ،ونقلها من السريانية الى العربية موسى بن خالد الترجمــان ، فلمــا طابقتها وتأملت ألفاظها ، تبين لى بين نقلها وبين الستة عشرة التى هى نقــل حنين تباين كثير ، وتفاوت بين ، وأين الالكن من البليغ والثرى من الثريا ؟ !(٤٥٧) .

---

(٤٥٤) أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ص ٢٢٠ .

(٤٥٥) حنين بن اسحاق : العشر مقالات فى العين ، المقدمة ص ٢٩ .

(٤٥٦) ابن النديم : الفهرست ص ٣٦٦ .

(٤٥٧) ابن أبى أصيبعه : عيون الانباء فى طبقات الاطباء ج ١ ص ١٨٩ .

لقــد ترتب على تبــادل الكتاب الواحــد فى ايدى أكثر من مترجم أن ثارت الريبة حــول الكتب المنقولة ، ولم يعــد الناس يرتاحــون لهــا ويطمئنون اليها ، يقول الجاحظ : « ولا يزال الكتاب تداوله الأيدى الجانية والأغراض المفسدة ، حتى يصير غلطا صرفا ، وكذبا مصمتا فما ظنكم بكتاب تتعاقبه المترجمون بالافساد وتتعاوره الخطاب بشر من ذلك أو بمثله »(٤٥٨) .

يقول براجستراسير : « ان لغــة كتاب العشر مقالات فى العين تشيع فيها بعض خــواص امتاز بها أسلوب حنين وحبيش ولكنه مكتوب بأسلوب عربى — وبربرى أحيانا — ردىء بحيث لا يرجــع انحطاطه وسوقيته الى عبث الناسخين فحسب ، كذلك يظن ان الكتاب فى صورته التى هــو عليها الآن ليس من تأليف حنين ولكن يرجح أن حبيشا وسواه من تلاميذ حنين غيروه فأخرجوه عن أصله »(٤٥٩) .

ولا غرابة فى أن يشك الجاحظ فى ما تضمنته الكتب المترجمة ، ويثور القلق فى نفسه فلا يدعــه يصــدق ما يقوم المترجمون بنقله ، أو دافعه الى ذلك أن « الترجمان لا يؤدى ما قال الحكيم على خصائص معانيه ، ودقائق اختصاراته وخفيات حدوده ، ولا يقــدر أن يوفيها حقوقها ، ويؤدى الأمانة فيها ، ويقوم بما يلزم »(٤٦٠) . هكذا اوجــد الجاحظ ما يبرر وجهة نظره فى المترجمين ، فهم فى رأيه عاجزون عن التعبير عن المعانى الأصلية ، ولهــذا فهو يسلكهم فيمن لا يسلم بقولهم ، ولا يأخــذ بكلامهم « فكيف أسكن بعــد هــذا الى أخبار البحريين ، وأحاديث السماكين ، والى ما فى كتاب رجــل لعله أن لو وجــد هــذا المترجم أن يقيمه على المصطبة ، ويبرأ الى الناس من كذبه عليه ، ومن افساد معانيه لسوء ترجمته »(٤٦١) .

ولم يكن هناك بعــد وقــد عاب الجاحظ على التراجمة عجزهم عن نقــل المعــانى بدقــة فى ترجماتهم بسبب قصور معرفتهم ، وما يطرأ على الكتب بأخــذ نفسه بهــذا العمــل .

وقــد رأى أن شرائط الترجمة الصحيحة(٤٦٢) « تتلخص فى معرفة دقيقة أصيلة

(٤٥٨) الجاحظ : الحيــوان ج ١ ص ٧٩ .

(٤٥٩) حنين بن اسحاق : العشر مقالات فى العين . المقدمة ص ٦٣ .

(٤٦٠) الجاحظ : الحيــوان ج ١ ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٤٦١) المصــدر نفســه ج ٦ ص ١٩ .

(٤٦٢) د. طــه الحاجرى : (**تخريج نصوص ارسطوطالية فى كتاب الحيوان**) بحث فى مجلة كلية الآداب — جامعــة الاسكندرية ، مجلــد ٦ (١٩٥٢ م) .

محيطة بالموضوع ، وعلم تام باللغة المنقولة والمنقول اليها وهـو يقول ان من الواجب على من يعمل بالترجمة أن يكون فى العلم بمعانيها واستعمال تصاريف الفـاظها ، وتأويلات مخارجها ، مثل مؤلف الكتاب وواضعه » .

لقـد استجابت اللغة العربية بسرعة لرغبات المترجمين ، واصبحت طيعة فى أيديهم ، فكانت الفاظها الكثيرة من الوسائل التى أعانت على أداء المعـانى وابرازها بكل دقـة . يقول ابن سنان الخفاجى : « كانت اللغـة العربية مـع السعة والكثرة أخصر اللغات فى ايصال المعانى وفى النقل اليها يبين ذلك ، فليس كلام ينقل الى لغـة العرب الا ويجيىء الثانى اقصر من الأول ، مـع سلامة المعانى ، وبقائها على حالها ؛ وهـذه بلا شـك فضيلة مشهورة ، وميزة كبيرة ، لأن الغرض فى الكلام ووضـع اللغات بيان المعارف وكشفها . . وقـد أخبرنى أبو داوود المطران ــ وهـو عارف باللغتين العربية والسريانية ــ أنه اذا نقل الألفاظ الحسنة الى السريانى قبحت وخست واذا نقـل الكلام المختار من السريانى الى العربى ازداد طـلاوة وحسنا ، وهـذا الذى ذكره صـحيح »(٤٦٣) .

يرى ديبـور أنه : « ينبغى الا نعـد هؤلاء النقلة من حملة الفلاسفة ذوى الشأن اذ كان ينـدر أن يقبـل أحـدهم على الترجمة من تلقاء نفسه بل كان فى كل الأحوال تقريبا يعمل طاعة لخليفة أو وزير أو رجل عظيم »(٤٦٤) . سهل العباسيون على الناس أن يقفـوا على الكتب العلمية البارزة التى ترجمت من اللغـات المختلفة الى اللغـة العربية ، وصرف فى سبيل الحصول عليها وعلى ترجمتها وتجليدها المبالغ الكبيرة فذلل الخلفاء للناس سبيل المطالعة والدرس فى بيت الحكمة الذى انشىء لنشر العلوم والمعارف المنقـولة عن الأمم الأخرى والتى رغب الخلفاء بنشرها بين الناس ليقفوا على حقائق الأمور ، وتراث الأمم التى تقـدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية(٤٦٥) .

ان المسلمين فى عصرهم الذهبى نقلوا الى لسانهم معظم ما كان شـائعا من العلم فى الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والآداب ، واتخـذوا من كل أمة أحسن ما لديها ، ولكنهم اختاروا من اليونان فلسفتهم وتركوا آدابهم ، ولقـد كانت تلك المؤلفات

---

(٤٦٣) ابن سنان الخفاجى : (**سر الفصاحة**) . (مطبعة محمد على صبيح ــ القاهرة ١٩٥٣ م) ص ٤٨ .

(٤٦٤) ديبـور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٣١ .

(٤٦٥) د. رمزيه الأطرقجى : (**أهم المترجمين فى بيت الحكمة**) . مجلة المؤرخ العربى ــ بغداد ــ العراق عـ ١٤ (١٩٨٠ م) ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

التى نقلت الى اللغة العربية هى النواة التى نبتت ونمت ثم ازدهرت وأثمرت وآتت اطيب الفوائد للمسلمين وغيرهم ممن اندمجـــوا فى مدنيتهم(٤٦٦) .

بدأ العرب يمارسون الترجمة الضخمة للكتب اليونانية ، وحتى ذلك الوقت كانت الترجمات تتم بجهود فردية كيفما تيسر . وجمع المـــأمون المخطوطات للترجمة ، وشكل مجموعة من المترجمين فى (بيت الحكمة) ووضعها تحت قيادة حنين بن اسحاق وهـــو طبيب مسيحى وعالم متبحر فى العلوم . وقد ترجم حنين هنا مائة كتاب تقريبا لجالينوس ولمدرسته الى اللغـــة السريانية وتسعة وثلاثين مخطوطا آخر الى اللغـــة العربية ، منها مؤلفات لأبو قراط وأفلاطـــون ، كذلك المقولات ، والطبيعة ، وكتاب الأخـــلاق لارسطو ، وكانت هـــذه المخطوطات نقطة الانطلاق لكشوف فكرية . ولمـــا كان « المترجمون » علماء مجربين ومزودين بوثائق غاية فى القـــوة فقـــد أسهموا فى اضافة معرفتهم الخاصة وعلمهم الشامل الى مؤلفاتهم . وقـــد بلغـــوا من نجاحهم ما جعلهم يدفعون ثمن المؤلفات الجـــديدة لهؤلاء العلماء ما يساوى وزنها ذهبا(٤٦٧) .

أما اســـحاق بن حنين فقـــد كان يسير على نهج أبيه فى صحة النقـــل من اليونانية والسريانية الى العربية ، وقـــد خلفه(٤٦٨) على الترجمة بارعا ومقـــدما فى العلوم الرياضية ، كما تميز فى صناعة الطب(٤٦٩) وقـــد نقـــل اســـحاق من الكتب اليونانية الى اللغـــة العربية كتبا كثيرة الا أن جـــل عنايته(٤٧٠) كانت مصروفة الى نقـــل الكتب الحكمية . ويشير ابن خلكان الى ذلك بقوله : « ان الذى يوجـــد من تعريبه فى كتب الحكمة من كلام أرسطوطاليس وغيره أكثر ممـــا يوجـــد من تعريبه لكتب الطب(٤٧١) . ويعلل ابن العبرى(٤٧٢) ذلك بقوله ان نفس اسحاق كانت الى الفلســـفة أميـــل .

ومن المؤلفات التى نقلها الى العربية أصول الهندسة لبطليموس وأصلحه فيما بعـــد ثابت بن قرة ، وكتاب المعطيات لأقليدس أيضا ثم كتاب المجستى لبطليموس .

---

(٤٦٦) محمد لطفى جمعة : تاريخ فلاســـفة الاسلام ، المقدمة .
(٤٦٧) جاك س. ريسلر : الحضارة العربية ص ١٧١ ، ١٧٢ .
(٤٦٨) صاعد الاندلسى : طبقـــات الأمم ص ٤١ .
(٤٦٩) ابن خلكان : وفيات الاعيـــان جـ ١ ص ٨٢ .
(٤٧٠) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـــات الأطباء جـ ١ ص ١٨٨ .
(٤٧١) ابن خلكان : وفيات الأعيـــان جـ ١ ص ٨٢ .
(٤٧٢) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٢٥٢ .

يقول البيهقى(٤٧٣) : « ان اسحاق بن حنين قـد أسلم وكان من جلة المسلمين · وقد حسن اسلامه واشركه المكتفى فى بيعة ابنه مـع وزيره العباس » .

وهناك حبيش بن الحسن الدمشقى وهـو ابن أخت حنين بن اسحاق ، وأحد تلاميذه ومنه تعلم صناعة الطب ـ يقول البيهقى(٤٧٤) « وحبيش كان من الاطباء المتقدمين والمهندسين ولـه تصانيف كثيرة فى الطب وكان مصيبا فى المعالجات » . وقد استطاع حبيش بفضل حدب حنين عليه أن يصبح أحد مشاهير المترجمين(٤٧٥) ، فاشتغل بالنقل من اليونانى الى العربى ، وكان يسلك مسلك حنين فى نقله الا أنه كان يقصر عنه(٤٧٦) .

وبالرغم من ذلك فقد كان حنين يقدمه(٤٧٧) ويعظمه ويرضى نقله وقد نسب أكثر ممـا نقله حبيش الى حنين . يقول القفطى : « كثيرا ما يرى جهاله شيئا من الكتب القديمة مترجما بنقل حبيش فيظن الغر منهم أن الناسخ أخطأ فى الاسم ويغلب على ظنه أنه حنين وقد صحف فيكشطه ويجعله لحنين(٤٧٨) .

ويرى مايرهوف أن هـذا الخلط مرده الى « تشابه اسم حنين وحبيش فى الكتابة أيام أن كانت الحروف لا تنقط ، فكانا يرسمان هكذا « حسن ، وحبيش »(٤٧٩) . يقول ديبور : « نظرا لأنهم كانوا يشتغلون معا ، فان كتبا كثيرة تنسب للواحد منهم تارة وللآخر تارة أخرى ، ولابد أن كثيرا من الكتب كان يترجمه تلاميذهم ومساعدوهم بارشاد(٤٨٠) منهم » .

أما سعيد بن ابى يعقوب بن عثمان الدمشقى فانه كان من النقلة المجيدين ، نقل الى العربية بعض أقسام من كتاب الأصول لأقليدس كان منقطعا الى (على بن عيسى) وجاء فى كتاب طبقات الأطباء : « .. ونقل كتبا كثيرة الى العربية من كتب الطب »

(٤٧٣) البيهقى : تاريخ حكماء الاسلام ص ١٩ .

(٤٧٤) المصدر نفسه .

(٤٧٥) حنين بن اسحاق : العشر مقالات فى العين ، المقدمة ص ١٧ .

(٤٧٦) ابن ابى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٢ .

(٤٧٧) ابن النديم : الفهرست ص ٤٢٨ .

(٤٧٨) ابن القفطى : أخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٢٢ .

(٤٧٩) حنين بن اسحاق : كتاب العشر مقالات فى العين ص ٣٢ .

(٤٨٠) ديبور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٣٠ .

ومن كلامه : الصبر قـوة من قـوى العقل ، وبحسب قـوة الصبر تكون قـوة العقـــل »[481] .

ومن الذين نشأوا فى خـلافة الراضى فى بغـداد متى بن يونس الذى كان حكيما نصرانيا[482] . قام بشرح كتب أرسطو ، وكان أكثر اهتمامه بالمنطق ولعـل من أهم الكتب التى ترجمها كتاب سـوفسطيقا لأرسـطو[483] ومعناه الحكمة الموهة ، وقـد نقله الى السريانى كما ترجم أيضا كتاب الشعر لأرسطو ، ويذكر ابن النـديم فى حـديثه عن كتب أرسطو فيقول : « الكلام على أبو طيقيا معناه الشعر نقله أبو بشر ابن متى بن يونس من السريانى الى العربى »[484] . وقـد نشر د. عبد الرحمن بدوى هـذه الترجمة كاملة فى كتابه فن الشعر لأرسطوطاليس وهـو يرى أنها ترجمـة رديئـــة[485] .

كما كان سنان بن ثابت « ت ٣٣١ هـ » طبيبا مقـدما كأبيه ، وقـد وكل اليـه المقتدر امتحان الأطباء فى بغـداد سنة ٣١٩ هـ ، عالمـا بالعـدد والهندسة[486] ، وقـد نقل الى العربى نواميس هرمس والورد والصـلوات التى يصلى بهـا الصابئون[487] ، وأصلح سنان كثيرا من الترجمات التى كانت تترجم من السريان الى العربى[488] . ومن ذلك اصلاحه كتاب أفلاطـون فى الأصـول الهندسية وقـد زاد فى هـذا الكتاب[489] شيئا كثيرا . وقـد توفى سنان بن ثابت مسلما ببغـداد[490] .

ونرى أبا على عيسى بن زرعة[491] : ولد فى سنة ٣٣١ هـ وتوفى ٣٩٨ هـ كان

---

(٤٨١) ابن جلجل : طبقـات الأطبـاء ص ٦٩ .

(٤٨٢) البيهقى : تاريخ حكماء الاسـلام ص ٢٨ .

(٤٨٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨ .

(٤٨٤) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٦٣ .

(٤٨٥) يقـول د. عبد الرحمن بدوى : يغلب على ظننا فى تلخيصه وعرضـه لكتاب الشعر انمـا استعان بترجمة يحيى بن عـدى على افتراض أنها كانت أصلح لأنه لم يكن فى وسـعه الاعتماد على ترجمة أبى بشر فى تصوراتها التى وصلت الينا — فن الشعر لأرسطوطاليس : التصـدير ص ٥٠ .

(٤٨٦) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٦٤ .

(٤٨٧) صاعـد الأندلسى : طبقـات الأمم ص ٤١ .

(٤٨٨) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٣٣ .

(٤٨٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء ص جـ ١ ص ٢٢٤ .

(٤٩٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٣٣ .

(٤٩١) ابن العبرى : مختصر تاريخ الدول ص ٣١٥ .

نصرانيا يعقوبيا اشتغل بالمنطـــق فى بغــداد ، وكان متقــدما فيه ، كما برع فى الفلسفة ، ذكره ابن النـــديم فقال : « كان ينقـــل من السريانى الى العربى وأكثر ما نقله يدخـــل فى دائرة الفلسفيات(٤٩٢) ، وكان جيد النقل وممـــا نقله كتاب الحيوان لأرسطوطاليس » . والقفطى يشير الى ذلك بقوله : « ونقــله كتاب الحيوان — أبو على بن زرعة الى العربى وصححه ، وملكت منه نسخة »(٤٩٣) .

لم يكن الخلفاء وحـــدهم هم الذين عنـــوا بتزويد اللغة العربية بهـــذا الزاد العقلى الرفيع ، بل ان من أفراد الشعب من أولى الترجمة عناية كبيرة ، وبذل من أجلها مالا كثيرا ومن هـــؤلاء بنـــو شاكر محمد وأحمد والحسن ، وقـــد كان لهم مترجمون لا يفتأون ينقلون لهم ويلازمون العمل فى مكتبتهم ومن هـــؤلاء المترجمين حبيش ابن الحسن وثابت بن قرة(٤٩٤) . وكان أبناء موسى بن شاكر يعهدون لأهـــل المعرفة باللغات أن يترجموا لهم ما يطلبون من كتب الرياضيات والطبيعيات والفلسفة وغيرها . وهم الذين قاسوا محيط الأرض قياسا دقيقا لا يختلف عن قياس المعاصرين الا قليلا مـــع دقة الآلات فى هـــذا العصر(٤٩٥) .

كما برع ايضا يعقوب بن اسحاق الكندى فى مختلف العلوم كالطب والفلســـفة والرياضيات والمنطق ولـــه تآليف كثيرة فى هـــذه العلوم تربو على الثلاثمائة وترجم كثيرا من كتب الاقـــدمين ولا سيما كتب الفلسفة واوضح فيها المشـــــكل ولخص المستصعب وبسط العـــويص(٤٩٦) .

واشتغل بترجمة الكتب اليونانية الى العربية وتهـــذيب ما ترجمـــه غيره وكان لـــه تلاميذ يترجمون تحت اشرافه واشتغل فى قصر الخلافـــة منجما(٤٩٧) . كما عاش الكندى فى صميم عصر الترجمة فى الاسلام فشهد الكتب تنقـــل برمتها عن اليونانية او السريانية نقـــلا أول ، ونقـــلا ثانيا ، واطلع على الترجمة الحرفية والترجمـــة

---

(٤٩٢) ابن النـديم : الفهرست ص ٣٨٣ .

(٤٩٣) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٣١ .

(٤٩٤) ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء ج ١ ص ١٨٧ .

(٤٩٥) عبـد الله بن العبـاس الجرارى : تقـدم العرب فى العـلوم والصـناعات وأسـتاذيتهم لأوروبا ص ١٧ .

(٤٩٦) المرجـع نفسـه ص ١٨ .

(٤٩٧) د. عصام الدين عبد الرؤوف . الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٨٩ ، ٢٩٠ .

بالمعنى . وشـــارك الى حـــد ما فى هـــذه الحركة أما باصطناع المترجمين بالاجر أو بتصحيح الترجمات وتهـــذيبها .

وكان من نتائج الترجمة المهمة نشوء الوراقـــة والوراقين ببغـــداد وانتـــاج الكتب المترجمة المزايا التى اتصفت بها الترجمة العباسية . ويقـــول ابن خلكان : « لولا ذلك التعريب لمـــا انتفع أحـــد بتلك الكتب لعـــدم المعرفة بلسان اليونان ... لا جرم كل كتاب لم يعربوه ، باق على حـــاله ولا ينتفـــع به الا من عرف تلك(٤٩٩) اللغـــــة » .

يقـــول جوستاف لوبون(٥٠٠) : « وقـــد وجـــد العرب فى بلاد فارس وســـوريا حينما استولوا عليها ، خزائن من العلوم اليونانية ، فأمروا بنقـــل ما فى اللغة السريانية منها الى اللغة العربية ثم أمروا بأن ينقـــل اليها من اللغة اليونانية ما لم يكن قـــد نقـــل الى اللغة السريانية فأخـــذت لذلك دراسات العلوم والآداب تسير قـــدما نحـــو الرقى . ولم يكتف العرب بما نقل الى لغتهم فقـــد تعلم عـــدد غير قليل منهم اللغـــة اليونانية ليستقوا منها علوم اليونان ، وقـــد كانت معارف اليونان واللاتين القـــديمة أساسا لثقافة متعلمى العرب . ولكن العرب المفطورين على قـــوة الابداع لم يكتفوا بحال الطلب ، ولم يلبثوا أن تحرروا ، بمـــا عرف عنهم من النشاط ، حتى عاد الاغريق وهم ليسوا أساتذة العرب » .

يقـــــول PHILIP HITTI : « أن العهـــد العباسى الأول ليزهـــو باليقظة الفكرية التى تمت فيه . وقـــد كانت هـــذه اليقظة ذات أثر بعيد فى الحركات الفكرية والثقافية فى العالم ، وكانت تعتمد الى حـــد بعيد على الثقافة الأجنبية ، وبخاصـــة الفارسية والهندية واليونانية . وكان المسلم العربى حاذقا ذكيا مشغوفا بالاطلاع ، راغبا فى الاستفادة والتزود من هـــذا الزاد الفكرى الرفيع ، ومن أجـــل هـــذا كانت الاستفادة شاملة ، وانتفاعـــه واضـــحا ، وسرعان ما سيطر على ثقـــافة هـــؤلاء الأقـــوام ، وأصبح يضع يده على أهم المؤلفات الفلسفية لأرسطو ، وأحسن شروح الأفلاطونية الحـــديثة . وأكثر ما كتب جالينوس فى الطب بالاضافة الى النتاج الهندى ، وينبغى الا نبالغ فى فضل اليونان على المسلمين ، اذ أن الثقافة اليونانية استمدت قبل عناصرها ومقـــوماتها من معارف مصر القـــديمة ، وبابل وفينيقيا ، ثم عادت هـــذه

---

(٤٩٨) د. أحمد فـؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٦٧ .

(٤٩٩) ابن خلكان : وفيـات الأعيـان جـ ١ ص ٢١٧ .

(٥٠٠) جوستاف لوبون : حضـارة العرب ص ٤٦٠ .

المعارف الى العالم الاسلامى وهى فى ثوب يونانى وعن طريق اسبانيا وصقلية وعبرت هـــذه العـــلوم الى أوروبا مرة أخرى من الشرق الاســـــلامى فى ابان العصـــور الوســـطى »(٥٠١) فكان من أهم نتائج الترجمة أيضا اشتغال كثير من المسلمين بدراسة الكتب التى ترجمت الى العربية ، اذ لم يكتف العرب بحال الطلب الذى اكتفت به أوروبا فى القرون الوسطى(٥٠٢) ، بل عملوا على تفسير تلك الكتب المترجمة والتعليق عليها واصلاح أخطائها كما فعل الكندى وغيره .

ومن أهم الدوافـــع التى ساعدت على ازدهار حركة الترجمة نمو العـــلاقات الدولية فى العصر العباسى الأول والجهـــود التى بذلها العباسيون فى فرض السلام والمبادلات التى وصلت الذروة فى عهدهم والتى حملت التجار الى كل ســـوق ، ودفعت السفن العربية الى كل بحر . وقـــد كانت الدولة العباسية تعقـــد صفقات لشراء الكتب وتدفـــع فى سبيلها أغلى الأثمان(٥٠٣) .

ثم تتابعت جهود الخلفاء فى طريق هـــذا التبادل الثقـــافى . ويشير أبو الفرج الأصبهانى الى قـــدوم امبراطور الدولة البيزنطية الى بلاط الرشيد فسألوا عن الشاعر أبى العتاهية وأنشدوا أشعارا لـــه ، وكان الرسول يحسن العربية فلمـــا نقـــل الرسول الى الامبراطور خبر ما رأى وما سمع كتب الى الرشيد يسأله أن يوفـــد اليه ابا العتاهية وأن يأخـــذ فيه من الرهائن من يريد واعتذر أبو العتاهية(٥٠٤) .

وثمـــة عامل آخر كان من أهم حوافز حركة الترجمة وهـــو أنه مع مطلع العصر العباسى لم تعـــد الترجمة حركة فردية ، وانمـــا أصبحت حركة تظفر بعناية الدولة وتشجيعها تساعدها وتنفق عليها الأموال الطائلة ، فاستجاب كثيرون لذلك ودفعهم التشجيع الأدبى والمـــادى للاجادة(٥٠٥) .

وثمـــة أمور أخرى كان لهـــا أثرها فى الاقبال على المعرفة القـــديمة وورود مواردها وتقبل ملايين المسلمين من غير العرب للثقافة العربية ، فنشأت العقليـــات

---

(٥٠١) Philip Hitti, History of the Arabs, PP. 306-307.

(٥٠٢) جوستاف لوبون : حضـارة العرب ص ٤٣٤ .

(٥٠٣) ابن خلـدون : المقـدمة ص ٤٠١ .

(٥٠٤) أبو الفرج الأصبهانى : الأغانى جـ ١٣ ص ١٧٩ .

(٥٠٥) د. حسن محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٧١ .

التى لا تقنع بالثقافة التقليدية الموروثة انمـــا ترنو الى المزيد ارواء لتعطشها الى المعرفة ، فكان المورد الاغريقى الذى عبوا منه عبا(٥٠٦) .

ويمكننا أن نضيف الى ذلك كله حقيقة أخرى هامة ، وهى أن أهـــل الذمة هم الذين تزعموا حركة الترجمة وبرعوا فيها واخلصوا لها كل الاخلاص ولم يكن من المعقول أن يأتى ذلك عفـــوا انما يأتى بعـــد أن الف أهـــل الذمة الحياة العربية ،وشـــاركوا فى الحياة السياسية ، ولم يفقـــدوا حرياتهم الدينية ونعمـــوا بحسن المعاملة وطيب المعاشرة ووجـــدوا أن الدين لم يحـــل بينهم وبين تطلعاتهم المتنوعة . كما انه لابد أن يمضى وقت طـــويل ليستعرب أهـــل الذمة على نطـــــاق واســـع الا فى العصر العبـــــاسى(٥٠٧) .

ويتحـــدث ابن النـــديم(٥٠٨) عن أهـــل الذمة الذين اسهموا فى حركة الترجمة ونقـــل التراث والفكر العالمى الى اللغـــة العربية وهم يوحنا بن ماسويه ، وحنين ابن اسحاق ، وابنه اسحاق وقسط ابن لوقا وابن البطريق وابن ناعمة وغيرهم كثير . تلك اهم الدوافـــع التى شدت من أزر حركة الترجمة وأتاحت للعرب هـــذه المناهل الغزيرة من العلم والمعرفة واننا لنقف مطأطئى الرءوس أمام أولئـــك الخلفاء العباسيين الذين رعـــوا أولئـــك المترجمين .

---

(٥٠٦) المرجـع نفسـه ص ٢٧٢ .

(٥٠٧) المرجـع نفسـه ص ٢٧٣ .

(٥٠٨) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٤٠ ، ٣٤١ .

أهم المترجمين فى بيت الحكمة

١ ـ يوحنا بن ماسويه .

٢ ـ حنين بن اسحاق العبادى .

٣ ـ يعقوب بن اسحاق الكندى .

٤ ـ اسحاق بن حنين .

٥ ـ الفضل بن سهل .

٦ ـ سهل بن هارون .

٧ ـ حبيش بن الأعسم .

٨ ـ قسطا بن لوقا .

٩ ـ يوحنا بن البطريق .

١٠ ـ الحجاج بن يوسف بن مطر .

١١ ـ عيسى بن اسحاق بن زرعة .

١٢ ـ ابن ناعمة الحمصى .

١٣ ـ سعيد بن يعقوب الدمشقى .

١٤ ـ ثابت بن قرة الحرانى .

١٥ ـ أبو بشر متى بن يونس .

١٦ ـ موسى بن خالد الترجمان .

١٧ ـ عمر بن الفرخان الطبرى .

١٨ ـ يحيى بن عدى .

الفصل الثالث : العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة والعلماء الذين عملوا فيها



١ ــ تشجيع الخلفاء والوزراء للذين عملوا فى بيت الحكمة .

٢ ــ دور الخلفاء والوزراء فى المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة .

٣ ــ حرص الخلفاء والوزراء على تقوية أواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخــل بيت الحكمة .

اولا ــ تشجيع الخلفاء والوزراء الذين عملوا فى بيت الحكمة :

ففى بغـــداد عاصمة الخلفاء وتحت رعايتهم قامت حركة علمية مباركة للترجمة والتاليف والتوزيع لا نظير لهـــا فى تاريخ العصور الوسطى قاطبة ، فقـــد أضـــاءت هـــذه الشعلة ليس فى أنحاء العراق وبلدان شرقى الخلافة فحسب بل فى طـــول وعرض الامبراطورية العربية من بغـــداد ومرو وبخارى والرى وغزنه الى دمشـــق والقاهرة والقيروان وفارس وقرطبة ، وفى دار السلام قامت حركة الترجمـــة حيث تقاطر العلماء والأدباء والحكماء عليها وعلى رأسهم الفيلسوف العربى يعقـــوب بن اســـحاق الكندى العالم الكبير فى شتى الفنون وكان من أساطين هـــذه النهضـــة خاصة فى الترجمة وعلوم الطب(٥٠٩) وان استتباب الأمر للدولة العباسية وبلوغها من الاستقرار مبلغا عظيما وتعريبها للادارة وســـائر مصالح الدولة ، واحراز الفتـــح اللغـــوى فى النصر على سائر اللغات السائدة يومئذ أدرك الخلفاء العباسيون بثاقب بصرهم أن الثقافة من اهم العوامل التى ترتكز عليها النهضة الصحيحة فبالغ خلفاؤهم فى تكريم هؤلاء المترجمين الذين عملوا فى بيت الحكمة فقربوهم وآكلوهم وشـــاربوهم وجالسوهم واعتمدوا فى المشاكل على آرائهم ، واغـــدقوا عليهم أموالا طائلة ، وقـــد أثبت المؤرخون أنهم كانوا يعطون لهم وزن ما يترجمون ذهبا ، ولذلك كان حنين بن اسحاق يكتب الترجمة بحروف غليظة وأسطر متفرقة على ورق غليظ جـــدا لتعظيم حجم الكتاب وتكبير(٥١٠) وزنه .

ان القرن الثالث الهجرى قـــد شهد رعاة حركة الترجمة(٥١١) هـــذه على مختلف المستويات ســـواء كان ذلك من الخلفاء كالمـــأمون والمتوكل أو من بعض الشخصيات البارزة فى الدولة ممن عضـــدوا هـــذه الحركة وآزروها بكل السبل ومن أشهرهم بنـــو موسى بن شـــاكر .

ومن جهة ثانية فان القرن الثالث الهجرى قـــد شهد نشاطا غير محـــدود فى حركة الترجمة التى أسفرت عن قيام حركة ثقافية فى التدوين والتأليف ، كانت أقـــل اتساعا من حركة الترجمة ذاتها ، فى حين نرى أن العكس من ذلك ، هـــو الذى حدث

---

(٥٠٩) د. صالح الحمارنة : (مراسلات البيرونى وابن سينا) مجلة المؤرخ العربى ــ بغـــداد العراق عـ ٤ (١٩٧٧ م) ص ٤٤ .

(٥١٠) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٠٣ .

(٥١١) رشيد حميد حسن الجميلى : حركة الترجمة فى المشرق الاسلامى فى القرنين الثالث والرابع للهجـــرة ص ١١٣ .

فى القرن الرابع الهجرى حيث انبثقت حركة واسعة فى التدوين والتاليف على حساب حركة الترجمة المباشرة لهـا ـ وفى هـذا المضمار يقول د. محمد جمال الدين سرور : شغل علماء بغـداد وغيرها من الحواضر الاسلامية فى القرنين الثانى والثالث للهجرة بنقل وترجمـة العلوم الأجنبية الى العربية ، ولكنهم فى القرن الرابع انصرفوا الى الانتاج الشخصى ، وكانوا يعنون بالعلوم الدينية واللغـوية أكثر من عنايتهم بالعلوم الرياضية والفلسفية ، ويرجـع السبب فى ذلك الى ما كان للعـامل الدينى من أثر فى حملهم على الاشتغال بالعلوم الدينية وحرصهم على دراسـة العلوم اللغوية لأنهـا خير أداة لفهم الدين(٥١٢) .

وفى هـذا المجال أيضا يذكر الأستاذ كمال اليازجى : فما أستهل القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) حتى أخـذت الحركة العلمية فى النضج ، وغدت الترجمات مرادفة بالتعليقات والشروح ، وبدأت المؤلفات فى هـذه المواضيع تظهر أولا بصورة دراسات قصيرة فى موضوعات محـدودة ، ثم بشكل مؤلفات جامعة ، فيها اقتبـاس واجتهاد وتحليل وتنظيم وتبويب واستنباط ووضع(٥١٣) .

فالتاريخ يحـدثنا أن خلفاء الدولة العباسية شجعوا العلم على اختلاف الوانه فأمروا بنقـل الفلسفات اليونانية والهندية والفارسية فضلا عن عنايتهم بالعـلوم الاسلامية ، وقـد اقتفى أثرهم وسار على منوالهم أمراء الدويلات الناشئة فى العصر الثانى ، وجعلوا من العلم ميدانا للمناقشة وجمعوا العلماء حـولهم وقربوهم اليهم ، حتى ان الباحث ليلمس أن العلوم الكلامية والفلسفية كلها قـد سارت جنبا الى جنب فى طريق التقـدم والنضـوج(٥١٤) .

وبالاضافة الى ما ألمحنا اليه رغبة بعض الخلفـاء الذاتية فى العلوم ، وميلهم الى الاشتغال بالأعمال الفكرية كالمنصور والرشيد والمـأمون ، ولعـل الجـو الحضارى الذى تهيأ للعرب بقيام الدولة العباسية مستندة الى أكتاف الفرس ذوى الثقافات القـديمة كان لـه أثره فى دفعهم الى هـذا الاتجاه ممـا جعلهم يقتربون

---

(٥١٢) د. محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية فى المشرق ص ٢٠٣ .

(٥١٣) د. كمال اليازجى : (**معالم الفكر العربى فى العصر الوسيط**) . (دار العلم للمـلايين ـ بيروت ـ لبنان ١٩٦٦ م) ص ٦٧ ، ٦٨ .

(٥١٤) د. فوقية حسين محمود : (**الجـوينى امام الحرمين**) . (الهيئة المصرية العـامة ـ القـاهرة ١٩٧٠ م) أعـلام العرب ، ص ٤٨ .

العلماء ويتصلون بأصحاب الثقافة بعامة ، يرسلون البعثات لجمع الكتب ويصرفون المترجمين لنقلها ويحيطونهم بعوامل التشجيع كأعلاء المكانة واغــداق العطاء[٥١٥] .

ويعــد ابن النــديم[٥١٦] : عبد الله بن المقفع من أعــلام المترجمين من اللغــة الفهلوية الى اللغــة العربية ، ويضــــعه فى الصـــــدارة بالنسبة لمترجمى العصر العبـــــاسى .

وكانت حركة النقــل والترجمة والنسخ هى القناة الكبرى التى جرت جميع العلوم القــديمة الى الدولة العباسية ، كما كانت المطبعة الحية هى التى نشرت تلك العلوم فى جميع البلاد وجعلتها فى متناول الجميع . وقــد ساعد الخلفــاء أولى الأمر تلك الحركة المباركة فأتت بأطيب الثمار ، واذا بأرســطو وأفلاطــون وجالينـــوس وغيرهم ينطقــون بلغــة العرب . واذا كتاباتهم فى أيدى الكثير توقــد فى العقــول نار نهضة مثمرة . وقــد اشتهر من النقــلة آل بختيشوع وآل حنين وآل ماسرجويه ، وآل نوبخت وغيرهم ممن كان لهم فضــل كبير على العلم وأهله[٥١٧] .

ولم يقتصر الخلفاء على اجراء الحكم العادل البسيط بل أصبح كثير منهم نصيرا للعلوم والمعارف ، فاستدعوا العلماء البارزين الى قصورهم وعضدوهم فى أبحاثهم .. فترجمت الى اللغة العربية طائفة من أعمال الهنود والاغريق فى العلوم ، وهى الأعمال التى أعاد الأوروبيون ترجمتها من مصادرها العربية الى اللاتينية فكانت بيت الحكمة فى بغــداد مركزا للعلوم والمعارف فى ظــل الخلافة الاسلامية[٥١٨] .

فكان هارون الرشيد يشجع على ازدهار العلوم والمعارف .. مما ساعد على تقــوية النهضة العلمية بكل ما فى قــواه من جهــد وعزيمة فقرب اليه العلماء . وكان يصطحب معــه كلما سافر مائة عالم ـــ واتخــذ الاطباء تراجمة لــه من السريانيين ـــ كآل بختيشوع وآل ماســويه ، وبما جعل هارون الرشيد ينشىء فى بغــداد بيت الحكمة التى كانت تحــوى نفائس الكتب من شتى اللغات والعــلوم ، كما حظيت بتشجيع الخلفاء والوزراء ، وذوى البيوتات العلمية[٥١٩] ... فترجمت كتب الطب

---

(٥١٥) د. التهامى السيد زغلول : الاتجاهات الفكرية فى التفسير ص ٢٢٦ .

(٥١٦) ابن النديم : الفهرست ص ٢٤٤ .

(٥١٧) حنا فاخورى : الجاحظ ـ نوابغ الفكر العربى ص ١٤ .

(٥١٨) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى ص ١٦ .

(٥١٩) د. محمد عبد المنعم خفاجى : (**عصور من الفكر العربى**) (مكتبة النجاح ـ القــاهرة ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م) ص ١٠٧ ، ١٠٨ .

والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق على ايدى علماء من العرب والفرس والسريان والهنود(٥٢٠) ومن الأسباب التى ساعدت على الترجمة ودعت العرب الى نقل علوم وآداب الأمم الأخرى :

١ — رغبة بعض الخلفاء العباسيين فى العلوم كالمنصور والرشيد والمأمون ، فقد أظهر الأول عناية بالترجمة فنقلت له بعض كتب جالينوس وأبو قراط فى الطب . وممن نقل له جورجيس الذى يعتبر أول من ابتدأ فى نقل الكتب الطبية(٥٢١) ، ولقد زادت ترجمة الكتب فى عهد الرشيد بعد أن وقع فى حوزته بعض المدن الرومية حيث أمر بترجمة ما عثر عليه المسلمون من كتب اليونان(٥٢٢) . كذلك شجع على الاشتغال بالترجمة ميل أفراد الخلفاء فى العصر العباسى الى العلوم الفلسفية . والخلفاء عادة أقدر على الترغيب فيما أحبوه ، والناس أسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم والولوع بما أولعوا به(٥٢٣) .ولقد لعبت الترجمة دورا كبيرا فى هذه النهضة العلمية العارمة فى تلك العصور الاسلامية الزاهرة ، وقد كانت النهضة أول الأمر مقصورة على الدراسات الدينية واللغوية ثم كان المترجمون حلقة الاتصال بين العرب وهذه العلوم . فهم نقلة علوم اليونان والسريان والأقباط والفرس والهنود فى اللغة العربية . وقد بلغ عهد الترجمة أوجه فى بيت الحكمة ، ومن مشاهر المترجمين فى عهد الرشيد أبو سهل الفضل بن نوبخت(٥٢٤) رئيس مكتبة هارون الرشيد ، ويوحنا بن ماسويه وحنين بن اسحاق وابنه اسحاق وثابت بن قرة وابن البطريق وعمر بن الفرخان وكثير من أسرة بختيشوع(٥٢٥) .

وللبرامكة فضل عظيم فى اذكاء الترجمة حينئذ فقد شجعوا بكل ما استطاعوا على نقل الذخائر النفيسة الى العربية من الرومية واليونانية والفارسية والهندية ، وكان مما عنوا به ترجمة بعض الكتب الى اليونانية بحيث تكون أكثر دقة واتقانا على نحو ما صنع يحيى بن خالد بكتاب المجستى لبطليموس ، فقد ندب له أبا حسان وسلما صاحب بيت الحكمة فأتقناه ، واجتهد فى تصحيحه بعد أن أحضر

---

(٥٢٠) د. نافع توفيق العبود : (**من تاريخ الترجمة عند العرب**) مجلة المؤرخ العربى — بغداد — العراق عـ ١٠ (١٩٧٩ م) ص ١٤٨ .

(٥٢١) ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٣٦٠ ، ٢٧٩ .

(٥٢٢) د. نافع توفيق عبود : من تاريخ الترجمة عند العرب ص ١٤٩ .

(٥٢٣) أحمد أمين : ضحى الاسلام جـ ٢ ص ٢٦٦ .

(٥٢٤) أبو الريحان البيرونى : استخراج الأوتار فى الدائرة بخواص الخط المنحنى منها ص ١٠ .

(٥٢٥) د. عبد الحليم منتصر : تاريخ العلم ودور العلماء فى تقدمه ص ٥٨ .

النقلة المجـــودين فاختبر نقلهم وأخـــذ بأفصحه وأوضحه(٥١٦) . وكان رئيس وزراء يحيى بن خالـــد البرمكى قـــد انتدب السفراء الى الهند لدعوته الأساتذة المرموقين ، ومشاهير الأطباء والفلاسفة واستقدمهم للعمل فى بلاط هارون الرشيد . وبذلك أصبحت مدينة بغـــداد منارا للعلم والمعرفة ، ومن الجـــدير بالذكر أن الخليفة لم يكن ليميز فى تعيين المترجمين من مختلف أصحاب العقائد وصنوف اللون والجنس والدين وكمثال على ذلك فان السلطة الحاكمة عينت « عـــلان الشعوبى » موظفا فى مكتبته رغـــم معاداته للعرب والعروبة(٥٢٧) .

ونرى جيلا كبيرا ينهض فى عصرهم والعصر الذى تلاهم بهـــذه الترجمة نذكر من بينهم آل نوبخت وعلى رأسهم الفضل بن نوبخت الذى اكثر من ترجمة كتب الفلك(٥٢٨) . وآل سهل وعلى راسهم الفضل وكان يترجم للمـــأمون فى حـــداثته بعض الكتب الفارسية ويعجب بترجمته(٥٢٩) وجـــدير بالذكر أن حياة الرشيد والمـــأمون تمثـــل العهـــد الذهبى للنقـــل من سائر اللغات الى اللغة العربية ، ذلك أن النقل أصبح فى زمانهما عملا رسميا تتولاه الدولة وتنفق عليه من موازنتها وتحشد لـــه أعظم النقلة والعلماء والمفكرين . وهذا ما دعا هارون الرشيد الى تأسيس مؤسسة كبرى للقيام بهـــذا العمل الجليل وهى مؤسسة كان عملها أول الأمر مركزا للنقل والملازمة كما يقول صاحب الفهرست ثم تطورت زمن المـــأمون وأصبحت مؤسسة علمية من الطراز الممتاز همها ترقية البحث والتجرد للدراسات العليا(٥٣٠) .

ويمكننا أن نقـــول أن هـــذه المؤسسة العلمية المسماة بيت الحكمة قـــد أصبحت اكاديمية بالمعنى العلمى الدقيق للكلمة فى زمن المـــأمون تحـــوى أماكن للدرس وأماكن لخزن الكتب وأماكن للنقـــل ، وأماكن للتأليف الى جانب المرصـــد الفلكى والنشاط الفلكى الذى مارسته . فكان تشجيع المـــأمون للفنون والعلوم والآداب والفلســـفة اكثر تنوعا منها فى عهد الرشيد . وكان لهـــذا التشجيع من الأثر أعظم مما كان فى عهد أبيه نظرا لأنه يجرى الأرزاق على طائفة كبيرة من المترجمين لنقـــل العلوم والمعارف باللغـــة العربية فى بيت الحكمة(٥٣١) . وقـــد شجع المـــأمون علماء بيت الحكمة فى

---

(٥٢٦) ابن النـــديم : الفهرســت ص ٢٧٤ .

(٥٢٧) ألفرد هسل : (**تاريخ المكتبات**) ترجمة شعبان عبد العزيز خليفـــة (دار الثقـــافة القـاهرة ١٩٧٣ م) ص ٣٠ .

(٥٢٨) ابن النـــديم : الفهرســت ص ٣٨٤ .

(٥٢٩) الجهشيارى : كتاب الوزراء والكتاب ص ٢١١ .

(٥٣٠) د. محمد ماهر حماده : المكتبات فى الاسلام نشأتها وتطورها ومصائرها ص ٥٣ .

(٥٣١) ول ديورانت : قصـة الحضارة المجلد الرابع ص ٩٦ .

بغـداد على البحث ، ومن أهم النتائج التى توصل اليها علماء المسلمين فى عهـد المـأمون قياس محيط الكرة(٥٣٢) الأرضية . فاضطلع علماء العرب والمسلمين بجهود جبارة فى ميادين العلم وترجموا علوم اليونان الواسعة ، وعلوم الهند وغيرهم الى اللغـة العربية فحافظوا بذلك على التراث الانسانى ممـا أغنى الفكر الاسـلامى وحفزه على العناية بالبحث والتعمق ، وقـد يكون لاهتمام الخليفة نفسه وعنايتـه أهمية فى توجيه الحياة الفكرية هـذه الوجهة . وهى وجهة خـدمت سياسة الخلافة كما هـو معلوم(٥٣٣) وظهر محمد بن موسى الخوارزمى فى عصر المـأمون ، وكان ذا مقام كبير عنده فأحاطه بضروب من الرعاية والعناية . وولاه منصب بيت الحكمة كما جعله على رأس بعثة علمية (الى الأفغان) بقصـد البحث والتنقيب . فكانت اقامته فى بغـداد قـد منحته شهرة بين الناس فبرز فى الرياضيات والفلك وكان لـه أكبر الأثر فى تقـدمهما وارتقائهما(٥٣٤) .

فلم تضعف همـة المترجمين بوفاة المـأمون اذ سلك بعض الخلفاء الذين أتوا بعـده مسلكه فى تشجيع النهضة العلمية فى بيت الحكمة واستمر ذلك الى منتصف القرن الرابع الهجرى تقريبا . ففى عصر المعتصم فترت حركة الترجمة اذ لم يكن للخليفة تحصيل فى العلم أو رغبة فى المشاركة فيه(٥٣٥) . وعلينا أن نتريث حتى عهد الواثق بالله الذى كان ذكيا واسع الاطلاع كبير الثقافة يشجع العلم والعلماء فنشطت حركة الترجمة فى عهده(٥٣٦) .

واستعادت بعض ما لهـا من نشاط وان كان أكثر ما يترجم فى عصره هـو الأسحار والخرافات . لكن عهـد الواثق شهد استئناف النشاط الأدبى مرة أخرى فاهتم بترجمة الكتب الأجنبية وأصبح يوحنا بن ماسويه الذى سبق لنـا الحـديث عنه يد الواثق اليمنى وأغـدق عليه الواثق صلاته أغـداقا لا حـد له(٥٣٧) .

---

(٥٣٢) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى ص ٧٦ .

(٥٣٣) د. وديعة طـه نجم : (**الشعر فى الحاضرة فى القرنين الثانى والثالث للهجرة**) . (شركة كاظمـة للنشر والتوزيع - الكويت ١٩٧٧ م) ص ٣٦ .

(٥٣٤) قـدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٠٤ .

(٥٣٥) د. محمد عبد المنعم خفاجى : صور من الفكر العربى ص ١٠٩ .

(٥٣٦) خـودابخش : حضـارة الاسـلام ص ١٣٣ .

(٥٣٧) خـودابخش : حضـارة الاسـلام ص ١٣٣ .

أما المتوكل فكان آخر الخلفاء الذين آزروا حركة الترجمة وأعانوا على نقل علوم الأمم العربية الى لغة القرآن الكريم(٥٣٨) . وظهر أثر هذا الاختلاط الشديد فى العقول والأفكار فاتسعت الثقافة ونضج التفكير . فكان الذى أذكى الترجمة والنقل حينئذ الأموال التى أغدقها المتوكل وغيره من الخلفاء على المترجمين . ويكفى أن نذكر ما أهداه المتوكل الى حنين بن اسحاق المتوفى سنة ٢٦٤ هـ فانه أهداه ثلاث دور من دوره وحمل اليها كل ما يحتاج اليه من الأثاث والفرش والآلات والكتب وأنواع الستائر الأنيقة وأقطعه بعض الاقطاعات وحصل له راتبا شهريا خمسة عشر الف درهم غير ثلاثة خدم من الروم وغير ما أسبغه على أهله من الأموال والخلع والاقطاعات(٥٣٩) .

وهكذا كان الخلفاء العباسيون يغدقون رواتب شهرية على جماعة من المترجمين بينهم حنين بن اسحاق وحبيش ابن اخته وثابت بن قرة ، ويقال أنهاكانت تبلغ فى الشهر خمسمائة دينار(٥٤٠) ، وكل هذا الاهتمام والتشجيع للترجمة والانفاق عليها والتنافس فيها أحدث ازدهارا عظيما لها فى العصر العباسى الثانى فقد أكب المترجمون على المأثورات الاغريقية فى كل فروع العلم والفلسفة بترجمتها ، ويخيل الى الانسان انهم لم يتركوا حينئذ كتابا يونانيا فى أصله اليونانى أو فى ترجمته السريانية الا ترجموه الى العربية(٥٤١) . ومن يرجع الى ابن أبى أصيبعة والقفطى تهوله الكثرة الغامرة مما ترجموه ، اذ يبلغ أحيانا عند المترجم الواحد مئات الكتب والرسائل سوى ما ألفوه وصنفوه .

يقول الدوميللى : « ان النص العربى يصلح النص الاغريقى فى مواضع مختلفة ، وترجم كتاب أرسطو فى النبات تفسير نيوقولاس ، وله كتاب قرسطون فى نظرية الميزان واعتدال الأجسام الميكانيكية وكان له أثر كبير فى لاتينية العصور الوسطى . ومن مصنفات ثابت بن قرة كتاب الذخيرة فى الطب ألفه لابنه سنان »(٥٤٢) .

ومن أنبه المترجمين حينئذ قسطا بن لوقا(٥٤٣) البعلبكى ومن ترجماته شرح

---

(٥٣٨) د. محمد عبد المنعم خفاجى : صور من الفكر العربى ص ١١٩ .

(٥٣٩) د. شوقى ضيف : العصر العباسى الأول ص ٢٣١ .

(٥٤٠) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٤١٤ .

(٥٤١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٧٠ .

(٥٤٢) الدوميللى : (**العلوم عند العرب ومكانتها فى التطور العلمى العالمى**) (ليدن . هولنده ١٩٦٦ م) ص ١٤٢ ، ١٥٥ .

(٥٤٣) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٣١٧ .

الاسكندر الأفروديسى وشرح جون فيلوبون على السماع الطبيعى وكتاب اراء الفلاسفة المنسوب الى فلوطرخس وكتاب الحيل لهيرون المنشور فى ليبزج سنة ١٩٠٠ م وكان قد ترجمه للخليفة المستعين . وله رسالة صغيرة فى الفرق بين النفس والروح ترجمت الى اللاتينية . كما كان من هؤلاء المترجمين النابهين أبو بشر متى ابن يونس(٥٤٤) من أصل يونانى وقد عنى بترجمة جميع آثار ارسطو فى المنطق وغيره ، وترجم له كتاب الشعر ترجمة مضطربة لأنه يدور كما هو معروف ، حول المأساة اليونانية . وبمتى بن يونس ينتهى عصر الترجمة العظيم .

وكان الوزراء بدورهم يغدقون على المترجمين أموالا كثيرة سواء أهدوا اليهم بعض ترجماتهم أو بعض ما ألفوه على هدى ما قرءوه فى اللغتين اليونانية والسريانية . وفى أخبار قسطا بن لوقا أنه اهدى ابراهيم بن المدبر كما اهدى الحسن بن مخلد وزير المعتمد كتابا . وفى أخبار اسحاق بن حنين انه كان منقطعا الى القاسم بن عبد الله وزير المعتضد(٥٤٥) .

وجدير بالذكر أن ثابت بن قرة كان لا ينقطع عن اسماعيل بن بلبل وزير المعتمد وله ألف مقالة فى الهندسة(٥٤٦) . وكان كثير من الأطباء يكلفون المترجمين نقل كتب طبية أو كتب تتصل بالطب . يقول ابن أبى أصيبعة : « كان ممن نقلت اليه الكتب اليونانية وترجمت باسمه جماعة من أكابر الأطباء مثل يوحنا بن ماسويه وجبريل بن بختيشوع وابنه بختيشوع وداوود بن سرابيون وسلمون بن بنان(٥٤٧) واليسع واسرائيل بن زكريا بن الطيفورى وحبيش بن الحسن »(٥٤٨) . كما أن هناك أسرا وأفراد كثيرين يعدون أنفسهم حماة للترجمة والمترجمين ، وكانوا يتنافسون فى هذه الحماية مع أنفسهم ومع الخلفاء ، ذكر منهم ابن أبى أصيبعة(٥٤٩) طائفة منهم على بن المنجم (٥٥٠) صاحب خزانة الحكمة التى سبق أن تحدثنا عنها واحمد بن المدبر وممن نوه بهم القدماء طويلا فى هذا الجانب بنو موسى بن شاكر محمد وأحمد

---

(٥٤٤) المصدر نفسه ص ٣٣٠ .

(٥٤٥) المصدر نفسه ص ٢٧٤ .

(٥٤٦) المصدر نفسه ص ٣٠٠ .

(٥٤٧) هو سلمون بن بنان كان فاضلا متقدما ، خدم المعتصم وخص به حتى أن المعتصم قال لما مات سامويه : سالحق به لأنه كان يمسك حياتى ويدبر جسمى . الفهرست ص ١٤٢ .

(٥٤٨) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٨٤ .

(٥٤٩) المصدر نفسه ص ٢٨٣ .

(٥٥٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٣٢ .

والحسن وكان الأول والثانى يشغفان بالهندسة فى حين شغف الثالث بالحيـــل (الميكانيكا) وكان لهم مرصـــدا أسسوه على دجلة .

ان هـــذه القصور هى امتداد لشجرة كبيرة هى شجرة الحضارة الاسلامية وكل ما حـــدث فيها من تغييرات أو نكسات لم تجرف جـــدول هـــذه الحضارة عن السير المرسوم لهـــا ، وانمـــا لونتها وأعطتها مظهرا مغايرا بعض المغايرة لهـــا فى عصور سابقة ولاحقـــة ، هـــذا مع العلم أن التغييرات السياسية كانت واضحة كل الوضوح واثرت تأثيرا قـــويا فى حياة الشعب وفى قـــوة الدولة وعظمتها أو ضعفها وانحطاطها وتجزئتهـــا(٥٥١) .

فرغبة الخلفاء والوزراء فى نقـــل المعرفة من العـــامة الى الخاصـــة وارساء قواعـــد راسخة للتمدن الاسلامى توفر لدينا عـــددا من العوامل دفـــع فى مجموعه الى الافادة من التراث الانسانى بعامة والتراث الفارسى بخاصة(٥٥٢) ، وغيره أيضـــا . والواقع أن المسلمين أكبوا على تراث الأمم المختلفة ، فأخـــذوا منه كل ما تطلبتـــه حياتهم المتطورة يدفعهم فى ذلك حب العلم والمعرفة وكذلك تشجيع الخلفاء والوزراء لهـــم .

---

(٥٥١) د. محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والادارية العـــائدة للعصـــور العباسـية المتتابعـة ص ٨ .

(٥٥٢) د. النحات السيد زغلول : الاتجاهات الفكرية فى التفسير ص ١٢٥ .

ثانيا ــ دور الخلفاء والوزراء فى المحافظة على نشاط مؤسسة بيت الحكمة :

ان تشييد العباسيين لبيت الحكمة فى بغــداد وتعيينهم له جلة العلماء للترجمة والنسخ والاشراف واعطاءهم المرتبات والأجــور السخية كل ذلك جعل للخلفاء كامل الحــق فى السيطرة على بيت الحكمة وتوجيه مسارها على وفق ما يريدون(٥٥٣) ، ويؤكد خودابخش(٥٥٤) ما كان من عناية الخلفاءبالعلماء فيقول : « ان هـــذا الصنف من العلماء والباحثين عاشوا فى بحبوحة من العيش ونعموا بمستوى مالى مرموق ، اذ اضفى عليهم الخلفاء والأمراء والعظماء كثيرا من عنايتهم وأمدوهم بهبات متجددة ، وافضال لا تنقطع ، فقــد حكى عن المــأمون أن منحه لحنين كانت متصلة وهباته اليه لا تتــوقف » .

وارتفعت ثقافة بعض العلماء وتنوعت ، فسجلت أسماؤهم مــع الفقهاء ومع العلماء ومع النــدماء ، وكان البعض يأخــذ رزقا فى هــذه الطوائف كلها كالزجاج فقــد كان لــه رزق فى النــدماء وفى الفقهاء وفى العلمــاء ومبلغ ذلك ٣٠٠ دينار فى الشــــهر(٥٥٥) .

كما أجرى الخليفة المقتــدر على ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ هـ خمسين دينارا فى كل شهر حينما قــدم بغــداد فقيرا(٥٥٦) . وقــد كان الخلفاء والأمراء يشجعون العلم والعلماء ويجمعونهم من الأقطار ويغــدقون عليهم العطايا والهبات ، ممــا كان لــه الأثر المحمود فى اقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف والابتكار . وكان حنين بن اسحاق النسطورى فى بغــداد ممن جعل فى داره مكتبة عامة يفــد اليها طلاب العلوم العقلية والرياضية ، وكان يتبرع بمذاكرتهم فيما يريدون مذاكرته(٥٥٧) . فكان هارون الرشيد يدعــو الى بلاطــه المتعلمين ومتقني اللغــات ويعهد اليهم تحت اشراف يوحنا بن ماسويه بترجمة كثير من الكتب العلمية المفيدة ، وقد تبعه فى ذلك ابنه المــأمون وغيره من الخلفاء فى العصر العباسى(٥٥٨) .

---

(٥٥٣) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٢١٤ .

(٥٥٤) KHUDA BUKHSH : Islamic Civilization, p. 277.

(٥٥٥) ابن النديم : الفهرست ص ٩٠ .

(٥٥٦) آدم متز : الحضارة الاسلامية ج ١ ص ٣٠٦ .

(٥٥٧) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٢٧٢ .

(٥٥٨) زغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ص ٣٧٩ .

وخير من اشتهر من رجال بيت الحكمة علمان هما : حنين بن اسحاق وأصله من العباد من نساطرة العرب ، أحب العلم فى صباه فدخل بغداد ، وحضر مجلس يوحنا بن ماسويه ودخل فى خدمة جبريل بن بختيشوع ، وما زال قدمه يرسخ فى العلم حتى قلده المأمون رياسة بيت الحكمة وكذلك ثابت بن قرة(٥٥٩) .

فهذا بيت الحكمة اول مؤسسة ثقافية عند المسلمين يدين للمأمون بما منحه من عناية وما اضفى عليه من قسوة وما أنفق من مال ، وعن طريق هذه المؤسسة كسبت اللغة العربية كثيرا من الزاد بما اجرى فيها من ترجمة اللغات الأجنبية وبواسطة بيت الحكمة حفظ للانسانية كثيرا من تراث الاغريق الذى ضاعت أصوله ، ولم يجد العالم غير الترجمات العربية وسيلة للوصول الى هذا التراث(٥٦٠) .

فلم يكن نشاط مؤسسة بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والامراء بل أراد المأمون ان يجعل نشاطه قويا متصلا سواء آكان الخليفة كريما أم شحيحا ، فهيأ لعلماء رزقا سخيا يتقاضونه من وقف ثابت يفيض ريعه عن التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة الثقافية(٥٦١) . أما من الناحية العقلية فهو (المأمون) فيلسوف الخلفاء وراعى بيت الحكمة وصاحب حركة الترجمة لنقل الرياضيات والفلسفة عن اليونان(٥٦٢) .

ففضل المأمون على النهضة الفكرية واثره فى شد أزرها ، ورفع قواعدها ، ففى عهده ازدهرت العلوم ونشطت الترجمة وأقبل الناس على المعرفة يلتمسونها فى آثار السريان واليونان وسواهم من الأوائل . ويبدو أن من أسباب ذلك الانتعاش الذى أصاب الحياة الفكرية أن المأمون نفسه كان يسهم فيه بحظ غير قليل وفى أخبار مجالسه ما يدل على أنه كان يمارس اكتساب المعرفة بطرق علمية تجريبية غير مكتف بما يقرأ أو ما يسمع وغير قانع بما يحصل عليه من تلك الطرق(٥٦٣) .

واقتدى بالخلفاء غيرهم من الأمراء والوزراء وأهل اليسار من العقلاء

---

(٥٥٩) د. حسن أحمد محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٥٦٠) KHUDA BUKHSH : Islamic Civilization, p. 276.

(٥٦١) SAYED AMEER ALI : A Short Hist. of the Saracens, P. 274.

(٥٦٢) ابن النديم : الفهرست ص ١٦٨ .

(٥٦٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

فاغـدقوا على المترجمين العطاء لنقـل ما يرغبون فيه من كتب الأوائل العربيـة فنفقت أسواق هـذه العلوم وزخرت بها بغـداد . ولكثرة ما كان يلقاه الحكماء فى بغـداد من الاكرام والاحترام فى قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والقادة وأهـل اليسار أقبلوا ينسلون اليها من كل حـدب ويتخـذونها دار اقامة لهم فقصـدوها من الشام وفارس والهند . وفيهم النساطرة والهنود والفرس . فتضافرت الهمم على ترجمة كتب الأقـدمين والتأليف فى مختلف علوم الكون على اختلاف فروعها فأصبحت بغـداد بذلك ينبوعا فياضا لهـذه العلوم ، يغترف منه الناس فى سائر الحـواضر الاسلامية ومن أشـهر الأسر التى جعلت بغـداد موطنها آل بختيشوع ، وجرجيس ابن جبريل وجبرائيل بن بختيشوع وآل اسحاق(٥٦٣) .

وطبيعى أن هـذا النشاط والازدهار العظيم المترجمين وجماع العلوم كانت تساعده وتشد من أزره حماية الخلفاء الرسمية ولكن كل أسرة كبيرة من أسر حماة الآداب والعلوم كانت تتنافس أيضا فى هـذا المضمار مـع أمير المؤمنين ، وخير من مثل هـذا النشاط بنـو موسى بن شاكر الذين كانوا حماة للعلوم والمترجمين الذين جعلوهم فى خـدمتهم وقـد اشتهر من هـؤلاء المترجمين اثنان هما أيضا من العلماء حنين بن اسحاق وثابت بن قرة(٥٦٤) .

واذا كان خلفاء بنى العباس فى عصورهم المختلفة كانوا يختارون وزراءهم من بين الكتاب والأدباء ويأبون اسناد منصب الوزارة الى العلماء وأصحاب الطيالس . وقـد أشير مرة على الخليفة المقتـدر بتعيين محمد بن يوسف القاضى فقـال : « لعمرى انه عالم ثقـة الا أننى لو فعلت ذلك لافتضحت عند ملوك الاسلام والكفر ، لأننى أكون بين أمرين اما أن تتصـور مملكتى بأنها خالية من كاتب يصلح للوزارة فيصغر الأمر فى نفوسهم أو أنى عـدلت عن الوزارة الى أصحاب الطيالس فأنسب الى سـوء الاختيار »(٥٦٥) .

وكان وزراء العصر العباسى الأول من ذوى الكفاية فى الكتابة والادارة وتمـيزوا بثقافة واسـعة(٥٦٦) . وقـد أسهم الوزراء والأمراء ورجالات الخلافة الاسـلامية

---

(٥٦٣) عبد الله بن العباس الحرارى : تقدم العرب فى العـلوم والصـناعات وأسـتاذيتهم لأوروبا ص ١٧ .

(٥٦٤) زغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٥٦٥) جاك س. ريسلر : الحضـارة العربية ص ٧٣ .

(٥٦٦) د. توفيق سلطان اليوزبكى : (**الوزارة نشأتها وتطورها فى الدول العباسية**) (مطبعـة الارشـاد - بغـداد - العراق . ١٣٩٠ هـ/١٩٧٠ م) ص ٥٠ .

فى هـذا القرن تشجيع حركة ترجمة الثقافة الاغريقية الى العربية ، وممن أبلى فى ذلك بلاء حسنا أمراء البيت العباسى وأسرة البرامكة ووزراء الخلافة وموسى بن شاكر وأبناؤه الثلاثة الذين احتضنوا حنين بن اسحاق شيخ المترجمين وابنه اسحاق وأوفـد حنينا على نفقتهم الى آسيا الصغرى ليجيد اللغة اليونانية وليحصل على نفـائس من المخطوطات القـديمة ، وكانوا يجزلون العطاء لحنين وربمـا بلغ مرتبه خمسـة الاف دينـار فى الشهر(٥٦٧) .

وكان البرامكة يشجعون الترجمة تشجيعا كبيرا ويسخون سخاء نادرا على كل مجهود يتصـل بالعلم والثقافة فكان لتشجيعهم أبلغ الآثار فى ازدهار العلوم وتقـدم المعارف ونمـو حركة الترجمة وتطورها . وفى هـذا الدور الخطير ترجمت كتب كثيرة ومن أهمها كتاب كليلة ودمنة من الفارسية ، وكتاب **السند هند من الهندية** ، وترجمت بعض كتب أرسطوطاليس فى المنطق وغيره ، وترجم كتاب المجستى فى الفلك وأخـذ المعتزلة هـذه الترجمات ، واتخـذوا منها مادة للجـدل والمناظرة(٥٦٨) .

كما نشطت الترجمة بفضل تشجيع البرامكة الذين اهتموا بعلوم الاغريق اهتماما كبيرا ، وبذلوا مساعى كبيرة لأن يدخلوا الى العرب المعـارف المستقاة من المصـادر الاغريقية التى كانوا على صلة وثيقة بها مذ كانوا سابقا فى مرو ونيسابور(٥٦٩) .

فكان أبو سلمة الخلال فصيحا عالمـا بالأخبار والأشعار والسير والجـدل . كما اهتم البرامكة بالعلوم والآداب وقال المورياني : « ليس من شيء الا وقـد نظرت فيه الا الفضة وقد نظرت فى الكيمياء والطب والنجوم والحساب وحتى السحر »(٥٧٠) .

يقول الدكتور بديع شريف(٥٧١) : شغل البرامكة مراتب الدولة بالرؤسـاء من ولدهم وصنائعهم واختاروهم عن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة » . يقال : أنه كان بدار الرشيد من ولـد يحيى خمسة وعشرون رئيسا بين صاحب قلم وصاحب سـيف وكبـح العرب عن التطـاول للولايات فصارت الوزارة للعجم والصـنائع من البرامكة : بنـو سهل ، بنـو نوبخت ، وبنـو طاهر .

---

(٥٦٧) د. محمد عبد المنعم خفاجى : صور من الفكر العربى وتاريخ الاسلام ص ٧٧ .

(٥٦٨) المرجع نفسه ص ١٠٨ .

(٥٦٩) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص ج ١ ص ٢٨١ .

(٥٧٠) توفيق سلطان اليوزبكى : الوزارة نشأتها وتطورها ص ٢٨٠ .

(٥٧١) د. محمد بديع شريف : الصراع بين العرب والموالى ص ٤٠ .

ومن الممكن أن نقر بادىء ذى بدء أن دولة المأمون منحة قدمها له الفضل ابن سهل وانه لولا الفضل لما كانت دولة المأمون ، ولغلب هذا على أمره وقد كان الفضل بن سهل منذ عهد الرشيد يكتب للمأمون ويتولى أمره كله . ومنذ ذلك الحين أخذ الفضل يرى ويدبر ليضمن للمأمون حقه وليحميه من أن يطغى عليه سلطان أو يستبد به مستبد . وأول لبنة وضعها الفضل ليشيد عليها دولة المأمون كانت فى حياة الرشيد[٥٧٢] .

وكان الفضل بن جعفر مشهورا عند الخاصة والعامة ، بالفضل والعلم والكتابة ، وفى عهده شغب الجند الديلم عليه ، وهاجموا داره ورموها بالسهام . وتوسط احمد بن خاقان . بين الوزير وبينهم فهدأت الأمور[٥٧٣] . ويقول عنه ياقوت أيضا : « كان خبيرا بالعلوم الانهية العقلية كالهندسة والطب والتنجيم والموسيقى والمنطق[٥٧٤] . وعباد أبوه كان وزيرا لركن الدولة ، وكان من أهل العلم يكرم العلماء ويحسن اليهم . فكان يبعث فى كل سنة الى بغداد بخمسة آلاف دينار لتصرف على أهل العلم »[٥٧٥] .

ويقول ابن الاثير عنه « كان واحد زمانه علما وفضلا وتدبيرا عالما بأنواع العلوم عارفا بالكتابة ورسائله مشهورة مدونة ، جمع من الكتب ما لم يجمعه غيره حتى أنه كان يحتاج فى نقلها الى أربعمائة بعير[٥٧٦] واستوزر المأمون من بعده القاضى يحيى بن اكثم . وكان من جملة العلماء والفقهاء ، فكان اليه تدبير المملكة والقضاء[٥٧٧] . ويرى براون : « ان حكم البرامكة أدى الى ازدهار حضارة بنى العباس وأن سبب نكبتهم ملل وحسد الحاشية »[٥٧٨] .

ويمتدح نيكلسون البرامكة لكرمهم واهتمامهم بالأدب والشعر بينما يذم الرشيد بتعديه عليهم[٥٧٩] . وقد كان الخلفاء والأمراء يشجعون العلم والعلماء ، ويجمعونهم

---

(٥٧٢) د. احمد شلبى : التاريخ والحضارة الاسلامية جـ ٣ ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٥٧٣) غريب بن سعد : (صلة تاريخ الطبرى) . (ليدن ١٨٩٧ م) جـ ١٢ ص ٨٩ .

(٥٧٤) ياقوت الحموى : معجم الأدباء جـ ٢ ص ٢٧٦ ، ٣١٥ .

(٥٧٥) ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١١ ص ٣١٤ .

(٥٧٦) ابن الاثير : الكامل فى التاريخ جـ ٩ ص ٣٨ .

(٥٧٧) د. توفيق سلطان اليوزبكى : الوزارة نشأتها وتطورها فى الدولة العباسية ص ٦٦ .

(٥٧٨) BROWN : History of Persia Litrature, p. 257.

(٥٧٩) NICHILSON : A Literary Hist. of the Arabs, p. 261.

من الأقطار ويغـــدقون عليهم العطايا والهبات ، ممـــا كان له الأثر المحمود فى اقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف والابتكار(٥٨٠) ، وبذلوا المـــال فى سخاء اذ كانت دولتهم قـــد بلغت درجة عظيمة من الثراء والتقـــدم .

وكذلك اشتهر أحمد بن محمد المعروف بابن المدبر الكاتب الذى كان يصـــل الى النقلة من ماله وأفضاله شىء كثير جـــدا(٥٨١) . وكان هنـــاك أيضا ابراهيم بن محمد ابن موسى الكاتب حريصا على نقـــل كتب اليونانيين مشتملا على أهـــل العـــلم والفضل وعلى النقلة خاصة(٥٨٢) . وكان الأمير عضد الدولة يخرج بنفسه لاستقبال الصاحب بن عباد اذا أقـــدم كما فعل سنة ٣٧٠ هـ/٩٨٠ م حينما خرج على رأس كبار رجال دولته الى خارج مدينة بغـــداد لتلقى الصاحب بن عباد واكرامه(٥٨٣) . كذلك كان هـــذا الوزير على جانب عظيم من العـــلم والأدب والفضـــــيلة ومكارم الأخـــلاق(٥٨٤) . ويصـــفه الفـــارقى بقوله : كان الصـــابى(٥٨٥) وابن عبـــاد قلائد الدهر وفرائد العصر ، وكان الله سبحانه أدبهما وخصهما بالفضـــل والأدب والشعر والرسائل . استفاد الصاحب بن عباد كثيرا من مخالطته العلماء ورجال الأدب وكان كثير الاحسان اليهم(٥٨٦) . حتى أنه كان يصرف فى كل عام ما يزيد على مائة الف دينار فى أعمال الخير والصدقات(٥٨٧) . وكان يبعث فى كل سنة الى بغـــداد خمسة آلاف دينار تفرق على الفقهاء والأدباء(٥٨٨) ودأب هـــذا الوزير على عقـــد مجالس لأهـــل العلم والأدب ، وكان يحسن معاملة جلسائه ويتبسط معهم ، ويقول لهم : « نحن بالنهار سلطان وبالليل اخـــوان » فكان ذلك ممـــا حببه الى قلوب النـــاس ، وبلغ من حـــب الصاحب لرجال العلم أنه أنفق عليهم كل أمواله(٥٨٩) . توفى الصاحب بن عبـــاد سنة

---

(٥٨٠) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٣٦٧ .

(٥٨١) ابن أبى أصيبعة : عيون الأنباء فى طبقـات الأطباء ج ١ ص ٢٨٤ .

(٥٨٢) المصـــدر نفســه ص ٢٨٤ .

(٥٨٣) ابو شجاع ، محمد الروذراورى : (ذيل تجارب الأمم) . تحقيق أمدوروز (شركة التمدن الصـــناعية ـ القـــاهرة ١٩١٦ م) ص ١٠ .

(٥٨٤) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٨ ص ١٠٠ .

(٥٨٥) أبو اسحاق ابراهيم بن هلال ، شاعر بليغ عالم بالهندسة : الفهرست ص ١٩٣ .

(٥٨٦) ابن تغرى بردى : النجـــوم الزاهرة ج ٤ ص ١٧٠ .

(٥٨٧) ياقـــوت الحموى : معجم الأدباء ج ٦ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

(٥٨٨) ابن الجـــوزى :المنتظم ج ٧ ص ١٨٠ .

(٥٨٩) ياقـــوت الحموى : معجم الأدباء ج ٦ ص ١٨٦ .

٣٨٥ هـ/٩٩٥ م بعـد ان تولى الوزاره لمدة عشرين عاما تقريبا فعلقت مدينـة الرى لمـوته[٥٩٠] .

وهكذا فقـد رعى الصاحب النهضة العلمية والادبية رعاية صادقة فكان يرسل الاموال جمة الى الكثير من المحتاجين من الفقهاء والزهاد والكتاب ببغـداد والحرمين كل سنة مـع ركب الحج على مقاورهم ومنازلهم[٥٩١] .

أما الشخصية الأخرى فى عصر المقتدر فهو على بن عيسى بن الجراح ويصفـه الصابى بقـوله : « فكان رجلا عالمـا متدينا ، عارفا بالاعمال حافظا للاموال كثير الوقار والجـد بعيدا عن التبذل والهزل ، شح غالب فى طباعه ، وتجهم ظاهر فى اخـلاقه ، وما كان يخـل بصلاة الجماعة فى كل يوم جمعة ، ولا يدع المنادمه فى تلك بين المساجد الجامعة[٥٩٢] .

وكان الوزير بن الجراح عالمـا بالسياسة وسير الخلفاء الى جانب تدينـه واجادته بعض العلوم[٥٩٣] . ويقول فيه الصـابى : « ورتب على بن عيسى الامور والدواوين ، على ما رأى الصلاح والسداد متعففا عارفا بالأعمـال ... »[٥٩٤] . ويقول ابن كثير عنه ايضا : « وكان من خيار الوزراء ، واقصـدهم للعـدل والاحسان واتباع الحـق »[٥٩٥] . ويصفه الخطيب البغـدادى انه : « كان صـدوقا عفيفـا محمودا فى وزارته كثير البر ، صحب أهـل العلم ورجالهم »[٥٩٦] .

وهناك الفتح بن خاقان الذى أنفق أموالا كبيرة على الترجمة والتأليف واقتنـاء الكتب ، كما كان محمد بن عبد الملك الزيات لا يقـل عنه فى هـذا فانه كان يصرف على التراجمة والكتبة ما يقارب ألفى دينار فى الشهر ، وترجمت له عـدة كتب باسمه

---

(٥٩٠) د. محمد مسفر الزهرانى : **(نظام الوزارة فى الدولة العباسـية فى العهـدين البويهى والسلجوقى)** (مطبعة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م) ص ١١٠ .

(٥٩١) الثعالبى : يتيمـة الدهر : جـ ٦ ص ٣٠٠ .

(٥٩٢) هـلال الصابى : تحفـة الأمراء فى تاريخ الوزراء ص ٢٨٢ .

(٥٩٣) اسماعيل باشا البغـدادى : (**هـدية العارفين فى أسماء المؤلفـين وآثار المصنفين**) . (طبع فى اسـطنبول ١٩٥١ م) جـ ١ ص ٦٧٨ .

(٥٩٤) هـلال الصابى : تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء ص ٣٠٦ .

(٥٩٥) ابن كثير : البـداية والنهـاية جـ ١١ ص ١٢٠ .

(٥٩٦) الخطيب البغـدادى : تاريخ بغـداد جـ ١٢ ص ١٤ .

منها : كتاب الصوت الذى نقله حنين ، واحمد بن المدبر كان ينفق على النقلة والنساخين والمؤلفين من ماله الشيء الكثير ، فكان غيرهم ينقلون لـــه الكتب وينفـــق عليهم من ماله . وبيـــع شرح الاسكندر الأفرودسى للسماع الطبيعى ولكتاب البرهان بثـــلاثة آلاف دينــــار(٥٩٧) .

وان مؤلفات : ابن النـــديم وابن القفطى وابن جلجل وصاعـــد الأندلسى ، وابن أبى أصيبعة وحاجى خليفة ، تطلع المرء على الجهود الكثيرة التى بذلهـــا الخلفـــاء والوزراء فى ترجمة الكتب المختلفة واقبالهم الشديد على دراستها وتدبرها ، والتأليف بهـــــــا .

كان هـــذا بزمن لم تبلغه أمة غيرها فى عـــدة قرون . فاجتمع فى خزائنهم ثقافة الشرق والغرب بأقـــل من قرنين ، فكانت بغـــداد مركز العلم والأدب والفن وكانت تزينها جامعة بيت الحكمة الاسلامية العظيمة .

---

(٥٩٧) عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ج ١ ص ٢٠٦ .

ثالثا ـ حرص الخلفاء والوزراء على تقوية أواصر المحبة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة :

وصار فى بيت الحكمة دوائر علمية منوعة ، لكل منها علماؤها وتراجمتها ، ومشرفون يتولون امورها المختلفة . وانتدب العلماء والتراجمة من بغداد لاختيار الكتب القيمة منها ، والتى يندر وجودها عند غيرهم من الأمم ، فاختاروا الكتب النفيسة فى الطب والفلسفة والفلك ونقلوها الى بغداد حينما احتل الرشيد مدينتى عمورية وانقرة بغزوه لهما . وولى هارون الرشيد أمر هذه الكتب يوحنا بن ماسويه أكبر أطباء عصره وجعل له من يساعده بترجمتها(٥٩٨) ، كما جعله أمينا على الترجمة .

وممن كان يشتغل فى بيت الحكمة للرشيد ، فيترجم من الفارسية الى العربية أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسى الذى كان متضلعا باللغتين الفارسية والعربية وله عدة مؤلفات بعلوم مختلفة ، عهد اليه بترجمة كتب الحكمة من الفارسية الى العربية(٥٩٩) .

وبلغ ولوع الرشيد بأهل العلم أنه كان يصطحبهم معه أيان يذهب وقد توفى على بن حمزة الكسائى النحوى الكوفى وامام القراء المشهور ومحمد بن الحسن الشيبانى القاضى صاحب أبى حنيفة وهما فى معية الرشيد بالرى سنة تسع وثمانمائة(٦٠٠) . ومر الرشيد مرة بحلقة محمد بن الحسن فقام الناس كلهم الا محمد بن الحسن فخرج الآذن ، ونادى محمد ، فذهب هذا لمقابلة الرشيد فلما عاد سأله أصحابه عما كان فقال : سألنى الرشيد : مالك لم تقم مع الناس ؟ فقلت : كرهت أن أخرج عن طبقة العلماء الى طبقة العامة : فسر باجابتى(٦٠١) .

ويحكى بالمر(٦٠٢) : « ان أبا معاوية العالم الأعمى كان يتغذى مرة مع الرشيد فلما انتهى الغذاء ، وأراد العالم أن يغسل يديه على عادة المسلمين ، قدم له شخص ما الطشت والأبريق وصب عليه ، ولما انتهى العالم الأعمى من غسل يديه شكر ذلك الذى أولاه هذه العناية وصب عليه الماء ، ولكنه اكتشف أن

---

(٥٩٨) حاجى خليفة : كشف الظنون جـ ٢ ص ٦٨١ .

(٥٩٩) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٢ .

(٦٠٠) المسعودى : مروج الذهب جـ ٣ ص ٣٦٣ .

(٦٠١) الخطيب البغدادى : تاريخ بغداد جـ ٣ ص ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٦٠٢) PALMER : Harun Rashid, p. 33.

الذي فعـل ذلك هـو الرشيد على كثرة خـدمه . فقال العالم : يا أمير المؤمنين انى اعتقـد انك فعلت هـذا تكريما للعلم فأجاب الرشيد هـو كذلك » .

وكان المـأمون شغوفا بعلوم الحكمة ، وجـه همه الى توسيع دوائرها المختلفة فارسل فى طلب كتبها من مختلف الأقطار واجتمع لديه عـدد كبير منها واختـار لهـا المترجمين من اللغات المختلفة : اليونانية والسريانية والفارسية والعربية والقبطية والهنـدية والحبشية ، فتوسع بيت الحكمة وازداد عـدد كتبه بمـا يضاف اليه من الكتب المختلفـة . وتنافس أولو النباهـة فى العلوم لمـا يرون من احتضانه لمنتحليها واختصاصه لمقلـديها ، فكان يخـلو بهم ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكراتهم فينالون عنده المنزلة الرفيعة ، والمراتب السنية ، كذلك كانت سيرته مع سائر العلمـاء والفقهاء والمحـدثين والمتكلمين وأهـل اللغـة والاخبار حتى كانت الدولة العباسية تضاهى الدولة الرومية أيام اكتمالها ، وزمان اجتماع شملها(٦٠٣) .

فاجتمع فى بيت الحكمة نخبة مختارة من العلماء والأطباء والفلكيين وأصـحاب الصناعات والحيل ، وترجموا مختلف الكتب التى تبحث فى شتى العلوم والفنـون والمعارف والصناعات ، وبلغ بيت الحكمة منتهى التقـدم على عهد المـأمون ، وكان فى بيت الحكمة(٦٠٤) ما الفه العلماء والأدباء فى اللغـة والتاريخ والفقه وعلم الـكلام والملل والنحل . وبعض هـذه الكتب الفت بطلب من الخلفاء أنفسهم لكى توضـع فى بيت الحكمة . فقـد أمر المـأمون الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصـول النحو وما سمع من العرب ، فأمر بأن تفرد له حجرة من حجر الدار . ووكل به جوارى وخـدم للقيام بمـا يحتاج اليه ، حتى لا يتعلق قلبه ، ولا تتشوف نفسه الى شىء ... وصير لـه الوراقين ، والزمه الأمناء والمنفقين ، فكان الوراقـون يكتبون ، حتى صـنف الحـدود ، وأمر المـأمون بكتبه فى الخزانة ، فبعـد أن فرغ من ذلك خرج الى النـاس(٦٠٥) .

وممـا يجـدر ذكره أن المـأمون كان يحرص على الاحتفاظ بكل أثر نفيس يعثر عليه ، فيستدعى العلماء لفحصه وترجمته ودراسته . ومن ذلك : كان المـأمون فى مصر - وعثر فى مدينة أخميم على رسالة السر فى «الكيمياء لهرمس » كانت تحت لوح مرمر فى قيـد قبـة » فى قبـة فيها « امرأة ميته تامة الخلق ، ضفائرها ممـدودة الى

---

(٦٠٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٧٥ ، ٧٦ .

(٦٠٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٤١ .

(٦٠٥) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ٢ ص ٦٥ .

رجليها ، وعليها سبع حلل مذهبة ولهـا كلها زر واحـد ـ اى قميص من ذهب ـ وحولها أسرة صغار ، عليها أموات فى هيئة الصبيان ، وهـذه الرسالة تحت رأسها ، فى لوح من ذهب شبيهة بالكتف العظيمة بسواد بخط غريب ، ولما علم بها الخليفة المأمون ، استدعى العلماء لقراءتها وترجمتها فقراها رجل من حمير ، كان عالما بالمسانيد ، وفسرت له مع المزامير التى فسرت(٦٠٦) .

ان العرب ترجموا الى لغتهم أكثر كتب العلوم التى سعوا بالحصول عليها من : طب وفلسفة ونجوم ورياضيات ومنطق وفلك(٦٠٧) وغيرها . فأخذوا من كل أمة أحسن ما عندها من علوم وفنون . فكان التراجمة من ملل ونحل مختلفة فى بيت الحكمة تجمع بينهم أواصر المحبة والتعاون . ففيهم المسلمون وفيهم النصارى من السريان واليعاقبة ، وفيهم الصابئة عبدة الكواكب ، وفيهم الأنباط والبراهمة والمجوس واليهود(٦٠٨) وغيرهم . فمجلس الخليفة المأمون كان يتكون من ممثلين لجميع الطوائف التى تدين بملكه .

فقد كانت حرية الفكر فى ذلك العصر أى عصر ازدهار الحضارة الاسلامية التى يروى فيها كيف أنه كان يحضر فى بغداد دروسا كثيرة فى الفلسفة ويشترك فيها يهود وزنادقة ومجوس ومسلمون ونصارى ، وكيف أن الحضور كانوا يستمعون الى كل منهم باحترام عظيم ، وانه لم يكن ينبغى لأى منهم أن يستند الا الى الدولة الصادرة عن العقل لا الى الدولة المستقاة من أى كتاب مقدس(٦٠٩) .

هذا التسامح الاسلامى كان ولا شك ذا أثر فعال هائل فى حركة الاحياء والبناء الحضارى التى تولاها العرب بعد الفتح . ذلك أن علماء النساطرة كانوا قد لجأوا الى فارس التى حمتهم من اضطهاد الروم ، وسرعان ما ازدهرت تعاليمهم فى المدرسة الفارسية فى جنديسابور ، وكانوا يستعينون بشىء من الفلسفة اليونانية بسبب تعاليمهم . وعندما وقعت جنديسابور فى قبضة العرب فى القرن الرابع

---

(٦٠٦) حاجى خليفة : كشف الظنون : جـ ١ ص ٨٧١ ، ٨٧٢ .
(٦٠٧) المصدر نفسه جـ ٢ ص ٦٧٦ ، ٦٨٢ .
(٦٠٨) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٢٦ .
(٦٠٩) جلال مظهر : (**علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث**) (الهيئة المصرية العامة ـ القاهرة ١٩٧٠ م) ص ١١ .

الهجرى ، لقى هؤلاء العلماء المسيحيون تسامحا كبيرا وتشجيعا عظيما من الحكام المسلمين الذين استعانوا بهم فى تشييد صرح الدولة العلمى والثقافى فظهر منهم كثير من الأطباء والعلمـــاء والتراجمة(٦١٠) .

وكان الخلفـــاء ومحبو العلم يقبلون عليهم ويجزلون لهم العطاء ، ويرغبـــونهم بشتى الطرق لكى يستفيدوا منهم فى الترجمة ، وشرح الكتب العلمية التى يترجمونها ، ووضع الاصطلاحات لهـــا . فكانوا يعقدون المجالس العلمية ويشاركون فيما يدور بهـــا من العلوم والآداب والمعارف وخاصة الخليفة المـــأمون عالم بنى العبـــاس وحكيمها ، فانه كان يشارك فى علوم كثيرة ، وله مجالس يعقدها فى قصره ويشـــارك فيها أجـــل العلماء ، ويحضرها الخليفة ويشارك فيما يدور بها من مباحث مختلفة ، يجلس مـــع الجالسين كأحـــدهم بغير تمييز أو عناية ، فيتكلم العلمـــاء بكل حرية وصراحة فيما يبـــدو لهم . روى طرفور عن يحيى بن أكثم قال : « لمـــا دخل المـــأمون بغـــداد وقر بها قراره ، أمر بأن يدخـــل عليه من الفقهاء والمتكلمين وأهـــل العـــلم جماعة يختارهم لمجالسته ومحادثته ، وكان يقعد فى صـــدر نهاره على لبود فى الشتاء وعلى حصير فى الصيف ، وليس معهما شىء من سائر الفرش ، فكان يجلس مجلس الفقهاء الذين اختـــارهم يحيى بن أكثم للمناظرة فى حضرة المـــأمون يقعـــد كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع »(٦١١) .

هـــذا هـــو بيت الحكمة المؤسسة العظيمة التى ســـهل الخلفاء فيها ســـبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب بذلك ، فقـــد كان يتعـــذر على الناس أن يقفوا على الكتب العلمية النادرة ، والتى ترجمت من اللغات المختلفة الى اللغـــة العربية وصرف فى سبيل الحصول عليها ، وعلى ترجمتها وتنقيحها المبالغ الكبيرة ، ففتحوا أبواب الدار لكل قاصـــد وشوقوا الناس الى التعلم والاقبال عليه ليقفوا على حقائق الأمور وتراث الأمم التى تقـــدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية . كما كان الناس يحضرون المناظرات العلمية التى تجرى بين العلماء فى هـــذه الدار ، فى مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء(٦١٢) وغير ذلك .

---

(٦١٠) المرجـع نفسـه ص ١٢ ، ١٣ .

(٦١١) طيفور ، أبو الفضل أحمد بن أبى طاهر : (**تاريخ بغـداد**) (طبعة كلر ، لايبســـك ١٩٠٨ م) ج ٦ ص ٣٦ .

(٦١٢) سـعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٧ ، ٣٨ .

كانت الحرية التامة تسود بيت الحكمة فلا تجـد فيه اثرا للتعصب الذميم ؛ بل تجـد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة ؛ ويتكلم أهـل الملل والنحل بمـا يبدو لهم وبمـا يعتقدونه ويرونه أقرب الى العقل والمنطق .

وممـا يؤيد هـذا : انه كان بين الذين تولوا أمر بيت الحكمة واشرفوا على حركة الترجمة فيه ، هم من السريان واليهود والمجـوس وغيرهم ، ولهم منزلة رفيعة عند الخلفاء ، يعمل برأيهم ، ويأخـذ عنهم علماء المسلمين ، ويرجعون الى اقـوالهم وآرائهـم .

كما كانوا يؤدون شـعائرهم الدينية بمنتهى الحرية ويدافعون عن معتقداتهم بكل صراحة ، ويناظرون المسلمين فى الأمور الدينية . ولربمـا كان هـذا أمام الخليفة نفسه . كان ثيودورس أبو قرة المتوفى سنة ٨٢٠ م تلميذ يوحنا الدمشقى وأسـقف حران ، يجادل علماء الذين المسلمين فى الأمور الدينية بحضور الخليفة المـأمون(٦١٣) . هـذا التسامح كان يسود بيت الحكمة فى عهد الخلفاء والوزراء أنفسهم ، حبا بنشر الروح العلمية الخالصة بين كافنـة الطبقات كما صارت الكتب التى تبحث فى شتى النواحى الفكرية متيسرة فى دكاكين الوراقين ، بعاصمة الرشيد والمـأمون فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تتخبط فى دياجير الظلام .

ولعل ذلك راجـع الى أن الخلفـاء العباسيين لم يقيدوا الأفكار ولم يفرضـوا مذهبهم على الناس بل لكل دينه ومذهبه ورأيه ، وكان الخلفاء يشاركون فى المناظرات العلمية والدينية ويبذون آراءهم ، كأحد الحاضرين ، وتكون عرضة للنقد والرد عليها .

أما الفاطميون فانهم كانوا بالضـد من هـذا فالحرية الفكرية مقيدة واهتمامهم بكتب الفقه ومجالس الدعوة أكثر من غيرها ، فكانت كتب فقه دار الحكمة فى مصر ممـا يؤيد مذهبهم ، ويعزز خلافتهم ، والدار نفسها مركز دعـوة واسـعة للمذهب الاسماعيلى ، ولا نجـد فى الدار الكتب التى تعارض مذهبهم أو تطعن بدعـوتهم . وان المجالس التى كانت تلقى فيها مقيدة غاية التقييد فكان ينظمها فقهاء الدولة مـع فقهاء دار الحكمة ، ويكون هـذا تحت اشراف الداعى . ثم الخليفة نفسه . ثم بعـد هذا التحفظ كانت تذاع على السامعين . فالدار دار دعوة منظمة للمذهب الاسماعيلى ، تحت ستار من العلم ومناهج الدار تتبع السياسة العليا للدولة ، فهى دار دعـوة ثم هى دار علم أو حكمة . وعلى هـذا فان الدار مرت بأدوار مختلفة تتبع بذلك سياسة

(٦١٣) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية فى الخافقين ج ١ ص ٥٤ .

الخليفة التى يرمى الى تحقيقها . وكذلك اشتد عسف الخليفة الحاكم بأمر الله[٦١٤] على أهـل السنة وأهـل الذمة . من أمثال ابن باديس وأبو بكر الانطاكى .

وهكذا نجـد ان الصبغة السياسية فى دار الحكمة (فى القاهرة) فـوق كل اعتبار ، فهى مركز سياسى تدعـو الى تثبيت دعائم المذهب الاسماعيلى ــ المستعلية منهم ــ ولكنها تسير تحت ستار من العلم والحكمة[٦١٥] .

هـذه الصبغة السياسية لا نجـدها فى بيت الحكمة ببغـداد ، فهى مؤسسة ثقافية عالية تهـدف الى نشر الحكمة والعلم والأدب ، نجـد فيها الشعوبى يجادل العربى ، ويؤلف الكتب فى ثلب العرب وتفضيل العجم عليهم ، والعرب هم الذين منهم الخليفة مؤسس الدار وحامى العلم والدين . ونجـد فيـه النصـارى بجانب المسلمين يتولون امور الدار ، ويقومون بالاشراف على الترجمة والتأليف فيه ، يشاركهم بهـذا الصابئة والمجـوس واليهود وغيرهم ، ومنزلتهم العلمية الخالصة ــ الخالية من كل تعصب دينى أو مذهبى أو عنصرى ــ فالروح العلمية هى السائدة فى الدار ، وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة ، وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار[٦١٦] .

وهكذا كان حرص الخلفاء والوزراء شـديدا قـويا على جعل أواصر المحبـة والتعاون بين من عملوا داخل بيت الحكمة دون تمييز بين أحـد منهم جميعا دون النظر الى اللون أو الجنس أو العقيدة .

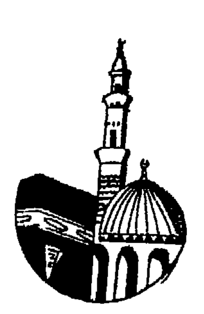
---

(٦١٤) سـعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥٠ ، ٥١ .

(٦١٥) سـعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥٢ .

(٦١٦) المرجـع نفسـه ص ٥٣ .

الباب الخامس



الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم .

الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة .

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة .

الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم



١ ـ أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية فى العالم .

٢ ـ بعث روح اليقظة الاسلامية الكبرى لمثيلاتها فى العصور الوسطى .

٣ ـ انقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من أنحاء العالم .

أولا ــ أثر بيت الحكمة فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية فى العالم :

كان الجاحظ زعيما للبيان العربى ، وهو كذلك أحد زعماء المكتبة العربية ، التى كانت الصدر المقدم من مكتبات الدنيا فيما اسدت للانسانية والفكر العربى واللسان العربى من خير وما بسطته على ظلام المدنيات المتهافتة من نور . كان الجاحظ فى العصر الذهبى للأمة العربية ، عصر هارون الرشيد ، والعلوم والآداب والفنون يومئذ تزخر بها معاهد البصرة والكوفة وبغداد وسائر عواصم الاسلام(١) .

وكان المعين فياضا مترعا ، والعقول فى نشاط وثورة ، والتأليف والترجمة نهما دوى النحل فى كل صقع ، والدين الاسلامى يدعو الى العلم والنور ، والمال تلمع وجوهه فى عيون أهل الفضل ، فيذكى العزائم ، ويبرم العقد ، والعلم ولود ، وصاحبه كلما ارتوى منه عاد به فى سبيل الظمأ ، وحيثما شبع منه رجع به فى سبيل الجوع(٢) .

كما شهد به العلامة جوستاف لوبون : « ولذلك نال العرب درجة رفيعة من الثقافة بعد أن أتموا فتوحهم بزمن قصير ، وكانت لهم مبتكرات فيما ورثوه من علوم الأولين . والواقع أن حب العرب للعلم كان عظيما . وأن الخلفاء لم يتركوا طريقا لاجتذاب العلماء ورجال الفن الا سلكوها ، وان أحد خلفاء بنى العباس شهر الحرب على قيصر الروم ليأذن لأحد الرياضيين المشهورين للتدريس فى بغداد ؛ وان كان العلماء ورجال الفن والأدباء من جميع الملل والنحل أخذوا يتقاطرون الى بغداد التى كانت مركز الثقافة العالمية كما أخذوا يتقاطرون الى عاصمة الأندلس قرطبة التى كانت مركزا للعلوم والفنون والصناعة »(٣) .

وكانت بغداد أثناء هذه النهضة كعبة العلم ، ومقصد العلماء ، ولما اضطربت أحوال الخلافة بعد زمن المأمون ، ونشأت الدولة الجديدة فى مصر والأندلس ، تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز جديدة ، وهكذا أثمرت بذور العلم التى ألقاها خلفاء النهضة العباسية فى جميع العالم الاسلامى . خراسان والرى وأصبهان وأذربيجان وما وراء النهر ومصر والشام والأندلس وغيرها(٤) . واقتدى

---

(١) الجاحظ : الحيوان ج ١ ص ٣٠ .

(٢) المصدر نفسه ص ٤ .

(٣) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ١٧ .

(٤) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصبهانى ص ٥٧ .

حكام هـــذه البلاد بخلفاء النهضة العباسية فى ترغيب اهـــل العلم واستقدامهم الى عواصمهم كالقاهرة وغيرها(٥) . فكانت بغـــداد يومئذ اجمل مدن الأرض وفيها كل شىء جـــديد سواء كان ذلك فى خططها ومرافقها أم فى عقول أبنائها ونبوغ علمائهـــا يحمل اليها من الآفاق بدائع ما صنع البشر وانتاجت عقولم وناهيك بعاصمة مملـــكة بنى العباس ، فكانت سيدة المـــالك ، ودرة البلدان ، وبها عرش أعظم خلفـــاء العباسيين هارون الرشيد وعبد الله المـــأمون . وكانت أعظم مدينة اسلامية حافلة بالعلماء والأدباء والمؤرخين واللغـــويين ، وازدهرت فيها المعارف والعلوم والآداب . وانبعثت ثمراتها فى عهده ، وها هى ذى بقايا آثارهم العلمية والأدبية تحـــدثنا بمـــا بلغوه من المكانة العليا فى تحصيل المعارف والاجادة فى كل انواع العلوم والآداب(٦) .

ولا يزال أهـــل البحثوالتنقير عن المخطوطات فى مكتبات العالم يكشفون لنـــا فى كل يوم بمـــا ينقلونه بالتصوير الشمسى من خفـــايا مؤلفاتهم ما يقضى منه العجب العجـــاب ، ويشهد بالأسبقية والرجحان . ولا غرو فقـــد كانت بغـــداد هى مهـــد الحضارة الاسلامية ، تلك الحضارة التى لا يزال أهـــل كل الأمم الراقيـــة يذكرونها مقرونة بالاعجاب والاحترام(٧) . ومنها انتشرت المعارف والعلوم والآداب التى كان لهـــا الأثر فى ترقية المدارك وانارة البصائر وتشهد بمـــا كان لعلمائها من مجـــد عظيم ومقام كريم . وكانت بغـــداد منبع العلوم ومنتدى الأدب فى ذلك العصر الذهبى الذى كان زاهيا بالعلوم والفنون ، زاهرا بالأدب والمعارف(٨) .

كما نافس أمويو الأندلس العباسيين فى بغـــداد والفاطميين فى المغرب . ومصر نافست قرطبة وبغـــداد والقاهرة وبخارى وغزنه وأصبهان وغيرها من أمهات المدن الاسلامية . وقـــد أصبحت قرطبة مركزا هاما للثقافة الأوروبية ، حتى أن الطلبـــة كانوا يفـــدون اليها من جميع أنحاء أوروبا ليتلقوا العلم على أساتذتها الاعلام ولم يكن تشجيع العلم والعلماء مقصورا على الخلفاء والأمراء وذوى اليسار ، بل كان للوزراء أثر كبير فى ذلك . فقـــد كان ابن أبى عامر الذى تولى الحجابة فى عهد هشام المؤيد بن الحكم المستنصر محبا للعلوم والآداب ، مكرما للمشتغلين بهـــا ، وكان يعقد

---

(٥) جرجى زيدان : تاريخ التمـــدن الاسلامى ج ٣ ص ١٦٧ ، ١٦٨ .

(٦) خطاب عطية على : (**التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول**) . (القـــاهرة ١٩٤٧ م) ص ١٠٥ .

(٧) محمد عبد الجواد الأصمعى : أبو الفرج الأصفهانى ص ١٠٦ .

(٨) المرجـــع نفســـه .

فى كل أسبوع مجلسا بقرطبة يجتمع فيه العلمـــاء والادباء للمناظرة بحضرته[٩] . فأصبحت حاضرة الاندلس ســوقا نافقة للعلم وكعبة لرجال الادب حتى جــذبت مساجدها الأوروبيين الذين وفــدوا اليها لارتشاف العلم من مناهـــله والتزود من الثقافة الاسلامية ، ومن ثم ظهرت فيها طائفة من العلماء والشعراء والأدباء والفلاسفة والمترجمين والفقهاء وغيرهم ــ كانت قرطبة ــ كما يقول المقرى ــ الغاية ومركز الراية وأم القرى وقرارة (مستقر أو مركز) أولى الفضل والتقى ، ووطن أولى العلم والنهى . وقلب الاقليم ، وينبوع متفجر العلوم ، وقبـــة الاسلام وحضرة الامام ودار صـــوب العقـــول[١٠] .

فالاندلس وبغــداد مركزان مهمان من مراكز الحضارة الانسانية امتازا بالتطور والازدهار فى جميع ميادين العلم والمعرفة والفن والعمران كما امتازا بالمعاصرة ــ وتبادلا معظم وسائل الثقافة فتلاحمت الأفكار والخبرات والمعارف ، كان حصيلة ذلك كله التراث العظيم لبغــداد والاندلس الذى يتغنى به القريب والبعيد ، وينهل من معنيه السامية كل طلاب العلم والمعرفة[١١] .

وقــد سادت بين الأندلس وبغــداد علاقات نابعة من أصالة الروابط الاجتماعية والدينية والسياسية ، وكانت لتلك العلاقات نتائج ذات أثر واضح فى تطور مختلف مظاهر الحياة الاسلامية بوجــه خاص والتقـــدم الانسانى بوجــه عام . ولعل أبرز تلك الصلات هى العلاقات الثقافية ، وفى عهد ازدهار بغــداد والأندلس والتطــور الكبير الذى رافق مسيرة كل منهما انتقلت الكثير من عـــوامل الحضارة فى ميادينها المختلفة ، وقام العــديد من الرواد العلماء والأدباء والفنانين بزيارة المشرق والمغرب والأندلس وتمت عملية الامتزاج وانتقال التأثيرات الحضارية والتى كان لهـــا دورها الايجابى فى ربط وتعميق العلاقات بين الاخــوة فى المشرق والمغرب والأندلس ، وكان لذلك فعله الواضح فى تعريف التراث بشكله الشامل لجميع العرب والمسلمين والعمل على حفظه من الضياع . وانتقلت كتب بغــداد الى الأندلس فى شتى مواضيع العلم والمعرفة وأقبل على تناولها روادها وانكبوا عليها درسا ونقــدا وتعليقا وانتقلت تلك

---

(٩) المراكشى ، محى الدين : (**المعجب فى تلخيص أخبار المغرب**) . (مطبعه السعادة ــ القـاهرة ١٣٢٤ هـ) ص ١٩ ، ٢٤ .

(١٠) المقرى ، محمد بن محمد المقرى التلمسانى : (**نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب**) حققه د. احسان عباس (دار صادر ــ بيروت ، لبنان ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م) جـ ١ ص ٢١٨ .

(١١) د. حسين أمين (**العلاقات الثقافية بين الأندلس وبغـداد فى العصر العباسى**) مجـلة المؤرخ العربى ــ تغـداد العراق عـ ٢٤ (١٩٨٤ م) ص ١١ .

التاليف من الأندلس العربية الاسلامية الى الامارات المسيحية فى الشمال ومنهـــا الى أروبا[١٢] .

وهكذا أصبحت الأندلس معبر الحضارة الانسانية والطريق الصالح لنقل تراث العرب والمسلمين الى أوروبا . وتعرفت أوروبا عن طريق العـــلاقات الثقافية بين الأندلس وبغـــداد على الكثير من المعارف والتجارب والمكتشفات العلمية ممـــا سهل على الأوروبيين الكثير من الجهـــد والوقت وصارت آراء جابر بن حيان والرازى فى جلب معارف وأعمال رجال العلم فى اوروبا كما أصبحت كتب العرب والمسلمين هى الاولى للتدريس فى جامعاتها .

كما وصـــل علماء رواد من المشرق الى المغرب والأندلس فكان هناك نخبة من العلماء الاجلاء ، قاموا بزيارة بغـــداد فكانت وقتذاك ، كعبة القصاد ومنارة العلم ومتعـــة الدنيا ، تستقطب الناس على مختلف الوانهم وأحـــوالهم لمـــا وصلت اليه من التقـــدم والازدهار فى كافـــة ميادين الثقافة والحضارة . ومن أبرز من زار حاضرة العباسيين الأديب الحافظ محمـــد بن الوليد بن محمد الأندلسى المعروف بأبى بكر الطرطوشى المتوفى سنة ٥٢٠ هـ/١١٢٦ م ، دخـــل بغـــداد والبصرة وتفقه على أبى بكر محمد بن أحمد الشاشى مدرس المدرسة النظامية.والمدرسة النظامية هى أم المدارس العراقية شيدها نظام الملك لتدريس فقه الشافعى والتى تعتبر من أشهر المدارس الاسلامية فى العصر العباسى . وممن زار بغـــداد من الأندلسيين سليمان بن خلف التجيبى الأندلسى البادى وهـــو من شرق الأندلس ورحـــل الى بغـــداد واقام بهـــا ثلاثة أعوام يدرس الفقه ويقرأ الحـــديث ، ولقى بها سادة العلماء كأبى الطيب الطبرى الفقيه الشافعى والشيخ أبى اسحاق الشيرازى صاحب المهـــذب ، وأول مدرسى المدرسة النظامية . ومن الذين دخلوا بغـــداد من أهل الأندلس أبو محمد عبد العزيز ابن أحمد القيسى الأندلسى من أهـــل العلم باللغة العربية فاتصل بعلماء بغـــداد[١٣] فاستفاد وأفاد ، وتوفى هـــذا العالم سنة ٤٢٧ هـ/١٠٣٦ م .

كما زار بغـــداد رجل لـــه شهرته الواسعة وهـــو معروف عند جميع المثقفين العرب والمسلمين صاحب الرحلة المشهور محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى فأخـــذ بطريقة التدريس المسبقة فى المدرسة النظامية ووقف على حسن النظـــام

---

(١٢) المرجع نفسه ص ١١ ، ١٣ .

(١٣) المرجع نفسه ص ١٤ .

والتقـــدم التدريسى فى تلك المدرسة العظيمة التى أدت دورها الكبير فى خـــدمة التراث والحضـــارة الانســـانية(١٤) .

كما أنشأ الحاكم بأمر الله جمعية علمية (أكاديمية) على مثال (الأكاديميات) الموجودة ببغـــداد وغيرها من البلاد وأطلق عليها دار الحكمة . فالتحـــق بها عـــدد من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة واللغويين والأطباء ، وألحـــق بدار الحكمـــة مكتبة أطلق عليها دار العلم ، حـــوت ما لم يجتمع مثله فى مكتبة من المكاتب . وأجرى هـــذا الخليفـــة ومن جاء بعـــده من الخلفاء على خـــدامها ومن بها من الفقهاء الأرزاق السنية وجعل فيها ما يحتاج اليه المطالعون والنساخ من الحبر والاقـــلام والمحـــابر والـــــورق(١٥) .

ذلك لأن دار الحكمة كانت جامعة حقة تضم عـــدة حلقات وكليات دينية وعلمية وأدبية ، وأفردت للجامعة الجـــديدة دار كبيرة ملاصقة للقصر الصغير بجوار باب التبابين تعرف بدار مختار الصقلبى ، وقسمت الى عـــدة أقسام ومجالس للقـــرآن والعلوم الدينية والفلك والطب والنحو وعلم اللغـــة ، وعين لهـــا أقطاب الأســـاتذة فى كل علم وفن ، فكان التعليم فيها حرا على نفقة الدولة ، فهرع اليها الطلاب من كل صـــوب ، ويصف المسبحى وهـــو معاصر وشاهد عيان ، ما اتخـــذ لانشاء دار الحكمة من عظيم الأهبة والعناية ، ما اجتمع فى مكتباتها العظيمة من نفائس المراجـــع والكتب « ممـــا لم يجتمع مثله لأحـــد قط من الملوك »(١٦) .

كانت دار الحكمة فى ظاهرها جامعة حرة علنية يلتحق بها من يشاء ويدرس ما شاء من مختلف العلوم والفنون ، ولكن هـــذا المظهر العلمى لم يكن فى الواقع الا ستارا للغـــاية الأصلية التى أنشئت دار الحكمة لتحقيقها وهى بث الدعـــوة الفاطميـــة السرية بطريقة علمية منظمة(١٧) .

هـــذه الصبغة السياسية والمذهبية لا نجـــدها فى بيت الحكمة ببغـــداد فهى

---

(١٤) المرجـع نفسـه ص ١٤ .

(١٥) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٤٥٨ ، جـ ٢ ص ٣٤٢ .

(١٦) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، **المخطوط لوحـة** ٥٩ ب ، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة .. مكتبة سراى أحمد باشا ، اسطنبول تحت رقم ٣٠١٣ .

(١٧) محمد عبد الله عنان : (**الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية**) (مؤسسة الخانجى ـ القاهرة ١٣٧٩ هـ/١٩٥٩ م) ص ٢٦٤ .

مؤسسة ثقافية عالية بل أكاديمية من أعظم الأكاديميات فى عصرها ، تهدف الى نشر الحكمة والعلم والأدب ، كما أن الروح العلمية هى السائدة فى الدار ، وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة ، وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار . بل انها أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ، ولجأ اليها طلاب العلم والمعرفة ليحققوا أكبر زاد علمى حتى يخرجوا بثقافة مختلفة الاتجاه تشكل علوم الطب والفلسفة والحكمة[18] ، وغيرها .

فكانت بيت الحكمة حجر الأساس لمدرسة بغداد التى ظل تأثيرها حتى النصف الثانى من القرن الخامس عشر . ويرجع الفضل الى هذه المدرسة الزاهرة فى الحفاظ على استمرارية الحضارة واصلاح سلسلة المعارف الانسانية التى حطمها بقسوة فى القرن السادس ، واضمحلال روما وسقوطها . ولو اقتصرت حضارة الاسلام على مجرد انقاذ الحضارة القديمة والحفاظ عليها بعناية ثم نقلها للأجيال التالية لكانت هذه خدمة تجل عن الوصف ، ولكن لم يكن الامر كذلك فان علماء وفلاسفة مدرسة بغداد أضافوا وأثروا الحضارة القديمة باضافات مبتكرة فى كل فروع العلم ، باكتشافات بلا عدد فى الفنون التطبيقية وفوق كل ذلك باكتشاف طرق جديدة للبحث والاستكشاف[19] .

ويشهد التاريخ لأمتنا بأنها حرصت منذ قامت دولتها الاسلامية الكبرى ، على أن تكون المكتبات العامة حارسة للمخطوطات ، ومدارس مفتوحة الأبواب لطلاب العلم ، ورصد لها من الجهود والأموال ما جعلها مقصد العلماء والطلاب فى زمن لم يكن يعرف سوى الكتاب وسيلة لنشر المعرفة . وكان انشاء دور الكتب العامة من أقوى الشواهد على تقدير الدولة للتراث العلمى والأدبى ، ووعيها بقيمة الكتاب وخطر رسالته[20] .

وبدأت الدولة الاسلامية تأخذ دورها القيادى للبشرية فى الحضارة المادية والمعنوية فكانت نهضتها الفكرية والعلمية من دعائم هذه الحضارة . فكانت عنايتها باحياء تراثها وتشييد دور الكتب تساير هذه النهضة مؤثرة فيها ومتأثرة بها[21] .

---

(١٨) د. أحمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٨٤ .

(١٩) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ٨٠ .

(٢٠) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ١٧ .

(٢١) المرجع نفسه ص ١٨ .

وظل بيت الحكمة ببغـــداد ، وكان يدعى أيضا ذار العلم مزارا للعلماء من انحاء الدولة الاسلامية الكبرى ومقصـــدا لطلاب العلم والمعرفة ، لمـدى قرون خمســة تقريبا ، وكان علماء العربية والاسلام خارج العراق ، يجعلون رحلتهم الى بغـــداد واجبا علميا فيحجون الى بيت الحكمة ويطلعون على ما فيــه من نفائس المخطوطات والافادة منها حتى لقيت مصيرها الفاجع مــع سقوط بغـــداد[٢٢] على يد التتـــار ســنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م .

وقـد نهضت بغـداد بهـذا العبء على خير وجــه فلم تترك لقرطبة مجــالا فيه ، فكان الاتجاه لنشر الثقافة العربية التى بلغت عز نضجها وأوج نهضتها[٢٣] .

فكانت النهضة العلمية تساير عصور القــوة للدول الثلاث ، فكانت بيت الحكمة فى بغــداد ومكتبة العزيز فى القاهرة ، ومكتبة الزهراء فى قرطبة عنوان هــذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها . كما كانت دور الكتب العامرة فى المشرق ، ومن أشهرها مكتبة المدرسة النظامية وخزائن كتب النجف الأشرف وخزانة سيف الدولة فى حلب والمدرسة النورية ومكتبة أبى الفــدا فى حماة والظاهرية فى دمشق وبنى عمار فى طرابلس[٢٤] .

وفى المغرب الجامع الأعظم فى القيروان ، وجامع الزيتونة فى تونس ، وجامع القرويين فى فاس ، والحكمة فى مراكش ، والجامع الأعظم فى مكناس . وكانت هــذه الدور الثقافية وأمثالها مما لا يتسع المجال لاستيعابه ، تعطى تفسيرا تاريخيا لهــذه النهضـــة التى حملت أمتنا لواءها فى العصر الوسيط[٢٥] فقــد أنتجت الضرورة أو الحاجــة للاختصاص ، ومن ثم وجــدنا جامعات تمتاز دون غيرها بدراسات تجيدها وتختص بهـــا فيقصـــدها الطلاب للاستفادة منها كمسجد الكوفة والبصرة ، حيث ازدهرت العلوم اللغوية ونما النحو العربى وتكونت المدرستان المشهورتان فى النحو : نحاة الكوفة ، وكان يغلب عليهم القياس ، ونحاة البصرة ويغلب عليهم السماع . وأثمر الاختلاف والتنافس بين المدرستين أطيب الثمرات فى رقى النحو وشدمه وتحـديد أهــدافه ومقاصــده[٢٦] .

---

(٢٢) المرجع نفسه ص ٢١ .

(٢٣) المرجع نفسه ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢٤) المرجع نفسه ص ٢٨ .

(٢٥) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية فى الخافقين جـ ١ ص ١٥ .

(٢٦) د. عمر التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٤٩ .

ان العالم لم يشهد قبل المسلمين أمة مثلهم ، أخلصت فى طلب العلم وجدت فيه وبذلت الجهد والوقت والمال — وبلغت فيه الغايات التى بلغوها ، وكشفت الحقائق التى كشفوها[٢٧] . وكان نتيجة المنهج الواسع والعلوم الكثيرة التى كان يمكن لطالب العلم فى الوطن الاسلامى ان يدرسها ويجد من يوجهه فيها من العلماء والمتخصصين فازدهرت الحركة العلمية ، واتسعت العلوم وكثر العلماء المبرزون فى كل فرع من فروع المعرفة وفى جميع العلوم والفنون بل فى جميع العلوم الأخرى بما فى ذلك العلوم الرياضية والطبيعية[٢٨] .

وفى القرن الثالث الهجرى اشتهرت مدينة بغداد بالدراسات الفلسفية نتيجة لتشجيع الخلفاء لهذا النوع من الدراسات ورعايتهم للترجمة والمشتغلين بها كالرشيد والمأمون . بينما اشتهرت جامعة الفسطاط فى ذلك العهد بالدراسات الفقهية الشافعية لاقامة الامام الشافعى بها ووجود تلاميذ فيها حتى اصبحت مقصدا للطلاب الراغبين فى الفقه الشافعى[٢٩] . كما اشتهرت جامعات المغرب بالعناية بالحديث والفقه وتقصيرها فى العلوم النظرية من الفلسفة وفروعها[٣٠] .

وهكذا لو تتبعنا بقية الجامعات الاسلامية القديمة لوجدنا أن درجة تركيزها فى مختلف العلوم تختلف من قطر الى قطر ، وأحيانا من جامعة الى أخرى حتى فى القطر الواحد . ولكن الذى لا مرية فيه أن جميع العلوم النافعة كان لها وجود فى الجامعات الاسلامية اذا أخذت ككل[٣١] .

ومما كان يساعد على الرحلات والأسفار العلمية وحدة الوطن الاسلامى ، وانفتاح أجزائها بعضها على بعض وعدم وجود الحدود المصطنعة بين أجزائه والرعاية الكريمة التى كان يلقاها طلاب العلم وسهولة الالتحاق بالجامعات الاسلامية وبساطة الطريقة التى يتلقى العلم بها ، فحسب الطالب فى العصور الوسطى أن توجد لديه الرغبة الحافزة والأستاذ المطلوب فيقصد مجلسه ، وسرعان ما يصبح ضمن طلابه واصحابه ثم يظل هكذا معه حتى اذا قضى وطره رحل عنه الى غيره ، سواء كان الأستاذ الجديد فى بلده أم فى البلاد الأخرى[٣٢] .

---

(٢٧) د. عبد الوهاب عزام : الاسلام والعلم فى الاسلام ، اليوم وغدا ص ١٢٩ ، ١٥٩ .

(٢٨) د. عمر التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٩٦ .

(٢٩) د. عمر التومى الشيبانى : فلسفة التربية الاسلامية ص ٣٩٤ .

(٣٠) محمد عبد الرحيم غنيمة : تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى ص ١٦١ ، ١٧٥ .

(٣١) المرجع نفسه ص ١٧٥ .

(٣٢) المرجع نفسه ص ٢٠٨ .

لقــد تركت الرحلة فى العالم الاسلامى آثارا طيبة كثيرة ، وكانت منبعا غنيــا بالخير والنشاط الدائم ، وسبيلا نافعا الى تحقيق التبادل الثقافى والتعاون الفكرى بين جامعات الاسلام وبلدانه[٣٣] وقــد بين العلامة ابن خلــدون مزاياها وفضــلها على العلم والتعليم بقوله : « ان الرحلة فى طلب العلم ولقــاء المشيخة مزيد كمال فى التعليم . والسبب فى ذلك أن البشر يأخــذون معارفهم وأخــلاقهم وما ينتحلون من المذاهب والفضائل ، تارة علما وتعليما والقــاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ، الا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين اشــد استحكاما وأقوى رســوخا . فعلى قــدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها ـــ . (الى أن قال) : فالرحلة لابد منها فى طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال ، والله يهــدى من يشاء الى صراط مستقيم »[٣٤] .

فالاغالبة يرجع اليهم الفضل فى نمو مدرسة القيروان وازدهارها . والمؤرخــون يذكرون كيف أنشاوا بمساجد القيروان حلقات التدريس كما أنشاوا مدارس جامعــة أطلقوا عليها اسم « دور الحكمة » وجلبوا لهــا الأساتذة من الشرق ، فكانت هــذه المدارس وما اقترن به انشــاؤها من انصراف القــائمين عليهــا للدرس والبحــث عاملا هاما فى رفع شأن لغــة العرب وثقافتهم[٣٥] .

وتاريخ المساجد الجامعة يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ التفكير الاسلامى ، ولا يمكن لمؤرخ الفكر أن ينسى ذلك الدور العظيم الذى أدته المساجد الجامعة فى نشر العــلوم والثقافة وفى المساهمة فى تكوين الحضارة الاسلامية[٣٦] .

ذلك أن المسجد الجامع كان فى نفس الوقت هــو الجامعة الاسلامية . وقــد بدات المساجد الجامعة فى مختلف حواضر العــالم الاسلامى فى تأدية هــذه المهمــة العلمية الجليلة فى عصر مبكر ، وكان اضطلاعها بها فى البداية من الأمور الطبيعية التى تتفق مــع روح الثقافة الاسلامية الأولى ، وهى ثقافة كان يغلب عليها الطابع الدينى الاســـــلامى[٣٧] .

---

(٣٣) المرجع نفسه ص ٢١٧ .

(٣٤) ابن خلدون : المقدمة جـ ٤ ص ١٣٦٥ .

(٣٥) د. حسن احمد محمود : العالم الاسلامى فى العصر العباسى ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

(٣٦) د. عز الدين فراج : (**فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية**) (**دار الفكر العربى** ـ القاهرة) ص ١٢٢ .

(٣٧) المرجع نفسه .

واستحالت المساجد الجامعة فى أنحاء العواصم الاسلامية الكبرى الى نوع من الجامعات الدينية والمدنية معا ، تدرس فيها الى جانب علوم القرآن والسنة ، علوم اللغة والأدب وما اليها . وهكذا رسخت صفة المساجد الجامعية بمضى الزمن ، ولم يكن مكانا للصلاة فقط ولكنه غدا فى نفس الوقت مدرسة أو جامعة يجتمع فيها مختلف العلماء أو يقصدها الطلاب فى غير اوقات الصلاة للدرس والقراءة على أيدى أولئك الأساتذة وقد كانوا على الأغلب اقطاب عصرهم فى العلم والدين[٣٨] .

وقد قام الجامع الأزهر بمهمته الجامعية منذ أواخر القرن الرابع الهجرى ، وما زال الى يومنا ، بعد ألف عام ، قائما بها ، ينشر من العلوم الاسلامية ما هو كثير وعظيم ، والجامع الأزهر لبث مدى قرون طويلة كأعظم الجامعات الاسلامية ، فقد تخرجت فيه أجيال متعاقبة من أقطاب العلماء من سائر أنحاء العالم الاسلامى . وقد ترك فى تاريخ الآداب العربية والعلوم الاسلامية أعظم الآثار فضلا عن أنه مسجد من أعظم المساجد الاسلامية[٣٩] .

أما فى الأندلس فقد كانت المساجد الجامعة ، منذ قيامها ، على ما كانت عليه فى المشرق ، مراكز لدراسة العلوم الدينية واللغوية ، بيد أنها ما لبثت أن استحالت بسرعة الى جامعات علمية حقة ، يغلب عليها الطابع المدنى المتحرر ، ومنذ أوائل القرن الرابع الهجرى نرى جوامع الأندلس تبدو فى صفتها الجامعية الواضحة وتجذب اليها الطلاب ، ليس فقط فى سائر انحاء شبه الجزيرة الأسبانية والمغرب ، بل ومن سائر أنحاء الأمم الأوروبية ، ومنهم كثير من الطلاب المسيحيين الذين كانوا يرون مثلهم الأعلى فى الدراسات الأندلسية[٤٠] ، والتى كانت يومئذ تتفوق فى مناهجها ومؤادها عى دراسات الأديرة ، وهى يومئذ مركز العلوم والدراسات الأدبية . وقد كان من هؤلاء الطلاب أعلام مثل الراهب « جوبير » الذى درس فى معاهد قرطبة وأشبيلية ايام المنصور بن أبى عامر وتولى البابوية فيما بعد باسم سلفستر الثانى[٤١] .

وكان جامع قرطبة حاضرة الأندلس يومئذ تدرس فيه سائر العلوم الدينية والمدنية ، التى كانت معروفة وقتئذ ، ومنها طائفة من العلوم المحضة ، كالطب والرياضة

---

(٣٨) المرجع نفسه ص ١٢٣ .

(٣٩) المرجع نفسه ص ١٢٣ .

(٤٠) المرجع نفسه ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٤١) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

والطبيعة والفلك ، وهى علوم بلغت يومئذ بالأندلس ذروة التقـدم . وكانت تجـذب أنظـار الهيئات العلمية الأوروبية بازدهارها وتفوقها[٤٢] .

وبجانب جامع قرطبة طائفة أخرى من المساجد الجامعة فى أشبيلية وطليطلة وبلنسية وسرقسطة وغيرها من قواعـد الأندلس ، تؤدى نفس المهمة الجامعيـة والثقافية الجليلة ، وكلها تزدحم بالطلاب من سائر أنحـاء شبه الجزيرة وأنحـاء البلـدان الأوروبية المختلفة[٤٣] ولا أحسب التاريخ يعى تعاون الأمم على العـلم والتعليم ، والتمحيص والتحقيق كما تعاونت الأمم التى جمعتها أخـوة الاسـلام ، وألفت بينها عقائده وشرائعه وعـدالته ومرحمته ودعـوته الى العلم والعمل .

وهكذا ظلت بيت الحكمة قائمـة تشيع الحكمة والمعرفة مشرقا يتلألأ ومعلمـا من معالم الحضارة الباقية تؤثر وتتأثر فى المدارس الاسلامية والجامعات الاسلامية فى العـالم[٤٤] .

فالتاريخ هـو رقيب الحياة يسجل الأحـداث ، ويحفظها لمن يطلع عليهـا ، ليقرأ فى ضوئها المـاضى ، ويستمد منها العظة للحاضر ويخطط فى هديها المستقبل .

---

(٤٢) المرجـع نفسـه ص ١٢٤ .

(٤٣) المرجـع نفسـه ص ١٢٤ .

(٤٤) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٢٧٤ .

ثانيا — بعث روح اليقظة الاسلامية الكبرى لمثيلاتها فى العصور الوسطى :

ازدانت بغداد ببيت الحكمة التى اكسبتها مجدا وعزا ، وجذبت اليها العلماء والطلاب من مختلف أقطار العالم الاسلامى الكبير ، وقد كان الأمراء والخلفاء يشجعون العلم والعلماء ، ويجمعونهم من الأقطار ويغدقون عليهم العطايا والهبات مما كان له الأثر فى اقبال العلماء على الدرس والتحصيل وتشجيعهم على التأليف والابتكار(٤٥) .

ويتحدث المؤرخون فى اعجاب واكبار عن الخليفة المأمون الذى جمع حوله جمهرة كبيرة من العلماء ارتفع بهم بلاطه وزين ملكه ، والذى بلغ بيت الحكمة فى عهده الذروة . كما يتحدثون عن الحاكم بأمر الله الذى كان يحضر مجالس العلم والذى أنشأ دار الحكمة بالقاهرة ونقل اليها من قصره من الكتب ما لم ير مجتمع قط لأحد من الملوك والأمراء والذى أوقف أوقافا سخية على الأزهر ودار الحكمة ودور العلم(٤٦) . وهكذا حرص الفاطميون على أن تزدان القاهرة بمكتبة تضارع بيت الحكمة عظمة وشهرة .

وظل المأمون ينهض بأمته ويعمل على رفعة شأنها ، وينشر العلم فى أنحائها . حتى وصل بها الى أسمى الغايات وأحلها أعلى مكان(٤٧) كما كان مثالا فى سائر اسباب النهضة العلمية ، فاقتدى به بنو أمية فى الأندلس وتشبه به الحكم بن الناصر الذى تولى الخلافة (٣٥٠ هـ وتوفى ٣٦٦ هـ) اذ كان معجبا بالعلوم مكرما لأهلها جماعا للكتب بأنواعها ، فانشأ فى قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من أنحاء العالم فكان يبعث فى شرائها رجالا من التجار ومعهم الأموال ويحرضهم على البذل فى سبيلها لينافس بنى العباس فى اقتناء الكتب وتعريبها(٤٨) .

فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل فى الاسلام فجعلوها فى قاعات خاصة من قصر قرطبة ، واقاموا عليها مديرا ومشرفا ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدة واقتدى بالحكم بن الناصر رجال دولته وعظماء مملكته وأنشأ المكاتب فى سائر بلاد الأندلس حتى قالوا ان غرناطة وحدها كان فيها سبعون

---

(٤٥) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٦٧ .

(٤٦) المرجع نفسه ص ٢٧٣ .

(٤٧) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٤٧ .

(٤٨) المقرى : نفح الطيب جـ ١ ص ١٨٦ .

مكتبة من المكتبات العامة وأصبح صاحب الكتب فى الأندلس صفة فى أهلها ، وأصبح اقتناؤها من شارات الوجاهة والرقى عندهم(٤٩) .

وفى عهد الحكم الثالث وهــو ابن عبد الرحمن الثالث الذى كان مثل أبيه عظيم الشغف بجمع العلوم ونشرها ، وصل عــدد الكتب الموجودة فى مكتبة قرطبة نحــو نصف مليون كتاب ووضــع لهــا فهرسا مكونا من أربعة واربعين كتابا بكل منهــا خمسون صفحة وأرسل مثل أبيه فى طلب العلماء والكتب من جميع مراكز العلوم فى اليــونان وبيزنطة ومراكز الحضارات الثقافية فى البلاد العربية بشراء أحــدث المؤلفات(٥٠) . وكان لا يبخل فى دفــع ثمنها مهما كان باهظا حتى قيل ان النســخ الأصلية من المؤلفات كانت تظهر فى مكتبة قرطبة قبل أن تظهر النسخ الأخرى منها فى بلاد الشرق العربى . وكانت هــذه المكتبة تفوق فى عظمتها مكتبات القاهرة وبغــداد والاسكندرية لمــا كانت تحــويه من الكتب النــادرة وبلغ من حرص الحكم فى اقتنائه للكتاب أنه كان يعمل جهــده فى أن يظهر الكتاب الحــديث فى مكتبة قرطبة قبل أن يظهر فى موطن مؤلفــه ، لقــد ترامى الى مسامعه أن أبا الفرج الأصفهانى ــ عالم العراق ــ ألف كتابا يسمى الأغانى فبعث لهــذا الكتاب ، فيبهر المؤلف ، ويؤخــذ لكرم الخليفة القرطبى وسخائه فى عطيته ، ثم يسرع فيرسل اليه الكتاب مصحوبا بقصيدة يطرى فيها الخليفة الأموى والبيت الأموى(٥١) وهكذا نافست قرطبة فى عظمتها القــيروان وبغــداد والقاهرة وبخارى ودمشق وأصبحت قبلة الشعراء والكتاب والفنــانين والعلماء حتى أن قرطبة لم تكن فى عهد من عهودها أغنى وأكثر ازدهارا فى أى وقت كانت عليه فى عهد الناصر(٥٢) .

واللافت النظر حقــا أن تأسيس مكتبة الزهراء بقرطبة ، يكاد يعاصر مكتبــة العزيز بالله فى القاهرة فقــد ولى المنتصر بالله الخلافة الأموية بالأندلس من ســنة ٣٥٠ هـ/٣٦٦ هـ وهــو العام التالى لخلافة العزيز الفاطمى بمصر . وكما عــد المؤرخــون عهد الرشيد وابنه المــأمون عصر القــوة فى الدولة العباسية ، عــدوا كذلك عهد المعز لدين الله وابنه العزيز بالله عصر الازدهار للدولة الفاطمية ، وعهــد الناصر وولده المنتصر ، العصر الذهبى لدولة العرب والاسلام بالأندلس . وهنــا وهناك كانت النهضة العلمية تساير عصر القــوة للدول الثلاث : الدولة العباســية

(٤٩) المصدر نفســه ص ١٨٧ .
(٥٠) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ٣١٨ .
(٥١) المصدر نفسه ج ١ ص ١٨٠ .
(٥٢) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ٣٦٤ .

والفاطمية والأموية . فكان بيت الحكمة فى بغـداد ومكتبة العزيز فى القاهرة ومكتبة الزهراء فى قرطبة عنوان هـذه النهضة ورمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها([٥٣]) .

وكانت جامعة قرطبة ومكتبتها مراكز للعلوم والترجمة من اليونانية والهندية وغيرهما من الكتب القـديمة الى اللغـة العربية ، ومن تلك الذخائر الثمينة مؤلفات ديستوريدس التى كان قـد ترجمها من قبل حنين بن اسحاق فى عصر بنى العباس فى بغـداد وترجمها « نيلولا » اليونانى من اليونانية الى اللاتينية ، فكانت هـذه الترجمة تقارن بترجمة حنين بن اسحاق وان جاءت شروح نيلولا اضبط لأنواع النبات ووصفها ، والبلاد التى تزرع فيها وفـوائدها الطبية([٥٤]) .

ونشطت حركة الترجمة فى عهد المنتصر بالله كما نشطت فى عصر الرشـيد والمـأمون بالمشرق ، مـع فرق واضح قضت به طبيعة الظروف وتفاوت الأوضاع : ففى بغـداد اتجهت الترجمة الى النقـل عن اللغـات القـديمة غير العربية ، أما فى قرطبة فكان النقـل عن اللغـة العربية الى اللغـات الأجنبية وبخاصة اللغتين الأسبانية واللاتينية . وكما كان المتعربون فى المشرق يجيدون لغاتهم الأولى وكثرتهـا شرقية ، كان كثير من أهـل الأندلس يتقنون الأسبانية واللاتينية . ونضيف الى هـذا الفارق بين البيئتين ، أن المكتبة العربية الأولى فى بغـداد ، اهتمت بالانتفاع بتراث الفكر القـديم ، لتغـذى الفكر الاسلامى ، بروافـد سـخية من ماضى المعرفة ، أما فى الأندلس ، وقـد نهضت بغـداد بهـذا العبء على خير وجه فلم تترك لقرطبة مجالا فيه ، فكان الاتجاه الى نشر الثقافة العربية التى بلغت عـز نضجها وأوج نهضتها([٥٥]) .

والذى يعرف التاريخ يجـد فيه فضل المـأمون على النهضة الفكرية فى شـد أزرها ورفع قواعـدها ، ففى عهده ازدهرت العلوم ونشطت الترجمة ، وأقبـل الناس على المعرفة يلتمسونها فى آثار السريان واليونان وسـواهم من الأوائل ، ويبدو من أسباب ذلك الانتعاش الذى أصاب الحياة الفكرية أن المـأمون نفسه كان يسهم فيه بحظ غير قليل فيمارس اكتساب المعرفة بطرق علمية تجريبية غير مكتف بما يقرأ وما يسمع وغير قانع بمـا يحصل عليه من تلك الطرق([٥٦]) .

---

(٥٣) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢٨ .

(٥٤) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٦٨ .

(٥٥) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٥٦) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٧٢ ٣٧٢ .

وعاش العلماء العرب عصرا ذهبيا انعكس على آلاف الكتب التى وضعوها فى مختلف العلوم وشتى الموضوعات ، تضمنت نظريات جديدة وآراء مبتكرة وأبحاثا قيمة ، وأفكارا فريدة ، ولقى العلماء كل تكريم من الخلفاء والحكام ففتحوا لهم الأبواب واغدقوا عليهم العطاء وذللوا لهم الصعاب ، وكانوا يجلسون اليهم دائما ، وضرب المأمون العباسى مثلا أعلى فى ذلك فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكرتهم ويعتبرهم صفوة الله فى أرضه ونخبة عباده مما جعل للعلماء مركزهم ومنزلتهم الرفيعة فى الدولة الاسلامية فى أوج مجدها وعظمتها ، وبالتالى مما شجعهم على العمل والدرس والكتابة فتعدد انتاجهم وازدهرت الحضارة بفضلهم(٥٧) .

فالمأمون كما يصفه HUGHES (٥٨) أزهر فترة فى تاريخ النهضة بالعالم الاسلامى ، اذ كان الخليفة نفسه عالما من أساطين العلماء ، واختار أصحابه ورجال دولته من الصفوة الأفذاذ فى الشرق والغرب ، هذا الى جانب الاساتذة والمستشارين والمترجمين والمفكرين الذين حلى بهم بلاطه وزين ملكه . ومن هنا تعددت مراكز البحث فى العواصم العربية حتى أصبحت بغداد والبصرة والكوفة ودمشق والقاهرة وقرطبة بمثابة مشاعل متوهجة ترسل أنوارها للعالم كله ومقصدا للعلماء والباحثين يجتذبهم نورها من كل صوب .

ولا شك أن انتشار المكتبات العامة فى أرجاء العالم الاسلامى فى العصور الوسطى قد بعث روح اليقظة الاسلامية الكبرى لمثيلاتها فى العصور الوسطى باتباعها هذه الأنظمة ، وفتح أبوابها لكل قارىء ، وتسخير كل هذه الامكانيات لخدمته ، دليل ناطق على تقدم العرب الفكرى والعلمى ، ومدعاة للفخر ، ويسجل لهم ولتاريخهم بمداد من نور(٥٩) .

---

(٥٧) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٨ .

(٥٨) HUGHES : Dictionary of Islam, p. 295, 196, London, 1885.

(٥٩) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٨١ .

ثالثا ــ انقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من انحاء العالم :

أما فى العصر العباسى فأصبحت الدبلوماسية وسيلة لتبادل العلاقات الودية بين الدول وغيرها ، وتقدم فن الدبلوماسية ، فأصبح التمثيل السياسى بين الخلفاء واباطرة الروم ذا طابع يجعل نطاق العلاقات الدولية متعددة الأغراض بين السفارات حتى تعددت السفارات بين الدول الاسلامية والقسطنطينية ودولة الفرنجة والهند والصين(٦٠) .

كان السفراء العرب يختارون على أسس غاية فى الدقة لا تختلف كثيرا عن النظم التى تتبع الآن . كان الخلفاء يقومون بأنفسهم باختيار المرشحين للسفارة بعد أن ينتهى رجال الدولة من بحوثهم ودراساتهم عن أولئك المرشحين . وكان رئيس ديوان الرسائل يتولى التمهيد لاختيارهم واعداد الكتب التى يحملونها . واهتمت مصر ولا سيما فى العهد الفاطمى بهذا الذى عرف باسم « ديوان الانشاء »(٦١) وصار يقوم بالمهام التى تقوم بها وزارة الخارجية فى العصر الحديث . وحرص الخلفاء بالرغم من هذه الادارات الدقيقة على أن يتولوا هم أنفسهم اختيار السفراء ، فكان يتصف من يقع عليه الاختيار بالذكاء ونفاذ الرأى وحصافة العقل وسعة الثقافة ، تجعله يستنبط غوامض الأمور ، ويستشف سرائر القلوب ، ويجب أن يكون فصيحا ليعجب السامع بحديثه ويسحره بحلاوة لسانه ، ثم ليكون كلامه ممتعا أنيقا يوصل الى الهدف المطلوب(٦٢) .

وقد اختير كثير من القضاة والفقهاء والمتصوفين لأعمال السفارات كما انتخب من موظفى الدولة كالوزراء والكتاب والأطباء من يصلح لمهام الوفادة(٦٣) . وقد امتد نشاط السفراء العرب الى غربى أوروبا حين ولى شارلمان شئون دولة الفرنجة وبعث بسفارة الى الخليفة هارون الرشيد لعقد تحالف معه(٦٤) .

واستدعى هارون الرشيد أحد خاصته وعهد اليه . وقال له : أتانا من ملك

---

(٦٠) المقرى : نفح الطيب ج ١ ص ١٦٣ .

(٦١) المقريزى : الخطط ج ٢ ص ١٠٧ .

(٦٢) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٤٩ .

(٦٣) المرجع نفسه ص ١٥٠ .

(٦٤) د. ابراهيم العدوى : (**السفراء العرب الى أوروبا فى العصور الوسطى**) . (دار المعارف بمصر ــ القاهرة ١٩٥٧ م) ص ٧٥ .

الفرنجة رسول يقرئنا منه السلام ، ويلتمس جميع رعايتنا بمن يحج الى بيت المقدس ، فرأينا أن نوجهك بهدايا تطلب اليه أن يتقبلها فى سبيل المودة . وكان الخلفاء وأباطرة الروم يتبادلون السفارات الخاصة لدراسة الكتب النادرة واستقدام كبار العلماء للاسهام فى الحركة العلمية أو لتسهيل مهمة بعض الطلاب لتلقى العلم فى الجامعات الكبرى فى عواصم دول العرب والروم ، ولا سيما اذا كانت تتعلق بأمور تفيد الناحية الحربية(٦٥) ولم تقصد السفارات الثقافية الى طلب الكتب النادرة وغيرها فحسب وانما امتدت الى دراسة الأماكن التاريخية التى تتعلق بأحداث العرب أو بما ورد ذكره فى القرآن الكريم — ومن أشباه هذه الاتصالات العلمية — تلك السفارة التى أرسلها الخليفة الواثق الى افسوس بآسيا الصغرى . وكانت تابعة لدولة الروم لتزور الكهف الذى آوى اليه من فروا بدينهم فى عهد الامبراطور دقلديانوس ، ومنح امبراطور الروم ميخائيل الثالث تلك السفارة العربية اذنا بهذه الزيارة(٦٦) .

وكان عندما يتم تجهيز بعثة السفير وتتهيأ لمغادرة البلاد الاسلامية يزود السفير وهو رئيس البعثة بخطاب اعتماد يحرره ديوان الرسائل باسم الدولة الاسلامية مخاطبا رئيس الدولة الموفد اليها السفير مبينا اسم السفير وأعضاء البعثة مع بيان ألقابهم(٦٧) .

وقد أدرك الخلفاء العباسيون بثاقب بصيرتهم أن الثقافة من أهم العوامل التى ترتكز عليها النهضة الصحيحة ، ومن أمتن الأسس التى تشيد عليها صروح المجد والسؤدد ، ومن أقوى مقومات الشخصية الدولية أن الاسلام قد جعل العلم فريضة على كل مسلم وأوصاهم بطلبه من المهد الى اللحد وحثهم على السعى وراءه أينما كان ومن أى وعاء خرج(٦٨) . لذلك فقد خرج الخلفاء من الاطار الدينى المحدود ، وراحوا يولون العلوم الدخيلة كل عنايتهم ، مستمدين اياها من أربعة مصادر رئيسية : الهندية ، الفارسية ، اليونانية ، السريانية ، وذلك عن طريق نقل ثقافات هذه الأقوام الى لسانهم(٦٩) .

---

(٦٥) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٥٠ .
(٦٦) المرجع نفسه ص ١٥٠ .
(٦٧) المرجع نفسه ص ١٥٠ .
(٦٨) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٢٩٩ .
(٦٩) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٠٠ .

لكن تنظيم هـــذه الصفات الثقافية تم على أكمل وجـــه فى عهد المـــأمون حكيم بنى العباس الذى ســـخر كل الامكانيات وطرق كل السبل ليعثر على الكنوز الفكرية الحبيسة فى مكتبات القسطنطينية أو قبرص . ولمـــا احتل هارون الرشيد مدينتى عمورية وأنقرة أمر بالمحافظة على مكاتبها وانتدب العلماء والتراجمة من بغداد لاختيار الكتب القيمة منها ، والتى يـنـــدر وجودها عنـــد غيرهم من الأمم ، فاختاروا الكتب النفيسة النادرة فى الطب والفلسفة والفلك ، ونقـــلوها الى بغـــداد ، وولى هارون الرشيد أمر هـــذه الكتب الى يوحنا بن ماسويه اكبر أطباء عصره وجعل لـــه من يساعده بترجمتها(٧٠) .

كما كان المـــأمون شغوفا بعلوم الحكمة ، وجـــه همـــه الى توسيع دوائرها المختلفة ، فأرسل فى طلب كتبها من مختلف الأقطار ، واجتمع لديه عـــدد كبير منها . واختار لهـــا المترجمين من اللغات المختلفة : اليونانية ، السريانية ، الفارسية والهندية والحبشية ، فتوسع بيت الحكمة وازداد عـــدد كتبه بمـــا يضاف اليه من الكتب المختلفة التى يؤتى بها من آسيا الصغرى والقسطنطينية وجزيرة قبرص ، وما كان يجمعه السريان من كنائسهم واديرتهم فى الشام وبلاد الجزيرة فعهد بأمر هـــذه الكتب الى اجـــل العلماء وأفصحهم(٧١) .

روى ابن النـــديم ان المـــأمون كان على اتصال بالامبراطور ليو الارمنى وقـــد استظهر عليه المـــأمون فكتب الى ملك الروم يسأله الاذن فى انفاذ ما يختار من العلوم القـــديمة المخزونة المدخرة ببلـــد الروم فأجاب الى ذلك ، فأخرج المـــأمون لذلك جماعة منهم الحجاج بن مطر وابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة ، فأخـــذوا ممـــا وجـــدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه أوصـاهم بنقله فنقل . وقـــد قيـــل أن يوحنا بن ماسويه ممن نفـــذ الى بلـــد الروم . قال محمد بن اسحاق : ممن عنى باخراج الكتب من بلـــد الروم أبناء موسى بن شاكر المنجم الذين أرسلوا فى طلب المخطوطات وأجزلوا العطاء لمن يقوم بترجمتها من أمثال حنين بن اسحاق وثابت بن قرة فجاءوا بطرائف الكتب وغرائب المصنفات فى الفلسفة والهندسة والطب ، وكان قسطا بن لوقا قـــد حمل معه شيئا فنقله(٧٢) .

---

(٧٠) ابن القفطى . اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٤٩ .

(٧١) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٤٨ .

(٧٢) ابن النـديم : الفهرســت ص ٣٣٩ ، ٣٤٠ .

ويبدو ان بعثات الكشف عن كنوز الكتب لم تترك مكانا اينعت فيه الثقافة الهيلينية الا وذهبت اليه . وكانت هذه الصفقات يذكيها شغف المأمون الغريب بالفكر الاغريقى هذا الشغف الذى كان يشغله حتى فى نومه فأخذ يسعى بشتى الطرق للحصول على كتب الحكمة المختلفة ، فكان يرسل العلماء وأهل الرأى الى بلاد الروم وغيرها لكى يفتشوا عن الكتب النادرة ، ويرغبوا أصحابها ببيعها ، فجمعوا منها كل نفيس ونادر(٧٣) . وممن دخل بلاد الروم لتحصيل الكتب فى الفلك والنجوم للخليفة المأمون هو يحيى بن أبى منصور المنجم المأمونى ، وهذا أحد علماء بيت الحكمة ، فتوغل فى بلاد الروم ، وجمع نفائس الكتب التى تبحث فى ذلك(٧٤) .

وسافر قسطا بن لوقا البعلبكى الى بلاد الروم ، وحصل الكثير من تصانيفهم ، وعاد الى الشام ثم استدعى الى بغداد ، ليترجم الكتب من اليونانية الى العربية ، ويذكر ابن النديم : انه كان يقدم على حنين لفضله ونبله ، وتقدمه فى صناعة الطب ، وكان بارعا فى علوم كثيرة منها : الطب والفلسفة والاعداد والموسيقى فصيحا باللغة اليونانية جيد العبارة بالعربية ، لذا عهد اليه بترجمة كتب عديدة ، فكان من التراجمة المعدودين الذين يعول عليهم(٧٥) .

ودخل بلاد الروم حنين بن اسحاق العبادى وجد فى تحصيل كتب الحكمة ، وبذل غاية امكانه فى ذلك ، كما انه اغتنم فرصة وجوده فى بلادهم فتعلم اليونانية وأحكمها ، وعاد الى بغداد ومعه تحف نادرة من كتب الحكمة ولازم بنى موسى بن شاكر ورغبوه فى نقل الكتب الى العربية ، وكان حنين أحد أعاظم العلماء الذين خدموا ببيت الحكمة بما نقله اليها والفه فيها(٧٦) .

وصارت بغداد قبلة العالم الاسلامى فى العلوم والمعارف اجتمع فيها علماء أعلام خدموا التراث الانسانى أجل خدمة بما ترجموه من الكتب النفيسة . وما الفوه من العلوم المختلفة ، وما أبدوه من آراء ونظريات .

ان حركة الترجمة التى قام بها العرب ، بعد اتصالهم بغيرهم من الأمم

(٧٣) صاعد الأندلسى : طبقات الأمم ص ٦٧ .

(٧٤) ابن النديم : الفهرست ص ٣٨٠ ، ٣٨٤ .

(٧٥) المصدر نفسه ص ٤١٠ ، ٤١١ .

(٧٦) ابن القفطى : اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٧٣ ، ٢٤٠ .

اطلعتهم على علوم ومعارف لم تكن معـــلومة عندهم ؛ ومما وجـــدوه من المؤسسات الثقافية فى البلاد التى فتحوها أو التى اتصلوا بها هى « دور الحكمة » أو « دور العلم » فوجـــدوا فى الاسكندرية « دار علم »(٧٧) . استعان العرب بعلمائها فى ترجمة وشرح كتب الحكمة ، وكان فى أخمين(٧٨) من بلاد مصر ـــ دار حكمة ـــ لا تقـــل أهمية عن علم الاسكندرية . وفى الأندلس « بيت الحكمة » حـــوت نفـــائس الكتب والمصورات ، وكان فى بلاد الروم وقبرص دور حكمة(٧٩) .

فاجتمع فى بيت الحكمة ببغـــداد نخبة ممتازة من العلماء والاطبـــاء والفلكيين واصحاب الصناعات والحيل ، وترجموا مختلف الكتب التى تبحث فى شتى العلوم والفنون والمعارف والصناعات ؛ وبلغ بيت الحكمة منتهى التقدم فى عهد المـــامون(٨٠) .

وهكذا كانت أهم وجوه النشاط العلمى فى العالم تجرى فى بيت الحكمة فى بغداد من اجـــل انقاذ التراث العالمى من الفناء بجلب كنوز المعرفة من أنحاء العالم(٨١) . وممـــا ساعد على ذلك ان انتقل الى لغـــة العرب تراث الأمم القـــديمة المتحضرة من مصرية ويونانية وهندية وفارسية ، وانصبت هـــذه الروافـــد كلها فى التراث العربى وتفاعلت معـــه فى ضـــوء خبرات العرب الحسية ، وتأملاتهم العقلية ، وكان منهـــا ذلك التراث العلمى الذى يحفل بمظاهر الاصـــالة والابتكار . وكان يقوم بالترجمة فى العادة مجموعة من المترجمين يشرف على كل منها رئيس يراجـــع أعمالهم ويصـــحح أخطاءهم ويقف وراء حركتهم الخلفاء والأمراء من محبى العلم يمـــدونهم بالمـــال ، ويتعهدون أهلهـــا بالتشجيع(٨٢) .

ويرجع هـــذا الى حرص الخلفاء والأمراء على اجتذاب العلماء من كل الملـــل الى بلاطهم وأجزلوا لهم العطاء وتولوهم بالرعاية والتقـــدير وتكريما للعلم وأهله احتـــل المسلمون وغير المسلمين منهم مكانا مرموقا فى الدولة العربية الاسلامية(٨٣) .

---

(٧٧) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٥٢ .

(٧٨) المصدر نفسه ص ١٢٧ .

(٧٩) ابن خلكان : وفيات الاعيان ج ٢ ص ١٣٦ ، ١٣٨ .

(٨٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١١٧ .

(٨١) د. على عبد الله الدفاع : موجز فى التراث العربى الاسلامى ص ٦٣ .

(٨٢) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢١٢ .

(٨٣) المرجع نفسه ص ٢١٤ .

وليس هـــذا غريبا على خلفاء الدولة العباسية حتى أن هـــدد احـــد خلفاء بنى العباس بالحرب قيصر الروم اذا لم يأذن لعـــالم رياضى معروف بالتدريس فى جامعـــه بيت الحكمة ببغـــداد .

ولم تفتر هـــذه الحركة انمـــا بقيت على شـــدتها زمن المعتصم والواثق وأغلب الظن أن صفقات مماثلة عقـــدت مع الهنود والزرادشت وأباطرة الصين . ويقـــول سيديو : « ان العباسيين شغفوا بالعلوم الأدبية ، فأحضروا من القسطنطينية الكتب اليونانية وترجموها الى العربية ، وفتحوا ببغـــداد مدرسة ألسن لتربية المترجمين ، ورتبـــوا خمسة عشر الف دينار لمدرســـة يتعلم بها مجانا ستة آلاف تلميذ من الفقراء والأغنياء وانشأوا كتبخانات رخصوا الدخول فيها لمن أراد فانتشرت اللغة العربية(٨٤) فى سائر جهات آسيا حتى تكلموا بها بدلا من لغتهم » .

والحق أن الذى سهل على بعض العقليات العربية المبتكرة عملية الاضـــافة والابتكار والخلق هـــو فضيلة الصبر والدأب التى هى عـــون على البحث والوصول الى النتائج ذات الجـــدوى(٨٥) .

وليس هـــذا غريبا أيضا على أمة العرب والمسلمين الذين حملوا هـــذه الحضارة وعمـــلوا على اشاعتها لأن دينهم يدعـــو الى الحضارة والتقـــدم . ويدعـــو الى طلب العلم من المهـــد الى اللحـــد ، والتماسه من اى مكان مهما بعـــد ـــ وقـــد أقبلوا على الثقافات المختلفة يغترفون منها ويحيلونها الى ثقافة حية نامية تخـــدم الحياة ، وترفع مستوى المجتمع ، فهم لم يكتفوا بالنقـــل بل أتحفوا عناصر المدنية التى اقتبسوها من جيرانهم من الشعوب التى استولوا عليها بالشىء الكثير من ابداعهم وتشيد بفضلهم وتنـــوه بجهـــودهم(٨٦) .

يقول ديبـــور : « اما أن تكون رقعة الأرض فى عهدهم حينئذ ـــ كانت أقـــل من مساحتها الحالية أو أن الأرض كانت تطـــوى من تحت أرجلهم » . وهـــو على يقين من أن شيئا من ذلك لم يكن ولكنهم بعلمهم وبصـــدق صلتهم بربهم ونصرتهم لدينهم وعقيدتهم ووحـــدة صفوفهم حققوا ما يشبه المعجزات(٨٧) .

---

(٨٤) سيديو : خلاصة تاريخ العرب العام ص ١١٣ ، ١١٤ .

(٨٥) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية والعربية على العالم ص ٣٦٩ .

(٨٦) المرجع نفســه ص ٣٧٥ .

(٨٧) د. عبد الحليم محمود : (**أسس الاسلام فى بناء المجتمع**) محاضرات الموسم الثقافى ـ أبو ظبى (١٣٩٤ هـ/١٩٧٤ م) ص ١٠ .

الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة



١ ــ تأثير بيت الحكمة فى العلوم الاســلامية .

٢ ــ نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة .

٣ ــ ادخال نظام جــديد للمكتبات على العالم الاســلامى .

اولا ــ تأثير بيت الحكمة فى العلوم الاســلامية :

عــلم الــكلام :

ان الثقافة بلغت أوجها وانتهت الى غايتها ، وان مجالس الخلفاء أنفسهم كانت مدارس علم ــ ومواطن معرفة وملتقى أفكار ــ ومنارات اشعاع حيث تحتك العقول وتتصارع الآراء ، بين أقطاب الثقافة وفحول العلم والمعرفة[88] .

لقــد نصبت المعتزلة نفسها للدفاع عن الاسلام ومجادلة اعــدائه من اليهود والنصارى والمجوس هؤلاءالذين تسلحوا ــ فى أساليبهم ــ بالمنطق اليونانى ، وما كان يتسنى لهم أن يثبتوا أمام خصومهم الا اذا تسلحوا بسلاحهم واطلعوا على آرائهم وما قام عليها من حجج وبراهين وكان من أثر ذلك أن صبغت مسائل الدين بصبغة علمية فلسفية كما تسرب اليها الكثير من هــذه الآراء الأجنبية[89] .

فكان المــأمون يرى رأى المعتزلة ولكنه لم يفرض مذهبه على الناس بل انه عزز مذهب المعتزلة ــ أهــل الرأى ــ بترجمــة كتب الفلسفة والمنطق وهى التى تؤيد مذهبهم ، وكان من هــذه الحركة « علم الكلام » الذى مهــد المعتزلة قواعده ، وبرعــوا فيه وصار خير مساعد لهم على نشر مذهبهم[90] .

وذلك لأنه كان على رأس الحكومة العباسية فى ذلك الوقت ، عبد الله بن المأمون ابن الرشيد ، وقــد كان يعــد نفسه من المعتزلة وعالمــا من علمائهم ، وكان يعقــد المناظرات لتأييد مذهب الاعتزال ويثير المناقشات حــول كون القرآن مخلوقا أم غير مخلوق . وفى آخر حياته وجــدت فكرة اكراه العلماء من فقهاء ومحــدثين على ذلك القــول ، ومن هنا نزلت المحنة بالامام أحمد بن حنبل فى دار السلام[91] . وحمــلوا الناس بالقــوة على اعتناقه وأطلقوا لهم العنان فأصبحوا دولة داخــل الدولة لهم الاشراف التام على تنفيذ تعاليم الدين طبقا لمبدئهم القــويم الأمر بالمعروف والنهى عن

---

(88) د. ابراهيم أبو خشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

(89) محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٤٩٨ ، ٤٩٩ .

(90) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٥١ .

(91) الشيخ محمد أبو زهرة : (**محاضرات فى المذاهب الفقهية**) (مطبعة مخيمر ـ القــاهرة ١٩٦٢ م) ص ٢٩٦ .

المنكر[٩٢] . وفى هــذه الفترة تزايد عــددهم حتى بلغ الثلاثين الفا ، وانتشر دعاتهم فى أقاصى البلاد حتى بلغوا الصين مشرقا وبلاد الغرب غربا ، أشار الى ذلك شاعرهم صفوان الأنصارى[٩٣] فى احدى قصائده عن مؤسسها وأصل بن عطاء فيها يقول :

لــه خلف شعب الصين فى كل ثغرة — الى سوسها الأقصى وخلف البرابر
رجال دعـــاة لا يفــل عزيمهم — تهــكم جبـــار ولا كيــد ماكر

ومن هنا كانت مقــدرتهم الكلامية (المعتزلة) حيث تصــدوا للدفاع عن الاسلام ومحاربة أهــل الديانات الأخرى ، وقــد دفعهم ذلك الى الاطلاع على هــذه الديانات المختلفة ، والالمــام بدقائقها والاحاطة بكتبها الدينية ، وشروحها المختلفة ليدافعوا عن علم ويجادلوا عن بينة ، كما دفعهم أيضا الى الاتصال بالثقافة اليونانية ، والتمرس بأساليبها المنطقية التى تعين أرباب الكلام على البحث والمناظرة[٩٤] .

وبهــذا تسلح المعتزلة — وخاضوا المعارك العلمية التى دلت على قــدرتهم الخطابية ، ومقــدرتهم الكلامية ، ولم يقف بهم الأمر عند حــد الممارسة لهــذه وتلك بل وضعوا للخطابة أصــولا وللبلاغة قواعــد وللكلام شروطا — حتى قيل أنهم هم الذين خلقوا « علم الكلام »[٩٥] ، وأن الكلام لهم دون ســواهم لأنهم واضعو أسسه الأولى التى بنى عليها المتكلمون فيما بعــد .

فالقول بحرية المرء فى خلق أفعاله من تلقاء نفسه ، وقــدرته التامة على ذلك ، مأخــوذ عن الكنيسة اليونانية ، كما يقول « فــون كريمر » : فقــد ذكر ان يوحنـــا الدمشقى وتلميذه تيودور أبو قره كانا من كتاب هــذه الكنيسة ، وكانا يعيشان قبل الفتح الاسلامى ، فلما فتحت الشام شاعت عنهما هــذه الآراء بين المسلمين[٩٦] .

وممـــا يدل على أن هــذا القــول منقــول عن المسيحية ، ما ذكر عن اعشى

---

(٩٢) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٣٥ .
(٩٣) الجاحظ : البيان التبيين جـ ١ ص ٣٧ .
(٩٤) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٥٣٦ .
(٩٥) ابن الخياط : (الانتصار) . (دار الكتب المصرية ١٩٢٥ م) ص ٧٢ .
(٩٦) فون كريمر : الحضارة الاسلامية ص ٧٠ .

قيس(٩٧) الشاعر المخضرم ، فقد قيل عنه : أنه كان قدريا قبل ان توجد القدرية كفرقة ، وانه أخذ هذه النظرية عن العباد أو مسيحيى الحيرة .

وقد تطور مذهب المعتزلة فى العصر العباسى الثانى فاتخذ شكلا جديدا وانتشر تحت تأثير فلسفة أرسطو كما انقسم الى أقسام تتفق جميعا فى نقط معينة ، فقد أجمع المعتزلة على اختلاف فرقهم على نفس الصفات الالهية ، وعارضوا كل فكرة تتنافى مع وحدة الله وقرروا أن ادراك وسائل الخلاص وطرق النجاة ، انما يرجع الى سلطان العقل(٩٨) .

وقد تأثر المعتزلة تأثرا شديدا بالفلسفة الاغريقية ، فاقتبسوا منها واجهدوا أنفسهم فى أن يضيفوا الى المعانى الاسلامية التى جاء بها القرآن الكريم ، جميع ما احتوته الثقافة اليونانية من أفكار علمية وفلسفية وأن يلائموا بينها . ويخرجوا منها مزيجا جديدا يتفق مع تعاليم الاسلام وأصوله(٩٩) .

وقد نشأ الخلاف بين الاعتزال والفلسفة من ناحية ، وبين الدين من ناحية أخرى ، وأفنى المعتزلة قواهم فى المناقشات المستمرة التى أثارتها مدرستا البصرة وبغداد وظل المعتزلة أقوياء حتى ثار عليهم أبو الحسن الأشعرى وصرعهم الغزالى(١٠٠) الذى قال : « طلبنا العلم لغير الله ، فأبى الا أن يكون لله » .

وللمعتزلة احساس خاص بقيمة العلم وفضله وأثره فى حياة الناس لأنهم قد بنوا كيانهم على أساس من العلم ، ودافعوا عن دينهم ومبادئهم بسلاحهم ، ولم يتح لهم فى كفاحهم ما أتيح من نصر وتفوق الا لأنهم كانوا علماء يؤيدون قضاياهم الدينية ومذاهبهم الكلامية بالدليل والمنطق .

فلعل الحرية التامة التى كانت تسود بيت الحكمة فنجد فيه أصحاب العلم والفلسفة يتناظرون بكل حرية وصراحة ويتكلم أهل الملل والنحل بما يبدو لهم

(٩٧) المصدر نفسه ص ٧٢ .

(٩٨) د. عبد النعيم محمد حسنين : (**سلاجقة ايران والعراق**) (مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ١٩٧٠ م) ص ١٧٠ .

(٩٩) BROWN : A Literary Hist. of Persia, Vol. 1, P. 288.

(١٠٠) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ١٥٢ .

وبمـــا يعتقدونه ويرونه اقرب الى العقل والمنطق فلا نجـد اثرا للتعصب الذميم فيه . ومـمـا يؤيد ذلك أنه كان بين الذين تولوا أمر بيت الحكمة وأشرفوا على حركة الترجمة فيه هم من السريان واليهود والمجوس وغيرهم ، فكانوا يجادلون علماء المسلمين فى الأمور الدينية بحضور الخليفة نفسه (المـأمون)(١٠١) .

هــذا التسامح الذى كان يسود بيت الحكمة فى ظـل رعاية الخلفاء أنفسهم أدى الى ازدهار العلوم الاسلامية فيها ، وكذلك نشر الروح العلمية الخاصـة بين كافـة الطبقات ، كما صارت الكتب التى تبحث فى شتى النواحى الفكرية متيسرة فى دكاكين الوراقين بعاصمة الرشيد والمـأمون فى الوقت الذى كانت فيه أوروبا تتخبط فى دياجير الظلام(١٠٢) . وهكذا فان اعلام الاعتزال الذين أثروا الحركة العلمية فى هـذا العصر كبشر بن المعتمر ، وثمامة بن الأشرس وأحمد بن أبى دؤاد وغيرهم .

عـلم الفلسـفة :

ان العرب ابتداء من القرن الثالث الهجرى ، بعـد تقـدمهم فى الحضارة ، وتنوع الوانها ، شرعوا يسمون كل فرد بالصناعة التى اشتهر بها ، ومهر فيها ، والفن الذى يجيده ، ويعرف به ، كالفقيه أو المفسر أو المحدث او الحاسب أو المهندس أو المنجم أو الطبيب او الفيلسوف ، وهـذا يدل على أن الفلسفة ، أصبحت لونا متميزا اذا اشتغل به صاحب فكر سموه فيلسوفا ، والفلسفة صناعة نظر ، وثمرة تأمل وفكر ، وليس كل ناظر فيلسوفا ولا كل مفكر مؤثرا بالحكمة ، بل ذلك الذى يؤثر الحـق ويسعى الى طلبه ، ويجـد فى ادراكه ، ويتخـذ له سيرة خاصة تليق به وتطبعـه بطابعـه(١٠٣) .

وقـد وضع الكندى فى رسالة « الحـدود والرسوم » للفلسفة تعريفات ستة بحسب اعتبارات مختلفة من النظر وهى :

١ ـــ من جهة الاشتقاق ، اسمها : حب الحكمة .

٢ ـــ من جهة فعلها : التشبه بأفعال الله تعالى بقـدر طاقة الانسان ، أرادوا أن يكون الانسان كامل الفضيلة .

---

(١٠١) فيليب دى طرازى : خزائن الكتب العربية ج ١ ص ٥٤ .

(١٠٢) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٩ .

٣ ــ من جهة فعلها ايضا : العناية بالموت ... يريدون اماتة الشهوات ، لأن امانة الشهوات هى السبيل الى الفضيلة .

٤ ــ من جهة العلة : صناعة الصناعات وحكمة الحكمة .

٥ ــ من جهة النفس : الفلسفة معرفة الانسان نفسه .

٦ ــ من جهة حقيقتها فى ذاتها : الفلسفة علم الأشياء الابدية الكلية ، انياتها ومائيتها وعللها ، بقدر طاقة الانسان .

وهذه كلها تعريفات مشهورة مأثورة عن الفلاسفة اليونانيين عن فيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأرسطو(١٠٤) .

وفى القرن الثالث الهجرى تأسست المدرسة الفلسفية الاسلامية بزعامة « الكندى » وهى شديدة الارتباط بالفلسفة الهيلينية ، كما تظهر فيها الاتجاهات الأفلاطونية الحديثة ، وشرع عدد من كتاب هذه المدرسة فى محاولة التوفيق بين افلاطون وارسطو ، وبين الديانة الموحى بها ، وأشهر هؤلاء الفلاسفة الفارابى وابن سينا(١٠٥) . فلم يكن العرب بمعزل عن الثقافات الأجنبية فى هذا العصر ، وبين ظهرانيهم المدارس السريانية التى كانت تقوم بذور الوسيط بين الشرق والغرب وعنها عرف العرب منطق أرسطو ، واستعانوا به فى مجادلة اليهود والنصارى ، كما اصطنعه « المتكلمون » فى محاوراتهم المذهبية ليظهروا على خصومهم بلغة العقل ، ويفندوا آراءهم بالحجة والدليل ، ولكن ذلك كان فى ابسط صوره وأقل مراتبه من حيث انه كان فى أولى مراحله . وثمة فرع آخر من فروع الفلسفة قد مست الحاجة اليه ، ونعنى به « علم الطب » وما يتبعه من كيمياء وصيدلة(١٠٦) .

وقد تأخر نضج الفلسفة عند المسلمين بالقياس الى العلوم الأخرى لأن الفلسفة اليونانية التى استندوا اليها فى فلسفتهم لم تنقل كتبها الى اللغة العربية الا فى عصر المأمون على وجه العموم ، وحرص فلاسفة المسلمين على التوفيق عموما بين

---

(١٠٣) د. أحمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٢٧٣ .

(١٠٤) المرجع نفسه ص ٢٧٤ .

(١٠٥) حيدر بامات : اسهام المسلمون فى الحضارة الاسلامية ص ١١٦ .

(١٠٦) د. محمد نبيه حجاب : مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى ص ٤٨١ .

الفلسفه والدين دون الانتصار لأحدهما على الآخر . وأشهر فلاسفة الاسلام فى المشرق الكندى والفارابى وابن سينا(١٠٧) .

ان ميل أفراد من الخلفاء فى العصر العباسى الى العلوم الفلسفية وخاصة المأمون الذى شجع الفلسفة وامر بارسال من يطلب كتب الحكمة من بلاد الروم كما شجع على الترجمة فى الحكمة الى اللسان العربى . والخلفاء عادة اقدر على الترغيب واقناع الناس فيما أحبوا ، والناس اسرع ما يكون الى تحقيق أغراضهم والولوع بما أولعوا به ، وأكثر الخلفاء العباسيين ميلا الى ذلك المنصور والرشيد والمأمون(١٠٨) .

فازدهرت بيت الحكمة فى عهد الخليفة المأمون لميله الى الفلسفة والعلوم العقلية ، وانفق أموالا طائلة فى نقل الكتب الى بيت الحكمة من الدولة البيزنطية وغيرها ، وكان يعمل فى بيت الحكمة علماء تنوعت ثقافتهم ومعارفهم مثل سهل بن هارون صاحب خزانة بيت الحكمة للمأمون(١٠٩) . وازداد عدد الكتب فى عهد الخليفة المأمون ، ولم تكن الكتب اليونانية هى التى حرص المأمون على نقلها الى بيت الحكمة ، بل نجد المأمون يطلب من يحيى بن البطريق احضار كتب لاتينية الى بغداد فقد كان يحيى يعرف اللغة اللاتينية ، وضمت هذه الكتب الى بيت الحكمة وبذلك ضم بيت الحكمة كتبا فى مختلف اللغات ومختلف العلوم(١١٠) .

وقد عرف المأمون منذ حداثته بالجد والحرص على طلب العلم والتفقه فيه حتى أصبح حجة فى المسائل العلمية والفلسفية(١١١) . وعاش الكندى فى الزمن الذى يعرف بعصر الترجمة فنبغ فى خلافة المأمون صاحب بيت الحكمة وعاصر كبار النقلة المشهورين مثل : حنين بن اسحاق ، وخاض غمار هذه الحركة وشارك فيها(١١٢) . على أن الكندى وان كان قد تعلم الكلام وحصل علوم الفلسفة فانما كان يسلك فى سبيل الملوك أنفسهم حتى يرتفع لمجالستهم ويسمو الى مقامهم ،

---

(١٠٧) د. ابراهيم أحمد العدوى : (**تاريخ العالم العربى وحضارته فى العصر الاسلامى**) (القاهرة ١٩٧٥ م) ص ٣٤٧ .

(١٠٨) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٦٦ .

(١٠٩) ابن النديم : الفهرست ص ١٧٤ .

(١١٠) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ٢٨٠ .

(١١١) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٠٥ .

(١١٢) د. أحمد فؤاد الأهوانى : الكندى فيلسوف العرب ص ٥٩ .

ويساير تيار العصر الذى كان يعيش فيه وكثير من الأمراء كانوا يفعلـــــون ذلك . ويحـــذون حـــذو الخلفاء باقتناء الكتب وتشجيع العلماء ، وقـــد مالت نفس الكنـــدى عن علم الكلام وآثر أن يتجه الى الفلسفة وعلومها فأحاط بجميع فروعها[113] عالى أن الكندى قـــد نبغ فى المرتبة الأولى فى الرياضـــــيات والفلسفة الطبيعية ، ويرى أن الانسان لا يكون فيلسوفا الا اذا درس الرياضيات المركبة ، وللكندى نظريات فلسفية تتعلق بالله والنفس والعقل والعلم ، فيرى أن كل ما يقـــع يرتبط بعضـــه ببعض ، ارتباط علة بمعلول والى العقل مرد كل شىء والمـــادة تتخـــذ الصورة التى يشـــاء العقـــل افاضتها[114] عليهـــا .

واشتغل الكندى بالفلسفة ، ولـــه فيها تصانيف ومؤلفات جليلة جعلتـــه من المقـــدمين ، ويعتبرها المؤرخون نقطـــة تحول فى تاريخ العرب العلمى والفلسفى اذ كان فى عهده وقفـــا على غير المسلمين العرب . فهـــو « الكندى » واسع الاطـــلاع اشتهر بالتبحر فى فنون الحكمة اليونانية والفارسية والهندية ،وهـــو لم يقف عنـــد الاطلاع والتبحر بل أنتج وكان منتجا الى أبعـــد الحـــدود ، تدلنـــا على ذلك مصنفاته التى وردت فى الفهرست وقـــد جعلهـــــا ابن النـــديم على ســـبعة عشر نوعا فى مختلف العـــلوم[115] .

فالكندى امام أول مذهب فلسفى اسلامى فى بغـــداد كما يقول « ماســـينون » وقـــد أثرت الفلسفة فى اتجاهات تفكيره فكان ينهج نهجا فلسفيا يقوم على العنـــاية بسلامة المعنى من الوجهة المنطقية واستقامته فى نظر العقل. ومن هنا يتجلى خصب قريحته ، وعلى أنه واحـــد عصره فى معرفة العلوم بأسرها ، وهى تدل على احاطته بكل أنواع المعارف التى كانت لعهده على اختلافها احاطة تدل على سعة مداركه وقوة عقله وعظم جهوده[116] .

أما الفارابى[117] فهـــو محمد بن محمد بن طرخان أبو نصر الفارابى من فاراب ،

---

(١١٣) المرجـع نفســه ص ٣٢ .

(١١٤) ديبـور : تاريخ الفلسفة فى الاســلام ص ١٤٣ .

(١١٥) قـدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١١٤ ، ١١٥ .

(١١٦) المرجـع نفســه ص ١١٨ .

(١١٧) ابن القفطى : أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص ١٨٢ .

احـدى مدن الترك فى ما وراء النهر ، وهـو فيلسوف المسلمين غير مدافع ، دخل العراق واستوطن بغـداد ، وقرأ بها علوم الحكمة على يوحنا بن جيلان(١١٨) .

وقـد أفاد كل الافادة ، ففلق أقرانه وأربى عليهم فى التحقيق وشرح الكتب المنطقية ، وتوضيح غامضها وكشف سرها . وفى دائرة المعارف البريطانية : ان أبا نصر أعظم فلاسفة الاسلام ، قبل ابن سينا . وهـو تركى النسب ولـد فى (ديبـج) وهى محلة صغيرة فى اقليم فاراب فيما وراء النهر ، وتتفق دائرة المعارف الاسلامية مـع القفطى فى أن الفارابى أخـذ علوم الحكمة عن الطبيب النصرانى « يوحنا بن جيلان » . وتقول بعض المراجع أنه كان يختلف الى بغـداد حيث أخـذ المنطق عن بشر متى بن يونس الحكيم المشهور .. ثم عاد الى بغـداد وقرأ بها علوم الفلسفة وأكثر المراجع العربية تعـد الفارابى أكبر العلماء والفلاسفة بعـد أرسطو(١١٩) .

ويقـول (ديتريص) فى مقـدمته لرسائل الفارابى (ط ليـدن ١٨٩ ج ٣) : « ان الفارابى قـدس الفلسفة العربية والذى يقرأ الفارابى يجـد فى تفكيره طرافـة ونضوجا وفهما عميقا يدل على طـول تأمل فى الفلسفة . وقـد اعتبر الفارابى من جملة الأطباء ، ويظهر انه لم يباشر مهنة التطبيب بالفعل(١٢٠) . عرف الفارابى منذ أول اتصاله بالحياة الفكرية بأنه كان ميالا الى التأمل والنظر وأنه كان يؤثر العزلة والبعـد عن الناس ، فكان فى شبابه متأثرا بعلوم المنطق والفلسفة ، فهـو فى كهولته كان يميل الى الفن ، ثم ختم حياته بالتعلق بالتصوف . وقـد الف كتبا كثيرة ضاع أكثرها واشتهر بين العرب بشروحه الدقيقة لفلسفة أرسطو ، ولكنه لم يقف عند الشرح ، فقـد ألف طائفة من الرسائل والمقالات والكتب التى تشرح فلسفته الخاصة وهى التى كان يحاول فيها الجمع بين آراء الحكيمين : أفلاطـون وأرسـطو وقـد بلغت مؤلفاته ٢٨ كتابا(١٢١) .

ويرى الفارابى أن العقل يستطيع أن يحكم على الشىء بأنه خير أو شر وهـو بذلك يجارى المعتزلة فيما قرروه من قاعـدة التحسين والتقبيح العقليين اذ يقولون : ان الانسان يجب عليه أن يفعل الخير ويعرفه بعقله ، قبل أن يجىء الوحى به ، ولا شك أنه يخالف أهـل السنة الذين يقولون : ان الخير ما أمر الله به والشر هـو

---

(١١٨) يوحنا بن جيلان : كان حكيما نصرانيا وأستاذا للفارابى .

(١١٩) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٤٥٣ .

(١٢٠) ديبـور : تاريخ الفلسفة فى الاسـلام ص ١٥٠ ، ١٥٣ .

(١٢١) محمد عطيه الأبراشى : نوابغ الفكر الاسلامى ص ٦٧ .

ما نهى عنه[١٢٢] . وهكذا فان الحركة الفكرية فى بغــداد فى العصر العباسى الاول يمكن أن نعتبرها بحــق خلاصة الثقافة العالمية فى ذلك العصر ، فأضافت الى أصالتها العربية ثقافات مختلفة المعارف والثقافات الأخرى[١٢٣] .

عــلم المنطــق :

حين جاء العصر العباسى كانت دعائم الاسلام قــد ثبتت وأصبحت عقــائد الناس لا يخشى عليها من أن تنال منها آراء غريبة على بيئتهم فتغيرت المكانة التى كان يصنع فيها المسلمون الفلسفة ، بل علوم الأوائل كلها . لقــد وجــدوا أنهم فى حاجــة الى البحث فيها ودراستها ، والتزود بمــا تتجه من وسائل فى الجــدل والمناقشة ليتمكنوا من رد الشبهات ، ومقارعة الخصوم والدفاع عن الاسلام[١٢٤] .

يقول حمودة غرابة : « حين وجــــد المعتزلة النساطرة وغيرهم من الفرق المسيحية مسلحين بالثقافة الاغريقية التى عرفــوا عنها كثيرا من المناقشات الشفوية عنــوا هم أيضا فى أن يتسلحوا بها فاستعانوا بالمنصور فى ترجمة المنطق الارسطى . وهكذا كان المنطق أول علم من علوم الفلسفة بمعناه الضيق ، حصل به اشتباك بعلم الــكلام الاســلامى »[١٢٥] .

وقــد تنبه القــدماء الى هــذا الاتجاه فيقول المقريزى : « احتلت المعتزلة والقرامطة والجهمية وغيرهم كتب الفلاسفة وأكثروا من النظر فيهــا والتصــــفح لهــا[١٢٦] . ويقول صاعــد الأندلسى : « ان أول علم اعتنى به من علــوم الفلسفة علم المنطــق والنجــوم »[١٢٧] . ويذكر (هنيرش بيكر) : « ان الاسلام تعرض فى هــذا العهد الى هجمات الغنوص ، وفى هــذا النضال استعان الاسلام اليونانية ، وعنى بايجاد علم من العلوم الدينية والعقلية يشبه عالم العصر المدرسى فى أوروبا فى العصور الوسطى ، فكان الاسلام الرسمى قــد تحالف اذن مــع التفكير اليونانى

---

(١٢٢) المرجــع نفســه ص ٧٥ .

(١٢٣) د. عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٣٠٣ .

(١٢٤) د. الشحات السيد زغلول : السريان والحضارة الاسلامية ص ١٧٢ .

(١٢٥) حموده غرابة : (ابن سـينا بين الدين والفلسفة) . (من مطبـوعات مجمــع البحـوث الاسلامية بالقاهرة ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م) ص ٢٦ .

(١٢٦) المقريزى : الخطط جـ ٢ ص ٣٥٧ .

(١٢٧) صاعـد الأندلسى : طبقــات الأمم ص ٥٦ .

والفلسفة اليونانية ضد الغنوص الذى كان خليطا من المذاهب القائمة على النظر والمنطق وعلى مذاهب الخلاص »[١٢٨] .

ومن هذا يتبين أن الاشتغال بالفلسفة كان وسيلة استعان بهـا المسلمون بعامة والمعتزلة بخاصة فى نصرة الاسلام ، ويزيد ذلك تأكيدا ما يذكره الخياط فى قوله : « ولقد أخبرنى عدد من أصحابنا أن ابراهيم النظام رحمه الله ، قال وهو يجود بنفسه : اللهم ان كنت تعلم أنى لا أقصر فى نصرة توحيدك ، ولم أعتقد مذهبا من المذاهب اللطيفة الا لأشد به التوحيد ، فما كان منها مخالفا فأنا منه برىء : اللهم ان كنت تعلم أنى كما وصفت فاغفر لى ذنوبى ، وسهل على سكرة الموت »[١٢٩] . وان محاولة تطبيق المبادىء الفلسفية فى المجالات الدينية لم تكن وليدة العصر العباسى .

ولقد نجم عن اعتناق الأمم الأجنبية للاسلام وانضوائها تحت لوائه أن صارت تلك الأمم تدون علومها وآدابها باللغة العربية التى تعلمتها بسبب الدين أو تقربا من العرب للفاتحين للاستفادة من الوظائف والمناصب[١٣٠] .

أما الثقافة اليونانية فكان لها أثر كبير فى المسلمين ، ومما زاد فى أثرها أن اتصال المسلمين بها صاحب عمر تدوين العلوم العربية فتسربت الثقافة اليونانية اليها ، وصبغتها صبغة خاصة ، كان لها تأثير كبير فى الشكل وفى الموضوع . أما الشكل فيرجع الى تأثير المنطق اليونانى ، وقد صبغ العلوم العربية صبغة جديدة صبت فى قالبه ، ووضعت على منهاجه ، اذ كان المنطق كما قال ابن سينا « خادم العلوم » عنى به المسلمون من أول عهدهم بالفلسفة[١٣١] .

وقد رأينا أن ابن المقفع ترجم كتب المنطق لأرسطو ، وتتابع المترجمون بعده يترجمون الكتب المنطقية وكان المنطق الذى وصل الى العرب هو منطق أرسطو معدلا ومضافا اليه ومشروحا بمنطق الرواقيين والاسكندريين ولم يزد العرب عليه شيئا يذكر[١٣٢] . وظل المنطق الذى بين أيدينا هو منطق اليونان ، لم يزد عليه

---

(١٢٨) هنيرش بيكر : (تراث الأوائل فى الشرق والغرب) ترجمة د. عبد الرحمن بدوى (بدون) ص ١١ .

(١٢٩) ابن الخياط : الانتصار ص ٤١ .

(١٣٠) د. ناجى معروف : أصالة الحضارة العربية ص ٤٣١ .

(١٣١) أحمد أمين : ضحى الاسلام ج ١ ص ٢٧٤ .

(١٣٢) المرجع نفسه ج ١ ص ٢٧٥ .

الا بعض الشروح ، وقـــد نقل نقلا صحيحا ولم يدخله نقص أو تهويش كالذى كان فى الالهيات اليونانية .

على كل حال ، كان للمنطق سلطان كبير على العقول فى العصر العباسى ، وكان من جراء ذلك أن اصطبغت طريقة الجــدل والبحث والتعبير والتبديل صبغة غير التى كانت تعرف من قبـــل ، فاهتم الفارابى بالمنطق اهتماما عظيما ، وكان لذلك الاهتمام أثر فى تفكير العرب ، فقـــد عـــدوه آلـــة الفلسفة ، والأداة التى يمكن الوصول بهـــا الى التفكير الصحيح ، وقـــد تأثرت الثقافة العربية فى كل لـــون من ألوانهـــا بالتفكير المنطقى ، وقـــد ظهر ذلك بوضوح فى علم الكلام ، وفى الفقه الاسلامى ، وفى النحـــو العربى(١٣٣) .

ثم يعرف الفارابى المنطق بأنه العلم الذى نعلم به الطرق التى توصلنا الى تصور الأشياء والى تصـــديق تصورها على حقيقتها وهـــو لا ينسى أن يوضح لنـــا صـــلة المنطق بالعقل الانسانى فيقول : « ان المنطق قانون للتعبير بلغـــة العقل وصـــناعة المنطق بالنسبة للعقل وجميع المعقولات كصناعة النحو بالنسبة للسان والألفاظ » ويفهم من قوله : أن المنطق ضرورى للتفكير الصحيح ضرورة علم النحـــــو للتعبير الصحيح الخالى من الخطـــأ(١٣٤) .

وكان الخليفة المـــأمون يميل الى المعتزلة لأن آراءهم تتفق مـــع العقل والمنطق ويرتبط بظهور الحركة العلمية ونشاطها فى بغـــداد الحاجة الى المحافظة على المصنفات والكتب المؤلفة فى مختلف العلوم الفلسفية والعقلية التى انفقت فى ســـــبيلها أموالا طائلة(١٣٥) . ومن هنا اقيم بيت الحكمة الذى يحتوى على كثير من المصنفات فى مختلف مجالات الفكر والثقافة وبلغات مختلفة أيضا .

عـــلم الرياضـــيات :

كانت الرياضيات مثلها مثل الفلك من أحب العلوم عند العرب فكثير من القواعد الأساسية للحساب والهندسة والجبر قـــد اكتشفها العلماء المسلمون . ففى الحساب لأننا نستخدم الاعـــداد وطريقة الحساب التى اخترعها العرب ، كما أن اختراع الجبر ، ينسب الفضل فيه الى العرب وهـــو حق على الأرجح .

---

(١٣٣) محمد عطية الأبراشى والتوانسى : نوابغ الفكر العربى ص ٧٣ .

(١٣٤) المرجـع نفسـه ص ٧٣ .

(١٣٥) عصام الدين عبد الرءوف : الحواضر الاسلامية الكبرى ص ٢٤٦ ، ٢٤٧ .

فلما نهض العباسيون نهضتهم العلمية اقتبسوا من الهنود الارقام الهندية . وقد قدروا النظام الترقيمى عند الهنود ، ففضلوه على حساب الجمل الذى كانوا يستعملونه من قبل ، ومن الغريب أن فى بلاد الهند أشكالا متنوعة ومختلفة الأرقام . ولكن العرب بعد أن اطلعوا على أكثر هذه الأشكال كونوا منها سلسلتين عرفت احداهما باسم الأرقام الهندية وعرفت الثانية : باسم « الأرقام الغبارية » ففى بغداد الجانب الشرقى من العالم الاسلامى عم استعمال الأرقام الهندية وهى لا تزال شائعة ومستعملة فى بلادنا(١٣٦) .

وأول من وضع من المسلمين كتابا فى الحساب محمد بن موسى الخوارزمى كذلك كان أول من الف فى الجبر وفتح أبواب عصر جديد فى الرياضيات على مصراعيه ؛ كتب فى الجبر والمقابلة تحقيقا لرغبة الخليفة المأمون ، وكان الخوارزمى أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وبصورة منطقية ، وأول من استعمل كلمة جبر التى دخلت اللغات الأوروبية ينطقها الغربى AL GEBRA . ولقد عرف العرب حل المعادلات من الدرجة الثانية وهى نفس الطريقة المستعملة الآن فى كتب الجبر فى المدارس الثانوية(١٣٧) كما يقول الأستاذ قدرى طوقان فى كتابه العلوم عند العرب .

ولم يجهلوا أن لهذه المعادلات جذرين واستخرجوهما اذا كانا موجبين وهذا من الأعمال التى توصل اليها المسلمون ، وفاقوا بها غيرهم من الأمم التى سبقتهم ، وكذلك ابتكروا طرقا هندسية لحل بعض المعادلات . وفى باب المساحة فى كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمى عمليات هندسية حلها بطرق جبرية ويقول د. على مصطفى مشرفه : أنه يجب الا يعزب عن بالنا انه رغم البحوث المستفيضة فى الرياضيات عند الاغريق والهنود ، فاننا لا نعثر على كتاب واحد عندهم يشبه كتاب الخوارزمى ، ولذلك عمل الدكتور مشرفة الى القول بأنه لم يكن قبل الخوارزمى علم يسمى بعلم الجبر(١٣٨) . كانت النتيجة المباشرة اذن توفيق علماء المسلمين بين حساب الهنود وهندسة الاغريق ، أن نشأ علم الجبر الذى لولا الأرقام الهندية واستعمالها لما نما هذا النمو العظيم فى أيدى المسلمين . ذلك انه عندما انتقلت الأرقام الهندية الى المسلمين وامتزج الحساب الجديد عندهم بالهندسة الاغريقية أصبح

---

(١٣٦) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٠٤ .

(١٣٧) قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٠٩ .

(١٣٨) جلال مظهر : علوم المسلمين اساس التقدم العلمى الحديث ص ٤٥ .

من الممكن لعبقرى من نوع الخوارزمى أن يضع علم الجبر الذى بناه على الجمع بين الفكرة الهندسية والفكرة الفردية لكميات(١٣٩) .

وكان ظهور الخوارزمى فى عصر المـأمون الذى عينه رئيسا لبيت الحكمـة ذا مقام كبير عنده فأحاطه بضروب من الرعاية والعناية وأقام فى بغـداد حيث اشتهر وذاع صيته وانتشر اسمه بين الناس(١٤٠) .

برز فى الرياضيات والفلك ، وكان له أكبر الأثر فى تقـدمهما وارتقائهما فهو أول من استعمل علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب وفى قالب منطقى علمى ، وكفاه فخرا أنه أول من ألف كتابا فى الجبر فى علم يعـد من أعظم أوضاع العقل البشرى لمـا يتطلبه من دقـة واحكام فى القياس . ولهـذا الكتـاب قيمة تاريخية فعليـه اعتمد علماء العرب فى دراساتهم عن الجبر ، ومنه عرف الغربيون هذا العلم(١٤١) .
قال عنه فيليب حتى : « كان الخوارزمى من أفضل العقول العلمية من المسلمين وهـو بلا شك الرجل الذى أثر أبلغ التأثير فى الفكر الرياضى طيلة العصور الوسطى »(١٤٢) .

ويعتبر الخوارزمى احـد العلمـاء الرياضـيين الذين خـدموا بيت الحكمـة بمـا ألفـوه من الكتب فى الرياضيات والهيئة . فمن أشـهر هـذه الكتب : الجبر والمقابلة ، وكتاب العمل الأسطرلابى(١٤٣) . وتعتبر كتب الخوارزمى هى من خيرة ما أنتجه الفكر وهو الذى مهد للجبر والحساب فى كثير من المسائل التى لا تزال تدرس فى هـذه الأيام ، وكان قـد جمع هـذا بكتاب ألفـه للخليفة المـأمون بناء على طلبـه(١٤٤) .

وهـو ككل علماء الرياضة عالم فلكى قبل كل شىء . وقـد ألف فى الحساب . وكان المظنون أن كتابه فيه قـد فقـد ، ولكن فى سنة ١٨٥٧ م ظهرت لـه ترجمة لاتينية من عمل (Atheord of Bath) وقـد وجـدت هـذه الترجمة فى مكتبة جامعة كمبردج . ويبدأ كتابه هـذا فى الحساب بهـذه العبارة : « يقـول

(١٣٩) المرجع نفسـه ص ٤٦ .
(١٤٠) قـدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٠٤ .
(١٤١) المرجع نفسـه ص ١٠٤ .
(١٤٢) فيليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٤٦٣ .
(١٤٣) ابن النـديم : الفهرسـت ص ٣٨٣ .
(١٤٤) قـدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٨٠ .

الخوارزمى بعـــد حمد لله هادينا وحامينا » وقـــد قال أحـــد الكتاب المســلمين ان حساب الخوارزمى يفـــوق كل كتاب اليسار الى اليمين ، ولكن من المدهش أنه فى الطرح أخطـــأ فى تفسير الحالة التى يكون فيها الرقم المطروح أكبر من الرقم المطروح منه أما فى الضرب فقـــد أخـــذ عنه الهنود طريقتهم بعـــد تعـــديلها لكى تكون ملائمة لاتباعها كتابه ، حيث كان يضع كل حاصل ضرب جزئى فوق الرقم المقابل فى المضروب ولم يكن يطمس الأرقام كما يعمل الهنـــــود بل كان يكتفى بشطبها . أما فى القسمة فالعملية هى هى . فالمقسوم عليه يوضع تحت المقسوم ، ويكتب الخارج فـــوقه ، أما التغيرات الحادثة فى المقسوم من طرح الحواصل الجزئية فتكتب[١٤٥] فوق الخارج .

وقـــد شرح الخوارزمى طريقته هـــذه شرحا مستفيضا فى كتـــابه ، واتبعهـــا الأوروبيون الأوائل . الذين اقتفـــــوا أثر العرب وأخـــذوا عنهم نماذج طرائقهم على ان العرب الذين جاءوا بعـــده أدخلوا تعـــديلا على طريقة الخوارزمى هـــذه فاقتربوا كثيرا من طرائق اليـــوم الشائعة[١٤٦] .

وجاء بعـــد ذلك ثابت بن قرة ليتم ما بدأه الخوارزمى وترجم الى العربية أهم الكتب الرياضية التى وضعها أقليدس وأرشميدس وبطليموس ، ووضع عـــداذلك كتبا مبتكرة ، ولم يعثر الباحثون الا على قسم من كتاب فى الجبر ، يشتمل على فصل واحـــد من المعادلات التكعيبية ومعادلات الدرجة الثالثة . وقـــد استخدم فى حلهـــا علم الهندسة كما فعل الخوارزمى[١٤٧] .

وقـــد أخـــذ العالم الرياضى الايطالى (GIROLAMA CARDAN) الذى عـــاش فى القرن السادس عشر عن ثابت بن قرة طريقته الهندسية فى حل معادلات الدرجـــة الثالثـــة وصـــار علم الجبر يتقـــدم بسرعة بعـــد زمن ثابت بن قرة . أما الأجـــزاء التى اختص بها العرب فهى حل المعادلات والمسائل التى تئـــول فى حلها الى معادلات وخـــواص الاعـــداد[١٤٨] .

ويمتاز ثابت بناحيتين ، الأولى : نقله كثيرا من التآليف الى العربية فقـــد نقل من علوم الأقـــدمين مؤلفات عـــديدة فى الطب والمنطق والرياضيات والفلك ، وأصلح

---

(١٤٥) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٧٣ .
(١٤٦) المرجـــع نفســـه ص ٧٣ .
(١٤٧) المرجـــع نفســـه ص ٧٥ .
(١٤٨) المرجـــع نفســـه ص ٧٥ .

الترجمة العربية للمجستى وجعـل متنه سهل التناول ، واختصره اختصارا لم يوفق الى غيره ، وقـد قصـد من هـذا المختصر تعميم المجستى وتسهيل قراءته ، ولا يخفى ما أحـدث تعميمه من أثر فى نشر المعرفة ، وترغيب العلماء فى الرياضـيات والفلك(١٤٩) . أما الناحية الثانية : فهى اضافاته الى الرياضيات واشتغل فى الهندسة التحليلية وأجاد فيها اجادة عظيمة . وله ابتكارات سبق فيها ديكارت وقـد وضـع كتابين فيه : علاقة الجبر بالهندسة ، والهندسة بالجبر ، وكيفية الجمع بينهما وطرق هندسية استعان بها بعض علماء الغرب فى بحوثهم الرياضية(١٥٠) .

ولثابت مقالة فى الاعـداد المتحابة ، وهـو استنباط عربى يدل على قـوة الابتكار التى امتاز بها ثابت ، ونفهم من هـذه المقالة أن ثابتا كان مطلعا على نظرية فيثاغورس فى الاعـداد وأنه استطاع أن يجـد قاعـدة عامة لايجاد الاعـداد المتحابة . وثابت اول شرقى بعـد الصيرفيين بحث فى المربعات(١٥١) السـحرية وخصائصـها .

ومن المؤسف حقـا ألا يصادف الباحث الا القليل من كتبه ورسائله وأن يكون القسم الأعظم قـد ضـاع أثناء الحروب والانقلابات . ومن هـذه ما هـو فى غاية الخطورة من الوجهتين الرياضية والطبية . ولـو عثرنا على بعض منها ، لانجلت بعض النقـاط الغامضة فى تاريخ الرياضيات فلقد كان من رسالته فى النسبة المؤلفـة أن استعمل « الجيب » والخاصة الموجودة فى المثلثات والمسماة بدعـوى الجيوب ، وكذلك لولا بعض القطع التى وصلت الينا من كتاب لـه فى الجبر : لمـا عرفنا أنه بحث فى المعادلات التكعيبية(١٥٢) .

هـذا هـو مجمل من مآثر ثابت بن قرة فى الرياضيات تبين منه الأثر الكبير الذى خلفه فى ميدان العلم ، كما تتجلى فيه العبقرية المنتجة التى تقـدمت بالعـلوم خطوات واسعة ، مهـدت لايجاد فروع هامة من الرياضيات لولاها لمـا تقـدم الاختراع والاكتشاف تقـدمهما المشهور(١٥٣) .

---

(١٤٩) قـدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٢٧ .
(١٥٠) المرجـع نفسـه ص ١٢٨ .
(١٥١) المرجـع نفسـه ص ١٢٩ .
(١٥٢) المرجـع نفسـه ص ١٢٨ .
(١٥٣) المرجـع نفسـه ص ١٢٩ .

ثانيا ــ نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وحثهم على طلب العلم والمعرفة :

ان مجالس الخلفاء العباسيين أنفسهم كانت مدارس علم ، ومواطن معرفة وملتقى أفكار ، ومنارات اشعاع ، حيث تحتك العقول ، وتتصارع الآراء بين أقطاب الثقافة وفحول العلم والمعرفة(١٥٤) . فكان بيت الحكمة الذى وضع أساسه الرشيد وعمل المأمون من بعده على امداده بمختلف الكتب فى العلوم التى اشتغل بها العرب من أكبر خزائن الكتب فى العصر العباسى ، فكانت تحوى كل الكتب فى العلوم التى اشتغل بها العرب ، كما كان للعلماء والأدباء الذين يختلفون اليها أكبر الأثر فى تقدم الحركة العلمية فى عهد العباسيين ونشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى . ولم يقتصر تشجيع العلم على الخلفاء بل تعداهم الى الوزراء وسائر كبار رجال الدولة(١٥٥) .

فلقد ذكر المسعودى : « أن يحيى بن خالد البرمكى كان يميل الى البحث والمناظرة ، وكان له مجلس يجتمع فيه أهل الكلام من أهل الاسلام وغيرهم من أهل النحل ، أما أصحاب كتاب « التوحيد الأدبى » فانهم يقولون : اتسعت رقعة المملكة الاسلامية ودخل كثير من الأمم المختلفة فى الاسلام وعظمت الحضارة فى الدولة العباسية ، واحتاجت هذه الحضارة العظيمة الى علم واسع عميق ترتكز عليه ، وتنتفع به فأخذت الدولة تشجع كل ذى ثقافة أن يعنوا بثقافتهم يهضمونها ويترجمونها ويؤلفون فيها باللغة العربية ، وظهرت فى الدولة العباسية خلاصة ثقافات الأمم ، وتمازجت وائتلفت ، وعرضت على أنظار الناس يأخذون ما يشتهون ويستمدون منها ما يفقهون : كل على حسب ميله واستعداده وذوقه ووجهته ، وهذا يعنى بالفلسفة وفروعها ورابع بالتاريخ وسياسة الأمم(١٥٦) وهكذا .

يقول الأستاذ نيكلسون(١٥٧) : « وكان لانبساط رقعة الدولة العباسية ، ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها ، أثر كبير فى خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل ، حتى لقد بدا ان الناس جميعا من الخليفة الى أقل أفراد العامة شأنا غدوا فجأة طلابا للعلم ، أو على الأقل أنصارا للأدب . وفى عهد الدولة العباسية كان الناس يجوبون ثلاث قارات سعيا الى موارد العلم والعرفان ليعودوا الى بلادهم كالنحل يحملون الشهد الى جموع التلاميذ المتلهفين ، ثم يصنفون بفضل

---

(١٥٤) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٣٢٢ .

(١٥٥) د. ابراهيم أبو خشب : تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول ص ١٤١ .

(١٥٦) المسعودى : مروج الذهب جـ ١ ص ٤٨ .

(١٥٧) NICHOLSON : Literary History of the Arabs, p. 281.

ما بذلوه من جهد متصل هـــذه المصنفات التى هى اشبه بدوائر معارف ، والتى كان لهـــا أكبر الفضل فى ايصال العلوم الحـــديثة الينا بصورة لم تكن متوقعة من قبل » .

هـــذا فى الشرق الاسلامى فى العصر العباسى الأول ، أما فى الغرب فقـــد نافست قرطبة بغـــداد والبصرة والكـــوفة ودمشق والفسطاط فأصبحت حاضرة الاندلس سوقا نافقة للعلم وكعبة لرجال الادب ، حتى جـــذبت مساجدها الأوروبيين الذين وفـــدوا اليها لارتشاف العلم من مناهله والتزود من الثقافة الاسلامية ومن ثم ظهرت فيها طائفة من العلماء والشعراء والأدباء والفلاسفة والمترجمين والفقهـــاء وغـــــيرهم(١٥٨) .

وفى هـــذا العصر (العصر العباسى الأول) ظهر نوعان من العلماء : **الأول** : هم الذين يغلب على ثقافتهم النقل والاستيعاب ويسمون أهـــل العلم . **والثانى** : هم الذين يغلب على ثقافتهم الابتداع والاستنباط ويسمون أهـــل عقل . وقـــد ذكر ابن خلكان(١٥٩) . : « ان الخليل بن احمد اجتمع بابن المقفع وتحـــدثا فى شتى المسائل فلمـــا افترق قيل للخليل : كيف رأيت ابن المقفع ؟ فقال : رأيت رجلا علمـــه أكثر من عقـــله . وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ قال : رأيت رجـــلا عقـــله أكثر من علمــــــه » .

كما كان للعلماء والأدباء الذين يختلفون اليها (بيت الحكمة) أكبر الأثر فى تقدم الحركة العلمية فى عهد العباسيين ونشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى(١٦٠) والواقع أن هـــدف بيت الحكمة لم يقتصر على جمـــع الكتب وحفظها وانشاء قسم للترجمة فيها ، فقـــد أخـــذ المـــأمون يحث الناس على مطالعة الأسفار والاهتمام بصناعتى النساخة والتقميش(١٦١) . فهـــذا بيت الحكمة أول مؤسسة ثقافية عند المسلمين يدين للخليفة المـــأمون بما منحه لـــه من عنـــاية وكما أضفى عليه من قـــوة ، وما أنفـــق من مال ، فكسبت اللغـــة العربية كثيرا من الزاد والمعرفة بما أجرى فى بيت الحكمة من ترجمة اليها من اللغات الأجنبية وبواسطة بيت الحكمة حفظ للانسانية كثير من تراث الاغريق الذى ضاعت اصوله ولم يجـــد العالم غير الترجمات العربية وسيلة للوصول الى هـــذا التراث(١٦٢) .

---

(١٥٨) د. حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسى والاجتماعى والثقافى جـ ٢ ص ٣٢٢ .

(١١٩) ابن خلكان : وفيـــات الاعيـــان جـ ١ ص ١٧٣ .

(١٦٠) حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسى والاجتماعى والثقافى جـ ٢ ص ٣٤٨ .

(١٦١) ابن النـــديم : الفهرســـت ص ٢٤٨ .

(١٦٢) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ٣٥٣ ، ٣٥٦ .

ان بيت الحكمة الذى اسسه العباسيون يسر للناس سبل الدرس والمطالعة والتأليف والترجمة لمن يرغب ، كما شوق الخلفاء الناس الى التعليم والاقبال عليه فيحضرون معهم المناظرات العلمية التى تجرى بين العلماء فى هذه الدار فى مختلف العلوم والفنون وابداء الآراء وغير ذلك(١٦٣) .

فقد ساهمت مؤسسة بيت الحكمة فى نشر التعليم والمعرفة بين المسلمين وغيرهم وحثهم على طلب العلم والمعرفة باعتبارها مؤسسة ثقافية عالية تهدف الى نشر الحكمة والعلم والأدب بين المسلمين وغيرهم ، وهم جميعا يتولون امور الدار ويشرفون عليه ، ولذا نجد الروح العلمية هى السائدة فى الدار وحرية الكلام والمعتقدات مطلقة ، وتحكيم العقل والمنطق فوق كل اعتبار(١٦٤) .

---

(١٦٣) سعيد الديوه جى : بيت الحكمة ص ٣٨ .

(١٦٤) المرجع نفسه ص ٥٣ .

ثالثا ــ ادخال نظام جـديد للمكتبات على العالم الاسلامى :

ان المكتبات كانت طريقة للقـدماء فى نشر العلم ، ولمـا كان يتعـذر على غير الأغنياء اقتناء الكتب نظرا لأنهـا كانت مخطوطات غالية الثمن ، لجـأ من أحب التعليم الناس الى انشاء مكتبة يجمع فيها الكتب ويفتح أبوابها للناس كما فعل العباسيون فى بيت الحكمة(١٦٥) .

ثم كانت المكتبات نواة الجامعات الاسلامية الكبرى ، كبيت الحكمة فى بغـداد ودار الحكمة فى القاهرة ، ثم أصبحت هـذه نماذج لهـذا النوع من المنشآت سواء شيدتها الدولة أو أسسها الأفراد ، وعلى هـذا أصبحت المكتبات فى العالم الاسلامى فى تلك العصور تقـوم مقام مهمة المعاهـد العلمية فى العصر الحـديث بالاضافة الى ما تؤديه دور الكتب فى الوقت الحاضر(١٦٦) .

ونعرض بعض نماذج قليلة لمكتبات انشأها الأفراد وكانت بدور العلم الحـديثة اشبه . حـدث ياقـوت(١٦٧) قال : كان بكركر من نواحى القفص (قرية قريبة من بغـداد) ضيعة نفيسة لعلى بن يحيى المنجم وقصر جليل فيه خزانة كتب عظيمة يسميها خزانة الحكمة يقصـدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ، ويتعلمون فيها صنوف العلم ، والكتب مبذولة فى ذلك لهم ، والنفقة فى ذلك من مال على بن يحيى فهـذه مكتبة فيها مساكن لطلاب العلم وفيها طعام لهم ونفقة ، أليست اذن بالمدرسة اشبه ؟ انها لا ينقصها الا المعلم لتكون مدرسة بها مكتبة ، بل ان المعلم أيضا ، وجد فى بعض المكتبات ، ولكنها ظلت تعـد مكتبة لسبب من الأسباب كأن يكون المعلم لا ينتظم جلوسه للطلاب لأنه لا يتخـذ التدريس وظيفته الأولى أو تكون المؤسسة غنية بالكتب فى موضوعات متعـددة فتستهوى الكتب الناس أكثر ممـا يستهويهم الاستماع للدرس وهكذا .

فالمكتبات كانت مدارس للتعليم ومؤسسات ينفق عليها الأمراء والأثرياء والعلماء لتنشر العلم بينهم وخصوصا فى ذلك الزمن الذى لم تكن فيه الطبـاعة موجودة فكانت الكتب تنسخ على أيدى النساخ المتخصصين لهـذا العمل فكان يبلغ بذلك ثمن الكتاب حـدا قـد يتعـذر على طالب العلم أو العالم الفقير شراؤه ، فكيف اذا أراد أن تكون

---

(١٦٥) جرجى زيدان :التمدن الاسلامى ج ٣ ص ٢١٠ .

(١٦٦) د. احمد شلبى : تاريخ التربية الاسلامية ص ١٣٩ .

(١٦٧) ياقوت الحموى : معجم الأدباء ج ٥ ص ٤٦٧ .

لـــه مجموعة من الكتب فى الفن أو العلم الذى يتخصص فيه ؟ ومن هنا كان قيـــام المكتبات فى مجتمعنا المـــاضى منبعثا من عاطفة انسانية وعن نزعـــة علمية فى وقت واحـــــد(١٦٨) .

بهـــذه الروح العلمية شغف علماؤنا وأغنياؤنا وأمراؤنا بالكتب وجمعها حتى كانـــوا يرون نكبتهم فى أموالهم وبيـــوتهم أيسر عليهم من نكبتهم فى كتبهم(١٦٩) . وبهـــذه الروح العلمية كانوا يتنافسون فى شراء المؤلفات العلمية من مؤلفيها بعـــد الانتهاء من تأليفها ، وقـــد نشأ عن هـــذه الروح العلميـــة انتشار المكتبات فى شتى انحـــاء العالم الاسلامى ، فقلما كانت مدرسة ليس بجانبها مكتبة ، وقـــل أن تجـــد قرية صـــغيرة ليس فيها مكتبة أما العواصم والمـــدن فقـــد كانت تغص بدور الكتب بشكل لا مثيل لـــه فى تاريخ العصور الوسطى(١٧٠) .

وساعدت صناعة الورق على اذكاء حماس العرب حين تضخم انتاجهم العلمى بل لقـــد ساعدت هـــذه الصناعة على حـــدوث انقلاب فكرى هائل اذ ســـهل تداول الكتب العـــديدة المترجمة أوالمؤلفة على السواء ، وكان من الطبيعى أن تظهر نواة مكتبات عربية .. ما لبثت أن نمت لتصبح بمرور الوقت مكتبات كبيرة .. ثم بدأت تتعـــدد وتنتشر فى أرجاء العالم الاسلامى(١٧١) .

أما فى قصور الخلفاء والأمراء فكانت كمكتبات عامة تفتح أبوابها لكل راغب فى القراءة والاطلاع ولم يضن الخلفاء عليها بمـــال أو جهـــد بل زودوها بمختلف المؤلفات الثمينة ، ويسروا أسباب الراحـــة لروادها(١٧٢) .

وقـــد كرس الخليفة المـــأمون شطرا كبيرا من وقته وماله لدعم المكتبات وظهر ذلك واضحا فى اهتمامه بالدار التى بدأ الرشيد بانشائها فى بغـــداد والتى تبنـــاها المـــأمون فى حماس واخلاص منقطع النظير . ونعنى بها « بيت الحكمة » أو دار العلم فقـــد أمر المـــأمون بتزويدها بكل ما وصـــل اليه من مخطوطات أجنبية مترجمة ،

---

(١٦٨) د. الشيخ مصطفى حسنى السباعى : من روائع حضارتنا ص ١٥٣ .
(١٦٩) المرجـــع نفســـه ص ١٥٤ .
(١٧٠) المرجـــع نفســـه ص ١٥٥ .
(١٧١) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٧٦ .
(١٧٢) المرجـــع نفســـه ص ٧٧ .

وشـجع المـأمون طلاب العلم على التردد عليها للقراءة ودبر لهم سبل الاقـامة وأسباب الراحـة ؛ فذهب الى حـد اقامة جنـاح ملحق بالدار يضم عـددا من الحجرات الصغيرة ، خصصت لينال فيها من يشاء من رواد الدار قسطا من الراحة . كما يقـدم لهم الطعام والشراب دون مقابل[١٧٣] .

ولم تأل الدولة العباسية جهـدا فى تزويد قاعات المكتبات والخزائن والمقاعد ؛ كما وفرت للقراء : المحابر والأقـلام والاوراق . ولا شـك أن انتشار المكتبات العامة فى ارجاء العالم الاسلامى فى العصور الوسطى واتباعها هـذه الأنظمة وفتح أبوابها لكل قارئ ونسخير كل هـذه الامكانيات لخـدمته دليل ناطـق على تقـدم العرب الفكرى والعلمى ومدعاة للفخر ويسجل لهم ولتاريخهم بمـداد من نور[١٧٤] .

كانت المكتبات نوعين رئيسيين : عامة وخاصة . اما العامة فقـد ينشـئها الخلفاء والأمراء والأغنياء . كانت تشيد لهـا أبنية خاصة فهناك دار الحكمة التى انشأها الفاطميون فى مصر ودار الحكمة فى قرطبة . كما عرف نظام المكتبات الملحقـة بالجامعات أو المدارس على غرار ما هـو حادث اليوم .

وقـد تبارى الأثرياء فى اقامة المكتبات فى قصورهم فكانوا يرون فى ذلك مدعاة للفخر دليلا على اعتزازهم بالعلم والثقافة وكانوا يفتحون أبوابها للعلماء والدراسين وقـد قـدر عـدد المكتبات العامة فى أسبانيا وحـدها بنحو سبعين مكتبة عامة ادت واجبها على الوجـه الأكمل بفضل النظام الدقيق الذى وضع لهـا[١٧٥] .

وان المتتبع للوائح هـذه المكتبات ونظام الاستعارة الداخلى والخارجى الذى عرفه وطبقه العرب فى مكتباتهم . ليدهش حقـا لمدى الدقـة التى اتسمت بهـا أعمالهم . فكانت الاستعارة الداخلية سهلة ميسورة ، اذ وضعت الكتب فى متناول القارئ على الأرفف دون أن يحجزها عن القراءة حاجز ، كما هـو متبع الآن فى أحـدث المكتبات العامة . أما نظام الاستعارة الخارجية فقـد عرفه العرب ايضا ، ولكنه كان قاصرا على طلاب العلم الموثوق بهم . وكان يطلب عادة بعـد تقـديم ضمان مالى كاف كما كان نظام الاستعارة الخارجى يقضى بالتجـديد فترة لا تتجـاوز

---

(١٧٣) محمد ابراهيم الصيحى : العلوم عند العرب ص ٧٧ .
(١٧٤) المرجع نفسـه ص ٨١ .
(١٧٥) المرجع نفسـه ص ٧٩ .

شهرين لمستعير الكتاب خلالها ، ومن الطريف أنه وجد فى مكتبة قرطبة نسخة خطية من كتاب : « العبر والمبتدأ والخبر »(١٧٦) . وقد كتب مؤلفه ابن خلدون على غلافه بخط يده هذه العبارة « لا يجوز اعارة هذا الكتاب اعارة خارجية الا اذا كان المستعير شخصا موثوقا به وأمينا على أن يدفع ضمانا ماليا » . وكان يشرف على هذه المكتبة ويقوم على ادارتها وخدمة الرواد والقراء جهاز فنى وادارى مهمته تقديم كل عون ممكن للقارىء . ويقوم على رأس هذا الجهاز أمين المكتبة ويسمى « الخازن » ويعاونه عدد من النساخ وبعض المناولين ، فكان أمين المكتبة يقوم بعمل فنى خالص بسبب ما فى المكتبة من كتب وأسماء مؤلفيها ومحتويات كل منها . أما مهمة المناولين فى ارشاد القارىء الى موضع الكتاب الذى يريده أو احضاره اليه حينما يجلس ، فكانت بعض المكتبات تستعين بعدد من الجوارى لنقل الكتب النادرة الى طلاب القراءة ويروى أن احدى مكتبات قرطبة كانت تستعين بمائة وسبعين جارية لهذا الغرض(١٧٧) .

وقد عرف العرب نظام تصنيف الكتب فقسموها الى أقسام حسب العلوم والفنون وسجلوا على غلاف كل كتاب اسمه واسم مؤلفه ليسهل على القارىء التقاط الكتاب الذى يريده دون عناء ، وهو نفس النظام المتبع فى أرقى مكتباتنا الآن .

وبعد ، فلئن كانت النشوة تملأ نفوسنا حين نتحدث عن انتشار المكتبات فى العالم الاسلامى فى عصور حضارتها الزاهرة ، فان الأسى ليملأ قلوبنا حين نتذكر مصائر هذه المكتبات ، وما تعرضت له من بوادر وحرائق لا يمكن أن تقدر خسارة العلم فيها أبدا . لقد أصيبت مكتباتنا بما قضى على ملايين الكتب منها بحيث فقدها العالم الى الابد وهى من أثمن ما خلفه الفكر الانسانى فى التاريخ(١٧٨) .

---

(١٧٦) المرجع نفسه ص ٧٩ ، ٨٠ .

(١٧٧) المرجع السابق نفسه ص ٨٠ .

(١٧٨) د. الشيخ مصطفى حسنى السباعى : من روائع حضارتنا ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة



١ ـ مكانة جامعة بيت الحكمة بين الجامعات الحـديثة وأثرها فيها •

٢ ـ بيت الحكمة كجامعة ذات أثر فكرى وفلكى فى الجامعات الحـديثة •

٣ ـ تأثير جامعة بيت الحكمة فى الجامعات الحـديثة فى شتى فروع العـلم والمعـرفة •

أولا — مكانة جامعة بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة وأثرها فيها :

ومن القرن الثانى الهجرى بدأت الحضارة الاسلامية تأخذ دورها القيادى لتضىء للبشرية ظلمات عصورها الوسطى ، وتحدد مسراها الى فجر النهضة ، وعلم العصر الحديث . حضارة عربية اللسان والقلم اسلامية الجوهر والروح والفكر والمنهج . شاركت فيه شعوب الأمة من أقصى الشرق الآسيوى الى أقصى المغرب الأفريقى . وتألق ضياء مناراتها من نيسابور والرها وأصبهان وخوارزم وبخارى وسمرقند وبغداد والبصرة والكوفة والاستانة وبيروت ودمشق وحلب والقدس ومكة والمدينة الى القاهرة والاسكندرية ودمياط وطرابلس والقيروان وتلمسان وقسطنطينية ووهران وفاس ومراكش وطنجة وسبتة وطليطلة وقرطبة وأشبيلية ومرسيه(١٧٩) .

وكانت فترة نهوض الحضارة الاسلامية العظيمة من أهم فترات التاريخ فكانت أوروبا خلالها سادرة فى عصورها المظلمة ، فمنذ القرن الأول حتى القرن السادس الهجرى الموافق للقرن السابع وحتى القرن الثانى عشر الميلادى سيطرت الحضارة الاسلامية على المعارف الشرقية والغربية ، وبلغت هذه السيطرة أقصاها فى القرن الرابع الهجرى الموافق للحادى عشر الميلادى .

وهكذا فان العرب بدافع من مبادىء الاسلام السامية تحولوا الى أمة فتحت العالم فى أقصر مدة فكانت بغداد وقرطبة مركز الخلافة والبحث العلمى — ويمكن اعتبار القرنين الثالث والرابع الهجريين الموافقين للتاسع والعاشر الميلاديين القرنين الذهبيين لعلماء العرب والمسلمين الذين يدين لهم العالم بالكثير لحفظهم القديم وتنمية لما ابتدعوه من فتوحات علمية جديدة(١٨٠) .

فقد صحح المسلمون علوم الأقدمين بالقدر الذى سمح به علم عصرهم وأضافوا علوما جديدة مثل الكيمياء والجبر فى صورته الجديدة — وعلم البصريات الهام — وحساب المثلثات المسطح ، والحساب الجديد الذى نقلوه عن الهنود وطوروه وجعلوه علما ، هذا فضلا عن كثير من الاضافات الأخرى . لذلك كون المسلمون تراثا علميا جديدا مميز الطابع نستطيع بحق أن نصفه بالتراث العلمى

---

(١٧٩) د. عائشة عبد الرحمن : (**القرآن وقضايا الانسان**) (دار العلم للملايين — بيروت — لبنان ط ٢ ١٩٧٥ م) ص ٣٦٥ .

(١٨٠) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العربى الاسلامى ص ١٧ ، ١٨ .

الاسلامى الذى أصبح فيما بعــد الأساس الذى ارتكزت عليه الحضارة الحديثة[181] . يقول حيدر بامات : « لم تسهم مدرسة بغــداد اسهاما قويا فى ايقاظ أوروبا فحسب ، كما كتب دى سيموندى بل أشرقت بالضياء على كل آسيا »[182] .

ويقول جــلال مظهر : لقــد أسس هارون الرشيد بيت الحكمة ومدرسة الترجمة التى أخــذت فى عصر الخليفة المــأمون صــورة أكاديمية فقامت المدرسة بأكبر مجهود فى ترجمة العلوم والفلسفة والمعارف القــديمة حتى أصبح تحت يد العرب مختلف علوم الأسبقين ومعارفهم[183] .

لقــد كان تأسيس بيت الحكمة فى بغــداد حــدثا هاما من احــداث العصور الوسطى وليس من المغالاة فى شىء أن نقــول أن هــذه المؤسسة قــد لعبت دورا هاما وكانت تجمع بين الاكاديمية والمكتبة ومركز الترجمة فى نقــل تراث الحضارات القــديمة الى العالم الغربى ، فقــد قامت هــذه المؤسسة الرائعة التى ضمت أسماء من المسيحيين واليهود والعرب على الاهتمام بالمعــارف الأجنبية ، من علوم وفلسفة اليونان ومؤلفات جالينوس وأفلاطــون وأرســطو والشارحين من أمثــال الاسكندر ... الخ[184] .

ويرجع الفضل لمدرسة بغــداد الذى كان بيت الحكمة حجر الأساس لهــا حيث كان تأثيرها حتى النصف الثانى من القرن الخامس عشر ، فى الحفــاظ على استمرارية الحضارة واصلاح سلسلة المعارف الانسانية التى حطمت بقسوة فى القرن السادس واضمحلال روما وسقوطها . ولو اقتصرت حضارة الاســلام على مجرد انقــاذ الحضارة القــديمة بالحفاظ عليها بعناية ثم نقلها للأجيال التالية لكانت هــذه خــدمة تجــل عن الوصــف[185] .

يقول سيديو : « وهــو حجة فى هــذا الموضوع » : ان ما تمتاز به مدرســة بغــداد هــو الروح العلمية الصادقة التى وجهت كل أعمالها فكانت تتقــدم من المعلوم الى المجهول ، تراقب الظواهر بكل دقــة لتستنتج الأسباب من النتــائج ،

---

(١٨١) جلال مظهر : علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث ص ١٧ .

(١٨٢) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ٨١ .

(١٨٣) جلال مظهر . علوم المسلمين أساس التقدم العلمى الحديث ص ١٥ ، ١٦ .

(١٨٤) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ٧٨ ، ٧٩ .

(١٨٥) المرجع نفســه ص ٨٠ .

ولا تقبل حقيقة الا متى اثبتتها التجربة . كانت هـــذه هى توجيهات أساتذتها . لقـــد امتلك العرب فى القرن التاسع الوسائل العلمية الفنية ، التى استطاع العلماء فى العصر الحـــديث أن يستخدموها فى اكتشافاتهم العظمى »(١٨٦) .

سارت الحياة الثقافية والعلمية فى القرون الوسطى فى رعاية الاسلام وكيف شـــجع الخلفاء العلماء فى ظـــل الحرية للفكر والعقيدة . فى ظـــل التشجيع الأدبى والمـــادى ازدهرت العلوم والفنون الاسلامية ازدهارا كبيرا ، بينما كانت أوروبا فى القرون الوسطى فى ظلام دامس وصراع مستمر . فكان الجهـــل سائدا وكان العقل والفكر فى نوم عميق(١٨٧) .

كان خلفاء المسلمين يشجعون العلم ويخـــدمون العلماء ويجزلون لهم العطاء لهـــذا انتعشت فروع العلم والمعرفة فى الأرجاء الاسلامية وقامت حضارة كانت موضع تقـــدير جيرانها(١٨٨) . ولهـــذا عندما صحت أوروبا من نومها لم تجـــد غير علمـــاء الحضارة الاسلامية فاسرعت نحـــوها تنهل من علمها وثقافتها وفنها . وكان الخلفاء واباطرة الروم يتبادلون السفارات الخاصـــة لدراسة الكتب النادرة واستقدام كبـــار العلماء للاسهام فى الحركة العلمية أو لتسهيل مهمة بعض الطـــلاب لتلقى العلم فى الجامعات الكبرى فى عواصم العرب والروم ولا سيما اذا كانت تتعلق بأمور تفيـــد الناحيـــة الحربيـــة(١٨٩) .

قال سيديو : ان علماء المسلمين هم فى الواقع أساتذة أوروبا فى جميع فروع المعرفة ، وقـــد أيده رينـــان الفيلسوف الفرنسى عندما قال : « ان العلوم والحضارة مدينة بازدهارها وانتشارها للمسلمين وحـــدهم طـــوال ستة قرون » وفى معرض آخر يقول جوستاف لوبون : « لقـــد عاشت جامعات الغرب خمسمائة سنة تنقـــل عن العرب وتتعلم منهم »(١٩٠) .

وكما عـــد المؤرخون عهد هارون الرشيد وابنه المـــأمون عصر القـــوة فى الدولة العباسية عـــدوا كذلك عهد المعز وابنه العزيز عصر الازدهار للدولة الفاطمية ،

---

(١٨٦) سيديو : خلاصة تاريخ العرب ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(١٨٧) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٣١ .

(١٨٨) المرجـــع نفســـه ص ١٥٣ .

(١٨٩) المرجـــع نفســـه ص ١٥٠ .

(١٩٠) قـــدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك ص ٢٥٠ .

وعهد الناصر وولده المستنصر العصر الذهبى لدولة العرب والاسلام بالأندلس . وهنا وهناك كانت النهضة العلمية تساير عصر القوة للدول الثلاث فكانت جامعة بيت الحكمة فى بغداد وجامعة دار الحكمة فى القاهرة وجامعة قرطبة فى ألاندلس عنوان هذه النهضة رمزا معبرا عنها وآية من آيات عزها(١٩١) .

انتقل تراثنا مع ثمار حضارتنا عبر الدردنيل والبحر الأسود وقزوين وصقلية وأسبانيا ، فأخذوا هناك فى حركة الاحياء (الرينسانس) التى بدأ بها تاريخ النهضة الحديثة فى أوروبا . ويمكن تقدير مدى أثر جامعة بيت الحكمة فى الجامعات الحديثة اذا عرفنا أن جامعة بولونيا بايطاليا أسست ١١١٩ م وأن جامعة أكسفورد أسست ١٢٢٩ م وجامعة السوربون بعد ذلك ، فهى بذلك أقدم جامعة فى العالم كله(١٩٢) .

ولعل ظهور جامعات اسلامية دينية عريقة فى الشرق الاسلامى من أهمها الأزهر الذى قام فى اول الأمر على أنه جامع لنشر الدعوة الفاطمية ولكن سرعان ما تحول الى جامعة علمية تعليمية والى جانب الأزهر قامت جامعة بيت الحكمة فى بغداد وجامعة القرويين فى المغرب وجامعة قرطبة فى الأندلس(١٩٣) .

وكانت كلها تقوم على أساس المزج بين الدين والفكر الانسانى . واذا كانت الجامعات الاسلامية قد بدأت بالمسجد الجامع ، واستمرت عصورا مستقرة فيه فانها مع ذلك لم تقف عند المنهج الدينى الذى بدات به ، بل تطورت مع العصور ، حتى أضحت تجمع بين العلوم الدينية والدنيوية . ونستطيع أن نقول ان الجامعات الأوروبية بدات تسير على نفس النمط الذى كانت تسير عليه الجامعات الاسلامية . فقد بدأت يغلب عليها الطابع الدينى وان كانت تحررت منه بعد ذلك(١٩٤) .

وللعرب فى الأندلس علاقة بتأسيس جامعة مونبلييه التاريخية فقد ألقى البروفسور دالماس عميد كلية الطب محاضرة فى قاعة البلدية عن انشاء جامعة مونبلييه عامة وكلية الطب خاصة قال فيها : « عندما أراد أهل مونبلييه فى أوائل القرن الثانى عشر ، انشاء جامعتهم ، وجدوا أنه ليس فى مدينتهم الأساتذة والعلماء والكفاءة اللازمة لانشاء الجامعة والقاء المحاضرات العلمية العالية ففكروا بالاستعانة

---

(١٩١) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٢٨ .

(١٩٢) أنور الجندى : (الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال أفريقيا) . (الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م) ص ١٣٨ .

(١٩٣) د. سيد ابراهيم الجيار : دراسات فى تاريخ الفكر التربوى ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

(١٩٤) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٢٢ .

بجامعات اخرى لهـذه الغاية فنظروا أولا الى باريس فرأوا أنها ليست أحسن حالا منهم ثم فكروا فى روما فوجـدوا أنهم أحسن حالا منهم ، أما انكلترا وألمانيا فكانتا لا تزالان فى الأشواط الأولى من التعلم والثقافة . وبعـد بحث قرروا أن لا مناص لهم من طلب تلك المساعدة الفنية من البلد الوحيد الذى يستطيع أن يمدهم بالأساتذة والخبراء الأكفاء . هـو الدولة العربية الاسلامية فى الأندلس ، فاتصلوا بها وعرضوا عليها وضعهم فلبت الحكومة العربية طلبهم وأرسلت الى مونبلييه ثلاثة من كبـار الأساتذة المشهورين بالطب والعلوم والفلسفة . وعكف هؤلاء على مهمتهم ، وأخذوا ينظمون الجامعة لا سيما كلية الطب مع الأساتذة الفرنسيين ، كما ألقوا المحاضرات العلمية فيها ، خلال ثلاث سنوات ، وبعـد مدة كافية وجـدوا أن فى امكان الأساتذة الفرنسيين الاستمرار فى عملهم دون الحاجة اليهم ، فاستأذنوا فى العودة الى أعمالهم فى جامعاتهم فى أسبانيا العربية »(١٩٥) .

ويشهد مؤرخـو الحضـارة الغربية من أمثال ديبـور وأوليرى وتوينبى وكراتشكوفسكى .. بأن الفكر الاسلامى هـو الذى قـدم الى الغرب شعاع النور الذى أضاء مسراه الى عصر النهضة الحـديثة(١٩٦) . فقـد قـام الأمير فردريك بتأسيس جامعة نابولى عام ١٢٢٤ م وجعلها مدرسة لنقل العلم العربى الى العالم الغربى ، وأن جامعة بولونيا وبادوفا قامتا على الثقافة العربية ، وبخاصة فلسفة ابن رشـد وطب ابن سينا . وفى صقلية اعتمدت جامعة باليرمو أقـدم جامعة غربية على الثقافة العربية التى حرص الأمير « ريجـار » و « روجيرو » على استعارتهـا منا ، واستقدم لهـا الاعلام من علماء العرب وكان منهم « الادريسى » الذى الف لامير صقلية كتاب « نزهة المشتاق فى اختراق الافاق » وصنع كرة أرضية من الفضة كتبت عليها بالذهب أسماء الأقاليم والمدن الكبرى(١٩٧) .

ليست أوروبا أرض حضارة ، ولا أرقى تقـدما ولا أعلى ذوقا ، ولا اجمل مظهرا عمـا كانت عليه الحضارة الاسلامية فى بغـداد والأندلس يوم أن كانت أوروبا غارقة فى جهلها وظلامها كانت شوارع المسلمين فى أيام حضـارتهم الزاهية مضاءة مبلطـة بالأحجار ، كانت لهم جوامع كثيرة ومكتبات مرتبة ومستشفيات منظمة .. غير ما كانوا عليه من حرية وحب وأخاء وتراحم(١٩٨) . وهكذا ، ظلت جامعة بيت الحكمـة منارة للجامعات الأوروبية الحـديثة وذات تأثير قوى فى جميع فروع العلم والمعرفة فيها .

---

(١٩٥) المرجـع نفسـه ص ١٢٥ .

(١٩٦) د. عائشة عبد الرحمن : تراثنا بين ماض وحاضر ص ٤٣ .

(١٩٧) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٤٣ ، ٤٤ .

(١٩٨) المرجـع نفسـه ص ٤ .

ثانيا ـ بيت الحكمة كجامعة ذات أثر فكرى وفلكى فى الجامعات الحديثة :

كانت أهم وجوه النشاط العلمى فى العالم تجرى فى بيت الحكمة الذى رعاه المأمون فى بغداد .. وفى بيت الحكمة هذا كان تأثير الخوارزمى على الفكر الرياضى أكبر من تأثير أى رياضى آخر فى العصور الوسطى(١٩٩) .

قامت مدرستا بغداد ودمشق الفلكيتان فى عهد هارون الرشيد والمأمون بأعمال جليلة فى علوم الهيئة والتنجيم (علم النجوم) وقد وضع حينذاك أفق الاستواء بثلاث وعشرين درجة وثلاثة وثلاثين دقيقة وخمسين ثانية وهو نفس ما اهتدى اليه علماء الفلك على عهدنا بآلاتهم الكثيرة وأدواتهم الحديثة . فكانوا يعرفون جيدا مدار السنة برصد الاعتدالين وجعلوا عدتهم فى ذلك قياس قوس خط الزوال وهو ما لم يقم بمثله غيرهم الا بعد مضى الف سنة من استنباطهم اياه وعملهم به ، فضلا عن الكثير من المزاول والساعات الرملية والمائية التى اخترعوها لتحديد ضبط الوقت(٢٠٠) .

وقد صدر عن مدرسة بغداد فى عهد هارون الرشيد والمأمون بعض المؤلفات الهامة ، فروجعت النظريات القديمة ، وصوب العديد من أخطاء بطليموس وصححت جداول اليونان ، والى مدرسة بغداد يرجع الفضل فى اكتشاف حركة نقطة الأوج فى مدار الشمس وتقدير انحراف المدار البيضاوى ونقصانه المتوالى والدراسة التفصيلية لتقدير مدة السنة ، وقد لاحظ علماء بغداد عدم انتظام أقصى ارتفاع للقمر واكتشفوا التباين القمرى الثالث ويعرف باسم « التغيير » وراقبوا الكلف (البقع) الشمسية ودرسوا الكسوف والخسوف وظهور المذنبات وغيرها من الظواهر الفلكية وشكوا فى ثبات الأرض . فكانوا السابقين الأوائل لكوبر نيكوس وليكر(٢٠١) .

وقد سجلت نتائج هذه المراقبات التى قامت بها مدرسة بغداد فى الجداول المحققة ويعتبر يحيى بن أبى منصور المؤلف الرئيسى لهذه الجداول ، ومن أشهر

---

(١٩٩) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٦٣ .

(٢٠٠) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : (**أصالة العلم وانحراف العلماء**) (دار نهضة مصر ـ القاهرة ـ بدون) ص ٦ .

(٢٠١) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ٩٩ .

علماء هـذه المدرسة نذكر البتانى الذى يعتبره « لالاند » اشـهر عشرين فلكيا فى العالم ، وأبو الوفا الذى يرتبط اسمه بأحد أساسيات علم الفلك ، وهـو التباين القمرى الثالث ، وقـد سبق هـذا الفلكى المسلم الدنماركى نيكوبراهى الذى ينسب اليه خطأ هـذا الاكتشاف سبقه بعشرة قرون(٢٠٢) .

ولعل اهتمام المـأمون فى بغـداد بالاكاديمية العلمية ألا وهى بيت الحكمـة حيث الحق بها مكتبة ضخمة ومرصـدا تم بناؤه تحت اشراف سند بن على رئيس الفلكيين فى ذلك الوقت . وبالاضافة الى ذلك أقيم مرصـد آخر فى سهل تدمر وقـد عززت هـذه المراصـد بأجهزة فلكية تشبه الآلات الأجنبية ولكنها تفوقها فى الدقة ، وهـذه الأجهزة من صنع نخبة من العلماء على رأسهم على بن عيسى الأسطرلابى الذى اشتهر بذلك الاسم ، لبراعته فى صناعة هـذا الجهاز الفلكى وشرح تفصيله وطرق استعماله فى كتاب يعتبر الأول من نوعه ، وأبو على يحيى بن أبى منصور الذى زاد فى دقـة أجهزة الأرصاد بتقسيم درجاتها الى ستة اجزاء ، حتى تعطى القيمة المطلوبة اقرب ما يمكن الى الحقيقة ، وعلى أساس ارصاده وارصاد زملائه ، ثم عمـل الحسابات اللازمة لنشر الزيج المـأمونى وبعض الكتب الأخرى فى علوم الفـلك(٢٠٣) .

كما شـجع المـأمون علماء جامعة بيت الحكمة على البحث فى هـذا المضمار ومن اهم النتائج التى توصل اليها علماء المسلمين فى عهده قياس محيط الكرة الارضية ، فقـدروه بـ ١٢٤٨ كم ، وهـو قريب من النتائج التى توصلنا اليها فى هـذا العصر بالحسابات الالكترونية كما قلبوا الشمس والقمر والنجـوم بطرق هندسية دقيقـة قريبة من الصـواب(٢٠٤) .

وباقامة مرصـد بغـداد ، بدأ سير العرب فى الطريق الايجابى نحـو نهضة علم الفلك ، فاجتمع فى ذلك المرصـد حشد من كبار العلماء دأبوا على تسجيل ارصاد لمختلف الظواهر الفلكية بصفة مستمرة ، وذلك لأول مرة فى تاريخ علم الفلك ، فكانت تلك الأرصاد تؤخـذ بطريقة جماعية حتى أصبح من أشق الأمور المقارنة بين هـذا وذاك الا بالمؤلفات الخاصة لكل منهم أو بالمنصب الذى كان يتولاه(٢٠٥) .

---

(٢٠٢) المرجـع نفسـه ص ١٠٠ .

(٢٠٣) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٢٠٤) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : أصالة العلم وانحراف العلماء ص ١٧ .

(٢٠٥) د. امام ابراهيم أحمد : تاريخ الفلك عند العرب ص ٢٨ .

ولا يفوتنا أن نشير الى انتقال عـدوى حب العلم ورعايته من الخليفة المـأمون الى الكثيرين من رعاياه ومن بينهم الثلاثى الشهير (بنو موسى وهم أحمـد ومحمـد والحسن) أبناء موسى بن شاكر الذين سبقت الاشارة اليهم فقـد تفردوا فى وقتهم بالوقوف على دقائق علم الفلك والاستكشافات الفلكية المهمة كتحـديد حركة المبادرة السنوية أى تقهقر نقطتى الاعتدالين ورسم مواقع النجوم على مدار السنة وقيـاس عرض مدينة بغـداد بأنه ٢٣ درجـة و ٢٠ دقيقة وهـو العرض الصحيح الـذى استخرجه العلمـاء فى عصرنا[٢٠٦] .

ونهض المسلمون بعلم الفلك ، وعرفوا الكواكب والمجموعات النجمية ، ولا تزال فى اللغات الأجنبية الفاظ عربية لبعض النجوم مثل : السماك والرامح والواقع والطائرة والمرأة والسلسلة ذات الكرسى والذئب وفم الحـوت .. ومن آلات الرصـد التى استعملها علماء المسلمين آلات ذوات أوتار تسمى ذوات الشعبتين ، ذات الجيب وذات السمت والارتفاع والأسطرلاب واللبنة ذات الحلقة والحلقة الاعتزالية .. كما اهتم علمـاء المسلمين بعلم الازياج ، وهى جـداول فلكية تستند الى قوانين رياضية .. ومن اشهر الازياج التى اولاها المسلمون عنايتهم التامة ، زيج البتانى ، وزيج البلخى وزيج الفزارى وزيج العلائى ، وزيج الخوارزمى[٢٠٧] .

وجماع القول ان للعرب افضالا كبيرة على الفلك منها أولا : نقلوا العلوم الفلكية عند اليونان والفرس والكلدان والسريان وصححوا بعض اغلاطها وتوسعوا فيها ، وهـذا عمـل جليل جـدا ، اذا عرفنا ان اصول تلك الكتب ضاعت ولم يبق منهـا غير ترجماتها فى العربية ، وهـذا طبعا ما جعـل الأوروبيين يأخـذون هـذا العلم عن العرب فكانوا ــ اى العرب ــ أساتذة العالم فيه . ثانيا : فى اضافاتهم الهـامة واكتشافاتهم الجليلة التى تقـدمت بالفلك شوطا بعيدا . ثالثا : فى جعلهم علم الفلك استقرائيا وفى عـدم وقوفهم فيه عند حـد النظريات كما فعل اليونان . رابعا : فى تطهير علم الفلك من ادران التنجيم[٢٠٨] .

لا شـك ان العرب لم يصلوا بعلم الفلك الى ما وصلوا اليه الا بفضل المراصد ، وقـد كانت هـذه نادرة جـدا قبل النهضة العلمية العباسية ونذكر من علماء العرب

---

(٢٠٦) السيد محمود ابو الفيض المنوفى : أصالة العلم وانحراف العلماء ص ١٧ .

(٢٠٧) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العربى العلمى الاسلامى ص ٧٦ .

(٢٠٨) قدرى حافظ طوقان : تراث العرب العلمى فى الفلك والرياضيات ص ١٣٨ .

المبرزين فى علم الهيئة ابو عبد الله بن محمد بن جابر بن سنان الحرانى المعروف بالبتانى فقـد كانت منزلته فى قومه كمنزلة بطليموس فى اليونان فكانت مصنفاته حاوية شتات الحقائق الفلكية التى لم يحصلها العقل البشرى الى عهده ، ومن آثاره القيمة الزيج المنسوب اليـه وقـد ضمنه مواقـع الكواكب سنة ٢٩٩ هـ وفى مكتبـة الفاتيـكان نسخة خطية من هـذا الزيج النفيس ، وقـد طبعه منذ عهد غير بعيد العـلامة (نالنيـو) عن نسخة خطية اخرى موجودة فى مكتبة (الأسكوريال) وترجمـه الى اللاتينيـة(٢٠٩) .

ولكن مهما كانت الظروف والاحـوال فقـد كانت بيت الحكمة جامعة واسعة تثرى الفكر العربى والاسلامى والانسانى بعلومها المختلفة ، فيدرس فيها اشـهر العلمـاء والحكماء والفلاسفة والمنجمين والفلكيين وبقيت ذات أثر فكرى وفلكى فى الجامعـات الحـديثة .

(٢٠٩) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : أصالة العلم وانحراف العلماء ص ١٦ .

ثالثا — تأثير جامعة بيت الحكمة فى الجامعات الحديثة فى شتى فروع العلوم والمعرفة :

كانت بغداد مركزا للعلوم والمعارف فى ظل الخلافة الاسلامية فكانت جامعة بيت الحكمة تضم مكتبة ومجمعا علميا ادبيا ودارا للترجمة ، وقد أمر الخليفة المأمون بترجمة جميع مؤلفات الاغريق الى العربية ، كما ان مؤلفات بطليموس وأقليدس وارسطو وغيرهم انتقلت آخر الأمر من بغداد الى الجامعات الاسلامية فى البلاد النائية مثل صقلية والأندلس وانتقلت المعارف العلميه الى أوروبا فى العصور الوسطى من خلال الجامعات الأندلسية التى أسسها المسلمون[٢١٠] .

وفى العصر العباسى بدات الحركة العلمية فى جميع المجالات وازدهر الطب ضمن جميع فروع المعرفة ، فقد فتح خلفاء بنى العباس مدارس وجامعات تدرس علم الطب فى كل من بغداد والبصرة والكوفة ودمشق[٢١١] . فقد ظهر طبيب عربى اسلامى ، ونظريات علمية مبتكرة ولمع ابو بكر الرازى الذى وضع دائرة معارف طبية تقع فى ٢٥ جزءا وترجمت جميعها الى اللاتينية ، وظلت تدرس فى جامعات أوروبا حتى نهاية القرن الخامس عشر[٢١٢] .

وللرازى من كتب الطب والفلسفة وغيرها شىء كثير ، وما زال الناس يعولون على كتابه حتى ظهر كتاب القانون لابن سينا وهو معروف حتى اليوم . وأبو بكر الرازى الذى نعتوه بجالينوس العرب كان مديرا لأطباء مستشفى الرى ، ثم مدير البيمارستان فى بغداد لبراعته فى الطب وتنسب اليه خياطة الجروح الباطنية بأوتار العود ، وقد الف كتبا عديدة كانت المعول فى دراسة الطب بالمعاهد والجامعات الأوروبية فترة طويلة من الزمان واهمها كتاب الحاوى[٢١٣] . ويعتبر من أوسع دوائر المعارف فى الطب والجراحة ويفوق فى الحجم قانون ابن سينا ويشتمل على جميع ما يحتاج اليه طالب الطب من مداواة الأمراض والعلل .

تقول د. شوارتزهت : وزير صحة جمهورية المانيا الاتحادية فى افتتاح المؤتمر الدولى بالقاهرة حيث شهدت بذلك فى قولها : « ان الغرب لن ينسى ابدا انه مدين

---

(٢١٠) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ١٩ .

(٢١١) المرجع نفسه ص ٢٧ .

(٢١٢) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢٠٨ .

(٢١٣) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٤١١ ، ٤١٢ .

للعرب بدراسة الطب ، وان مؤلفات ابن سينا والرازى كانت هى الكتب الوحيدة التى تدرس فى جامعة بالرمو التى تضم اشهر مدرسة للطب فى العالم الغربى ، وكانت هــذه الكتب قــد ترجمت الى اللغـــة اللاتينية » . ويشـهد بذلك أيضا مدير جامعة برلين ورئيس فرع الطب بها حيث قال فى حفـــل أقيم بالكلية : « أيها الطلاب العرب ، والآن اسمحوا بأن نعلمكم ونعيد على أسماعكم ما أخـــذناه من أسلافكم وتعلمنـــاه عن آبائكم »(٢١٤) .

وكان الرازى موضع تقــدير الجامعات الحـــديثة ، فقــد خصصت جامعـــة برستون الأمريكية اكبر جناح فى أجمل بناء لهـــا لعرض مآثر هـــذا الطبيب المسلم الذى يعـــد أول واضع لعلم الطب التجريبى ، اذ كان يجرى تجاربه على الحيوانات لبختبر تأثير الأدوية فيها ، ثم يسجل جميع ملاحظاته .. وهذا ما يفعله الأطباء الآن .

وفى باريس تعلق كلية الطب على جـــدرانها صورة « الرازى » ضمن صـــور اكبر الأطبـــاء الذين خـــدموا الانسانية ولهـــذه الأعمال الجليلة والانتاج العلمى الوافر سمى هـــذا العالم المسلم « ابو الطب العربى » و « جالينوس العرب »(٢١٥) .

وظلت كليات الطب فى أوروبا تعتمد على كتب الرازى زمنا طويلا ، كما كان قانون ابن سينا فى الطب موضع اهتمام الغرب ودراستهم منذ القرن الثالث عشر الى السادس عشر ، ولا يزال أهـــل فارس يتداولونه بمـــا وصفه ابن ســـينا الى أيامنا هـــذه لذلك فان كتب الرازى وابن سينا كانت أساسا للتدريس فى جامعـــة لوفان فى القرن السابع عشر من الميلاد(٢١٦) .

وقـــد عـــد لكلرك فى تاريخ الطب العربى ثلاثمائة كتاب نقلها الغرب من العربية الى اللاتينية وطبعت مرارا وخاصة فى سنة ١٥٠٩ م فى فينيسيا وفى سنة ١٥٢٨ م وفى سنة ١٥٧٨ م فى باريس وآخر مرة أعيد فيها نشر مؤلفه عن الجـــدرى(٢١٧) كان فى سنة ١٧٤٥ م . وكان الطب العربى أساس علم الطب عند الفرنسيين ، أخـــذوه مـــع كثير من الألفاظ العربية . ودرس بعض الغربيين العلوم المختلفة على علمـــاء

(٢١٤) المرجـع نفسـه ص ٤٤٤ .

(٢١٥) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢٣٢ .

(٢١٦) جوستاف لوبون : حضـارة العرب ص ٥١٧ .

(٢١٧) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١١١ .

عرب(٢١٨) ، كما سبق العرب الأفرنج الى وصف الجـــذام وشرح مرض الجـــدرى والحصـــبة وعـــلاج أمراض العـــين(٢١٩) .

والحقيقة ان الطب الأوروبى الحـــديث مستنبط من بدايته من الطب العربى الاسلامى ، اذ يقول « رام لاندو » فى كتابه « الاسلام والعرب » لم يوسسع المسلمون فى دراستهم وبحوثهم الطبية آفاق الطب فحسب بل وسعوا المفاهيم الانسانية على وجـــه العموم ، واذا كان من واجبنا أن نعتبر فلق الذرة والقنبلة الذرية رمزا لأروع المنجزات العلمية فى منتصف القرن العشرين ، فلن يبـــدو من مجرد المصادفة أيضـــا ان تكون جهود المسلمين الطبية المبتكرة قـــد قادتهم الى اكتشـــاف لا يقـــل عن هـــذا الكشف الذرى ثورية ، وان يكون فى أغلب الظن أكثر منه نفعا »(٢٢٠) .

وهكذا انتقـــل الطب العربى الى أوروبا فأنشئت مدارس الطب فى « مونبلييـــه وبولونيا وبادوا وأورليان ونابولى واكسفورد وكمبردج وانجيه » وكلها تستخدم الكتب العربية المترجمة الى اللاتينية أساسا لتدريس الطب فى جامعاتها(٢٢١) .

ولو احصينا عـــدد الأطباء المسلمين الذين نبغـــوا فى الطب بعـــد عصر ترجمة الكتب الطبية حتى انقضاء النهضة العباسية وابتـــداء عصر التقهقر لزاد عـــــدد المؤلفين فيهم على بضع مئات ، واكثرهم اشتغلوا بسائر العلوم والفوا الكتب العديدة وترى ذلك مفصلا فى طبقـــات الأطبـــاء لابن أصيبعة وتراجم الحكماء لابن القفطى . أما عـــدد الأطباء على الاطلاق فمما لا يمكن حصره لضياع ذلك مـــع الزمان وانمـــا يستدل من بعض القرائن انه كثير جـــدا . اذن كانت جامعـــة بيت الحكمة ذات تأثير عظيم فى الجامعات الحـــديثة فى مجال الطب .

اما فى مجـــال الكيمياء فقـــد اشتهر العرب شهرة واســـعة ، يقول الفيلسوف الانكليزى « باكون » ان جابر بن حيان الكوفى يعـــد معلم العالم فى الكيمياء .. ولجابر ابن حيان قـــول مأثور : ان واجب المشتغل فى الطبيعيات والكيمياء ، هـــو العمـــل

---

(٢١٨) محمد كرد على : الحضـارة الاسـلامية حـ ١ ص ١٩٨ .

(٢١٩) عباس العقاد : اثر العرب فى الحضـارة الأوروبية ص ٣٩ .

(٢٢٠) د. على عبد الدفاع . الموجز فى التراث العلمى العربى ص ٢٦ .

(٢٢١) د. عبد الرحمن بدوى : (دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى) (دار العلم للملايين - بيروت - ابريل ١٩٧٩ م) ص ٢١ ، ٢٢ .

(٢٢٢) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ٢٠٨ .

واجراء التجارب ، فان المعرفة الحقيقية لا تحصل الا بها . وفى عهده عرف التقطير والتصعيد والترشيح ، وكلها عمليات فيزيائية ، كما عرف حمض الكبريت ، وحمض الأزوت ، والصودا الكاوية وكثير من المواد الكيماوية الأخرى[٢٢٢] .

كما قام العرب باكتشافات هائلة من بينها الماء الملكى وحمض الكبريتيك وحمض الأمرونيك ، ونترات الفضة ، والعرب فى العمليات الكيماوية التى قاموا بها استطاعوا تحضير حمض الزرنيخ وأكسيد الزئبق وأكسيد الحديد وأكسيد النحاس وكبريتات النحاس وكبريتات الزئبق . وكلورود الزئبق الذى حضره جابر بن حيان بغلى الزئبق مع الملح العادى ونترات الألومن ، وأشهر الكيميائيين العرب الذين عرفتهم أوروبا فى جامعاتها من غير شك جابر بن حيان[٢٢٣] . الذى كان يعيش فى سنة ٧٧٦ م . وفى خلال القرون الوسطى ترجمت عدة مقالات عن جابر بن حيان الى اللاتينية وكان له أثر كبير فى تكوين مدرسة كيمياوية ذات أثر بالغ فى بلاد الغرب[٢٢٤] . وقد نقل كتابه المعروف بكتاب « الاستتمام » الى اللغة الفرنسية فى سنة ١٦٧٢ م مما يدل على دوام نفوذه العلمى فى أوروبا مدة طويلة[٢٢٥] .

وكان لنقل كتب جابر بن حيان وأبى بكر الرازى وغيرهم الى اللغات الأوروبية أن تلقى الأوروبيون عن العرب تقسيم المواد الكيماوية الى نباتية وحيوانية ومعدنية[٢٢٦] . ويدين الطب لعلم الكيمياء العربى بسلسلة من أشكال العقاقير كالشراب الحلو المستخرج من نبات الكرنب مع السكر الذى مثل دورا هاما فى تاريخ الطب[٢٢٧] . وهذا ما دفع العالم ليبرى الى أن يقول : « احذفوا العرب من التاريخ ، يتأخر عصر النهضة فى أوروبا عدة قرون » اما الكيمياء الحديثة فيقول العارفون من علماء أوروبا أن العرب هم الذين وضعوا أساسها بما كانوا يقومون به من تجارب ، وبما كانوا يهيئون من مستحضرات كيماوية استعملت فى صناعات شتى كصناعة الورق والصابون والأصبغة والمفرقعات والأدوية ، وقد نقل الغربيون عنهم بعض الصناعات ولا سيما صناعة الورق ، كما نقلوا الى لغاتهم أكثر من خمسين اسما من الأسماء الكيمياوية التى وضعها العرب حيث لم يتركوا بابا الا طرقوه[٢٢٨] .

---

(٢٢٣) د. عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوروبى ص ٢١ .

(٢٢٤) اسماعيل مظهر : تاريخ الفكر العربى ص ٦٩ .

(٢٢٥) جوستاف لوبون : حضارة العرب ص ٥٠٣ .

(٢٢٦) عباس العقاد : أثر العرب فى الحضارة الأوروبية ص ٤٣ ، ٤٤ .

(٢٢٧) زغريد هونكه : اثر الحضارة العربية فى أوروبا ص ٣٣٦ ، ٣٢٨ .

(٢٢٨) د. عز الدين فراج : فضل العلماء المسلمين على الحضارة الاوروبية ص ١٦٣ .

وأبرز دور للعرب فى تكوين الفكر الأوروبى هـو فى العلم بمختلف فروعه الطب والكيمياء والفلك والرياضيات . أما الرياضيات فقـد كان للعرب الفضل الأكبر لأنهم هم الذين أدخلوا النظام العشرى فى العـدد ، اذ كان اليونانيون انما يستعملون فى العـدد حروف الأبجـدية من (١) الى (٩٩٩) ثم يستعملون الشرطة والشـولة والنقطة للعـدد فيما بعـد ذلك حتى آلاف الآلاف . وكان الرومان يستعملون سبعة احرف من الابجـدية هى I,V,X,L,C,D,M وتدل على التوالى على ١ ، ٥ ، ١٠ ، ٥٠ ، ١٠٠ ، ٥٠٠ ، ١٠٠٠ ، ثم يضعون فوقها شرطة أفقية تدل على أن العـدد مضروب فى ١٠٠٠ ، وجاء الهنود فاخترعوا نظام العـد العشرى وفيه تتوقف قيمة العـدد على موضعه . فالعـدد على يمين الواحـد غيره على شماله ، وهكذا ، واستعملوا الصفر للدلالة على الخلو من الوحـدة . وجاء العرب فاخترعوا طريقة لكتابة الآعـداد هى طريقة « الغبار » وهى التى انتشرت فى المغرب ومنه انتقلت الى أوروبا ولا تزال اليوم فيما نسميه نحن بالأرقام الهندوستانية وهى التى لا تزال تكتب بهـا الأرقام فى المشرق العربى حتى اليوم ، وقـد دخلت الرياضيات العربية أوروبا على يد Leonardo de pissa فى القرن الثالث عشر(٢٢٩) .

اما جبر الخوارزمى فله فى تاريخ العلوم الرياضية مكانة سامية لأن كل ما ألفه العرب فيما بعـد عن الجبر وكل كتب الجبر التى ظهرت فى القرون الوسطى مبنيـة كلها عليه ، ومنه انتقلت طريقة العـددية العشرية أو الهندية الى الغرب ، وكتابه الجبر هـو المعروف باسم « الجبر والمقابلة »(٢٣٠) . وجاء بعـد ذلك ثابت بن قرة ليتم ما بذاه الخوارزمى وترجم الى العربية أهم الكتب الرياضية التى وضعها أقليـدس وأرشميدس وبطليموس ووضع عـددا ذلك كتبا مبتكرة لم يعثر الباحثون الا على قسم من كتابه الجبر ، ويشمل على فصل واحـد من المعادلات التكعيبية ، ومعادلات الدرجة الثالثة ، وقد استخدم فى حلها علم الهندسة كما فعل الخوارزمى . ان مؤلفات العلماء المسلمين فى الحساب والجبر وحساب المثلثات قـد بلغت شأنا كبيرا . ولولاهم لـما عرف ما وضعه الاغريق من مبادىء فى هـذا المجال ولولاهم لـما جاءت هذه الاضافات الكثيرة والتصحيحات العـديدة فى هـذه الميادين ولولاهم لتخبط اهـل أوروبا فى هـذه المجالات ولعجزوا عن معرفة معالم الطريق .. وحتى لو بداوا من اول الطريق لاحتاجـوا الى عشرات القرون ليصلوا الى نقطة النهاية التى تركها لهم علماء المسلمين

---

(٢٢٩) د. عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الاوروبى ص ١٧٠ .

(٢٣٠) د. عز الدين فروخ : فضل العلماء المسلمين على اوروبا ص ٧٣ ، ٧٤ .

ليستكملوا المسيرة(٢٣١) . وهــذا الدور الاسلامى كان من ناحيته أساسا لنهضة القرن التامن الهجرى فى أوروبا .

فاذا انتقلنا من الرياضيات الى الفلك والتنجيم وجــدنا العرب قــد أثروا تأثيرا بالغــا فيما يتعلق بالأرصاد الفلكية ومن العرب الذين عرفتهم أوروبا فى هــذا الباب محمد بن موسى الخوارزمى الذى ذكرناه آنفا ، فان الألواح الفلكية التى وضعها وفقــا لأرصاد بعضها قام هــو بها وبعضها تأثر فيها بالهنود ، فقــد ترجمها الى اللاتينية سنة ١١٢٦ م كذلك ذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن كثير الفرغانى ولــه فى الفلك كتاب كان ذا أهمية بالغــة فترجمه الى اللاتينية خــوان الأشبيلى وجيراردو الكرمونى كما ترجمه الى العبرية يعقوب الاناضولى ونشرت الترجمة اللاتينية مع النص العربى فى أمستردام سنة ١٦٦٩ م . وهــو الذى قاس قطر الأرض بمقــدار ٦٥٠٠ ميل . ولا يفــوتنا أن نذكر أبا معشر جعفر البلخى وترجم لــه الى اللاتينية كتاب بعنوان : (Introdurtoriun in Astronmiam Albumasoris) وترجمه لــه خــوان الأشبيلى وطبع سنة ١٤٨٩ م ، وسيورج سنة ١٤٥٩ م فى فينيسيا وفيه وضع نظرية عن المــد والجزر(٢٣٢) .

فالبتانى الذى عمــل فى المرصــد بدار الحكمة ببغــداد اكتشف تغــير أوج الشمس ، وحسب السنة بمقــدار ٣٦٥ يوما وخمس ساعات و ٤٦ دقيقة و ٢٤ ثانية ، والفلكيون اليوم يحسبونها بمقــدار ٣٦٥ يوما وخمس ساعات و ٤٨ دقيقة و ٤٧ ثانية ، كما تنبأ الفلكيون العرب بكسوف الشمس وخسوف القمر بدرجة من الدقــة المتناهية أذهلت الناس ، وأولوا القمر اهتماما خاصا ، لأن السنة العربية قمــرية(٢٣٣) .

ولا نعجب أن يحلق البتانى وكتابه « الزيج الصابى » وشهرتهما الى الآفــاق حتى أن « الفونس العاشر » ملك قشتالة أمر بأن يترجم — الزيج الصــابى — الى اللغة الأسبانية ... حيث طبع مــع شروح وهوامش مرفقة به عــدة مرات اعتبارا من العام ١٩٤٦ م فمــا الذى أتى به البتانى ؟ وامتاز به عن بقية علماء الفــلك وهم كثيرون ؟ لقــد باشر البتانى أرصــاده فى مرصــد بنــاه لنفسه فى أنطاكية وهــو

(٢٣١) المرجع نفســه ص ٧٦ .

(٢٣٢) د. عبد الرحمن بدوى : دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى ص ١٩٠ .

(٢٣٣) المرجع نفســه ص ١٩ ، ٢٠ .

المعروف بمرصد البتانى وذلك فى تمام عام ٢٦٤ هـ ، واستطاع أن يصل الى جملة حقائق(٢٣٤) :

(أ) رصد الزاوية المحصورة ما بين المستوى المار بخط الاستواء الأرضى والمستوى المار بمدار الأرض حول الشمس وهى ما تدعى (بزاوية الميل الأعظم) .

(ب) حسب البتانى طول السنة الشمسية وحسابه لا يختلف عما هو معروف اليوم الا بمقدار دقيقتين .

(جـ) أثبت البتانى امكانية حدوث الكسوف الحلقى للشمس .. بينما نفى العلماء ممن اتى قبله امكانية حدوث مثل هذا الكسوف(٢٣٥) يقول المؤرخ سكوت لم يتعد الحقيقة بقوله : من مآذن المساجد ببلرم كان الفلكى العربى يرقب حركات النجوم ، ويعين مواقيت الخسوف والكسوف ومواقع النجوم مستعينا على ذلك بآلات اخترعت فى حوض الوادى الكبير ، وعند نهر دجلة ومستعينا أيضا بزيجات ثبتت فى سهول بابل قبل المسيح بقرون .

والعرب كانوا اول من بنى مراصد فلكية فى أوروبا ، وأول من عمم فكرة كروية الأرض وجعلها مفهوما عاما ، بينما كان الرأى السائد فى أوروبا يؤكد أن الأرض مسطحة بكل ما يحمل هذا التأكيد من استحالة وكان العرب يدرسون الجغرافيا فى مدارسهم على كرات جغرافية قبل أن تدرك أوروبا أن الأرض كروية بعد قرون طوال(٢٣٦) .

وهذا الابداع والابتكار اذى قدمه المسلمون فى شتى مجالات العلم دفع كبار العلماء والمفكرين فى أوروبا ان يعترفوا بالحقيقة وأن ينسبوا الفضل الى أهله وذويه فقال جوستاف لوبون : « كلما تعمق المرء فى دراسة المدنية الاسلامية تجلت لـه أمور جديدة واتسعت أمامه الآفاق وثبت لـه أن القرون الوسطى لم تعرف الأمم القديمة الا بواسطة علماء المسلمين . وأن جامعات الغرب عاشت خمسمائة

---

(٢٣٤) محمد رجب السامرائى : علم الفلك عند العرب ص ٩٣ .

(٢٣٥) المرجع نفسه ص ٩٤ .

(٢٣٦) زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم ص ٤٧٩ .

سنة تكتب للعرب وخاصة ان المسلمين هم الذين قدموا أوروبا فى المادة والعقل والخلق »[٢٣٧] . وقد اعترف العلامة سيديو وأوجز عندما قال « ان علماء المسلمين هم فى الواقع أساتذة أوروبا فى جميع فروع المعرفة »[٢٣٨] . وقد أيده الفيلسوف الفرنسى رينان عندما قال : « ان العلوم والحضارة مدينة بازدهارها وانتشارها للمسلمين وحدهم طوال ستة قرون » . وفى معرض آخر يقول جوستاف لوبون : « لقد عاشت جامعات الغرب خمسمائة سنة تنقل عن العرب وتتعلم منهم » .

ويصف سارتون الحركة العلمية الاسلامية بأنها أعظم حركة علمية تتصف بالأصالة من مطالع العصور الوسطى حتى نهاية القرن الثالث عشر .. وقد أخذ سارتون يعدد نعم العرب وأفضالهم على العلم فى ميادين علم الجبر وحساب المثلثات والهندسة والفلك والطب والكيمياء وعلم الظواهر الجوية ... ثم يقول لنا : اننا اذا نظرنا الى تراثهم بمنظار بيئتهم ، وقارنا بين جهودهم وجهود غيرهم من معاصريهم بدا تفوقهم الكاسح واضحا جليا ، ومن منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادى عشر كانت الشعوب الناطقة بالعربية تتقدم موكب الحضارة فى الدنيا كلها ، وفى الوقت الذى أوقد فيه العرب هذه النهضة الوضاءة المشرقة كانت أوروبا أثناءه بل قبله وبعده فى حال مزرية من البداوة والتخلف . فحينما ارتدت الى تراث العرب وراحت تنهل من معينه ثم نهضت فى صقلية منذ النصف الثانى من القرن الحادى عشر وفى أسبانيا منذ النصف الأول من القرن الثانى عشر ، نهضت أوروبا بحركة ترجمة واسعة النطاق ، ترجمت فيها كنوز الفكر العربى الى اللاتينية لغة المثقفين من أهل العالم الأوروبى[٢٣٩] .

أما فى الفلسفة فان الفيلسوف الكندى العربى يعتبر نتاج هذا العصر وكتبه فى الفلسفة والمنطق والهندسة والنجوم والموسيقى وغيرها رائعة حقا[٢٤٠] .

وقد خلصت الفلسفة اليونانية فى هذا العصر من شوائب الأوهام والأباطيل والخيالات بفضل عقول المسلمين المتفتحة الفاحصة التى درست القضايا والمشكلات الفلسفية فى ضوء من فهمهم الواعى للاسلام وأصوله وينبغى الا نغفل فضل المعتزلة

---

(٢٣٧) جوستاف لوبون حضارة العرب ص ٥١٩ . ٤٨١ .

(٢٣٨) سيديو : خلاصة تاريخ العرب العام ص ٢٢١ ، ٢٢٣ .

(٢٣٩) د. عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢٤٠) ابن النديم : الفهرست ص ٣٧١ ، ٣٧٩ .

وجهودهم فى هـــذا المقام فى المحاماة عن الدين الاسلامى ضـــد أعـــدائه ودفـــع البدع والشوائب الدخيلة عن أن تعـــلق به حينمـــــا حاربوا الثنـــــوية والمشبهة والجـــــبرية(٢٤١) . ولمع من زعمائهم فى هـــذا العصر أبو الهـــذيل العلاف .

وجـــدير بالذكر ان الكندى يعتبر أول مفكر مسلم يخرج عن نطاق تفكير اليونانيين التقليدى ، اذ وضع منهجا عاما وقسم العلوم الى أسسها الفكرية المنطقية ، فهناك أولا : العلوم الفلسفية وهى تشمل الرياضيات والمنطـــــق والطبيعيات والفـــيزياء والسياسة وعلم الاجتماع .. وهناك العلوم الدينية وتشمل أصول الدين والعقائد والتوحيد والرد على المبتدعة والمخالفين .. وبقى هـــذا المنهج متبعا خلال العصور كلها . ومن هنا يتعين القـــول بأن فلسفة الكندى تجمع بين فلسفة أفلاطون وفلسفة ارســـطو ، وهى تعتمد بلا ريب على طريقة الاستنباط المنطقى التى عاناها كثير من الفلاسفة وعرفت فلسفة الكندى آنذاك بالفلسفة الحـــديثة(٢٤٢) .

لقـــد كتب الفارابى أعظم فلاسفة المسلمين قبل ابن سينا ، كتابا ذا روحانية سامية ومشاعر وجـــدانية نبيلة أسماه « المدينة الفاضلة »وبدأ من المبدأ الأفلاطونى القائل بأن الانسان خلق ليعيش فى مجتمع . وصل الفارابى الى النتيجة القائلة : ان الدولة جيدة التنظيم يجب ان تغطى كل المسكون وأن تضم كل البشرية . وفكرة الدولة العالمية تثير فى الفكر الأوروبى مفهوم الامبراطورية الرومانية والصراع بين البـــابوية والامبراطورية خلال العصور الوسطى ونظريات بعض أصحاب « اليوتوبيا » المدينة الفاضلة فى العصور الحـــديثة . لم تكن هـــذه الفكرة جـــديدة على الفكر السياسى بل انها متضمنة فى المفهوم الثيوقراطى (حكم رجال الدين الاســـــلامى) . والمدنية الشاملة ولحكامها أهـــداف سامية(٢٤٣) .

وكان الفارابى يؤمن بأن واجب هـــذه الدولة ان تضمن للمواطنين حكومة كاملة على الأرض والسعادة بعـــد الموت . والمدينة الفاضلة يجب ان يديرها حاكم واحـــد على أن تتوافر فيـــه الصفات الآتية : ذكاء عظيم(٢٤٤) . وأثنى روجـــر باكـــون على

---

(٢٤١) ديبـور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٩١ .

(٢٤٢) د. على عبد الله الدفاع : الموجز فى التراث العلمى العربى الاسلامى ص ٩٧ . ٩٨ .

(٢٤٣) حيدر بامات : اسهام المسلمين فى الحضارة الانسانية ص ١٣٥ .

(٢٤٤) المرجع نفســه ص ١٥٣ .

الفارابى وعلى بعض مؤلفاته وذكره بين المقـــدمين فى تاريخ تقـــدم الفكر كأقليـــدس وبطليموس وســـانت أوغسطين .

وقـــد كان للفارابى أكبر الأثر فى التفكير الأوروبى ولا يزال رجال الفلسفة والعلم فى أوروبا يهتمون به الى اليوم واشتهر بالمنطق واهتم بشرح آراء المعلم الأول أرسطو طالبـــا بيان فلسفته وتقريب فهمه الى معاصريه ممـــا جعل لـــه عند العرب مكانة لا تدانى حتى أنه لقبوه بالمعلم الثانى(٢٤٥) .

واطلع المستشرقون والمؤرخون فى أوروبا وأمريكا على فلسفة الفارابى ودرسوها وتأثروا بها وخرجوا بالقـــول : ان الفارابى مؤسس الفلسفة العربية الاسلامية ومنهم من يرى أنه زعيم أكبر فرقـــة فلسفية فى عصره والمقـــدم فيها وهو المرجـــع وعليـــه الاعتمـــــاد(٢٤٦) .

أما بريفـــولت Briffault فيقول : « العلم هـــو اجـــل خـــدمة أسدتها الحضارة العربية الى العلم الحـــديث ، فالاغريق قـــد نظموا وعمموا ووضعـــوا النظريات ، ولكن روح البحث وتركيم المعرفة التقنية وطرائق العلم الدقيقة والملاحظـــة الدائبة المتطاولة كانت غريبة عن المزاج الاغريقى وانما كان العرب هم أصحاب الفضل فى تعريف أوروبا بهـــذا كله ، وبكلمة ، فان العلم الأوروبى مدين بوجوده للعرب ، وهـــذه الروح وتلك المناهج العلمية ادخلها العرب الى العالم الأوروبى »(٢٤٧) .

ان وعى أوروبا المسيحية الذى بدأ يستيقظ خلال القرن العاشر الميلادى استمد قـــوته وأسسه العلميـــة والفلسفية من التراث الاســـلامى الذى كان فى أوجـــه ، هـــذه القـــوة التى تكونت كما أوضحنا من خلال رد الفعل وهـــو الذى أعطى امكانية للفكر الأوروبى أن يؤسس قواعـــد المعرفة الفلسفية ســـواء عن طريق ما تم نقله من الفلسفة الاسلامية الى اللغـــة اللاتينية وعن طريق الصراع الدينى الذى تحـــول الى هجوم مكثف على الاسلام . وهـــذا الهجوم بدوره تحول الى مرآة من خـــلالها يريد الأوروبى أن ينظر الى ذاته ، وتحقيق الذات يفرض معرفة الأخير ، معرفة أدواته وأساليب تفكيره والهـــوية المكـــونة لذاته ، وهـــذا ما كان يدعـــو اليه ريمون لول

---

(٢٤٥) قـــدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب ص ١٤١ .

(٢٤٦) المرجـــع نفســـه ص ١٤٠ .

(٢٤٧) Dr. Robert Briffault (The Making of Humanity). (England 1919). P. 190 — 651.

Raymond Lull الذى قضى حياته باكملها متجولا فى الامارات والبلدان العـــربية عندما كان يدعـــو الى ضرورة واهمية التعمق فى الدراسات الشرقية لا فى مجـــال الدين فحسب بل وفى ميدان العلوم الفلسفية العربية لأن ذلك كان بالنسبة له هـــو السلاح العلمى للرد على الاسلام ونشر الدعوة المسيحية(٢٤٨) .

وهـــذا لن يتأتى الا بتكوين مكتبة علمية عالمية تهتم بمــــا يكتب عن العرب والاســـلام وهـــذا ما ينبغى الاهتمام بهوالتركيز عليه فهـــل هناك آذان صاغية ؟ ! وفى الوقت الذى احرزت فيه الدولة العباسية هـــذا التقـــدم العلمى فى مختلف فروع المعرفة كالطب والفلك والرياضيات والفلسفة والمنطق .. كانت أوروبا تتخبط فى ظلام الجهل ، كان أقصى ما يطمح اليه رجال الدولة فيها أن يتعلموا مجرد كتابة أسمائهم كما كان الحال فى عهد شارلمـــان الذى يعتبر عهده من أزهى عصور أوروبا فى العصور الوسطى(٢٤٩) وحين تعرف الأوروبيون على هـــذا الانتاج العلمى العربى اقبلوا على اقتباسه وكان لـــه الفضل الأول فيما بعـــد فى انارة الطريق امامهم وانتشالهم من وهـــدة الجهـــل(٢٥٠) .

يقول جوستاف لوبون : « انه كان للحضارة الاسلامية تأثير عظيم فى العـــالم وان كان هـــذا التأثير خاصا بالعرب وحـــدهم تشاركهم فيه الشعوب الكثيرة التى اعتنقت دينهم ، وان العرب هـــذبوا البرابرة الذين قضوا على دولة الرومان بتأثيرهم الخلقى وان العرب هم الذين فتحوا لأوروبا ، ما كانت تجهله من عالم المعارف العلمية والأدبية والفلسفية بتأثيرهم الثقافى »(٢٥١) .

وكانت قرطبة فى القرن العاشر نســـــيج وحـــدها فى أوروبا ، اذ كانت المركز العلمى الوحيد ، وجامعاتها فريدة فى أوروبا كلها ، تطـــل برأسها من نور اســـبانيا الاسلامية على دياجى الجهـــل والعماية السائدة فى أوروبا أرض الظـــــلام فى ذلك العصر . وهكذا يعيد التاريخ نفسه ويستمر التبادل الثقافى بين الشرق والغرب .

---

(٢٤٨) د. عبد الغنى أبو العزم : (مصادر الدراسات الاسلامية فى أوروبا) مجلة المؤرخ العربى - بغـــداد - العراق ص ٢٣١ .

(٢٤٩) د. سعيد عبد الفتاح عاشور : أوروبا فى العصور الوسطى ص ١٧٦ .

(٢٥٠) د. حسن الباشا : دراسات فى الحضارة الاسلامية ص ٩٠ ، ٩١ .

(٢٥١) جوستاف لوبون : حضـــارة العرب ص ٥٧٩ ، ترجمة أكرم زعيتر .

ملحق بأسماء خلفاء العصر العباسى ومدة حكم كل منهم بالتاريخين الهجرى والميلادى . (١٣٢ هـ/٧٥٠ م — ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م) .

(أ) العصر العباسى الذهبى
(١٣٢ هـ/٧٥٠ م — ٢٣٢ هـ/٨٤٧ م)

ابو العباس عبد الله السفاح	(١٣٢ هـ/٧٥٠ م — ١٣٦ هـ/٧٥٤ م)
ابو جعفر المنصور	(١٣٦ هـ/٧٥٤ م — ١٥٨ هـ/٧٧٥ م)
محمد المهدى بن المنصور	(١٥٨ هـ/٧٧٥ م — ١٦٩ هـ/٧٨٥ م)
الهادى بن المهدى	(١٦٩ هـ/٧٨٥ م — ١٧٠ هـ/٧٨٦ م)
هارون الرشيد	(١٧٠ هـ/٧٨٦ م — ١٩٣ هـ/٨٠٩ م)
محمد الأمين	(١٩٣ هـ/٨٠٩ م — ١٩٨ هـ/٨١٣ م)
عبد الله المأمون	(١٩٨ هـ/٨١٣ م — ٢١٨ هـ/٨٣٣ م)
ابو اسحاق محمد المعتصم	(٢١٨ هـ/٨٣٣ م — ٢٢٧ هـ/٨٤٢ م)
الواثق بالله بن المعتصم	(٢٢٧ هـ/٨٤٢ م — ٢٣٢ هـ/٨٤٧ م)

(ب) العصر العباسى الثانى (الاضمحلال)
(٢٣٢ هـ/٨٤٧ م — ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م)

المتوكل على الله بن المعتصم	(٢٣٢ هـ/٨٤٧ م — ٢٤٧ هـ/٨٦١ م)
المنتصر بن المتوكل	(٢٤٧ هـ/٨٦١ م — ٢٤٨ هـ/٨٦٢ م)
المستعين بالله بن المعتصم	(٢٤٨ هـ/٨٦٢ م — ٢٥٢ هـ/٨٦٦ م)
المعتز بن المتوكل	(٢٥٢ هـ/٨٦٦ م — ٢٥٥ هـ/٨٦٩ م)
المهتدى بالله بن الواثق	(٢٥٥ هـ/٨٦٩ م — ٢٥٦ هـ/٨٧٠ م)
المعتمد على الله بن المتوكل	(٢٥٦ هـ/٨٧٠ م — ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م)

محمد المعتضد بالله	(٢٧٩ هـ/٨٩٢ م — ٢٨٩ هـ/٩٠٢ م)
المكتفى بالله بن المعتضد	(٢٨٩ هـ/٩٠٢ م — ٢٩٥ هـ/٩٠٨ م)
المقتدر بالله بن المعتضد	(٢٩٥ هـ/٩٠٨ م — ٣٢٠ هـ/٩٣٢ م)
القاهر بن المعتضد	(٣٢٠ هـ/٩٣٢ م — ٣٢٢ هـ/٩٣٤ م)
الراضى بالله بن المقتدر	(٣٢٢ هـ/٩٣٤ م — ٣٢٩ هـ/٩٤٠ م)
المتقى لله بن المقتدر	(٣٢٩ هـ/٩٤٠ م — ٣٣٣ هـ/٩٤٤ م)
المستكفى بالله بن المكتفى	(٣٣٣ هـ/٩٤٤ م — ٣٣٤ هـ/٩٤٥ م)

(جـ) العصر العباسى الثالث (السقوط)

(٣٣٤ هـ/٩٤٥ م — ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م)

المطيع لله بن المقتدر	(٣٣٤ هـ/٩٤٥ م — ٣٦٣ هـ/٩٧٣ م)
الطائع لله بن المطيع	(٣٦٣ هـ/٩٧٣ م — ٣٨١ هـ/٩٩١ م)
القادر بالله بن اسحاق	(٣٨١ هـ/٩٩١ م — ٤٢٢ هـ/١٠٣١ م)
القائم بأمر الله بن القادر	(٤٢٢ هـ/١٠٣١ م — ٤٦٧ هـ/١٠٧٤ م)
المقتدر بأمر الله	(٤٦٧ هـ/١٠٧٤ م — ٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م)
المستظهر بالله بن المقتدر	(٤٨٧ هـ/١٠٩٤ م — ٥١٢ هـ/١١١٨ م)
المسترشد بالله	(٥١٢ هـ/١١١٨ م — ٥٢٩ هـ/١١٣٤ م)
الراشد بالله بن المسترشد	(٥٢٩ هـ/١١٣٤ م — ٥٣٠ هـ/١١٣٥ م)
المقتفى لأمر الله	(٥٣٠ هـ/١١٣٥ م — ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م)
المستنجد بالله بن المقتفى	(٥٥٥ هـ/١١٦٠ م — ٥٦٦ هـ/١١٧٠ م)
المستضىء بأمر الله	(٥٦٦ هـ/١١٧٠ م — ٥٧٥ هـ/١١٧٩ م)
الناصر لدين الله	(٥٧٥ هـ/١١٧٩ م — ٦٢٢ هـ/١٢٢٥ م)

خاتمة البحث

واختم بحثى بالقــول بأننى توخيت من دراسة بيت الحكمة فى عصر العباسيين منذ تأسيسها حتى اصبحت مؤسسة ثقافية فأكاديمية للبحث العلمى والدراســـات العليا . فكانت بغــداد فى عصر الازدهار العباسى كعبة العلماء والأطباء من كل الملل . فكان بيت الحكمة أول دار للدراسة العالية فى الاسلام فهو علاوة على كونه دار ترجمة كان معهدا العلم ودار كتب عامة ولـــه مرصـــد ملحق به . فبيت الحكمة من أقـــدم الكليات والجامعات التى اسست فى التاريخ فكان لـــه السبق على الأزهر ، رغم انه اسس قبل جامعات أوروبا .

وكان العصر العباسى الأول أهم العصور الاسلامية انتاجا فى العلم فقــد انتشر فى زمن الرشيد مجموعة من الكتب المنقولة من اللغات العالمية المعروفة ، فى ذلك العصر من علوم الطب ، والفلك ، والفلسفة ، والحكمة والآداب والقصص ، وغيرها . هــذا فضلا عن المؤلفات العربية الجــديدة التى أنتجها علماء العرب فى شتى أنواع العلوم القرآنية ، والنحـــو ، والتاريخ ، وســائر الفروع الأخرى .

واقتفى الرشيد اثر جـــده فى تشجيع الانتاج العلمى ، فقــد كتب الى الأمراء والأجنـــاد والى الولاة يشجعهم على الاهتمام بالعلم والعلماء فأغــدق عليهم بالعطاء والمنح . وســـار على نهجه المـــأمون فكان مثالا فى سائر أسباب النهضة العلمية فاقتــدى به بنـــو أمية فى الأندلس وتشبه به الحكم بن الناصر الذى تولى الخلافة ســنة ٣٥٠ هـ . فأنشأ فى قرطبة مكتبة . واقتدى بخلفـــاء بغــداد أيضا الخلفـــاء الفاطميـــون بمصر .

فيمكن ان يوصف بيت الحكمة ببغـــداد بأنه بناية كبيرة فيها عـــدد من القاعات والحجرات موزعة فى اقسام الدار ، تضم مجمـــوعة من خزائن الكتب فى كل خزانة

مجموعة من الأسفار العلمية الخاصــة التى تنسب فى الغالب الى مؤسسها كخزانة الرشيد وخزانة المــأمون . ووصفت أيضا بأنها دار كبيرة مقسمة الى عــدة اقسام ، خصص البعض منها لحفظ الكتب والأقسام الأخرى للترجمة ، والنسخ والتأليف والتجليد والمطالعة ، وقــدر لهــذه الخزانة ان تصبح اعظم بيوت الحكمة شأنا عند المسلمين لمــا حــوته من كتب نفيسة .

أما تسمية بيت الحكمة فأحيانا يستعمل العلماء اسم بيت الحكمة واحيانا اخرى خزانة ، فحاجى خليفة يستعمل كلمة بيت الحكمة فى كتابه كشف الظنــون ، وابن النــديم فى كتابه الفهرست يستعمل بيت الحكمة (خزانة الحكمة) حينا آخر .

وقــد اختلف الباحثون فى شخصية مؤسس بيت الحكمة فزعم البعض أن مؤسس هــذا البيت هــو المــأمون ، وأكد فريق آخر ان الرشــيد هــو الذى انشأ بيت الحكمة ، فياقوت الحموى يؤكد فى كتــابه معجم الأدباء أن بيت الحكمــة كان فى حيز الوجــود أيام الرشيد اذ يقول عن علان الوراق أنه كان ينسخ فى بيت الحكمة للرشيد والمــأمون والبرامكة . وجاء فى الفهرست لابن النــديم : أن أبا سهل الفضــل بن نوبخت كان فى خزانة الرشيد فكان لــه نقول عن الفارسية .

والحقيقة أن الرشيد هــو الذى أنشأ بيت الحكمة . أما لمــاذا أنشأها ؟ فقــد تجمــع لديه عــدد كبير من الكتب ورأى انشاء مكان ليحفظ فيــه هــذه الكتب التى جمعها فأنشأ بيت الحكمة ممــا ساعد على انتشار التعليم . ثم جاء المــأمون ويعتبر عصره ازهى أيام هــذه الدار ، فقــد ارتقت بفضله من مجرد مكتبة الى دار للترجمة والانتاج الفكرى ، فتحولت من « خزانة » الى مجمع أو اكاديمية للبحث العلمى يعمل على خــدمة العلم وترجمة ثمار الفكرين الاغريقى والفارسى . وان تاريخ بيت الحكمة من حيث الخــدمات العلمية التى اداها للفكر العربى تخص المــأمون وعصره .

أما موقــع بيت الحكمة التى أنشأها الرشيد ببغــداد فلا يعلم أن كان جزءا من قصر الخليفة أو بناية مستقلة ، غير أنه كان على الأرجح دارا خاصة بالكتب ضمن قصور الخلافة تتكون من عــدد من الحجرات والخزائن .

وحسب ظنى أن بيت الحكمة كان مجموعة من الخزائن لكل مجموعة من الكتب خزانة ، كخزانة الرشيد وخزانة المأمون وخزانة البرامكة . ونرى أن بيت الحكمة يختلف عن دور العلم التى ظهرت فى القرن الثالث الهجرى ، فهى مؤسسات أدبية ، اكثر كتبها فى اللغــة والأدب والفقه والأخبار والسيرة .

أما بيـوت الحكمة الخاصة فهى المكتبات التى انشأها العلماء والأغنياء والأدباء والأعيان فى دورهم : وكان يستفيد منها الناس ، فكانت شبه عمومية ، وكانت تضم كتبا فى مواضيع متنوعة كالمنطق والفلسفة والفلك . فقـد كانت بغـداد مراكز لتجمع الثقافات لما بذله الخلفاء العباسيون من جهود حبا لنشر العلم بين كافة الطبقات واقتدى النـاس بالخلفاء ، فانشأ على بن يحيى المنجم مكتبة فى قصره سماها خزانة الحكمة وفتحها للراغبين فى الدرس يقصدها الناس فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم ، والكتب مبذولة والنفقة من ماله . . .

أما وظيفة بيت الحكمة والعاملين فيه ، فاقترن بيت الحكمة البغـدادى بعـدد من الاعـلام المشهورين كالرشيد والمـأمون والبرامكة والمتوكل . كما ورد فيهـا ذكر عـدد من العلماء والخزان والموظفين ، فكان يدير بيت الحكمة مديرون أمناء على الترجمة ومعهم كتاب حـذاق ويشتغل فيه أيضا علماء ونساخون وخزان ومجلـدون من مختلف الأديان والأجناس والمذاهب والثقافات ومنهم الوراقـون . فكان بيت الحكمة عبارة عن مجلس للترجمة أو النسخ أو الدرس أو التأليف فيجلس النساخ فى أماكن خاصة بهم ينسخون لأنفسهم أو بأجـور معينة وكذلك المترجمون والمطالعون والمؤلفـون .

أما مدير بيت الحكمة ، والقيم عليه فيدير شئونه ويسمى صاحب بيت الحكمة ، وعين المـأمون قيما لبيت الحكمة يدعى خازنا لادارة شئونه وصيانة كنوزه هـو سهل بن هارون ، كما عـين مشرفا على القسم الذى أحضرته بعثة القسطنطينية بالاضافة الى ادارة بيت الحكمة عامة . كما كان يتولى تنظيم خزانة المـأمون بصورة خاصـة .

ونرى أن بيت الحكمة أول ما بدأ بوظيفة مكتبة عامة فأصبح لهـذه المكتبـة شأن فى العالم الاسلامى ، ثم تطـور وأصبح أول جامعة اسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجـأ اليها الطلاب وكانت تجرى فيها الأبحاث والدراسات العليـا ، فأصبح مؤسسة علمية للثقافة العالية اكثر كتبه فى الحكمة والفلسفة والمنطق والطب والنجوم والرياضيات وغيرها من الكتب العلمية المختلفة . ثم ارتقت دار الحكمـة من مجرد مكتبة الى دار للترجمة والانتاج الفكرى وكثر المترجمون فى هـذه الدار فى عصر المـأمون فكانوا يقومون بواجبهم العلمى ويتبادلون الرأى .

والحقيقة أن بيت الحكمة كان مدرسة عالية للبحث التجريبى المستند الى الملاحظة

ومكتب ترجمة كانت تتم فيه عملية التعريب للكتب الأجنبية بلغاتها المختلفة الى العربية . ولكن من دراسة النصوص التاريخية المتعلقة بهذه الحركة العلمية يتبين لنا ان هذا البيت لم يكن مقتصرا على الترجمة وانما كانت هناك أعمال أخرى . منها تجليد الكتب التى تتم عملية تعريبها او عملية نسخها بأكثر من نسخة لتوزيعها على المكتبات المعروفة آنذاك . خارج بغداد كبيت الحكمة التونسى فى القيروان او دار الحكمة الفاطمية بالقاهرة . كما كانت الكتب المترجمة والمؤلفة يقتنيها الأغنياء والمؤسسات العلمية الأخرى مع الاحتفاظ بالنسخة الأصلية فى بيت الحكمة .

وللوصول الى دقة الكتب المترجمة كانت تراجع الترجمات التى كان يقوم بها النقلة فى دار الحكمة من قبل خبراء ، وكان ثابت بن قرة الحرانى فى دولة المعتضد من الذين راجعوا او صححوا الترجمات العربية فى المؤلفات الرياضية والفلكية والمنطق . كذلك فعل حنين بن اسحاق فقد جعل له المتوكل كتابا عالمين بالترجمة كانوا يترجمون ويراجع ويتصفح ما ترجموا .

وقد ادت الحركة العلمية الذى يعتبر بيت الحكمة لولبها الى ازدياد طلب المعرفة من قبل مئات لا يستهان بها من الناس . الأمر الذى أدى بدوره الى الاقبال على شراء الورق . لذا أسست مصانع الورق فى عهد الرشيد فى بغداد ، ثم انتشرت صناعته فى انحاء البلاد العربية فكان ظهور الورق فاتحة لانتشار الثقافة العربية ومضى العلماء يفيدون من صنعة الوراقة ، فاتخذوا لأنفسهم وراقين ينقلون عنهم كتبهم .

واذا نظرنا الى منهج التدريس فى بيت الحكمة وجدناه راقيا جدا ، فكانت تدرس فيه العلوم الفلسفية والطبية والرياضيات والفلك والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا والموسيقى فكان خريج بيت الحكمة اذا انهى هذه العلوم يكون قد بلغ مرحلة عالية من العلم تساوى المرحلة العلمية التى يصل اليها اليوم طلابنا حينما يتخرجون من الجامعات الحديثة ، ومن هنا نستطيع أن نستنتج ونحكم على مستوى بيت الحكمة العلمى من مقدرة أساتذته وطلابه ومديره . واتخذ العلماء والمدرسون لهم زيا خاصا فكان أبو يوسف أول من غير لبس العلماء ، واقترح لتمييز هذه الطائفة عمامة سوداء وطيلسانا لعله الروب الجامعى ، ومنذ ذلك الحين أصبح هذا الزى ضروريا للمدرسين والفقهاء . وكانت رعاية المأمون لبيت الحكمة وما انفق عليه من مال مضرب الأمثال ، فهو أول من نادى بألا يكون نشاط بيت الحكمة متوقفا على سخاء الخلفاء والأمراء ، فهيأ للعلماء أرزاقا سخية يتقاضونها فى أوقات ثابتة ،

يفيض ريعها عن التكاليف المطلوبة لهــذه المؤسسة العظيمة ، وكذلك جرى العمــل من بعــده على أن يكون لكل معهد أو مدرسة أو مؤسسة وقف ثابت يفى بنفقاتها .

وفى عهــد الدولة العباسية كثر اختلاط العرب مــع غيرهم من الأمم التى دانت لحكمهم وزادت رغبتهم بالاطلاع على علوم القوم ومعارفهم فقربوا العلمــاء والاطبــاء والحكماء واهــل الفنون والآداب ، وأجزلوا لهم العطاء . واجتمع فى خزائنهم ثقافة الشرق والغرب واهتم العباسيون بعلم صنعة الكيمياء وظلوا يزدادون عليها حتى ظهر فى العصر العباسى جابر بن حيان وهــو ابن صــيدلى ، وخلف كثيرا من النظريات فى هــذا العلم ، وترجمت طائفة منها الى اللاتينية وأفاد منها الأوروبيون .

وحتى يتم مشروع ترجمة الكتب الاجنبية وحفظها فى بيت الحكمة ولى هارون الرشيد عــدة علماء أمر بيت الحكمة فعهد الى فضل بن نوبخت أمر العناية بالكتب الفارسية ، والى يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب الطبية القــديمة التى كان يعثر عليها فى أسفاره وبين البلاد فى غزواته ، وجهاده . فقــد حمل معه من أنقره الى عمورية وغيرها من بلاد الروم كتبا كثيرة ، ومنح العلماء الكثير من الحرية والتكريم فقــد منح مرة لأحــد العلماء مائة ألف درهم . ومعظم الكتب التى نقلت عن الهنود فى الطب والفلك والرياضيات . وقــد تم الانتهاء من نقلها فى عصر الرشيد . وكان بعض علماء الهنود قــد وفــدوا الى بغــداد منذ عهد المنصور سواء من تلقــاء أنفسهم أو يدعــوهم الخلفاء للحضور وقــد وجهت العناية فى بداية أيام الرشيد الى الكتب الفارسية والهندية ثم جاءت الثروة الضخمة فى أخريات أيام الرشــيد وخلال عهد المــأمون عن طريق التراث اليونانى .

وقام المــأمون بتوسيع وتدعيم بيت الحكمة فاهتم بأنواع عــدة من الثقافة ولم يقتصر اهتمامه على الثقافة الفارسية لأنه كان مغرما بدراسة كتب الفرس القــديمة فقط ، وانمــا اهتم بجمع الكتب الاغريقية فأرسل الحجاج بن يوسف بن مطر وابن البطريق وسلما صاحب بيت الحكمة بجمــع الكتب الاغريقية وغيرهم . فأخــذوا ما وجــدوا وأحضر المــأمون حنين بن اسحاق وأمره بنقــل ما يقــدر عليه من كتب الحكماء اليونانيين الى العرب واصلاح ما ينقــله غيره . فكان يعطى المــأمون من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربية مثلا بمثل . فجمع فى دار الحكمة كنــوز العلم وآثاره من اســلامية وغير اســلامية .

وحقيقة أخرى هى أن بيت الحكمة فى عهد المــأمون كانت مفتوحة الأبواب أمام

العلماء الذين يريدون الدراســة والتحقيق ولم يكن الخليفة بعيدا عن أمور البحث والدراسة والمناقشة فيما تضمنته هــذه الكنوز العلمية .

كما أن ميل المــأمون الى الفلسفة والمنطق واتساع دائرة معارفه العامة وتأثره بمذهب الاعتزال ما دفعه الى ايجاد حركة نقل وتأليف قــوية عنيفة . كان من نتائج اقبال العرب وغيرهم على تلك المؤلفات وأمثالها أن تولد عندهم علم الكلام والفلسفة الأفلاطونية الجــديدة فظلت النهضة مستمرة بعــد المــأمون الى عــدد من خلفائه حتى نقلت أهم الكتب الى العربية .

وبلغ من شغف المــأمون بكتب الحكمة والفلسفة ، أنه اذا ما عقــد معاهــدة مــع بعض ملوك الروم فانه كان يشترط عليه أن يرسل اليه من نفائس كتب الحكمة فى بلاده ، كما فعل مــع ميخائيل الثالث قيصر الروم الذى ارســل اليــه احــدى المكتبات الشهيرة فى القسطنطينية كان بين ذخائرها الثمينة كتاب بطليموس فى الفلك فأمر المــأمون بنقله الى العربية وسماه « المجسطى » وكان المــأمون يجل علمــاء الملل الاخرى من نصارى وغيرهم ويحتفى بهم فى مجلسه .

ولم يكن التسامح يسود بيت الحكمة فى زمن المــأمون فقط بل وفى معظم عهود الخلفاء العباسيين حبــا بنشر الروح العلمية الخاصة بين كافــة الطبقات . وكذلك من أشرفــوا على حركة الترجمة فيه هم النصــارى السريان ولهم منزلة رفيعة عند الخلفــاء . فلا أثر للتعصب الذميم . فنجــد فى بيت الحكمة أصحاب الفلسفة من الديانات الأخرى يناظرون المسلمين فى الأمور الدينية بكل صراحة ويتكلم أهــل الملل والنحل الأخرى بمــا يبدو لهم ، وبمــا يعتقدون ويرونه أقرب الى العقل والمنطق . وقــد أخــرج هــؤلاء من أديرة ســوريا وآسيا الصغرى وســواحل الشــام وفلسطين . كتبا خطية فى الفلسفة والتاريخ وعلم الهندسة لعلماء اليونان وفلاسفتهم ثم ترجموها الى العربية بدقــة وعناية . فأقبل أهــل المعرفة والأدباء من الأمصار وأجرى عليهم المــأمون الأرزاق فرغب الناس فى صنعة النظر ، وتعلمــوا البحث والجــدل فكان سحابة منهلة على العلماء والمتكلمين .

وكان عصر المــأمون ألمع عصور الحضارة العربية على الاطلاق فسمى بحــق العصر الاسلامى الذهبى ، وأن العشرين سنة التى قضاها فى حكمه قــد تركت كنــوزا زاخرة من الثروة الفكرية . سهل العباسيون على الناس ان يقفــوا على الكتب العلمية النادرة التى ترجمت من اللغات المختلفة الى العربية ، وصرف فى سبيل الحصول عليها وعلى ترجمتها وتجليدها المبالغ الكبيرة ، فذلل الخلفاء للناس سبيل

المطالعة والدرس فى بيت الحكمة الذى أنشىء لنشر العلوم والمعارف المنقولة عن الامم الأخرى . والتى رغب الخلفاء بنشرها بين الناس ليقفوا على حقائق الأمور ، وتراث الأمم التى تقـــدمتهم فى شتى النواحى الفكرية والعلمية .

وكان من زعماء الترجمة الحسن بن سهل الذى استوزره المـــأمون وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى ، صاحب كتاب فتوح البلدان وأبو حفص عمر بن الفرخان الطبرى أحـــد رؤساء التراجمة والمحققين بعلم النجوم والحجاج بن يوسف بن مطر الذى ولد فى الكوفة وعاش فى بغـــداد ، وكان موظفا فى ببت الحكمة ، نقـــل أصول الهندسة لأقليدس نقلتين أحـــداهما تعرف بالهارونى والأخرى بالمـــأمونى . ونقـــل ايضا حنين بن اسحاق المتطبب وهـــو من أشهر المترجمين الى العربية توجـــه الى بغـــداد فرعاه أبناء موسى بن شاكر وقـــدموه الى الخليفة المـــأمون وجعله على رأس معهد الحكمة فكان يترجم بالعربية والسريانية . وتمكن حنين أن يأتى بأصدقائه الأطباء من مدرسة جنديسابور الى بغـــداد وألم بالدراسة العربية ، وخـــدم بالطب المتوكل ، وكان قـــديرا فى ترجمته وهـــو الذى أوضح معانى كتب أبو قراط وجالينوس ولخصها أحسن تلخيص ولـــه كتاب فى المنطق ، وقـــد ترجم عشرين كتابا لجالينوس ، وأربعة عشر مؤلفا الى العربية . وكان لـــه ولدان داوود واسحاق ، أما داوود فلم يبرع براعـــة أخيه اسحاق الذى كان أوحـــد عصره فى علم الطب وكان يلحق بأبيه فى النقـــل وفى معرفته باللغات .

أما فيلسوف العرب والاسلام الكندى ، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق العربى الأصـــل ينسب الى كنده ، انتقل الى بغـــداد واشتغل بعلم الأدب ثم بعلوم الطب والنجوم والفلسفة والحساب والمنطـــق ولـــه كتب كثيرة ، وأنزله المـــأمون منزلة عظيمة ، فكانت دولة المعتصم تتجمل به وبمصنفاته ، وحاول الكندى فى مذهبـــه الفلسفى أن يجمع بين آراء أفلاطون وأرسطو واعتبر الرياضيات الفيثاغورسية أساس العلم كله . وأما آل بختيشوع فكانوا فى كل عهود الدولة العباسية واشتهر منهم جبريل بن بختيشوع الذى تبحر فى جميع العلوم الداخلة فى علم الطب وكتب فى حيـــاة الحيوان رسائل تدل على ســـعة اطلاعه فقربه الرشيد واتخـــذه فى دور الخلافـــة وأخـــذ الناس يرجعون اليه فيما يشير به من العـــــلم لحملهم على الأعراض عن الدجـــــالين .

وان النشاط والازدهار للمترجمين وجماع العلوم لم تقتصر مؤازرته على الخلفاء فقط بل جاراهم فى ذلك الوزراء والولاة وكبار القـــواد ولم يترك الخلفاء فى بغـــداد

طريقا لاجتذاب اشهر العلماء فى العـالم الاسلامى الا سلكوه واذا صـحت رواية جوستاف لوبون « أن أحـد الخلفاء شـن الحرب على قيصر الروم ليـأذن لأحـد الرياضيين المشهورين للتدريس فى بغـداد » ، وهكذا ضمت خزانة الحكمة الكتب اللسانية والشرعية بالاضـافة الى ما ترجم عن الفارسـية واليونانية والسنسكريتية وانكلدانية والقبطية فألفت الكتب بطلب من الخلفاء أنفسهم لكى توضع فى بيت الحكمة ونرى أن العرب لم يكتفوا بمـا نقلوه عن غيرهم ، واستبقوه على حاله بل هم درسوه وزادوا عليه من نتائج قرائحهم وعقولهم .

أما ماذا كانت نهاية بيت الحكمة ، لقـد سطع نور بيت الحكمة فى أيام المـأمون ثم خبـا ذلك النور من بعـده فصرنا نتلمس أخبـارها فى بطون الكتب ، فلم نجـد فيها ما يشفى . والراجح أن انتقال الخلافة من بغـداد الى سامراء وتعاقب الفتن على بغـداد وما حـل بها من البلايا بتوالى السنين كل ذلك تضافر على الحط من مكانة هـذه الدار ، وايصالها الى حال فقـدت معها سالف مجـدها : وقـد أهملت بعـد المتوكل . كما أهمل المعتصم شأن هـذا البيت العظيم كما كان للفتن والحروب بين المعتز والمستعين أثر فى اهمال بيت الحكمة .

وظلت دار الحكمة تقاوم الى أن داهم المغول بغـداد سنة ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م ، ولم يشفق المغول على خزائن كتبها العامة والخاصة فأحرقـوا جانبا منها وطرحـوا بعضها الآخر فى نهر دجلة فسد مجراه وزعم بعض المؤرخين أن هولاكو ابتنى بتلك الكتب اسطبلات الخيول ، وطاولات المعالف عـوضا عن الطين ، وهكذا قضى هولاكو على جميع الكتب التى ترجمها وألفها العلماء والأدباء المسلمون بتشجيع الخلفاء والتى عملت على نشر الثقافة بين جمهور المسلمين وغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى .

ومن أهم الحقائق التى أبرزها البحث انه عن طريق بيت الحكمة كسبت اللغـة العربية كثيرا من الزاد والمعرفة بمـا جرى فيها من نشاط علمى ، وقـد حفظ هـذا البيت للانسانية كثيرا من تراث العالم المتحضر الذى ضاعت أصوله ، ولم يجـد الغرب غير العربية وسيلة للحصول على تراث الحضارة الأوروبية القـديمة .

وقـد قامت بيت الحكمة بجهد فريد من نوعـه فى تاريخ القرون الوسطى فكانت اداة لنقـل الحضارة القـديمة والحضارة العربية الى الغرب ومنطلق العلم الحديث ، كما كانت أساسا لتلك المدرسة العلمية الكبيرة التى عرفت باسم مدرسة بغـداد ، وظل اثر هذه المدرسة قائما فى أوروبا حتى النصف الثانى من القرن الخامس عشر .

ولهــذه المدرسة يرجــع الفضل فى تحقيق استمرار الحضارة الانسانية بعــد انهيار الحضارة الرومانية فى القرن السادس الميلادى ، ومن هــذه المدرسة ظهر كيان العلماء العرب لأنها حــوت كنوز التراث العربى الاسلامى الذى يجــد فيــه الشباب فرصة للاطلاع على منجزات أجــدادهم الأولين فى شتى فروع العلم والمعرفة وليجــد فيه الكبار مرجعا لمــا احتوته بيت الحكمة من المخطوطات العلمية النادرة التى لا يوجــد الكثير منها فى عالمنا اليوم .

المصادر والمراجع

أولا ـ المخطوطات :

١ ـ ابن الدبيثى (جمال الدين الواسطى) (ذيل على ذيل تاريخ بغداد) مخطوط دار الكتب المصرية برقم ٣٩٥٠ تاريخ .

٢ ـ ابن حجر (معجم ابن حجر) مخطوط بدار الكتب برقم ٢٥ مجاميع م .

٣ ـ ابن حنزابه (مجالس ابى مسلم) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٧٧ ادب .

٤ ـ البيهقى (تاريخ حكماء الاسلام) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٣٦٦ تاريخ .

٥ ـ الصابى (رسوم دار الخلافة) مخطوط بالمتحف العراقى رقم ١٥ .

٦ ـ العينى (بدر الدين محمود بن أحمد) (عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان) مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١٥٨٤ تاريخ .

٧ ـ الكتبى (الوافى بالوفيات) من مخطوطة ـ لندن ـ ج ٢٤ ، الورقة ١٢ .

٨ ـ المقريزى (تقى الدين احمد بن على) (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة لوحة ٥٩ ب .

٩ ـ مجموعة رسائل بجامعة اسطنبول مخطوط ورقة ٣٧ ب .

ثانيا ــ المصادر العربية المطبوعة :

١٠ ــ القرآن الكريم .

١١ ــ الحديث الشريف .

١٢ ــ ابن أبى أصيبعة ، موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى الخزرجى (٦٦٨ هـ/١٢٧٠ م) .

(عيون الأنباء فى طبقات الأطباء) . بيروت ــ دار الفكر ــ ١٩٥٦ م .

١٣ ــ ابن الأثير ، أبى الحسن على بن الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى المعروف بابن الاثير الجزرى الملقب بعز الدين (ت ٦٣٠ هـ/١٢٣٢ م) .

(الكامل فى التاريخ) . المطبعة المنيرية ــ مصر ــ ١٣٤٩ هـ ، طبع بيروت (دار صادر ــ بيروت ــ ١٩٦٥ م) .

١٤ ــ ابن جلجل ، أبى داوود سليمان بن حسان الاندلسى المعروف بابن جلجل (توفى بعد سنة ٣٨٤ هـ/٩٩٤ م) .

(طبقات الأطباء والحكماء) ألفه سنة (٣٧٧ هـ/٩٨٧ م) تحقيق فؤاد السيد . مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ــ القاهرة ١٩٥٥ م .

١٥ ــ ابن خرداذبه ، أبى القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت ٣٠٠ هـ/٩١٢ م) .
(المسالك والممالك) . طبع ليدن ١٨٨٩ م .

١٦ ــ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن خلدون المغربى (ت ٨٠٨ هـ/١٤٠٥ م) .
(المقدمة) المكتبة التجارية الكبرى ــ مطبعة مصطفى محمد ــ القاهرة .

١٧ ــ ابن خلكان ، شمس الدين أبى العباس أحمد (ت ٦٨١ هـ/١٢٨٢ م) .
(وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) . المطبعة الميمنية ــ القاهرة ــ ١٣١٠ هـ .

١٨ ــ ابن جماعة ، بدر الدين (ت ٨٤٣ هـ/١٤٤٠ م) .
(تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم) . حيدر أباد ١٣٥٣ هـ .

١٩ — ابن شاكر الكتبى ، محمد بن شاكر بن أحمد الحلبى (ت ٧٦٤ هـ/١٣٦٢ م) .
(فوات الوفيات) تحقيق احسان عباس — دار صـــادر — بيروت — لبنان — طبعة بولاق (١٢٩٩ هـ/القاهرة ١٩٥٤ م) .

٢٠ — ابن الجوزى ، ابو الفرج عبد الرحمن (ت ٦٥٤ هـ/١٢٥٧ م) .
(المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم) . حيدر آباد — الدكن — دائرة المعارف العثمانية ١٣٥٧ هـ .

٢١ — (مناقب بغداد) نشرة محمد بهجت الأثرى — بغداد — العراق ١٣٤٢ هـ .

٢٢ — (صيد الخاطر) تحقيق السيد عبد القادر أحمد عطا — مكتبة الكليـــات الأزهرية — القاهرة ١٣٩٩ هـ .

١٣ — ابن الســـاعى ، أبى طالب على بن أنجب تاج الدين الملقب بابن الســاعى (ت ٦٧٥ هـ/١٢٧٥ م) .
(الجامع المختصر فى عيون التواريخ وعيون السير) ، تحقيق الدكتــور مصطفى جواد . المطبعة السريانية الكاثوليكية — بغـداد ، ١٩٣٤ م .

٢٤ — ابن الطقطقى ، فخر الدين محمـــد بن على بن طبـــاطبـــا (ت ٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م) .
(الفخرى فى الآداب السلطانية) مطبعة محمـــد على صـــبيح وأولاده ، القـــاهرة .

٢٥ — ابن العبرى ، غريغوريوس بن هـــــارون بن توما الملطى المعروف بابن العبرى . (ت ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م) .
(تاريخ مختصر الدول) المطبعة الكاثوليكية — بيروت — ١٩٥٨ م .

٢٦ — ابن رجب الفقيه ، زين الدين ابو الفرج عبد الرحمن شهاب .
(ذيل طبقات الحنابلة) مطبعة السنة المحمدية (١٣٧٢ هـ/١٩٥٢ م) .

٢٧ — ابن الجـــزرى .
(غاية الهناية فى طبقات القراء) مكتبة الخـــانجى — مصر (١٣٥١ هـ/ ١٩٣٢ م) .

٢٨ ــ ابن دحية ، عمر بن أبى على حسنين بن على (ت ٦٣٣ هـ) .
النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس) صححه ابراهيم العزاوى ١٩٤٧ م .

٢٩ ــ ابن الفوطى ، عبد الرزاق بن أحمد بن محمد بن أحمد الصابونى (ت ٧٣٢ هـ/١٢٣٣ م) .
(الحوادث الجامعة والتجارب النافعة) تحقيق مصطفى جواد ــ بغداد ــ المكتبة العربية ١٩٣٢ م .

٣٠ ــ (تلخيص مجمع الآداب فى معجم الالقاب) تحقيق مصطفى جواد ــ دمشق ــ وزارة الثقافة والارشاد القومى ، ١٩٦٤ م .

٣١ ــ ابن القفطى ، جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف (ت ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨ م) .
(أخبار العلماء بأخبار الحكماء) طبع ليبزج ، ١٣٢٠ هـ .

٣٢ ــ (انباء الرواة على انباء النحاة) مصر ، ١٣٦٩ هـ .

٣٣ ــ ابن الكازرونى ، ظهير الدين على بن محمد (٣١١ هـ/٩٦٧ هـ) .
(مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولة بنى العباس) تحقيق مصطفى جواد ، دار العلم للملايين ، مطبعة الحكومة ــ بغداد ــ ١٩٧٠ م .

٣٤ ــ ابن الدبيثى ، محمد بن سعيد (ت ٦٣٧ هـ/١٢٣٩ م) .
(المختصر المحتاج اليه) تحقيق مصطفى جواد ، مطبعة دار الدهان ــ بغداد (١٣٧١ هـ/١٩٥١ م) جزءان فقط .

٣٥ ــ ابن كثير ، أبى الفداء الحافظ اسماعيل بن عمر الدمشقى (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٢ م) .
(البداية والنهاية) . طبع مكتبة المعارف ــ بيروت ، ومكتبة النصر الرياضى ١٩٦٦ م .

٣٦ ــ ابن النديم ، ابن النديم (ت ٢٨٣ هـ/أو ٣٨٥ هـ/٩٩٣ م أو ٩٩٥ م) .
(الفهرست) بيروت ــ لبنان ١٣٢٨ هـ .

٣٧ ــ ابن عبد ربه ، أبو عامر أحمد بن محمد .
العقد الفريد) تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وابراهيم الأبياري .
الطبعة الثانية ــ القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٨ م .

٣٨ ــ ابن قتيبة ، أبى عبد الله مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ/٨٨٩ م) .
(عيون الأخبار) مطبعة دار الكتب المصرية ــ القاهرة ١٩٢٥ م .
١٩٣٠ م .

٣٩ ــ (الامامة والسياسة) جزءان ــ القاهرة ١٣٣٢ هـ .

٤٠ ــ (كتاب المعارف) تحقيق د. ثروت عكاشة ــ القاهرة ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م .

٤١ ــ أبو الفداء ، اسماعيل بن على عماد الدين صاحب حماه (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣٢ م) .
(المختصر فى أخبار البشر) دار الكتاب ــ بيروت ، بدون .

٤٢ ــ أبو المحاسن ، جمال الدين بن يوسف بن تغرى بردى (٨٧٤ هـ/١٤٦٩ م) .
(النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٧٠ هـ/١٩٥٢ م .

٤٣ ــ الأصفهانى ، الامام أبى الفرج على بن الحسين (ت ٣٥٦ هـ/٩٦٦ م) .
(الأغانى) طبعة دار الكتب المصرية ، والساسى ١٢٥٨ هـ .

٤٤ ــ البلاذرى ، أحمد بن محيى بن جابر (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢ م) .
(فتوح البلدان) نشره ووضع ملاحقه وفهارسه صلاح الدين المنجد .
مطبعة لجنة البيان العربى ــ القاهرة ١٣١٨ هـ .

٤٥ ــ البيرونى ، أبى الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى (ت ٤٤٠ هـ/١٠٤٨ م) .
(الآثار الباقية عن القرون الخالية) ليبزج ، ١٩٢٣ م .

٤٦ ــ البغدادى ، اسماعيل
(هداية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين) طبع أسطنبول ١٩٥١ م .

٤٧ ــ الثعالبى ، ابو منصور عبد الملك بن محمد (٤٢٩ هـ/١٠٣٧ م) .
(لطائف المعارف) نشر دى يوانغ ، ليدن ١٨٦٧ م .

٤٨ ــ (يتيمة الدهر) القاهرة ١٣٥٣ هـ/١٩٣٤ م .

٤٩ ــ الجاحظ ، ابى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصرى (ت ٢٥٥ هـ/٨٦٨ م) .
(التاج فى أخلاق الملوك) تحقيق أحمد زكى . المطبعة الأميرية ــ القاهرة ١٩١٤ م .

٥٠ ــ (البيان والتبيين) تحقيق عبد الســـــلام هارون . نشر مكتبة المثنى ــ ببغــداد والخانجى بمصر ١٩٦٠ م .

٥١ ــ (الحيوان) . مطبعة السعادة بمصر ١٩٠٧/٥ م .

٥٢ ــ (ثلاث رسائل) وتسمى (رسائل الجاحظ) باعتناء فنكل القاهرة ١٣٤٤ هـ .

٥٣ ــ الجهشيارى ، محمد بن عبدوس (ت ٣٣١ هـ/٩٤٢ م) .
(الوزراء والكتاب) . البابى الحلبى بمصر ١٩٣٨ م .

٥٤ ــ خليفـــــة ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفـــــة (ت ١٠٦٧ هـ/ ١٦٥٦ م) .

(كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون) . طبع دار المعارف التركيـــة ١٩٤١ م .

٥٥ ــ أبو شجاع ، الروذراورى (الملقب بظهير الدين الروذراورى الهمدانى) .
(ذيل تجـــارب الأمم) . نشر امدروز القـــــاهرة ١٣٣٤ هـ/١٩١٦ م .

٥٦ ــ الأربلى ، عبد الرحمن سنبط بن ابراهيم بن قنيتو (ت ٧١٧ هـ/١٣١٧ م) .
(خلاصة الذهب المسبوك) تحقيق مكى جاسم ــ بغــداد ــ مكتبة المثنى ١٩٦٤ م . الأصفهانى ، الحسين .

٥٧ ــ (محاضرات الأدباء) القاهرة ١٢٨٧ هـ .

٥٨ ــ الأصفهانى ، عماد الدين محمد بن حامد الأصفهانى .
(تاريخ دولة سلجوق) القاهرة ١٣٧٢ هـ .

٥٩ ــ الأنبارى ، كمال الدين عبد الرحمن بن محمد (ت ٥٥٧ هـ/١١٨١ م) .
(نزهــة الألباء فى طبقات الأدباء) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم . دار نهضة مصر للطبع والنشر ــ القاهرة .

٦٠ ــ البيهقى .
(تاريخ حكماء الاسلام) مطبعة الترقى ، دمشق . ومطبوع تتمة صيوان الحكمة ، تحقيق الأستاذ محمد شفيع . طبعة لاهور ١٣٥٠ هـ .

٦١ ــ التنوخي ، أبو على الحسن بن على بن ابى الفهم التنوخى ، (ت ٣٨٤ هـ/ ٩٩٤ م) .
(نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) ، دمشق ١٣٤٨ هـ .

٦٢ ــ التوحيدى ، أبو حيان ، على بن محمد بن العباس (ت ٤١٤ هـ/١٠٢٣ م) .
(الامتاع والمؤانسة) تحقيق ونشر أحمــد أمين وآخرين ، لجنــة التأليف والترجمة والنشر ، القــاهرة ١٩٤٢ م .

٦٣ ــ (المقابسات) تحقيق السندوبى مــع مقــدمة ــ المكتبــة التجــارية ــ القــاهرة ١٩٢٩ م .

٦٤ ــ الحصرى ، أبو اسحاق ابراهيم بن على القيروانى (٤١٣ هـ/١٠٢٤ م) .
(زهر الآداب وثمر الألبــاب) جـ ٢ مفصل ومشروح بقلم زكى مبارك ، دار الجيل ــ بيروت ١٩٧٢ م .

٦٥ ــ الحنبلى ، ابن العماد ، أبو الفــــلاح عبد الحى الحنبلى (ت ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨ م) .
(شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) ، القاهرة ١٣٥٠ هـ .

٦٦ ــ الذهبى ، الحافظ شمس الدين (ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٧ م) .
(ميزان الاعتدال فى نقــد الرجال) ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٥ هـ .

٦٧ ــ (تذكرة الحفاظ) دار احيـــــاء التراث العربى ــ بيروت ــ ١٣٧٤ هـ .

٦٨ ــ الزرنوجى ، برهان الاسلام .
(تعلم المتعلم طريق التعلم) ، القاهرة ١٩٤٢ م .

٦٩ ــ السبكى ، تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب .
(طبقات الشافعية الكبرى) مصر ١٣٢٤ هـ .

٧٠ ــ السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر (ت ٩١١ هـ/١٥٠٥ م) .
(تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة) المطبعة الخيرية ، مصر .

٧١ ــ (الاشباه والنظائر) حيدر آباد ــ الدكن ١٣١٦ هـ .

٧٢ ــ الشهرستانى ، أبى الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر بن أحمد (ت ٥٤٨ هـ/١١٥٣ م) .
(الملل والنحل) تحقيق محمد سيد كيلانى ، نشر مصطفى البابى الحلبى ، مصر ١٩٦١ م .

٧٣ ــ الصابى ، أبى الحسن هلال بن المحسن الصابى (ت ٤٤٨ هـ/١٠٥٦ م) .
(تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء) ، مطبعة البابى الحلبى ــ مصر ــ القاهرة .

٧٤ ــ صاعد بن احمد الأندلسى (٤٢٠ هـ/٤٦٢ هـ ــ ١٠٢٩ م/١٠٧٠ م) .
(طبقات الأمم) مصر .

٧٥ ــ الصفدى ، صلاح الدين خليل بن أيبك (٧٦٤ هـ) .
(الوافى بالوفيات) اسطنبول ١٩٣١ م .

٧٦ ــ طاش كبرى زاده ، احمد بن مصطفى الشهير .
(مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم) تحقيق كامل بكرى وزميله ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

٧٧ ــ الطبرى ، أبى جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ/٩٢٢ م) .
(تاريخ الرسل والملوك) تحقيق أبى الفضل ابراهيم ، طبع دار المعارف بمصر ١٩٦٠ م ، ١٩٦٣ م .

٧٨ ــ طيفور ، أبى الفضل أحمد بن أبى طاهر (٢٨٠ هـ/٨٩٣ م ـــ ٨٩٤ م) .
(تاريخ بغـــداد) طبعة ليبزج ١٢٨٧ هـ/١٩٠٨ م .

٧٩ ــ العمرانى ، محمد بن على بن محمد المعروف بالعمرانى (٥٨٠ هـ/١١٨٥ م) .
(لأنباء فى تاريخ الخلفاء) تحقيق د. قاسم السامرائى ط ليدن ١٩٧٣ م .

٨٠ ــ العمرى ، ابن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م) .
(مسالك الأبصار فى الممـــالك والأمصـــار) مطبعـــة دار الكتب المصرية ١٩٢٤ م .

٨١ ــ الغزالى ، الامام أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد (ت ٥٠٥ هـ/١١١١ م) .
(احياء علوم الدين) مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩ م . القـــــاهرة .

٨٢ ــ (تهافت التهافت) تحقيق د. سليمان دنيا ، سلسلة ذخائر العرب ، دار المعـــارف بمصر ١٩٦٨ م .

٨٣ ــ الفـــارابى ، أبو نصر .
(احصاء العلوم) تحقيق د. عثمان أمين ـــ القاهرة ـــ ١٩٤٩ م .

٨٤ ــ القلقشندى ، أبى العباس أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ/١٤١٨ م) .
(صبح الأعشى فى صناعة الانشا) المطبعة الأميرية ـــ القاهرة ١٩١٣ م .

٨٥ ــ المراكشى ، محيى الدين أبى محمد عبد الواحـــد بن على التميمى (٦٦٩ هـ/ ١٢٧١ م) .
(المعجب فى تلخيص أخبار المغرب) مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٢٤ هـ .

٨٦ ــ المرتضى المهدى لدين الله أحمد بن يحيى (٣٣٥ هـ/٩٣٦ م) .
(المنية والأمل فى شرح الملل والنحل) ط الهند ، حيدر آباد ، ١٣١٦ هـ .

٨٧ ــ المسعودى ، أبى الحسن علىّ بن الحسين بن على (ت ٣٤٦ هـ/٩٥٧ م) .
(مروج الذهب ومعادن الجوهر) مطبعة دار الرجاء ، القاهرة ١٣٧٠ هـ/ ١٩٣٨ م .

٨٨ ــ (التنبيه والاشراف) ، ليدن ، مطبعة بريل ١٩٦٧ م .

٨٩ ــ مسكويه ، أبى على أحمد بن محمد بن يعقوب (٤٢١ هـ/١٠٣٠ م) .
(تجارب الأمم) طبع مكتبة المثنى ــ بغــداد ، العراق .

٩٠ ــ المصرى ، ابن نباته ، جمال الدين محمد بن محمد (٧٦٨ هـ) .
(سرح العيون) القــاهرة ، ١٢٧٨ هـ .

٩١ ــ المقــدسى ، شمس الدين أبى عبــد الله بن أحمد المعروف بالبشــارى (ت ٣٧٥ هـ/٩٨٥ م) .
(أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم) ليدن ، مطبعــــة بريل ١٩٦٧ م .

٩٢ ــ المقرى ، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى (١٠٤١ هـ/١٦٢٣ م) .
(نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب) تحقيق احسان عباس ــ بيروت ــ دار صادر ١٣٨٨ هـ/١٩٦٨ م .

٩٣ ــ المقريزى ، تقى الدين أحمد بن على (٨٤٥ هـ/١٤٤١ م) .
(اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) تحقيق جمال الدين الشيال ، القاهرة ، لجنة احياء التراث الاسلامى ١٩٦٧ م .

٩٤ ــ (المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار) بولاق ١٢٧٠ هـ القــاهرة .

٩٥ ــ القرطبى ، عريب بن ســعد (٣٦٦ هـ/٩٧٧ م) .
(صلة تاريخ الطبرى) طبعة ليدن ١٨٩٧ .

٩٦ ــ ياقــوت الحمــوى ، أبى عبد الله شــهاب الدين بن عبد الله الرومى ، (٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م) .
(معجم الأدباء) تحقيق أحمد فريد رفاعى ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابى الحــلبى ١٩٣٦ م .

٩٧ ــ (معجم البلدان) مطبعة السعادة القاهرة ١٣٣٢ هـ/١٩٠٦ م .

٩٨ ــ اليعقوبى ، أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر وهب بن واضح .
(كتاب البلدان) تحقيق دى غــويه ، لندن ، بريل ١٨٩٢ م .

ثالثا ــ المراجــع العربية الحــديثة :

٩٩ ــ الأبراشى ، محمد عطيه (أعلام الطب) ، من نوابغ الفكر العربى الاسلامى .

١٠٠ ــ الأصمعى ، محمد عبد الجواد (أبو الفرج الأصفهانى) دار المعارف بمصر ، القــاهرة ١٩٤٠ م .

١٠١ ــ الألوسى ، محمود شكرى البغــدادى (ت ١٢٧٠ هـ) (بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب) شرح وتصحيح محمد بهجت الاثرى ، المطبعــة الرحمانية بمصر ١٩٢٤ م .

١٠٢ ــ الأهوانى ، أحمد فؤاد (التربية فى الاسلام) دار المعارف بمصر . طبعة ١٩٧٥ م .

١٠٣ ــ (الفلسفة الاسلامية) دار القلم بمصر ــ القاهرة ١٩٦٥ م .

١٠٤ ــ (الكندى فيلسوف العرب) طبع وزارة الثقافة والارشاد القومى . المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ، عــدد ٢٦ القاهرة ، ١٩٦٣ م .

١٠٥ ــ ابو خشب ، ابراهيم (تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول) دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٤ م ، ١٩٧٥ م .

١٠٦ ــ (تاريخ الادب العربى فى العصر العباسى الثانى) دار الفكر العربى ، القــاهرة ١٩٧٥ م .

١٠٧ ــ أبو زهرة ، محمد شاهين حمزة (محاضرات فى المذاهب الفقهية) مطبعــة مخيمر ، القــاهرة ١٩٦١ م .

١٠٨ ــ ابو الفيض ، السيد محمود (أصالة العلم وانحراف العلماء) دار نهضة مصر بالفجــالة ، القــاهرة .

١٠٩ ــ أحمد ، امام ابراهيم (تاريخ الفلك عند العرب) الهيئة المصرية العــامة للكتاب ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٧٥ م .

١١٠ ــ اسحاق ، روفائيل بابو (مدارس العراق قبل الاسلام) بغـداد ، العراق ١٩٥٥ م .

١١١ ــ (تاريخ نصارى العراق) مطبعة المنصور . بغــداد ١٩٤٨ م .
١١٢ ــ (أحــوال نصارى بغـداد فى عهد الخلافة العباسية) مطبعة شفيق . بغــداد ، العراق ١٩٦٠ م .

١١٣ ــ أسماء فهمى (مبادىء التربية الاسلامية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القــاهرة ١٩٤٧ م .

١١٤ ــ أمين ، أحمد (فجر الاسلام) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنصر ط ٣ ١٩٣٥ م .

١١٥ ــ (ضحى الاسلام) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٣٠ م .

١١٦ ــ (ظهر الاسلام) ، دار المعارف بمصر ط ٣ ، ١٩٣٩ م .

١١٧ ــ أمين ، حسين (تاريخ العراق فى العصر السلجوقي) مطبعة الارشــاد ــ بغــداد ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م .

١١٨ ــ أمين ، مصطفى (تاريخ التربية) دار المعارف بمصر ، بدون .
١١٩ ــ الباشا ، حسن (دراسات فى الحضارة الاسلامية) دار المعارف بالاسكندرية ١٩٦٨ م .

١٢٠ ــ بدوى ، عبد الرحمن (دور العرب فى تكــوين الفكر الأوروبى) بيروت ، لبنــان ط ٣ ، ١٩٧٩ م .

١٢١ ــ البرقوقى ، محمد عاطف ــ والتوانسى ، أبو الفتوح محمد (الخوارزمى العالم الفلكى الرياضى) الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٤ م .

١٢٢ ــ بلبع ، عبد الحكيم (أدب المعتزلة) مطبعة الرسالة ، القاهرة ١٩٦٥ م .

١٢٣ ـــ البهى ، محمد (الجانب الالهى من التفكير الاسلامى) بيروت ، لبنان ط ٥ ١٣٨١ هـ/١٩٧٢ م .

١٢٤ ـــ التوانسى ، ابو الفتوح (من أعلام الطب العربى) دار الكاتب المصرى ، القـــاهرة ، ١٩٧٣ م .

١٢٥ ـــ الجرارى ، عبد الله بن عباس (تقـدم العرب فى العلوم والصـــناعات وأستاذيتهم لأوروبا) دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٣ م .

١٢٦ ـــ جمعه ، محمد لطفى (تاريخ فلاسفة الاسلام فى المشرق) من المقـــدمة ط ١ ، المكتبة العلمية ، ليون ، فرنسا ١٩٠٩ م .

١٢٧ ـــ الجميلى ، رشيد حميد حسن (أثر الترجمة فى الحضارة الاسلامية فى القرن الثانى الهجرى) أطروحة ماجستير مكتوبة على الآلة الكاتبة .

١٢٨ ـــ (حركة الترجمة فى المشرق الاسلامى فى القرنين الثالث والرابع الهجريين) الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعـــلام ـــ طرابلس ـــ ليبيـــا ط ١ ١٣٩١ هـ/١٩٨٢ م .

١٢٩ ـــ الجندى ، أنور (الفكر والثقافة المعاصرة فى شمال أفريقيا) طبعة الدار القـومية بالقاهرة ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م .

١٣٠ ـــ الجـــوارى ، احمـــد عبد الستار (الشـــعر فى بغـــداد حتى القرن الثالث الهجرى) وزارة الاعلام والثقافة ، العراق ، بغـــداد ١٩٦٥ م .

١٣١ ـــ الجومرد ، عبد الجبار (هارون الرشيد) مطبعة دار الكتاب ، بيروت ، لبنان ، ١٩٥٦ م .

١٣٢ ـــ الجبار ، ابراهيم (تاريخ التعليم الحديث) دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧١ م .

١٣٣ ـــ (دراسات الفكر التربوى) وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٤ م .

١٣٤ ـــ الجيزاوى ، سعد الدين (دراسات فى الأدب العربى) دار نهضـــة مصر بالفجـــالة ، القـــاهرة .

١٣٥ ـــ الحاجرى ، طــه (الجاحظ حياته وآثاره) دار المعارف بمصر ١٩٦٨ م .

١٣٦ ـــ حجاب ، محمد نبيه (مظاهر الشعوبية فى الأدب العربى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى) حـ ١ ، مكتبة نهضة مصر بالفجالة ١٣٨١ هـ/١٩٦١ م .

١٣٧ ـــ حسن ، حسن ابراهيم (تاريخ الدولة الفاطمية فى المغرب وســوريا ومصر وبلاد العرب)مكتبة النهضة المصرية حـ ٢ ، ١٩٥٨ م .

١٣٨ ـــ (تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى) مكتبة النهضـــة المصرية ط ٣ ، ١٩٥٣ م .

١٣٩ ـــ حسن ، زكى محمد (كنوز الفاطميين) ، القاهرة ١٩٣٧ م .

١٤٠ ـــ حسن ، على ابراهيم (التاريخ الاسلامى العام) مكتبة النهضة المصرية ، القـــاهرة ١٩٥٩ م .

١٤١ ـــ حسنين ، عبد النعيم (سلاجقة ايران والعراق) مكتبة النهضة المصرية ط ٢ ـــ ١٣٨٠ هـ/١٩٧٠ م .

١٤٢ ـــ حسين ، طــه (تجــديد ذكرى أبى العلاء المعرى) دار المعارف بمصر القـــاهرة ١٩٣٢ م .

١٤٣ ـــ حماد ، حسنى احمد السيد (الحضارة العربية نشأتها وتطورها) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٧ م .

١٤٤ ـــ حمادة ، محمد ماهر (المكتبات فى الاسلام) مطبعة الرسالة ـــ بيروت ، لبنـــان ١٩٧٣ م .

١٤٥ ـــ الحفنى ، محمود أحمد (اسحاق الموصلى) الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، اعلام العرب عـــ ٢٤ ، ١٩٦٤ م .

١٤٦ ـــ الحـــوفى ، أحمد (تيارات ثقافية بين العرب والفرس) دار نهضة مصر ، بالفجـــالة ، القـــاهرة ١٩٦٨ م .

١٤٧ ــ الخربوطلي ، على حسنى (الحضارة العربية الاسلامية) طبعة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٢ م .

١٤٨ ــ (المسعودى) نوابغ الفكر العربى ، دار المعارف بمصر عــ ٣٨ ، ١٩٦٨ م .

١٤٩ ــ خراسانى ، محمد غفرانى (عبد الله بن المقفع) مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة ١٩٧٠ م .

١٥٠ ــ الخضرى ، الشيخ محمد (تاريخ الأمم الاسلامية ــ الدولة العباسية) المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٩٧٠ م .

١٥١ ــ خطاب ، عطيه على (التعليم فى مصر فى العصر الفاطمى الأول) القاهرة ١٩٤٧ م .

١٥٢ ــ الخطيب ، محمد عجاج (لمحات فى المكتبة والبحث والمصادر) مؤسسة الرسالة بيروت ، لبنان ط ٦ ، ١٣٨٩ هـ/١٩٦٩ م .

١٥٣ ــ خفاجه ، محمد عبد المنعم (صور من الفكر العربى وتاريخ الاسلام) مكتبة النجاح ، القاهرة ١٣٧٧ هـ/١٩٥٨ م .

١٥٤ ــ (الآداب العربية فى العصر العباسى الثانى) القاهرة ١٩٥٧ م .

١٥٥ ــ خليل ، شوقى (جرجى زيدان) دار الفكر ــ دمشق ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .

١٥٦ ــ الخوارزمى ، محمد بن موسى (الجبر والمقابلة) دار الكتاب العربى ، القاهرة ١٩٦٨ م .

١٥٧ ــ الدايم ، عبد الله (التربية عبر التاريخ) بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٩٧٥ م .

١٥٨ ــ الدش ، محمود محمد (أبو العتاهية) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٦٨ م .

١٥٩ ــ الدفاع ، على عبد الله (موجز التراث العربى الاسلامى) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧٧ م .

١٦٠ ــ الدورى ، عبد العزيز (العصر العباسى الأول) مطبعة التثقيف الأهلية ، بغداد ١٩٤٢ م .

١٦١ ــ الديوه جى ، سعيد (بيت الحكمة) مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، العراق ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م .

١٦٢ ــ الرافعى ، مصطفى صادق (تاريخ أدب اللغة العربية) دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ١٩٧٠ م .

١٦٣ ــ الراوى ، طه (بغداد مدينة السلام) سلسلة اقرأ (٧) دار المعارف بمصر ــ القاهرة ١٩٤٤ م .

١٦٤ ــ الرفاعى ، أحمد فريد (عصر المأمون) مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٢٨ م .

١٦٥ ــ الرفاعى ، انور (الاسلام فى نظمه وحضارته) دار الفكر ، بيروت ، لبنان ١٩٧٣ م .

١٦٦ ــ زاهية قدورة (الشعوبية أثرها الاجتماعى والسياسى فى الحياة الاسلامية فى العصر العباسى) دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ١٩٧٢ م

١٦٧ ــ زغلول ، الشحات السيد (السريان والحضارة الاسلامية) دار الكاتب المصرى ، الاسكندرية ١٩٧٣ م .

١٦٨ ــ (الاتجاهات الفكرية فى التفسير) دار الكاتب المصرى ، الاسكندرية ١٩٧٥ م

١٦٩ ــ زكى ، صالح (آثار باقية) مجلد ٢ ط أسطنبول ١٣٢٩ هـ .

١٧٠ ــ الزهرانى ، محمد مسفر (نظام الوزارة فى الدولة العباسية فى العهدين البويهى والسلجوقى) مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ١٩٨٠ م .

١٧١ ــ الزيات ، أحمد حسن (تاريخ الأدب العربى للمدارس الثانوية) مطبعة الرسالة القاهرة ، بدون .

١٧٢ ــ زيادة ، نقولا (صور من التاريخ الاسلامى) دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، بدون .

١٧٣ — زيدان ، جرجى (تاريخ التمدن الاسلامى) مراجعة وتعليق حسين مؤنس .
طبع دار الهلال ، القاهرة ١٩٣١ م .

١٧٤ — سالم ، عبد العزيز (دراسات فى تاريخ العرب ، العصر العباسى الاول) مؤسسة الشباب الجامعى بالاسكندرية ، بدون .

١٧٥ — السامرائى ، محمد رجب (علم الفلك عند العرب) منشورات دائرة الشئون الثقافية والنشر بغداد ، العراق ١٩٨٤ م (الموسوعة الصغيرة) ١٣٨ .

١٧٦ — السباعى ، الشيخ مصطفى (من روائع حضارتنا) المكتب الاسلامى ، بيروت ، لبنان ١٤٠٢ هـ/١٩٨٢ م .

١٧٧ — سرور ، محمد جمال الدين (تاريخ الحضارة الاسلامية فى المشرق) دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٥ م .

١٧٨ — سليم ، محمود رزق (عصر سلاطين المماليك) طبعة مكتبة الآداب بالجماميز ، القاهرة ١٩٤٩ م .

١٧٩ — سميرة مختار الليثى (جهاد الشيعة فى العصر العباسى الأول) دار الجيل ، بيروت ، لبنان ١٣٩٦ هـ/١٩٧٦ م .

١٨٠ — السودانى ، عبد مزهر (الشعر العراقى فى القرن السادس الهجرى) ، ط ٨ ، دار الرشيد ، بغداد — العراق ، بدون .

١٨١ — الشايب ، أحمد (العامل السياسى فى أدب العصر العباسى الأول) مكتبة مصر بالفجالة ، القاهرة ، بدون .

١٨٢ — شريف ، محمد بديع (الصراع بين العرب والموالى) طبعة القاهرة ١٩٥٤ م .

١٨٣ — شلبى ، أحمد (تاريخ التربية الاسلامية) ط ٥ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٧٧ م .

١٨٤ — (التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية) ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٠ م .

١٨٥ ــ الشريقى ، ابراهيم (التاريخ الاسلامى) القاهرة ١٩٧١ م .

١٨٦ ــ الشيبانى ، عمر محمد التومى (فلسفة التربية الاسلامية) الشركة العامة للنشر والتوزيع والاعلام ، طرابلس ، ليبيا ط ١ ، ١٩٧٥ م .

١٨٧ ــ الصيحى ، محمد ابراهيم (العلوم عند العرب) مكتبة نهضة مصر بالفجالة ، القاهرة ، بدون .

١٨٨ ــ ضيف ، شوقى (العصر العباسى الأول) دار المعارف بمصر ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٦٣ م .

١٨٩ ــ الطباع ، عبد الله أنيس (علم المكتبات بالادارة والتنظيم) دار الكتاب اللبنانى بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٩٧٢ م .

١٩٠ ــ طلس ، محمد أسعد (عصر الازدهار ، تاريخ الدولة العباسية) الكتاب الأول ط ١ ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٦٤ م .

١٩١ ــ طوطح ، خليل (تاريخ التربية عند العرب) القدس ١٩٣٣ م .

١٩٢ ــ طوقان ، قدرى حافظ (تراث العرب العلمى فى الرياضيات والفلك) دار الشروق ، بيروت ، لبنان ١٩٦٣ م .

١٩٣ ــ (العلوم عند العرب) مكتبة مصر ، ٣ شارع كامل صدقى بالفجالة ، سلسلة الألف كتاب رقم ٤ ، ١٩٥٦ م .

١٩٤ ــ عاشور ، سعيد عبد الفتاح (فضل العرب على الحضارة الأوروبية) مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٥ م .

١٩٥ ــ (المدنية الاسلامية واثرها فى الحضارة الأوروبية) مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٨٢ م .

١٩٦ ــ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) (تراثنا بين ماض وحاضر) دار المعارف بمصر ١٩٧٠ م .

١٩٧ ــ (لغتنا والحياة) دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

١٩٨ — (القرآن وقضايا الانسان) دار العلم للملايين ، بيروت ط ٢ ، ١٩٧٥ م .

١٩٩ — العبادى ، أحمد مختار (فى التاريخ العباسى والأندلسى) دارالنهضة المصرية بيروت ، لبنان ط ٢ ، ١٩٧٢ م .

٢٠٠ — عبد الرءوف ، عصام الدين (الحواضر الاسلامية الكبرى) دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

٢٠١ — عبد العزيز ، محمد الحسينى (الحياة العلمية فى الدولة الاسلامية) وكالة المطبوعات ، الكويت ١٩٧٣ م .

٢٠٢ — عبد الغنى ، مصطفى لبيب (الكيمياء عند العرب) دار الكاتب المصرى ، القاهرة ١٣٨٧ هـ/١٩٦٧ م .

٢٠٣ — العدوى ، أحمد ابراهيم (الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم) القاهرة ١٩٥٨ م .

٢٠٤ — (السفراء العرب الى أوروبا فى العصور الوسطى) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٧ م .

٢٠٥ — عزام ، عبد الوهاب (الاسلام والعلم فى الاسلام اليوم وغدا) دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، بدون .

٢٠٦ — العش ، يوسف (تاريخ عصر الخلافة العباسية) دار الكتاب ، دمشق ١٩٨٠ م .

٢٠٧ — العقاد ، عباس محمود (أثر العرب فى الحضارة الأوروبية) دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ م .

٢٠٨ — العتيقى ، نجيب (المستشرقون) دار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٨ م .

٢٠٩ — على ، محمد كرد (الاسلام والحضارة العربية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ط ٢ ، ١٩٥٠ م .

٢١٠ — (أمراء البيان) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٥٠م .

٢١١ ــ عمر ، فاروق (العباسيون الأوائل) جـ ٢ مطبعة الرسالة ، بغداد ، العراق ١٩٦٣ م .

٢١٢ ــ العمرى ، أحمد جمال (أبو بكر الصولى) الهيئة المصرية العامة ، القاهرة ، أعلام العرب ١٩٧٣ م .

٢١٣ ــ عون ، حسن (صور ملهمة من واقع المجتمع العربى) ط ٢ ، القاهرة ، بدون .

٢١٤ ــ عنان ، محمد عبد الله (الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية) مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مؤسسة الخانجى ، القاهرة ١٩٥٩ م .

٢١٥ ــ عيسى ، أحمد (التهذيب فى أصول التعريب) القاهرة ، ١٩٢٣ م .

٢١٦ ــ غرابة ، حمودة (ابن سينا بين الدين والفلسفة) مطبعة مجمع البحوث الاسلامية ، القاهرة ١٣٩٢ هـ/١٩٧٢ م .

٢١٧ ــ غنيمة ، محمد عبد الرحيم (تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى) دار الطباعة المغربية ، تطوان ، المغرب ١٩٥٣ م .

٢١٨ ــ فراج ، عز الدين (فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية) دار الهنا للطباعة ١٩٧٨ م .

٢١٩ ــ فروخ ، عمر (تاريخ الفكر العربى الى أيام ابن خلدون) ط ٢ ، المكتب التجارى ، بيروت ، لبنان ١٩٦٢ م .

٢٢٠ ــ (عبقرية العرب فى العلم والفلسفة) منشورات المكتبة العصرية بيروت ، لبنان ط ٣ ، ١٩٦٩ م .

٢٢١ ــ فوقية ، حسن محمود (الامام الجوينى امام الحرمين) المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، أعلام العرب عــ ٤٠ ، ١٣٨٤ هـ/١٩٦٤ م .

٢٢٢ ــ الكبيسى ، حمدان عبد المجيد (أسواق بغداد فى بداية العصر البويهى) مطبعة وزارة الاعلام ، بغداد ، العراق ١٩٧٩ م .

٢٢٣ ــ كحالة ، عمر رضا (المرأة فى عالمى العرب والاسلام) ط ٢ ، مطبعة الترقى ، دمشق ١٩٧٢ م .

٢٢٤ ــ كوركيس ، عواد (خزائن الكتب القديمة فى العراق) مطبعة المعارف ، بغداد ، العراق ١٩٤٨ م .

٢٢٥ ــ الكيالى ، سامى (النفس الانسانية فى أدب الجاحظ) دار المعارف بمصر ، سلسلة اقرأ ١٩٦١ م .

٢٢٦ ــ ماجد ، عبد المنعم (تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى) مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٢٧ ــ (العصر العباسى الأول) مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٧٧ م .

٢٢٨ ــ الماحى ، التيجانى (تاريخ الطب عند العرب) الخرطوم ١٩٦٠ م .

٢٢٩ ــ المحاسنى ، زكى (المتنبى ، نوابغ الفكر العربى) ط ٤ ، دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

٢٣٠ ــ محمد ، التوم الطالب (تاريخ الحضارة الاسلامية) أبو ظبى ، جامعة الامارات ١٩٨٤ م .

٢٣١ ــ محمد ، زكى فاضل (الفكر السياسى والعربى الاسلامى بين ماضيه وحاضره) ط ٢ دار الحرية للطباعة ، بغداد ، العراق ١٩٧٦ م .

٢٣٢ ــ محمود ، حسن أحمد ، والشريف (العالم الاسلامى فى العصر العباسى) دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٢٣٣ ــ محمود ، زكى نجيب (جابر بن حيان) الهيئة المصرية العامة ، القاهرة أعلام العرب عـ ١٣ ، ١٩٦١ م .

٢٣٤ ــ محمود ، عبد الحليم (التفكير الفلسفى فى الاسلام) دار الكتاب العربى ، بيروت ، لبنان ١٩٧٤ م .

٢٣٥ ــ المدور ، جميل نخلة (حضارة الاسلام فى دار السلام) مطبعة الاعتماد ، مصر ١٩٣٢ م .

٢٣٦ ـــ مصطفى ، شاكر (فى التاريخ العباسى)، دمشق ، ١٣٧٦ هـ/١٩٥٧ م .

٢٣٧ ـــ مظهر ، اسماعيل (تاريخ الفكر العربى) نشر مجلة العصور لنشر المعرفة والآداب ، القـــاهرة ١٩٢٨ م .

٢٣٨ ـــ مظهر ، جلال (علوم المسلمين أساس التقـــدم العلمى) الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر عـــ ٢٤٧ القاهرة ١٩٧٠ م .

٢٣٩ ـــ (حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العلمى) القاهرة ١٩٧٤ م .

٢٤٠ ـــ معروف ، ناجى (أصالة الحضارة العربية) ط ٣ دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٥ م .

٢٤١ ـــ (تاريخ علماء المستنصرية) جـ ١ مطبعـــة جامعـــــة بغـــداد ، العراق ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ م .

٢٤٢ ـــ (المدارس الشرابية) مطبعة الارشاد ، بغـــداد ، العراق ، ١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٥ م .

٢٤٣ ـــ المعلوف ، عيسى اسكندر (تاريخ الطب عند العرب) بيروت ، لبنـــان ، ١٩٣٥ م .

٢٤٤ ـــ منتصر ، عبد الحليم (تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقـــدمه) ط ٤ دار المعارف بمصر ، القـــاهرة ١٩٧١ م .

٢٤٥ ـــ مؤنس ، حسين (تاريخ الدولة العربية الاسلامية فى العصور الوسطى) الكويت ، ١٤٠١ هـ/١٩٨١ م .

٢٤٦ ـــ الميدانى ، عبد الرحمن حسن حنبكه (أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها) ط ٢ دار القلم ، دمشق ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠ م .

٢٤٧ ـــ النبهان ، محمد فاروق (مبادىء الثقافة الاسلامية) دار البحوث ، الكويت ١٩٧٣ م .

٢٤٨ ـــ هاشم ، زكريا (فضل الحضارة الاسلامية العربية على العالم) مكتبـــة نهضـــة مصر بالفجـــالة ، القـــاهرة ، بدون .

٢٤٩ ــ الهاشمى ، محمد (الفكر العربى جــذوره ، ثماره) مكتبة الفلاح ، الكويت ١٩٧٨ م .

٢٥٠ ــ الهاشمى ، محمد يحيى (الكيمياء فى التفكير الاسلامى) دار الفكر العربى . القـــاهرة ١٩٥٨ م .

٢٥١ ــ هــداره ، محمد مصطفى (اتجاهات الشـــعر العربى فى القرن الثانى الهجرى) دار المعارف بمصر ، الاسكندرية ١٩٧٠ م .

٢٥٢ ــ وديعة طــه نجم (الشعر فى الحاضرة فى القرنين الثانى والثالث الهجريين ، شركة كاظمة للنشر ، الكويت ١٩٧١ م .

٢٥٣ ــ اليازجى ، كمال (معالم الفكر العربى فى العصر الوسيط) دار العـلم للمــلايين ، بيروت ١٩٦٦ م .

٢٥٤ ــ اليوزبكى ، توفيق سلطان (تاريخ أهــل الذمة فى العراق) دار العــلوم للطباعة والنشر ، السعودية ، الرياض ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م .

رابعا ــ المراجــع الأجنبية المترجمــة :

٢٥٥ ــ ارنولد ، توماس وآخرون (تراث الاسلام) ترجمة جرجيس فتح الله . المطبعة العصرية الموصل ، العراق ١٩٥٤ م .

٢٥٦ ــ الدوميللى (العلوم عند العرب ومكانتها فى التطور العلمى العالمى) ، ليــدن هـــولندا ، ١٩٦٦ م .

٢٥٧ ــ أوليرى ، دى لاسى (مسالك الثقافة الاغريقية الى العرب) ترجمة تمــام حسان ، دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٥٨ ــ (الفكر العربى ومكانه فى التاريخ) ترجمةتمام حسان ، دار الفكر العربى ، القـــاهرة ١٩٦١ م .

٢٥٩ ــ (علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب) ترجمة وهيب كامل ، القاهرة ١٩٦٢ م .

٢٦ ـــ بادو ، جنـون (عبقرية الحضارة العربية ينبوع النهضـة) مركز الوثائق والدراسات بأبو ظبى ١٣٧٩ هـ/١٩٧٧ م .

٢٦١ ـــ بخش ، خـويدا (الحضارة الاسلامية) ترجمـــة وتعليق على حسنى الخربوطلى ، نشر دار الكتب الحـديثة ، القاهرة ١٩٦٠ م .

٢٦٢ ـــ بارثولد ، ف (الحضارة الاسلامية) ترجمة حمزة طاهر ط ٣ ، طبع دار المعارف بمصر ، القـاهرة ١٩٤٢ م .

٢٦٣ ـــ براون ، ادوارد جـورج (الطب العربى) ترجمة داوود سليمان على ، مطبعة العانى ، بغـداد ١٩٦٤ م .

٢٦٤ ـــ بروكلمان ، (كارل) (تاريخ الشعوب الاسلامية) ترجمة نبيـه فارس وزميلة ، بيروت ١٩٥٣ م .

٢٦٥ ـــ بيكر ، هنيرش (تراث الأوائل فى الشرق والغرب) ترجمة عبد الرحمن بدوى ، بيروت ١٩٤٩ م .

٢٦٦ ـــ جوستاف ، جرونيباوم فون (حضارة الاسلام) نقله للعربية عبد العزيز جاويد وعبد الحميد العبادى ، مكتبة مصر ، ٣ شارع كامل صدقى بالفجالة الألف كتاب (٢٠) ١٩٥٦ م .

٢٦٧ ـــ حتى ، فيليب (تاريخ العرب المطـول) ترجمة ادوارد جرجى وجبرائيل جبور ، دار الكشاف ، بيروت ، لبنان ١٩٦٥ م .

٢٦٨ ـــ حيد بامات (اسـهام المسلمين فى الحضـارة الانسانية) ترجمـة ماهر عبد القادر وآخرون ، دار المعرفة الجامعية ، الأزاريطة بالاسـكندرية ، بدون .

٢٦٩ ـــ دى بور (تاريخ الفلسفة فى الاسلام) ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ م .

٢٧٠ ـــ ديورانت ، ول (قصة الحضارة) ترجمة محمد بدران ، طبع الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية .

٢٧١ ــ روزنتال ، فرانتز (مناهج العلماء المسلمين فى البحث العلمى) ترجمة أنيس فريحه ، بيروت ، لبنان ١٩٦١ م .

٢٧٢ ــ ريسلر ، جاك . س . (الحضارة العربية) ترجمة غنيم عبدون ، طبع الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٢٧٣ ــ سيد أمير على (روح الاسلام) ترجمة محمود أمين الشريف ، مكتبة الآداب ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٢٧٤ ــ (مختصر تاريخ العرب والتمدن الاسلامى) ترجمة رياض رأفت ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٣٨ م .

٢٧٥ ــ سيديو ، ل . أ . (تاريخ العرب العام) ترجمة عادل زعيتر ، نشر البابى الحلبى ، مصر ١٩٤٨ م .

٢٧٦ ــ شيدر ، هانز هيزس (روح الحضارة العربية) ترجمة عبد الرحمن بدوى ، بيروت ١٩٤٩ م .

٢٧٧ ــ لوبون ، جوستاف (حضارة العرب) ترجمة عادل زعيتر ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٥٦ م .

٢٧٨ ــ ماير هوف ، ماكس (التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية) ترجمة عبد الرحمن بدوى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٠ م .

٢٧٩ ــ متز ، آدم (الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى) ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريدة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٤٧ م .

٢٨٠ ــ ناتنج ، أنتونى (العرب انتصاراتهم وأمجاد الاسلام) ترجمة راشد البراوى ١٩٧٤ م .

٢٨١ ــ نالّلينو ، كارلو (تاريخ الفلك عند العرب) طبع فى روما ١٩١١ م .

٢٨٢ ــ نجلاء عز الدين (العالم العربى) ترجمة محمد عوض ابراهيم ، القاهرة ، بدون .

٢٨٣ ــ هسل ، الفرد (تاريخ المكتبات) ترجمة شعبان عبد العزيز خليفة ، دار الثقافة ، القاهرة ١٩٧٣ م .

٢٨٤ ــ هل ، يوسف (الحضارة العربية) ترجمة أحمد العدوى ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

٢٨٥ ــ هوليارد ، ا. ج. (الكيمياء حتى عصر دالتون) باريس ١٩٢٨ م .

٢٨٦ ــ هونكه ، زغريد (شمس العرب تسطع على الغرب) ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقى ، بيروت ١٩٦٤ م .

٢٨٧ ــ ويلز ، هـ. ج. (موجز تاريخ العالم) ترجمة عبد العزيز جاويد ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٧ م .

خامسا ــ المجلات الدورية :

٢٨٨ ــ (مجلة المؤرخ العربى) بغداد ، العراق .

٢٨٩ ــ (مجلة الفيصل) المملكة العربية السعودية .

٢٩٠ ــ (مجلة العربى) الكويت .

٢٩١ ــ (مجلة الباحث) بيروت ، لبنان .

٢٩٢ ــ (مجلة الاسلام والعصور الحديثة) دكا ، بنجلاديش .

٢٩٣ ــ (صحيفة جامعة بيشاور) الباكستان .

٢٩٤ ــ (مجلة المورد) بغداد ، العراق .

٢٩٥ ــ (مشالات الشبلى) مجلد ٦ ، غرام كاره ، الهند .

١٩٦ ــ (مجلة درع الوطن) ابو ظبى ، الامارات العربية المتحدة .

٢٩٧ ــ (مجلة الأستاذ) بغــداد ، العراق .

٢٩٨ ــ (مجلة النجم) بغــداد ، العراق .

٢٩٩ ــ (مجلة ايزيس) بغــداد ، العراق .

٣٠٠ ــ (مجلة المقتطف) مجلد ٣٩ ، بيروت ، لبنــان .

٣٠١ ــ (مجلة المشرق) بغــداد ، العراق .

سادسا ـ المراجع الأجنبية :

302 — A. M. A. SHUSHTERY
OUTLINES ISLAMIC CULTURE, Lahore, Pakistan, 1975.

303 — BARTHOLD, W.
TURKESTAN DOWN ON THE MONGOL INVASION, Luzac, 1938.

304 — BROWN, E.
A LITERARY HISTORY OF PERSIA, London, 1926.

305 — E. H. WILDS
THE FOUNDATIONS OF MODERN EDUCATION, London, 1959.

306 — ENCYCLOPEDIA OF ISLAM, ART MASJID.

307 — GIBB, H.
ARABIC LITERATURE, Oxford, 1928.

308 — ISLAMIC CULTURE, 1929.

309 — HITTI, P. K.
THE HISTORY OF THE ARABS, London, 1949.

310 KHUDA BUKHSH
CONTRIBUTION OF THE HISTORY OF ISLAMIC CIVILIZATION, Calcutta, 1905.
ISLAMIC LIBRARIES, 1942.

311 — HUGHES, THOMAS PATRICK
DICTIONARY OF ISLAM, London, 1885.

312 — J. WINDROW SMEETMAN
ISLAMIC AND CHRISTIAN THEOLOGY, London, 1945, vol., I, II.

313 — MUHAMMAD MARMADUKE
PICKHALL, London.

314 — NICHOLSON, R. A.
A LITERARY HISTORY OF THE ARABS, Cambridge, 1930.

315 — PALMER, E.
HARUN RASHID, Marcus Ward, 1881.

316 — RICHARD COKE
BAGDAD THE CITY OF PEACE, Thornlon 1927.

317 — ROBERT BRIFFAULT
THE MAKING OF HUMANITY, England 1919.

318 — S. AMEER ALI
A SHORT HISTORY OF SARACENS, London, 1916.

319 — S. AMEER ALI
THE SPIRIT OF ISLAM, London, 1940.

320 — Sir. THOMAS ARNOLD
LEGACY OF ISLAM, Oxford University, 1931.

321— SAYED MUHAMMAD AL-NAGIB AL-ATTAS
AIMS & OBJECTIVES OF ISLAMIC EDUCATION,
King Abdul Aziz University, 1979.

322 — SAYED SAJJAD HUSSAIN
CRISTAIN MUSLIM EDUCATION, England, 1919.

323 — AMAN — ALLAH KHAN
AL MAMWN AND HIS BAYT AL-HIKMAT,
Pakistan, Lahore, 30 November 1962.

الفهرس

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

الفصل الثالث : تأثير بيت الحكمة كمؤسسة علمية
وتعليمية على المدارس الاسلامية

الفصل الرابع : بيت الحكمة كجامعة اسلامية عظيمة

الباب الرابع

الفصل الأول : بيت الحكمة كمؤسسة علمية وحركة الترجمة فيها

صفحة

الفصل الثانى : الحياة العلمية ونشاط الترجمة فى بيت الحكمة

الفصل الثالث : العلاقة بين مؤسسة بيت الحكمة والحكومة
والعلماء الذين عملوا فيها

البــاب الخامس

الفصل الأول : مكانة بيت الحكمة بين مدارس وجامعات العالم

صفحة

الفصل الثانى : ازدهار العلوم الاسلامية فى بيت الحكمة

الفصل الثالث : مميزات بيت الحكمة بين الجامعات الحديثة

رقم الايداع بدار الكتب القومية

٨٩/٤٦١٦

الترقيم الدولى x — ٠٣٥٠ — ١٠ — ٩٧٧

شركة دار الاشعاع للطباعة

١٤ ش عبد الحميد ـــ جنينة قاميش
السيدة زينب ـــ القاهرة
ت : ٣٦٣٠٤٦٩

Some Historians said that Howlaku (The leader of Al Maghole) built the Stables and the animal food containers from these books instead of mud.

Thus, Howlako destroyed all the valuable books that were tranns-lated by the Muslems writers and scholars who were encouraged by Chaliphs who helped in spreading culture among Muslims and others.

Another point worth nothing is that **Bayt AL Hikmat** preserved and mastered a lot of the Culture of the old civilized world.

We should notice the importance of **Bayt EL Hikma** in the birth of the Islamic civilization. In fact it was the main reason behined the progress the Muslims achieved in all aspects of their new civilizations.

Bayt Al Hikma was the link between the Arabs on one hand and Greeks, the Indians and the Persians on the other. It played a great role in knowing the old cultures and civilizations, keeping their legaly and passing it to the following generation. Without this great role, all these civilizations would fall down through losing it's legacy.

Bayt Al Hikma without doubt, was the main reason behind that all.

He could bring his friends who were physicians from Gondjasabore to Baghdad and studies Arabic. He had a book in Logic.

Haneen ben Ishaq revised Batlaimous book which was translated by Ibrahim Ben selt.

He was very skillful in translation which made him very closed to Al Maamoun. He visited syria and little Asia in ordered to collect books. Dawoud and Ishak were his sons. Dawoud was very specialised in medicin.

Al kendy or Abu Yousuf Yaakaup Ben Ishak, who was an Arab, was the Arab and Islam Philosopher. He worked on, medicin, astronomy, philosophy and logic. In his joined between Aflatoun and Arresto opinions in Philosophy.

About all Bakhtjshun who was during the Abbasside state - became very famous. Jebreel Ben was highly educated in all the subjects involved in medicin. He wrote many books in paleozoology.

Supporting the translator was not restict on the Caliphas but also on the ministers, rulers, and the cheif officer.

So, **Bayt Al Hikma** contained the books written in legislation and ureology. The Arabs were not only satisfied with translating the books but also they studied them carefully in order to benefit from them.

It was most probable that **Bayt AL Hikmat** lost it's shining after Al Mutawakel due to the transforme of the successior from Baghdad to Samarra. **Bayt AL Hikmat** went on Resisiting until Al Maghole conquered Baghdad in 656 Hijri 1258.

Al Maghole or Al Tatar, did not care of it's book treasuries so they burnt some and threw the others in the Tigirus.

He was very interested in Philosophy and Logic by which he could build up his general knowledge and theology.

Al Maamoun used to ask the Roman Kings to provide him with the valuable wisdom books whenever he reached to an agreement with them. Consequently, Mekheel the third sent one of the famoust library in kustanteena.

Furthermore, he respected all the scientists from all the Christian creeds whom were invited to his palace.

Bayt AL Hikma was the pulpit of forgivness during AL Maamoun and the Abbasiden successors age.

The Philosophers from the other religions used to debate with the Muslems in all religious affairs.

Books in philosophy, Engineering and History were written by the monasteries in Syria, Little Asia, Syrian Coast and Palestine.

Al Maamoun age is considered as the most prominent age in the Arab Culture. Consequently it was called the Golden Islamic age.

The Abbassides successors made it easy for people to get all the scientific books were available at that time. So, **Bayt AL Hikma** was created in order to propogate the other nations cultures and knowledges.

Al Hassan Ben Sahel was one of the prominent translator during the age of Al Maamoun and Ahmed Yehia Ben Jaber.

Abu Hafs Omar Ben Al Farkhan Al Jabari was a translator and specialised at astronomy.

Haneen Ben Ishaq who wes introdused to Al Maamoun by Musa sons, was assigned as the head of Al Hikma Institution.

The rich people used to keep a copy of the translated books but the originals were kept in **Bayt AL H:kma.**

The translated material was revised by Thabet Al Harrani and Haneen Ben Ishak who were profissional in translation.

Paper factories were established in Bagdad and all the Arab countries during Al Rasheed age. But before that, AL Barde papers, leathers and even bones were used for writing.

The paper manufacturing prosperity helped to propogate the Arubic Culture. Teaching syllabus was in higt standard specially in philosophy, Physices, Maths, Astronomy, History, Giography and Music.

Abu Yousuf was the first one who applied the teacher's uniform which was a black turban and cloak.

Chemistry was one of the scientific subject considered during the Abbassied's age. Jaber Ben Haian became one of the prominent chemists at that time. He invented many thiories which were translated into Latin.

Al Rasheed assigned Al Fadel Ben Nub:kht in order to translate and keep the Pherisian books. Ben Mousaweih was also incharged of the old Medical Book which were brough during his missions.

The movement of Arabizing the books in medicine, astronomy and maths from the Indian Language increased during Al Rasheed age.

Many Indian Scientists came Baghdad or were invited by Al Maamoun. A great emphasis was put on the Indian and Phersian books during the first days of Al Rasheed.

Al Maamoun opened all the doors of **Bayt Al Hikma** treasuries infront of all the scientists and he was aware of all the researches, studies and discussions raised at that time.

Such libraries contained books in all subjeats like logic, philosophy, and astronomy were open for public people.

The Abbasied successors propogated the science among all the ranks of people.

Ali Ben Yehia — Died in 275 Hijra — established a Library in his palace called al Hikma treasury where people form different countries used to come to study and accomodated on his account.

Bayt Al Hikma was managed by the owner who was in charged of its affairs.

Sahl Ben Haroun was assigned by Al Maamoun who took care and maintained the treasuries. He organised Al Maamoun's private treasuries.

Ebn Abi Al Hareesh was a binder in Al Hikma treasury.

Yeuhanna Ben Mussaweeh was the translation trustee during the ages of Al Rasheed, Al Ameen, Al Maamoun and Al Mutawakel.

Maths, Engineering and Music were taken care by Banu Shaker.

Qusta Ben Luga supervised the translation section in **Bayt Al Hikma** because he was an expert in Greek.

Bayt AL Hikma started to be a Public Library then it was developed till it became an Islamic University in which the scientists and researchers used to meet.

It became a high scientific and Cultural establishment that contained books in Logic, medicin, Maths and Philosophy.

By studying the historic documents, it was found that **Bayt AL Hikma** did not restrict on translation but on some other duties such as bibliopegy and producing copies to be distributed to the well known libraries at that time like **Bayt AL Hikma** in Tunisia and Cairo.

treasuries. In each one there were many Volumes. **Bayt AL Hikma** was devided into different sections which were used for keeping books, translation, dictating, writing, books binding and reading.

Some people used to call it **Bayt Al Hikma or Al Hikma treasury.**

Haji Khalifa — in Kashf Al Thunoon — called it Bayt Al Hikma and Ibn Al Nadeem — in Al Fahrest — called it Al Hikma treasury.

The researchers disagreed on the establisher of **Bayt Al Hikma.** Some of them said that it was established by Al Maamoun and more than one of them said that it was established by Al Rasheed. It was confirmed by Yaquot Al Hamawi that it was established during Al Rasheed age.

Abu Sahel translated materials from Persien to Arabic during Al Rasheed age.

Al Rasheed propagated the education by establishing a place where he collected and kept agreat number of the valuable books. He also tried to increase the number of these books and took care of their titles. AL Maamoun made Dar Al Hikma not only a Library but also a translation centre which eventually was changed into an academy so, Al Maamoun age is considered as the most prosperous days of **Bayt Al Hikma.**

It is said that **Bayt Al Hikma** which contained rooms and treasuries an independent building of the successor's palaces.

I think Bayt means Al Rasheed, Al Barameka and Al Maamoun treasuries. Each one is considered for a certain kind of books.

It is clear that **Bayt Al Hikma** differes from any other educational institution established on the third Hijra century.

The Al Hikma private houses were the libraries established by the scientists, rich people, liturers and the well known people.

A SUMMARY OF THE RESEARCH

By now, it has been made clear my objective is to study **Bayt Al Hikma** in abbasside age since its establishment until it became an academic and educational establishment for the scientific and high studies.

During the prosperity of the Abbasside age, Baghdad was the Kaaba for the scientists and physicians form all the religions. It was the first Islamic Center for the high study and translation. There were a Public Library and an observatory in **Bayt Al Hikma.** It was established before **Al Azhar** and any other **European Universities.** Consequently, it was one of the oldest Colleges and Universities established at that time.

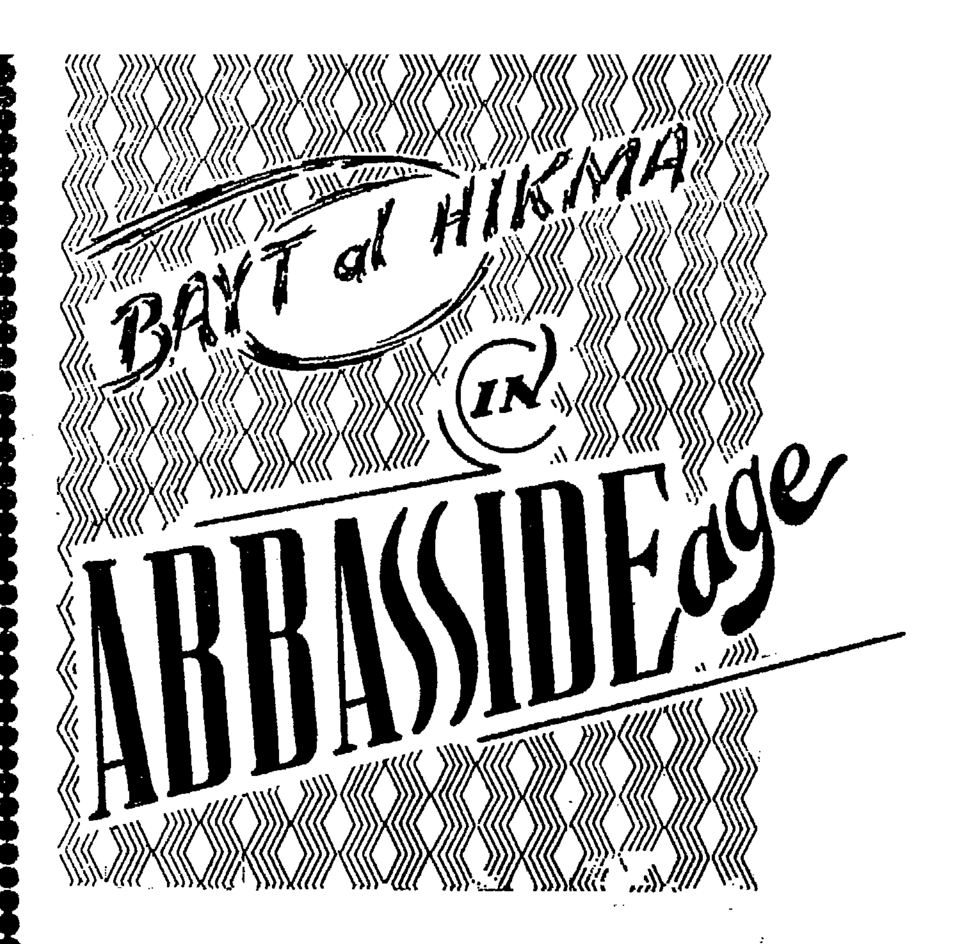
It can be said that the first Abbasside age was the most productive period in Islam.

A collection of translated books was known during **Al Rasheed age** in Medicine, Astronomy, Philosophy, Wisdom, Literature and Stories.

There were some other books which were written in Quraan, Grammer,and History. **Al Rasheed** followed his grandfather in encouraging the Scientific Production. He wrote to the Princes and to the Soldiers encouraging them to take care of the science and scientists.

Al Rasheed was an example to Al Mamoun, Banou Aumhaiah and Al Hakam Ben AL Nasser who was assigned in 350 Hijra. He established a Library in Kurtubah.

Bayt Al Hikma can be described by saying that it was a larg building in which there were many rooms that contained collections of books



Dr. KHEDR AHMED ATTALLAH

